زيارة الأربعين

٣٨

مسيرة للتكامل الإنساني

الجزء الثاني

البحوث المشاركة في ملتقى الطف الدولي الثامن والذي أقيم بالتعاون بين ديوان الوقف الشيعي/ دائرة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة والجامعة المستنصرية / كلية الآداب

عام ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

اسم الكتاب: زيارة الأربعين مسيرة للتكامل الإنساني.

إعـــداد: شـعـبـة الإعـلام ـ دائرة العتبـات المقدسـة والمزارات الشيعية الشريـفة.

الغلاف: م. نجاح الدجيلي.

الإخراج الفني: مصطفى الأطرش.

الطبعة: الأولى.

الكمية: ٢٥٠ نسخة.

النـاشر: ديوان الوقف الشيعي ـ دائرة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

جميع الحقوق محفوظة

زيارة الأربعين

مسيرة للتكامل الإنساني

البحوث المشاركة في ملتقى الطف الدولي الثامن

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاةُ والسلام على من اختارهِم هداةً لعبادهِ، لاسيما خاتم الأنبياءِ وسيّد الرسلِ والأصفياء أبي القاسم محمد، وعلى آلهِ الأطهار وصحبهِ المنتجبين الأخيار.

لخصوصيةِ يوم الاربعين وفضلِ زيارةِ قبرِ الحسين عليه السلام عُدَّ من علاماتِ المؤمن، ففي بحارِ الأنوار للشيخ المجلسي روُي عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) انه قال: (علاماتُ المؤمن خمس: صلاةُ الإحدى والخمسين، وزيارُة الأربعين والتختُم في اليمين، وتَعفيرُ الجبينِ، والجهرُ ببسم الله الرحمن الرحيم)

إذا فإن زيارةَ أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فِي الأربعين إنما هي علامةٌ من علامات المؤمنِ، فضلا عن إن إقامةَ المأتمِ يوم الأربعين يمثلُ ممارسة مخصوصة يمكن أن تهدى لسيدِ الشهداءِ (عليه السلام)، تعبيراً عن الولاءِ المطلقِ وتجديداً لعهده ..

إن إقامةَ الزيارة الاربعينية هذه الشعيرةُ الالهيةُ والحفاظَ عليها سنويا هو إحياءٌ لتلك النهضةِ الحسينيةِ وتعريفٌ بعمقِ المصيبةِ التي وقعت على آل بيت النبوة (عليهم السلام)، أولئك النخبة من العظماءِ والأبطالِ الذين ساروا في مسيرة الزمن، مشدودي الخُطى نحو ميدان العزّةِ والشموخ.. لتلك الرسالة السماوية التي لم تصنْعهُا مشيئةُ المخلوقِ بل إنها إرادة الله في الأرضِ حَمَلهَا الرسولُ (صلى الله عليه وآله) في صدرِ الإسلامِ لتبقى حيّةً تنبضُ بالسموِ والعطاءِ...ومع الأربعين يتجددُ اللقاءُ مع نهضةِ سيد الشهداء (عليه السلام)، وقد فازَ مع أصحابهِ الميامين بالخلودِ الأبديِ في جناتِ النعيم. وبقي النزيفُ المضيءُ يلتحفُ الذاكرةَ.. حيث كربلاءُ وجَسَدُ الحسين (عليه السلام) وأصحابهُ الميامين نماذج كبرى للحق والمعرفة والامل.

وتأتي خصوصية الزيارة الاربعينية في استذكار المآسي والآلام والفواجع التي جرت على سبايا أهلُ البيتِ(ع) حيث تتزامَنُ إقامُة الشعائرِ الحسينية في يوم الاربعين مع

ذكرى رجوع الرأسِ الشريفِ من الشامِ الى العراقِ، ودفنه مع الجسدِ الطاهر في يوم العشرين من صفر، لتقام الشعائرُ استذكاراً لهذه الحادثةِ الأليمةِ فتتجدد الاحزانُ.

ولكن ذكرى النهضة الحسينية تبقى رمزاً لصدقِ العقيدةِ، ومثلا للتضحيةِ والفداءِ من أجل المبدأ، فلولا مصداقيتها وشرعُيتها لما دخلت قلوب المسلمين بل قلوب الإنسانية جمعاء، وتجذرت في مخيالاتهم عواطف جياشة وحزنا ملتهبا، مثلما تظهر في ذكرى واقعة الطف، هذه الواقعة التي شكلت منحى مهما في الوجود الانساني، فمسيرة الامام الحسين عليه السلام استقطبت خير التاريخ كله، فخلقت روحاً وشعورا للنضال والتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة، وكونت حزنا ثوريا لا تنضب منابعَهُ الى يوم الدين، ويوما بعد اخر يزداد هذا الصرح الإلهي علوا وشموخا، وزوارهُ يزدادون إيمانا وتكاملا إنسانيا لا مثيل له.

ومن منطلقٍ ايماني وواقعي خُصْصّ الموضوع الرئيس لملتقى الطفّ العلمي والثقافيّ في دورتهِ الثامنةِ لدراسة الأبعادِ الإنسانيةِ العالميةِ لزيارةِ الاربعينية، ضمن محاور علمية محددة تسعى الى دراسة هذهِ الزيارةُ، التي تنوعتْ مشاربُه المؤدين لها، واتسعت انتماءاتها وتعددت راياتُها، لتمثل طيفاً متنوعاً وطَقْسَاً عالمياً تتعددُ فيه بلدانُ الساعينَ بمواكبهِم وتتنوع معتقداتِهم وانتماءاتِهم ولغاتِهم وأجناسِهم، ولكن مقصدَهم يظلّ كالزيارةِ الأولى مُوَحْداً. فالثَلاثيةُ التي تجمعُ بين الحسين والطفّ والإنسانيةِ أضلاعُ مثلثٍ حَمَلَ الحقِ والمعرفةَ والأملَ، إذ انّ ضمت سوحَ طفوفِ كربلاء منازلةِ بين الحقِ والباطل، وبين المعرفةِ والجهلِ، والنور والظلام، وكان ما كان، وانتصرَ الدَمُ على السيفِ، وسجلت ضمائرُ شرفاءِ وأحَرارُ العالمِ الخلود لحسين الإنسانيةَ رمزاً باقيا للتضحية والإباءِ.

ومن الجدير بالذكر ان عدد البحوث المقدمة للإسهام في الملتقى قد تجاوزت خمساً وستين بحثا من تخصصات علمية متعددة، ومناهج معرفية متنوعة، جرى قبول بعضها واعتمادها من قبل اللجان العلمية- التخصصية التي شكلت لهذا الغرض، واختير العدد الذي نشر في هذا الكتاب، الذي يضم ابرز البحوث المسهمة في الدورة الثامنة

للملتقى . ونحن على يقين بأن قراءتها ستضيف الى البحث العلمي في مجال المعرفة الانسانية اضافة نوعية، مثلما اضافت المشاركات الحية والمداخلات العلمية، ضمن محاور الموضوع مساحة فكرية واسعة، للبحث العلمي العراقي المعزز بالمشاركة الخارجية التي كان لها دورٌ فاعل ومؤثرٌ في ملتقى هذا العام، إذ شارك عدد من باحثي البلدان العربية والإسلامية ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أهمية ثيمة المؤتمر، وحرص الباحثين في الكتابة عن الفكر الحسيني والزيارة الاربعينية بوصفها مسيرة للتكامل الإنساني .

وختاما نيابة عن منتسبي كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية وبالأصالة عن نفسي لا يسُعنا الا ان نقدم بالشكر والامتنان لرئاسة ديوان الوقف الشيعي التي شاركتنا الحرص على نجاح أعمال الملتقى واكملت حسن العمل بالحرص على توثيق اعماله في هذا الكتاب المبارك والشكر للباحثين العرب والأجانب لتجشمهم عناء الوصول الى بلدهم الثاني العراق، والإسهام في رفد الحركة الفكرية والثقافية فيه، واشكر أيضا جهود الباحثين العراقيين من النخب الدينية والأكاديمية والثقافية، على تنوع تخصصاتهم بما رفدوا به هذا الملتقى من رؤى وتصورات علمية عن نهضة الامام الحسين عليه السلام، وقدرتهم على التواصل الفكري في ربط هذه النهضة الحسينية بالدعوة لإصلاح الذات والمجتمعات والحفاظ على المثل الإنسانية، فالشكر كل الشكر لكل من أسهم بقولٍ او فعل في إقامة هذا الملتقى العلمي والثقافي ونجاحه.. والحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور فريدة جاسم داره

عميد كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

بغية المجتهدين في السير

إلى

زيارة الأربعين

الدكتورة حنان رضا الكعبي
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

ملخص البحث

قال تعالى:(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[1]...لابد من القول-بأن أهمية إقامة الشعائر الحسينية ومن أبرزها—زيارة الأربعين تأتي من خصوصية ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام)، ورصيدها الثر في نفوس المسلمين من خلال إفرازاتها ونتائجها بممارسة الزيارة الأربعينية، مما يزيدهم أيمانا" في الدعوة لحقهم أهل البيت(عليهم السلام)، واعتزازهم بمبادئهم والتمسك بها، وقوة حجتهم ورسوخ دعوتهم، رغم طول المدة، وشدة المحنة واختلاف الآراء والاجتهادات والفتن والأهواء.

وتكمن خصوصية زيارة الأربعين كونها تمثل للمسلمين وموالي آل البيت الأطهار خاصة ـ صورة مشرقة لخلود الثورة الحسينية وثبات مبادئها لما تؤديه تلك الزيارة من دور ديني وعقائدي راسخ في أحياء أمر أهل البيت الأطهار وسيرتهم المشرفة، والتذكير بمظلوميتهم، ورفيع مقامهم والثبات على مبادئهم وتعاليمهم السامية، أذ ارتبطت تلك الزيارة بوفود الصحابي الجليل (جابر بن عبد الله الأنصاري(ت:٧٨هـ ٦٩٧م)، الذي يعد أول من التقى الأمام زين العابدين (عليه السلام) في كربلاء عند قبر الأمام الحسين(عليه السلام) في العشرين من محرم الموافق أربعين الامام الحسين(عليه السلام)، فكان أول من زاره من المسلمين بعد استشهاده.

فتزامن اقامة الشعائر الحسينية وزيارة الأربعين في استذكار فاجعة أهل البيت (عليهم السلام) في عاشوراء وذكرى رجوع رأس الحسين الشريف من الشام الى العراق ودفنه مع جسده الطاهر في العشرين من محرم، لتجديد العزاء والأحزان وتجديد البيعة لابي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فالتقى الركب الحسيني والسبايا القادم من الشام مع الصحابي جابر الأنصاري ومعه جماعة من بني هاشم والموالين لزيارة قبر الحسين(عليه السلام)، فتوافدوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء واقامة العزاء وتوافد عليهم أهل العراق لمواساتهم، وسيكون محور دراستنا من خلال تقصي الروايات التاريخية والفقهية في المبحث الاول: نتناول معنى الزيارة لغة واصطلاحا" ثم نركز على أهمية وفضل زيارة

---

١) سورة التوبة، الآية:٣٢.

الحسين(عليه السلام) من جهة، وأحياء الزيارة في الأربعين عند الأئمة من أهل البيت الأطهار (عليهم السلام)، و خصص المبحث الثاني: الى دراسة زيارة الأربعين في تصانيف علماء الشيعة من خلال مؤلفاتهم، والتركيز على خصوصية زيارة الأربعين وأثرها في نفوس المسلمين، وأفردنا المبحث الثالث: لدراسة آداب زيارة الأربعين وذكر فضائل الزيارة وعظيم ثوابها.. ومن الله التوفيق والسداد...

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للزيارة، وفضل زيارة الأربعين وإحياءها عند الأئمة من أهل البيت الاطهار (عليهم السلام)

المعنى اللغوي والاصطلاحي للزيارة

الزيارة مصدرها (الزور) بمعنى الميل والرغبة الى طرف والعدول عن غيره، فقد ذكر (ابن فارس).

بأن: الزاء والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول)) [١].

والزيارة في اللغة: القصد، تقول " زاره، زياره، وزوراً، إذا قصده، فهو زائر له وزور له، وهي في العرف قصد المزور إكراماً له، واستئناساً به " [٢].

إما معناها الاصطلاحي هو اصطلاحاً: والمقصود من الزيارة (الحضور)، ويقصد به الحضور القلبي والوجداني بمعنى الارتباط المعنوي بالله وأوليائه والقرب منهم والسعي لساحته المقدسة، ويراد بالزيارة والبحث عن حكمها: زيارة القبور غالباً، بقصد الدعاء والترحم على الأموات على الوجه المشروع فيثاب الزائر على احسانه وذكره لهم [٣].

إن نهضة الامام الحسين (عليه السلام) وما افرزته واقعة الطف أضحت نقطة تحول مهمة في مذهب التشيع، حيث صار لها أعظم الأثر في قوته، ورسوخ قدمه وبقائه ووضوح حجته وسماع دعوته وتوسعه بمرور الزمن، رغم شدة المحنة واختلاف المواقف وكثرة الفتن والاهواء من المعادين لمسار أهل البيت (عليهم السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):ـ (حسين مني وأنا منه، احب الله من احبه، الحسن والحسين سبطان من الاسباط)[٤].

---

١) ابن فارس أبو الحسين احمد بن زكريا (ت: ٣٩٥ه)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ج٣، ص٣٦.

٢) ينظر: الزبيدي: محمد مرتضى الحنفي (ت: ١٢٠٥ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت،ـ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤ ه، ج٣، ص١٢٦.

٣) الفيومي: أحمد بن محمد (ت: ٧٧٠ ه)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط٢، مصر، دار المعارف، بلا.ت، ص٢١٦.

٤) ابن حنبل: احمد الشيباني (ت: ٢٤١ه) مسند احمد بن حنبل، بيروت، دار صادر، ج٤، ص١٧٢.

فاجتمعت في شخصية الحسين (عليه السلام) الأمل والثبات مع الصبر والعزة ممزوجة بالمأساة والحزن، في تلك التربية المحمدية العلوية، فبلغ المجد واستطاع أن ينتزع الخلود من الزمن.

لذا أحببت أن أجمع الروايات الواردة في فضل زيارته (عليه السلام) وجوامع ما ورد من الفضل والثواب في زيارته (عليه السلام) الأربعينية ونوادرها في هذا البحث زوار آبا الاحرار على بصيرة في فضل زيارته وأسميته ((بغية المجتهدين في السير الى زيارة الأربعين)).

" إن فظاعة فاجعة الطف حققت الأرضية الصالحة لاستثمارها لصالح مذهب التشيع. وذلك برثاء سيد الشهداء(علية الصلاة والسلام) والتفجع له وزيارته والتأكيد على ظلامته.

وانطلق الشيعة من ذلك لبيان ظلامة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والتأكيد على رفعة مقامهم وعظيم شأنهم، وعلى جور ظالميهم وخبثهم وسوء منقلبهم ثم الاهتمام بإحياء المناسبات المتعلقة بأهل البيت جميعاً"[1].

حتى غدت كربلاء التي سال على رمضائها دم الحسين (عليه السلام) تضاهي بقاع العالم قدسية وشرفاً وأصبحت مهوى لقلوب العارفين من المسلمين وحتى غير المسلمين.

ولله درّ دعبل الخزاعي حيث يقول في زيارة الحسين (عليه السلام):

لم لا أزورك يا حسين لك الفدى قومي ومن عطفت عليه نزار

ولك المودة في قلوب أولى النهى وعلى عدوك مقتة ودثار[2]

وفي رواية عن أبي جعفر محمد الباقر قال: ((مروا شيعتنا بزيارة الحسين (عليه السلام) فإن زيارته تدفع الهم والغرق والحرق وأكل السبع وزيارته مفترضة على كل من آمن وأقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل))[3].

---

١) الحكيم: محمد سعيد الطباطبائي، فاجعة الطف أبعادها، ثمراتها، توقيتها، بغداد، مطبعة دار الهلال، ص٤٢٥.

٢) المحلاتي: ذبيح الله بن محمد بن علي (ت: ١٤٠٣ه)، رياحين الشريعة، طبعة طهران، بلا.ت، ج٤، ص٣٢٦.

٣) العاملي:ـ محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤ه)، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، ط٥، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣ ه،ج١٤، ص٦٣٧.

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((أنه قال للحلبي بعد أن سأله: ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر ذلك ؟ قال: عق رسول الله وعقنا واستخف بأمر هو له))[1].

وفي رواية اخرى عن الصادق (عليه السلام) عن أبي بكير عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((قلت له: أني لأنزل الأرجان وقلبي ينازعني الى زيارة قبر أبيك وأذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعادة وأصحاب المصالح فقال: يابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً ؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه وكان يحدثه الحسين (عليه السلام) تحت العرش وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولايفزع فإنه فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة))[2].

وتطالعنا رواية تاريخية غاية في الأهمية جاء فيه:

((ما ورد عن الحسين بن علي بن ثوير بن أبي فاختة قال: قال لي أبو عبد الله يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) أن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة وحط عنه بها عنه سيئة وإن كان راكباً كتب الله له بكل حافر حسنة وحط بها سيئة، حتى أذا صار بالحائر كتبه الله من الصالحين، واذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال له أن رسول الله يقرئك السلام ويقول لك: استأنف فقد غفر لك ما مضى))[3].

وعن أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال في فضل زيارة الأربعين ((علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين وزيارة الأربعين والتختم في اليمين وتعفير الجبين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم))[4].

كما حث الأئمة من أهل البيت الأطهار المسلمين على زيارة الحسين (عليه السلام) وأن لا يتركوا زيارته فجاءت في إحدى الروايات ((وعن عبد الرحمن بن كثير قال: قال

---

١) ابن قولويه: جعفر بن محمد القمي (ت: ٥٣٦٧)، كامل الزيارات، تحقيق: جواد فيومي، ط١، طبع مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٧ه، ص٢٠٠.

٢) العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٥٧.

٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٥٢ـ٢٥٣ ؛العاملي، المصدر نفسه، ج١٤، ص٤٣٩.

٤) العاملي، المصدر نفسه، ج١٤، ص٤٧٨.

أبو عبد الله (عليه السلام) لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي لكان تاركاً حقاً من حقوق.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن حق الحسين فريضة من الله تعالى واجبة على كل مسلم))[1].

وفي رواية أخرى أن زيارته (عليه السلام) مفترضة على كل مؤمن يقر بالإمامة: ((عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام) فإن أتيانهُ يزيدُ في الرزق ويمد في العمر ويدفع مدافع السوء، وأتيانهُ مفترض على كل مؤمن يقر له بالامامة من الله))[2].

وعن خصوصية كربلاء يحدثنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث طويل ((... كربلاء... وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة))[3].

وتمر علينا في كل عام ذكرى أليمة هي أربعينية استشهاد سيدنا أبا الأحرار الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) نعيش فيها بأرواحنا وقلوبنا ومشاعرنا احزانها واليم ذكراها وكلما أظلتنا هذه الذكرى تجدد إيماننا بهذا الدين المحمدي حتى جاء في فضل زيارة الحسين (عليه السلام) ماورد في أحدى الروايات:ـ أن مقام زائر الامام الحسين (عليه السلام) في "أعلى عليين بالآخرة"، " ومنها عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه كتبهُ الله في أعلى عليين[4].

ويتمثل لنا هذا الرصيد التاريخي الثر الذي ينير الدرب للثائرين ما جاء على لسان الامام الرضا (عليه السلام) برواية جاء فيها ((عن الريان بن شبيب عن الرضا (عليه السلام) في حديث أنه قال له: يا أبن شبيب أن سرك أن تلقى الله ولا ذنب عليك فزر الحسين))[5].

---

١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١١١.

٢) العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤١٣.

٣) ابن قالويه، المصدر نفسه، ص٤٤٧.

٤) العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤،ص٤١٨.

٥) الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن بابويه (ت: ٥٣٨١)، امالي الصدوق، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٢٩.

وفي رواية أخرى يقول: يا ابن شبيب ان سرك ان يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين (عليه السلام) فقل متى ذكرتهم: باليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً [1].

وتجدد الذكرى بتعاقب السنين، فأضحت زيارة الأربعين موسماً دينياً سنوياً يتجدد فيه الألم والأسى والحسرة، فيزداد ذكر الحسين (عليه السلام) وثورته تألقاً وتأثيراً وظهوراً، وما يزيد أمره ألا علواً وشموخاً يليق به مما حفز الملمين على استحباب المشي الى زيارة الأربعين وهذا ما اكده أهل البيت بالقول:

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((من زار الحسين (عليه السلام) محتسباً لا أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة محصت عنه ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء، فلا يبقى عليه دنس ويكتب له بكل حجة، وكلما رفع قدماً عمرة))[2].

وجاءت مشروعية البكاء على الحسين (عليه السلام) واقامة المأتم والمواكب الحسينية والسعي في زيارته والمشي في الأربعين واقامة المجالس لذكراه وهو المجد الذي ابقيت دين محمد (ص) يكفيه سيدي فخراً أنك وهبت رب العرش رأساً ينحُر والمجد لا يهوى البقاء بمعزل بل كان فيك المجد دوما يفخر، وهذا ما تؤكده الرواية التي بين ايدينا جاء فيها: (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصبح صباحاً فرأته فاطمة باكيا حزيناً، فقالت مالك يارسول الله فأبى ان يخبرها، فقالت: لا آكل ولا اشرب حتى تخبرني، فقال: أن جبرئيل (عليه السلام) أتاني بالتربة التي يقتل عليها غلام لم يحمل به بعد، ولم تكن تحمل بالحسين (عليه السلام)، وهذه تربته [3].

وكيف لا نبكي على الحسين (عليه السلام) وقد أبكاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والصديقة الزهراء (عليها السلام) والأئمة الأطهار جميعاً[4].

---

١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص١٢٩.

٢) ابن قولويه، كامل الزيارت، ص ٢٧٣: المجلسي، بحار الانوار، ج١٩، ص١٠١.

٣) الشيخ الصدوق، أمالي الصدوق، ص١٣٢.

٤) للمزيد ينظر: الشيخ الصدوق، المصدر نفسه، ص١٣٢ـ١٣٥.

في فضل زيارة الأربعين

ويجتهد المسلمون من جميع طبقات المجتمع وشرائحه للسعي والمشي في زيارة الأربعين بهذا الكم العددي والجمالي والعقائدي الهائل في روح سيد الشهداء(عليه السلام):

((فجاء عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) ياحسين إنه من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي(عليه السلام) إن كان راكباً كتب الله له بكل حافر حسنة وحط بها عنه سيئة)[1].

((عن أبي سعيد القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) في غريفة له، فسمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة منو لد إسماعيل)) [2].

حتى عدت زيارة الحسين (عليه السلام) فرض وعهد لازم ووجوبها على كل مسلم ومسلمة.

وعن الصادق (عليه السلام) أنه قال: زيارة الحسين (عليه السلام) واجبة على كل من يقر للحسين (عليه السلام) بالامامة من الله عز وجل [3].

وعن أم سعيد الأحمسية، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، ((قالت: قال لي: يا أم سعيد تزورين قبر الحسين (عليه السلام) قالت: قلت: نعم لي: زوريه فأن زيارة قبر الحسين (عليه السلام) واجبة على الرجال والنساء))[4].

وقد نهى الأئمة الأطهار عن ترك زيارة قبر الحسين (عليه السلام) فجاء في احدى الروايات التاريخية.((عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من لم يأت قبر الحسين (عليه السلام) حتى يموت كان منتقص الدين منتقص الايمان، وأن أدخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة))[5].

---

١) العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٢٠ ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٣٦، ص١٠١.

٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٥٧ ؛ المجلسي، بحار الأنوار،ج٣٦،ص ١٠١.

٣) الشيخ المفيد: أبو عبد الله بن محمد العكبري (ت: ٤١٣ ه) الأرشاد، قم، منشورات مكتبة بصري، بلا.ت، ص١٢٣ ؛ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٤٥.

٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٣٧ ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٣، ص١٠١.

٥) المجلسي، بحار الأنوار،ج٤،ص ١٠١ ؛ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤،ص ٤٣٠.

عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) ((يقول: عجباً لأقوام يزعمون أنهم شيعة لنا ويقال أن أحدهم يم به دهره ولا يأتي قبر الحسين (عليه السلام) جفاء منه وتهاوناً وعجزاً وكسلاً، أما والله لو يعلم ما فيه من الفضل ما تهاون ولاكسل، قلت: جعلت فداك وما فيه من الفضل ؟ قال: فضل وخير كثير، أما أول ما يصيبه أن يغفر له ما مضى من ذنوبه ويقال له أستأنف العمل))[1].

وفي فضل من قتل في طريق المشي في الاربعين، ماورد: ((عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال فيمن قتل في طريق المشي الى الحسين (عليه السلام) ((أنه أول قطرة من دمه يغفر له بها كل خطيئة وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين.ويذهب عنها ما كان خالطها من أدناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملا أيماناً، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تبقى شيئاً، فأذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبر كان أول من يصافحه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين والاوصياء (عليهم السلام) ويبشرونه ويقولون له الزمنا، ويقيمونه على الحوض فيشرب منه ويسقى من أحب))[2].

وفي أجر أقامة المواكب الحسينية بالأربعين والأنفاق عليها جاء في رواية مهمة عن أبان عن أبي عبد الله (عليه السلام):

((قال: سمعته يقول: من أتى قبر أبي عبد الله (عليه السلام) فقد وصل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصلنا وحرمت غيبته وحرم لحمه على النار، وأعطاه الله بكل درهم أنفقه عشرة آلاف مدينة له في كتاب محفوظ وكان الله له من وراء حوائجه، وحفظ في كل ما خلف، ولم يسأل الله شيئاً الا أعطاه وأجابه فيه، إما أن يجعله وإما أن يؤخره))[3].

ومن ثمرات الزيارة والمشي الى الحسين (عليه السلام) في الأربعين توحيد جموع المسلمين من الزوار وتثبيت هويتهم، وتأكيد ولاءهم لأهل البيت وتمسكهم بخطهم الثوري، فجاء في رواية، عن زرارة عن ابي عبد الله (عليه السلام) ((أنه قال... يا زرارة

---

١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٤٨٨ـ٤٨٩.

٢) ابن قولويه، المصدر نفسه، ص ٣٠٩ـ ٣١٠ ؛ المجلسي، بحار الأنوار،ج١٨،ص ١٠١.

٣) ابن قولويه، المصدر نفسه: ص٢٤٥ ؛ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤،ص ٤٨٠ـ٤٨١.

إنه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين (عليه السلام) في ظل العرش وجمع الله زواره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنضرة والبهجة والسرور الى أمر لا يعلم صفته الا الله))[1].

كما ورد أن مولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) تحضر مع زوار قبر ولدها الحسين (عليه السلام) فتشفع لهم عند الله بالمغفرة وقضاء الحوائج وهذا ما تؤكد الرواية التي بين ايدينا فجاء فيها:

((عن داود بن كثير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أن فاطمة (عليها السلام) بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تحضر لزوار قبر أبنها الحسين (عليه السلام) فتستغفر لهم ذنوبهم)) [2].

واستذكر قول من قال واجاد في قوله:

ألا يانور عيني يا حسينا فمن قطع اليسار مع اليمينا
ومن أرداك في البيدا طريحاً ومن أيتم بناتك والبنينا
ومن سلب الثياب أيا حبيبي ويا ذخري ويا عيني اليمينا
عفيراً بالتراب بغير رأس خضيب النحر متلول الجبينا
فمن أوصيت بعدك باليتامى ومن لسكينة حصناً حصيناً[3]

إن لقتل الحسين (عليه السلام) حرارة في قلوب المؤمنين الموالين لحين وما هذه الزيارة المليونية الا رسالة يمثلها المشاية بالأربعين وأصبحت متنفساً للبكاء والدعاء بتفريج الكروب وازالة الهموم.

((فروى أبي شعيب الخرساني: قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) أيما أفضل زيارة قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) أو زيارة الحسين (عليه السلام) ؟ قال: أن

---

١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠١: ٧٥.

٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٣١ ؛ المجلسي، بحار الأنوار،ج٥٥، ص١٠١.

٣) الاصطهباناتي: محمد حسين، نور العين في المشي الى زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، ط١ ،مطبعة الرافد للمطبوعات، بلا.ت، ص٧٩.

الحسين (عليه السلام) قتل مكروباً، فحقيق على الله عز وجل أن لا يأتيه مكروب إلا فرج الله كربه))[1].

وهناك رواية أخرى تؤكد فضل زيارة الاربعين، وأن زائر الحسين (عليه السلام) يستجاب دعائه وتقضى حوائجه:

((عن أبو عبد الله (عليه السلام): من زار قبر الحسين (عليه السلام) لله وفي الله أعتقه من النار وأمنه يوم الفزع الأكبر، ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والأخرة إلا أعطاه))[2].

وقد جعل الأئمة الاطهار وعلماء المسلمين زيارة قبر الحسين (عليه السلام) واجبه على كل مسلم لا تقتصر على الرجال بل تشمل النساء ايضاً فجاء في احدى الروايات التأريخية المهمة: ((عن أم سعيد الاحمسية قالت: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يا أم سعيد تزورين قبر الحسين (عليه السلام)، قلت: نعم، قال: يا أم سعيد زوريه فأن زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء)) [3].

وقد روي أن الملائكة يستغفرون لزوار قبر الحسين (عليه السلام) ويصلون عليهم فقد روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((ان الله وكل بالحسين (عليه السلام) ملكا في أربعة آلاف ملك يبكونه ويستغفرون لزواره ويدعون الله لهم))[4].

جاء في فضل زيارة الاربعين حتى أن نداء الملائكة لمشاية قبر الحسين (عليه السلام) من عظيم الاجر وغفران الذنوب ((في رواية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((أن لله ملائكة موكلين بقبر الحسين (عليه السلام) فاذا هم الرجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه فاذا خطأ محوها ثم اذا خطا ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتى توجب له الجنة، ثم اكتنفوه وقدسوه وينادون ملائكة السماء أن قدسوا زوار قبر حبيب حبيب الله)) [5].

---

١) ينظر: ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣١٤ـ٣١٥ ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠١.

٢) العاملي،وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٩٩.

٣) الكليني: ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩ه)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٥، طهران، دار الكتب الاسلامية للنشر، ١٣٨٨ ه، ج٧، ص١٣٧.

٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٧٦ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١١، ص٥٦ـ٥٧.

٥) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٨٧ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١١، ص٦٤ـ٦٥.

أن هذا العطاء الدائم الذين لاينضب لأربعينية الأمام الحسين (عليه السلام) كان وما يزال تستمد منه الأجيال المتلاحقة زاد المسيرة وعناصر البقاء وأصول الامتداد والنبراس لكل الشعوب المظلومة ليدافعوا عن حقهم في العيش بكرامة وآباء الحسين (عليه السلام).

المبحث الثاني

زيارة الأربعين في تصانيف علماء الشيعة وخصوصية الزيارة في نفوس زوار الحسين (عليه السلام)

وللحديث عن العلة في استحباب الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وجذورها التاريخية ما جاء في رواية ابي مخنف رواية جاء فيها: ((ولما رجع نساء الحسين (عليهم السلام) وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء، فوصلوا الى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري* (رحمة الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول (صلى الله عليه وآله) قد وردوا لزيارة قبر الحسين (عليهم السلام) فوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمعت إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً))[1].

---

* جابر الأنصاري: هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري،وكنيته: آبا عبد الله، زوجته عقيلة بنت اسعر بن مفرس الطائي وله من الاناث ثلاثة حميدة وميمونة وأم حبيب،ولد قبل الهجرة النبوية بستة عشر عاماً في يثرب،أسلم جابر مبكراً فكان أحد الستة الذين شهدوا بيعة العقبة، ملازماً لرسول الله (ص)،ومن الموالين لأهل البيت الاطهار، شارك الامام علي(عليه السلام) حروبه في البصرة وصفين والنهروان، وكان من خواص الحسنين (عليهم السلام) والموالين لهما، وهو من اعيان الفقهاء توفي سنة (٥٧٨ه) وهو ابن (٩٤) سنة، ودفن في المدينة المنورة.

للمزيد ينظر: ابن هشام: عبد الملك بن أيوب (ت: ٢١٨ه)، السيرة النبوية، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ج٢، ص٦٣ ؛ ابن سعد: محمد بن منيع (ت: ٢٣٠ ه)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ج٣، ص٥٦١، ج٤، ص٣٩٢ ؛ الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت: ٧٤٨ ه)، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ج١، ص٤٣.

١) ابو مخنف: لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت: ١٥٧ه)، مقتل الامام الحسين بن علي، العراق، النجف الاشرف، دار النبلاء، ص٢٢١ـ ٢٢٢ ؛ ابن طاووس: علي بن موسى (ت: ٦٤٤ه) اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، بغداد، مطبعة الهادي، ١٤٣٤ ه، ص١٢٦ـ١٢٧.

وزيارة عاشوراء المباركة من الزيارات المشهورة التي أولاها العلماء الكبار عناية خاصة ونقلوها في كتبهم بنصها الكامل وذكروا معها فضيلتها وممن تعرض لعظمة هذه الزيارة ومكانتها من علمائنا الكبار.

فذكرها الشيخ المفيد قائلاً: ((وفي العشرين من صفر ورد جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله(ص) ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر سيدنا أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فكان أول من زاره من المسلمين ويستحب زيارته (عليه السلام)))[1].

وقال الشيخ الطوسي ((وفي يوم العشرين من صفر ورد جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله(ص) من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله (عليه السلام) فكان أول من زاره من الناس))[2].

وذكرها السيد ابن طاووس: ((فأننا روينا بإسنادنا الى أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري... عن صفوان بن مهران قال: قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه في زيارة الأربعين))[3].

وقال الكفعمي ((أنما سميت بزيارة الأربعين لأن وقتها يوم العشرين من صفر، وذلك لأربعين يوماً من مقتل الحسين (عليه السلام) وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب النبي من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فكان أول من زاره من الناس)[4].

وجاء رواية العلامة المجلسي ((فضل زيارته صلوات الله عليه في يوم عاشوراء وإكمال ذلك اليوم وفضل زيارة الأربعين))[5]، وله كتاب (تحفة الزائر) وزاد المعاد ذكرت منها الزيارة المباركة.

---

١) كتاب المزار، ص٥٣.

٢) مصباح المتهجد، ص ٧٣٠.

٣) أقبال الأعمال، ج٣، ص١٠١.

٤) الكفعمي، تقي الدين ابراهيم، مصباح الكفعمي، بيروت، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، ص٦٤٨.

٥) بحار الانوار، ج١٨، ص١٠٢.

فضلاً عن كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمي وهو من علماء القرن الرابع الهجري وذك زيارة الاربعين، ((ويستحب زيارته يوم الأربعين من مقتله وهي العشرين من صفر)) [1].

وقال الشيخ البهائي، ((وفي هذا اليوم – وهو يوم الأربعين من شهادته (عليه السلام) – كان قدوم جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) لزيارته (عليه السلام) وأتفق في ذلك اليوم ورود حرمه (عليه السلام) من الشام الى كربلاء قاصدين المدينة على ساكنها السلام والتحية))[2].

خصوصية زيارة الأربعين في نفوس زوار الحسين (عليه السلام)

وعندما ما يقرء الانسان زيارة عاشوراء يشعر بأنه يحلق في فضاء ملكوتي ويصعد في سماء رحمة الله ويرى الرحمة الالهية تجري إليه من كل صوب ومن هذه الناحية يعتبر كبار رجال الدين زيارة عاشوراء أحسن وأفضل وسيلة للتقرب الى الله لقضاء الحوائج ويؤكدن ويوصون بزيارة عاشوراء والتوسل بها لقضاء المشاكل وحلها.

وتستمر حركة التاريخ، بتقادم القرون قرناً بعد قرن، لكن الحسين اسم باقٍ في القلوب وفي الافكار والضمائر وهو اكبر من القرون واكبر من الزمن، لأنه عاش لله وسجل لنا ملحمة الهية مقدسة وجاهد في سبليه واستشهد في رضوانه، فأتم الله عليه نعمته بالشهادة في دار كرامته من المنازل العلية ما لا ينالها إلا اهل البلاء والصبر فكان الامام الحسين (عليه السلام) نبراساً شامخاً لهم.

ولاشك ولا ريب أن مثل هذه الصور الكبيرة والمواقف الجليلة لشيعة أهل البيت عليهم السلام في نصرة الحسين (عليه السلام) وبيان مظلوميته إلى العالم وبهذا الشكل قد تحول الى حدث مفيد وفريد قل أن يوجد في العالم ما يضاهيه ويناظره قوة وتأثيراً.

وقد اكتسبت زيارة أربعينية الأمام الحسين (عليهم السلام) خصوصيتها من طهارة دم الحسين وأصحابه على أرض كربلاء فصار ترابها أكسيراً نورانياً وجوهراً قدسياً ودواء

---

١) منتهى المطلب، ج٢، ص٨٩٢.

٢) توضيح المقاصد،ص ٧.

ألهياً وشفاء ربانياً، فأضحت عرشاً لله تعالى يقصده الزائرون على مدى التاريخ ويتوسلون بها ويطلبون ويستمدون الفيض والعناية الالهية من أرواحهم الشريفة المطهرة.

حتى أقشعرت لدمائهم أظلة العرش مع أظلة الخلائق، وبكت عليهم السموات والأرض وسكان الجنان، والبر والبحر فكان لزيارة الأربعين في نفوس الزائرين أقبالاً قل نظيره، ويقينا باستجابة الدعاء فلا يعود يأساً ومتضرراً، بل مستبشراً بقضاء حاجته وقبول الشفاعة، فضلاً لما للزيارة من دروس تعليمية وتربوية خاصة ففيها تمتحن النفوس ومعياراً لتمييز الأصالة والثبات على المبادئ من غيرها، وتهذيب النفوس ومخالفة أهواء النفس، حتى اتخذ كبار العلماء ورجال الدين من زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ذكراً ووروداً لهم لقدسية تلك الزيارة وأثارها وبركتها للتوسل الى الله بالشفاعة وتأكيد البيعة للإمام الحسين (عليهم السلام). والتبرك بها لزيارة الرزق وقضاء الحوائج.

وتتجلى خصوصية وأهمية الزيارة الأربعينية بالنقاط التالية:-

١. اكتسبت زيارة الأربعين أهميتها من خلال تجديد والمبايعة للحسين (عليه السلام) وثورته الخالدة على المستوى العقيدي والمستوى الخلقي فهم معدن النبوة والرسالة وبهم فتح الله وبهم يختم مما عزز في نفوس شيعة اهل البيت (عليهم السلام) وزوارهم الانتساب لهم والتمسك بمبادئهم وقوة حجتهم ومحطة لجذب الغير نحو هذه الشعائر والاستجابة لها. فنستذكر قول الحسين (عليه السلام) حين قال: ((إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل للنفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله)) [١].

٢. إن زيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر في النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ... وتبنى شخصية الإنسان في هذا المعسكر، وتتشبع فيها القيم والمعالي والفضائل والعزة[٢].

---

١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ص ١٨٧.

٢) البغدادي: ابراهيم حسين، اسرار زيارة الأربعين، بيروت، دار الأميرة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢ م، ص١٢.

٣. وكانت حصيلة كيان التميز للشيعة في التوجه والتنظيم والعلاقة بالله تعالى والادعية والزيارات بالسلوك والممارسة الحسينية الصادقة في زيارة أربعين الأمام الحسين (عليه السلام).فقال تعالى ((يريدون ان يطفوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون))[١].

٤. تأكيد الهوية الاسلامية الشيعية، عندما يحضر الموالون لأهل البيت عليهم السلام من داخل البلد ومن خارجه في زيارة الأربعين وبسيل من الأعداد تقدر بالملايين، فأن كل واحد منهم سيشعر بهويته الاسلامية والموالية ويزيد من ولائهم لآهل البيت(عليهم السلام) أكثر، بل وسيفتخر بهذا الشعور والانتماء ويحاول تأكيده في نفسه ونفوس من معه. فقال تعالى: (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) [٢].

٥. وأخذت مراسيم زيارة الأربعين تأخذ بعداً اجتماعياً اصلاحياً مهماً في نفوس الزائرين وشيعة أهل البيت أجمعين، وأن كان هذا الاصلاح نسبياً لتخفيف الفساد الديني والاخلاقي لدى الكثيرين، والتمسك بأخلاق أهل البيت (عليهم السلام) وأعتبار الحسين (عليه السلام) واستشهاده في سبيل شرفه ودينه ومبادئه والثبات عليها، فضلاً عن مبادئ الصدق والامانة وسماحة الخلق ولين الجانب، ونشر ثقافة أهل البيت كنموذجاً يحتذى به حيرت حتى الأعداء.

٦. ((أن لقتل الحسين (عليه السلام) حرارة في قلوب المؤمنين لاتبرد أبداً وأن هذه الحرارة لاتوجد عند قلوب المؤمنين الصالحين فحسب بل حتى عند غير الصالحين، وهذا برهان واضح على علو روحي ومخزون لديه، ترتوي منه هذه القلوب، وهذا ليس تعبيراً عاطفياً أو تعبيراً نثرياً أو شعرياً بل بمعنى فلسفي، عقلي، منطقي، بحسب العلوم الروحية باعتبار أن هناك نوعاً من ارتباط الأرواح تطلع ورتائي بين الروح والروح))[٣]. وهذا السر نجده عن مشاية زيارة الاربعين فأنهم يخرجون من كونهم بشر الى ملائكة خلقاً وادباً وايثاراً وتسامحاً لانهم يعيشون همّ الحسين(عليه السلام) بدل أن يعيشوا همهم في الفضاء الالهي النوراني.

---

١) سورة الصف، الآية ٣٣.

٢) سورة الانبياء،الآية ١٠٧.

٣) البغدادي، اسرار زيارة الربعين، ص٩١.

٧. افرزت مراسيم أحياء الأربعين تلاقحاً وتمازجاً حضارياً رائعاً سواء أكان دينياً أو اجتماعياً فكان موسماً ثراً للقاء الحضاري والاجتماعي ما بين المسلمين من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) من كل بقاع العالم ومد جسور التواصل واللقاء بينهم والانجذاب الروحي بين المحبين والموالين من زوار ابا عبد الله الحسين (عليه السلام) وهذا ما اكده القرآن الكريم من قوله تعالى (يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[١].

٨. وتبرز خصوصية المشي الى زيارة الأربعين للحسين (عليه السلام) أنها تجعل من زوار آبا الاحرار (عليه السلام) يشعرون بالمساواة والعدالة الاجتماعية لافرق بين مسلم وآخر أثناء مسيرهم في طريق المشاية وهم سائرون للحسين (عليه السلام) منهم الغني والفقير والعالم والعامل والفلاح والمدير والنساء والرجال والصغير والكبير تجمعهم المحبة والولاء لآل البيت أجمعين ويهتفون (لبيك ياحسين... لبيك يا حسين) فيبقى التفاضل بينهم الحقيقي هو في التقوى والايمان الصحيح بالعقيدة ودين محمد (صلى الله عليه وآله) لاغيره.

٩. وتتجلى لنا أهمية وخصوصية الزيارة الأربعينية في نفوس زوار آبا عبد الله الحسين (عليه السلام) بتحقيق الوعد الالهي ببقاء قبره الشريف علماً وقبلة يزورها المسلمون حين بقي جسده مضرجاً بالدماء مرمياً بالعراء فأستودع الله بدنه الشريف عنده، رغم محاولات العباسيين هدم قبر الحسين (عليه السلام) كالمتوكل والمنتصر العباسي.

((وما جعل الشفاء والحياة والنور في تراب كربلاء إلا بسريان ذلك الاكسير الأعظم وهو دم الحسين المقدس على وجه تلك الأرض وكذلك ببركة سريان دماء الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً على أرض كربلاء، فلذا فضلت هذه الأرض على سائر البقاع، وقدست وطهرت ورفعت في الجنان))[٢].

---

١) سورة الحجرات، الآيه: ١٣.

٢) الطباطبائي: الميرزا محمد باقر، شرح الزيارة المطلقة للإمام الحسين (عليه السلام)، تحقيق: احمد هاني الهجري، قم، بلا.ت، ص١٣.

المبحث الثالث

آداب زيارة الأربعين للمجتهدين الى زيارة قبر الحسين (عليه السلام)

١ـ الاخلاص في النية

بأن يجعلها قربة الى الله عز وجل ورسوله الكريم والأئمة الطاهرين لاسيما سيد الشهداء، ولا بأس أن يشرك بعمله هذا الأموات من أقربائه وأحبائه من المؤمنين لاسيما الوالدين حتى يحظى إن شاء الله تعالى بثواب الزيارة وثواب الدعاء لهم.

٢ـ الطهارة بالوضوء أو الغسل

حيث تترك هذه الطهارة آثارها المعنوية على نفس الزائر والماشي للحسين (عليه السلام)

٣ـ ان يكون اللباس طاهراً ونظيفاً.

٤ـ قراءة بعض الأدعية المأثورة

كالدعاء عند خروجه من الدار لقول الامام الصادق (عليه السلام) أن النبي (ص) قال: ((أذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، قالت الملائكة له: سلمت، فإذا قال: (لاحول ولا قوة إلا بالله) قالت الملائكة له: كفيت، فإذا قال: (توكلت على الله قال الملائكة له: وقيت))[1].

٥ـ التحلي والتأدب بالأخلاق الإسلامية والحسينية الفاضلة

قال أبو الله عليه السلام (وطن نفسك على حسن الصحبة لمن صحبت في حسن خلقك وكف لسانك واكظم غيظك وأقل لغوك وتفرش عفوك وتسخر نفسك))[2].

٦ـ اظهار الحزن والكآبة وكثرة البكاء:

وتصور حالك أخي الزائر أن ضعن السيدة زينب (عليها السلام) مع بقية بني هاشم في الطريق معك وأنت الى جانبهم تراهم وهم بأشد حال تقشعر له البدان وترتعد منه فرائض كل أنسان –وهل يمكن أن تكون بغير حال البكاء والحزن.

٧ـ كثرة الاستغفار:

---

١) بحار الأنوار، ج٧٣، ص١٦٨.

٢) البحراني، الحدائق الناظرة، ص٥٧.

والاستغفار حيث يكون شاملاً لكل ذنوبنا وتقصيرنا مع الله ومع زوار الحسين (عليه السلام) ومع سائر المؤمنين والدعاء لهم.

٨ـ الاعتقاد بقداسة الطريق والمحافظة على نظافته:

ويلزمك أن تغض بصرك ويلزمك أن تعود أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً والمواساة ويلزمك التقية التي قوام دينك بها والورع عما نهيت عنه والخصومة وكثرة الأيمان والجدال الذي فيه الأيمان.

٩ـ تلاوة شيء من القرآن:

وذلك عند المشي وزيارة الضريح واهداؤه الى المزور والمنتفع بذلك الزائر وفيه تعظيم المزور...

١٠ـ ويلزمك قلة الكلام ألا بخير وإياك والمزاح[١].

١١ـ وأياك وحمل سفرة الحلاوة والأخبصة وأشباهها.

١٢ـ وينبغي أن يجتهد ما وسعه الاجتهاد في اعانة الزائر الراجل اذا شاهده وقد أتعب وأعيا عن المسير فيهتم لشأنه ويبلغه منزلاً يستريح فيه، وحذراً من الاستخفاف به وعدم الاهتمام لشأنه [٢].فضلاً عن الرفق والرحمة مع من خرج معه من الزوار المشاية

١٣ـ عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال ((اذا أردت زيارة الحسين (عليه السلام) فزوره وأنت كئيب حزين مكروب شعث مغبر، جائع عطشان فأن الحسين (عليه السلام) قتل حزيناً مكروباً شعثاً مغبراً جائعاً عطشاناً وسله الحوائج وانصرف عنه ولا تتخذه وطناً))[٣].

١٤ـ وفي أداب زيارة الحسين (عليه السلام) في الأربعين ما روي عن صفوان، عن الصادق (عليه السلام) في حديث له طويل في زيارة الحسين (عليه السلام) المعروفة بزيارة الوارث:ـ

((قال استأذنت الصادق (عليه السلام) لزيارة مولاي الحسين (عليه السلام) وسألته أن يعرفني ما أعمل عليه الى أن قال (عليه السلام) فاذا فرغت من غسلك فالبس ثوبين

---

١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٥١ ،ص٣٩٥ ، المجلسي، بحار الأنوار ،ج١١ ،ص١٧٤.

٢) القمي، مفاتيح الجنان، ص٧٧٦.

٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٥٢ ؛ الكليني، الكافي، ج٤ ، ص٥٨٧.

طاهرين وصل ركعتين خارج الشرعة، وهو المكان الذي قال الله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل)[1] فاذا فرغت من صلاتك فتوجه نحو الحائر وعليك السكينة والوقار وقصر خطاك، فإن الله تعالى يكتب لك بكل خطوة حجة وعمرة وسر خاشعاً، قلبك باكية عينك، وأكثر من التهليل والتكبير والثناء على الله عز وجل والصلاة على نبيه والصلاة على الحسين (عليه السلام) خاصة ولعن من قتله والبراءة ممن اسس ذلك عليه، ثم ساق الآداب والزيارة الى أن قال (عليه السلام) فمن زار الحسين (عليه السلام) بهذه الزيارة كتب الله له بكل خطوة مائة الف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة وقضى له مائة الف حاجة أسهلها أن يزحزحه عن النار))[2].

وختاماً نقول من قال فأجاد في قوله (السيد بهاء آل طعمة) في زوار الأربعين جاء فيها:ـ

مشياً قدمت الى الحسين إمامي ... قد جئت عشقاً حافياً الأقدام
أين النواصب فليقوموا ينظروا ... زحف الجموع لكربلا اقوام
هذا الحسين أما ترونه واقفاً ... مستقبلاً زواره بتحية وسلام
اما ترون دموعه مزجت بدمع ... العاشقين لهم ينادي اقبلوا لغرامي
وامخ (فاطمة) تمشي على اقدامها ... بين الحرائر تسكب الدمع السجام
يا زائرين اربعين تسابقوا وبلهفة ... في اخذ جائزة الحسين كرام
اسماؤكم قد وضعت بسجله ... هيا اصرخوا لبيك جينا يا أمامي

---

١) سورة الرعد الآية: ٤.

٢) كامل الزيارات، ص٤٠١ ؛ القمي، مفاتيح الجنان، ص٧٧٦.

أبرز نتائج البحث

١. اكتسبت زيارة الأربعين خصوصيتها كونها قدمت للسائرين في درب الحسين (عليه السلام) ومواليه، دروس دينية وتربوية خاصة وعميقة هذبت من خلالها النفوس، وتقويم ما أعوج منها بالتمسك بمبادئ الزيارة وروحها ومعانيها.

٢. رغم مرور الزمن وتغير حركة التأريخ، بقيت زيارة الأربعين للأمام الحسين (عليه السلام) ومراسيمها وشعائرها باقية وحافظت على قوتها وقدرتها على التفاعل والتأثير، وازدادت مفاهيمها قوة وكمالاً ورسوخاً مستمد قوتها من العناية الالهية وسمو مبادئ ثورته الخالدة.

٣. الاستفادة من زيارة الأربعين في استحصال العبرة وإصلاح المجتمع وتنفيره من الظلم والفساد، من خلال ما أكده الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على ضرورة أحياء الشعائر الحسينية والتذكير بها، واستثمارها لتقويم المجتمع ومحاربة الظالمين.

٤. كانت حصيلة ما تقدم قيام كيان شيعي متميز في عقيدته واحكامه الفقهية بحبهم لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) من خلال عمق انتماءهم للثورة الحسينية واداء مراسيمها وشعائرها الأربعينية والمواظبة على المشي في الأربعين.

٥. هيأت زيارة الأربعين رصيداً ضخماً تستفيد منه ملايين الزائرين الى قبر الحسين (عليه السلام) بقوة حجتهم وتناسق دعوتهم ومطابقتها لخط السيرة النبوية ومبادئها السامية.

٦. ضرورة التأكيد على الزائرين بعدم المبالغة في أحياء الشعائر الحسينية وممارساتها أو جعلها مسرحاً للصراعات المختلفة وعدم الخروج بهذه الممارسات عن خط أهل البيت (عليهم السلام) في تأكيد مبادئهم وأحياء أمرهم، مما يفقدها خصوصيتها الدينية والعقائدية.

٧. شجع أئمة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) على وجوب زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، وضرورة المواظبة على استمرارية زيارة الأربعين وثواب زائريه.

٨. لم تقتصر زيارة الأربعين على الرجال فقط، بل أكد أهل البيت (عليهم السلام) في كثير من الروايات التاريخية على ضرورة مشاركة النساء، بل جعلها واجبة على الرجال والنساء على حد سواء.

٩. أثبتت زيارة الأربعين استقلال موسم الزيارة الأربعينية ممثلاً بالمواكب الحسينية ومآتم العزاء على سيد الشهداء (عليه السلام) بالاعتماد على النفس والتكافل الإنساني فيما بين الزائرين والقائمين على تلك المواكب والحوزات والمرجعيات الدينية دون تدخل الدولة، من أجل أحياء ذكرى مصاب الحسين (عليه السلام) في فاجعة الطف الأليمة.

١٠. وضع أئمة أهل البيت الأطهار آداب وقواعد دينية وفقهية مهمة للزائرين والمشابه في الأربعين، عليهم الالتزام بها والتأدب بأدبها لإصلاح النفس البشرية اصلاحاً ولو نسبياً لتأكد أهداف ومبادئ الحسين (عليه السلام) وخروجه لطلب الاصلاح السياسي والديني والاجتماعي على حد سواء، كالطهارة وسلامة النية والسكينة والوقار والخشوع وإظهار الحزن، والبكاء على سيد الشهداء (عليه السلام).

أربعينية الإمام الحُسين(عليه السلام) نهجٌ تربوي

المدرس المساعد حيدر علي حسن

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب

قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

سورة الحج آية (٣٢)

صدق الله العلي العظيم

المستخلص

تسعى المجتمعات البشرية الى استثمار طاقات الشباب وتفعيل دورهم في تحقيق الأمن المجتمعي، من خلال تربيتهم وانشائهم على المبادئ والقيم الأخلاقية السامية؛ للإسهام في مكافحة المشاكل والتحديات التي تنتج عن تراجع القيم وقلة الالتزام بالمبادئ الأخلاقية، وشيوع السلوكيات السلبية كالكذب والنفاق والجريمة وغيرها.. من مهددات الأمن المجتمعي، مما يتطلب استلهام القيم السامية من مواقف وثورات الأنبياء والعظماء والصالحين؛ لما يمثلوه من مدرسة تربوية أخلاقية تسهم في بناء المجتمع الصالح، ان نهضة الحسين(عليه السلام) ذات وجوه عديدة، ولها عدة جوانب وأبعاد، ومن وجوه هذه النهضة وثمراتها تلك الزيارة العظيمة التي ما انفكّت تتعاظم وتكبر في عيون الشامتين قبل العاشقين، ومن الممكن جداً اعتبار تلك الزيارة عنصراً تبليغياً، فهي رسالة واضحة الى العالم، وطريق لإيصال رسالة الإسلام في العصر الحديث، حيث تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمان التكنولوجيا والثورات الإعلامية المتواصلة، بدت مشاهد الزيارة الأربعينية متلألئة في التلفزيونات والقنوات العالمية، التي نقلت مشاهد مؤثرة تضع المشاهد من جميع أطياف المجتمع أمام تساؤل كبير، فما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الإصرار نحو قبلة الأحرار والثائرين، وها هنا عندما تكون الذكرى عظيمة بأهدافها السامية، يكون أثرها في العمق النفسي متناسباً مع عظمتها.. وكلما تتكرر يتجسد حدثها وكأنه ولد من جديد، لأن رافدها الحق، ورحمها الحقيقة ولأن الهالة التي تحيط بعظمتها دائمة التوهج، لا تنقطع عن بثّ سناها، وفي مثل ذلك ذكر من المؤكد أن الوجدان الأصيل يحتوي صداها بشغف، لأنه مدين لها بالإيقاظ والاستنهاض.. ويتفاعل مع شعائرها، لأنها أشبعته بروافد الحرية ونسائم الكرامة.. وكيف لا يهتز وينحني لقدسيتها وقد زرع وغرس عظمتها سيد شباب أهل الجنة في يوم دام، شهد فيه التاريخ نهضة فاعلة وميدانية ضد الباطل، لإيقاظ ضمائر الناس وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم. ولاشك في أن تحريك تلك الضمائر شبه الميتة، والعمل من أجل إعلاء كلمة الحق وردم بؤر الباطل يحتاج إلى فدية ضخمة وكان (عليه السلام) يعلم أنه الوحيد الذي يملك أن يتقدم لتحقيق ذلك لأن الحقيقة تقول: (من كان أكثر وعياً كان أكثر مسؤولية)، ولعل تجربة الثورة الحسينية رسمت أروع الصور

في تثبيت القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية المتكاملة والإيمان والتضحية والعطاء في سبيل الله، وتجسدت فيها مواقف إنسانية لمختلف فئات المجتمع، وما أحوجنا اليوم الى استحضار تلك المفاهيم وأهمها رفض الظلم وطلب الإصلاح والتضحية والصبر والشجاعة، من هنا لا بد ان نستثمر مناسبة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) لاستذكار القيم والمبادئ التي خرج من اجلها الحسين (عليه السلام) ونؤكد للعالم بأن الثورة لم تنته بمجرد استشهاده وإنما استمرت ليومنا هذا وتتجدد كل حين فهي خالدة بما أنتجته من المفاهيم الإنسانية والإسلامية حيث استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال نهضته ان يسطر أروع البطولات في التضحية والصبر من اجل إصلاح الدين والوقوف بوجه الطغاة ونصرة الحق، ان الثورة الحسينية هي مشروع انساني متكامل لا يختص بدين او فئة او مذهب او قومية كما يحاول بعضهم ان يصوره، بل هو مشروع إصلاحي وثورة انسانية حملت الكثير من القيم والمبادئ والمفاهيم اهمها رفض الظلم والتضحية في سبيل الحق والصبر والصمود حتى تحقيق النصر وهذه هي اسرار خلود الثورة الحسينية.

Abstract

Human societies seeking to invest energies of young people and activate their role in achieving societal security, through their upbringing and they constructed on the principles and moral values Semitism; to contribute to the fight against the problems and challenges that result from declining values and a lack of commitment to ethical principles, and the prevalence of negative behaviors, such as lying and hypocrisy, crime and other .. from threats societal security, which requires inspired by the noble values of the positions and the revolutions of the prophets and the great and the good; what its representatives from the educational ethical School contribute to building good society, the Renaissance Hussein (AS) with many faces, and it has several aspects and dimensions, and the faces of this renaissance and Tmradtha those great visit that have been growing and growing up in the eyes of moles by lovers, and could very well be considered the visit element Thblegeya, it is a clear message to the world, and the way to deliver the message of Islam in the modern era, where carrying thousands of letters and invitations to thousands of centers and areas, in the time of technology and media revolutions continuous, scenes forties visit looked sparkling in televisions and global channels, which quoted an influential scenes take the viewer from all spectrums of society are facing a big question, what makes these multitudes millions creeps that insist about the kiss and Liberal

rebels, and now here when the great anniversary objectives Semitism, be its impact on the psychological depth commensurate with the greatness .. whenever repeated embodied her event like a kid again, because Ravedha right, and her womb truth, because the aura that surrounds the permanent glow greatness, not interrupted for the broadcast Snaha. In such a mention of Alma CKD that conscience inherent contain resonate eagerly, because he owes her Balaiqaz and mobilization .. and interacts with the rituals, because they Ohbath streams freedom and breezes dignity .. and how it does not vibrate and bend to its sanctity has been planting and cultivate greatness master of the youth of Paradise on da m , it witnessed the history and renaissance of effective field against falsehood, to awaken the consciences of people and move the feelings and emotions. There is no doubt that moving.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الثورات العظيمة لَا بُدّ لها من ثائر عظيم تنطبع الثورة بمنهجه وتسير وفق ما يخطط له وما يريد. ويعتمد وهج تلك الثورة وخلودها على مقدار التضحية، والتغيير الذي تقوم به في المجتمع، وقد كانت ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) كذلك، فهي قد أخذت موقعها من نفوس الجمهور على اختلاف طبقاتهم، وتجذّرت في أعماقهم، بحيث يهتمون بإحيائها بأنفسهم، ويندفعون لذلك بطبعهم وكأنها جزء من كيانهم، لأجل ذلك نرى ثورة الحسين(عليه السلام) عظيمة وعظيمة جدا وفق كل المقاييس الدنيوية منها والدينية، ولا غرو في ذلك فان الإمام الحسين(عليه السلام) هو قائد تلك الثورة ومُفجّرُها والممهد لها، وقد كثر الحديث عن نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) التي انتهت بفاجعة الطف، عرضا وتقييما، وتفجعا وافتخارا، وغير ذلك. ومثل تلك الثورة المباركة لابد وان يكون لها وهجها الذي يتدفق عبر الليالي والأيام، ولا بد لمثل هذه الثورة من مراسيم خاصة لاستذكارها وإحيائها والتفاعل معها والتزوّد من عطاءاتها، ومن تلك المراسيم المهمة زيارة الأربعين المباركة التي حرص الأئمة والأصحاب على إحيائها والتبرك بألقها المبارك، وأخذوا يحثون الموالين من شيعتهم على إحيائها ونيل ثوابها العظيم، ولهذه الزيارة مضامين عالية ومعانٍ كبيرة لا تكاد تنتهي على مدى السنين والدهور. ومناسبة الأربعين واحدة من دلالات تلك الثورة المباركة، فاستذكار الإمام الحسين(عليه السلام) وثورته المباركة في زيارة الأربعين تجديد للدين وخط أهل البيت(عليهم السلام) وفيها من المضامين الإنسانية والاجتماعية والتربوية الشيء الكثير، وهذا ما نحاول إلقاء الضوء عليه في هذا البحث، سنورد مدارك تلك الزيارة ومستنداتها، والرضا والقاسم المشترك في زيارة الاربعين وبيّنت مقدار فضل من قام بها، ثم اثر دور زيارة الأربعين تبليغ في مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ثم نعرج على الفعل الاجتماعي والتربوي لزيارة الأربعين، لنختم هذا البحث بأهداف استحباب زيارة الامام الحسين(عليه السلام) ماشياً.، مع خاتمة تبين ما استفدناه من هذا

البحث، مستعينا في كل ذلك بالمراجع والمصادر الموثوقة والكتب التي تناولت قضية الإمام الحسين(عليه السلام) .

اولاً: الزيارة الأربعينية رحلة الشتاء والصيف

بسم الله الرحمن الرحيم (لِإِيلافِ قُرَيْش إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوع وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْف)[1]، ان زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في الاربعينية هي مهرجان الهي تعبوي يعد نوعاً من دخول البشر في النور ومن ثم رفعه معدن الذات والطينة الانسانية فبدل ان تكون خسيسة دنيئة اسيرة للشهوات او للغرائز او للدنيا او لحب البقاء تكون محلقة الى المعالي وتكون فانية في الحسين (عليه السلام) فالزيارة الشعبانية والاربعينية هما الرحلتان اللتان اولاهما رحلة الشتاء والصيف وهما الزيارتين مقررتان بشد الرحال الى ابي الاحرار في كل سنة واحدة في الشتاء والاخرى في الصيف وهي التي لا تبور، يقول الحق تبارك وتعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[2]، الهدف من الزيارة عبادة رب البيت (رب الحسين) لأن الحسين (عليه السلام) بل محمد وال محمد هم الطريق الواقعي لله الذين هم، امان الامان، الاول محمد كيف نعذبهم وانت فيهم والثاني هم اهل بيته كيف نعذبهم وهم يستغفرون، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3]، بمعنى تائبون تابعون لمنهج الحق اما المكاسب في هاتين الرحلتين فهي امران: الاول: الاطعام من الجوع وهو الجانب الاقتصادي فالشيعي بالرغم من حصار الطغاة له وهو غني بعقيدته وغني بعمله لأنه يأكل مأكل محمد وال محمد ويشرب مشربهم وينكح منكحهم وهذا هو الغنى الواقعي لأن ما عند الله باقٍ وما عندنا ينفد، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ

---

١) القرآن الكريم، سورة قريش آية ١ــ٤.

٢) سورة فاطر آية٢٩.

٣) سورة الانفال آية ٣٣.

وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، بينما الدول والجماعات التي ليست على نهج محمد وال محمد جاعوا وخافوا لأنهم ليس لديهم ثوابت فثابتهم السلطان والسلطان متحرك وحركة المتحرك الى المتحرك سفه. والامر الثاني هو الامن من الخوف وهل هناك اكثر من امن الراحل لأبي عبد الله وهو يسير الليالي والايام الى كربلاء القرية المباركة التي بارك الله فيها وبمن سار اليها، ومن سكنها فأنهم احرار في الدنيا وسعداء في الآخرة واما غيرهم فهو سعيد في الدنيا ومطامحها ورياستها وهو عبد لها ولشهوته واذهب طيباته في حياته الدنيا وماله في الآخرة من نصيب[2].

ثانياً: الفعل الاجتماعي لزيارة الأربعين

تعد زيارة قبور أهل البيت(عليه السلام) من المراسم السائدة في المجتمعات الشيعية بوجه عام، وقد لقيت قبولاً واسعاً لها بين أوساط الموالين لأهل البيت(عليه السلام) لاسيما وان كثيراً منها مروي عن الأئمة الأطهار بسند صحيح، ونظرة خاطفة لكتب الزيارات مثل كتاب «الزيارات » ابن قولويه وكتاب «المصباح» للكفعمي وغيره كثير، كافية لتأييد ما أقول، ولا تخلو تلك الزيارات من كونها احتفالاً بميلاد أحد الأئمة الأطهار، كزيارة النصف من شعبان، وزيارة الثالث عشر من رجب، او تكون تلك الزيارة لإقامة العزاء بوفاة أحد الأئمة الأطهار، كما في زيارة عاشوراء ذكرى استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام)، وزيارة الثامن والعشرين من صفر ذكرى وفاة النبي الأكرم(ص)، وزيارة الأربعين فهي لتجديد الحزن والأسى بوفاة أبي عبد الله الحسين(عليه السلام) وقد لعبت هذه الزيارة كغيرها من الزيارات دوراً رئيسياً في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت(عليه السلام)، فهي باعتبارها تجمعاً حاشداً لملايين المعزين تطرح نفسها كفعل اجتماعياً لايمكن تجاوزه، فمثل هذا التجمع لا يخلو من فوائد اجتماعية عدة منها:

---

١) سورة النحل آية ٩٦ .

٢) الشيخ رحيم الاسدي، قطف ثمار الوحدانية في الزيارة الاربعينية،٢٠١٥، ص١٢.

١. الإحساس بآلام آل الرسول(ص) ومواساتهم، وهذا ما يدفع الى فعل الزيارة تلك، وفي نفس الوقت يكون قد تسلّح بطاقة عجيبة تدفعه للحنو على الآخرين ومساواتهم، وإبداء المساعدة لمن يحتاجها، ومشاركة الآخرين أحزانهم وأفراحهم على السواء، تأسيا بآل الرسول(ص) وهذا واضح ومعروف لكل من مارس تلك الزيارة واشترك في أداء شعائرها، وذهب للتبرك بأضرحة الأئمة المعصومين، ليرجع محملا بفيوضات الحسين(عليه السلام) والأئمة من ولد الحسين(عليه السلام)، وفي قلبه وضميره تضحية الحسين(عليه السلام) بولده وعياله يحملها معه في حله وترحاله، ولسان حاله يقول:

لا تطلبوا المولى حسين بأرض شرق او بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

٢. معونة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لقد منح الإمام الحسين(عليه السلام) بحق قيمة ودرجة رفيعة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاده اعتبارا وتقديرا، وهو ذلك الأصل الذي يعتبر فخر المسلمين وزينتهم وخيرهم، ولا غرور في ذلك فهو اللسان المعبر بقوة عن فحوى قول الله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾[1]، كذلك فان من زاره عارفاً بحقه، فقد أعان على الحق وجعله نبراساً له لا يحيد عنه مبغضا للباطل ومن تبعه، رافعا شعار الإسلام حينما يرفع راية بيده وهو يمشي صوب الحسين (عليه السلام)[2].

٣. استلهام معالم الدين الواضحة والمنهج الصحيح للتديّن: وذلك عن طريق استحضار منهج الإمام(عليه السلام) وأولاده الأئمة الكرام(عليه السلام) وإتباع طريقهم من خلال تدبر وتأمل ما ورد في سطور الزيارة الأربعينية حيث ورد فيها

---

١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

٢) هادي الشيخ طه، خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الاعلام، وحدة الدراسات والنشرات، بدون سنة الطبع، ص ١٩ـ٢٠.

في الثناء على منهج الحسين (عليه السلام) « فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

٤. تؤدي الزيارة بصورة عامة، وزيارة الأربعين بصورة خاصة وظيفة مؤتمر سنوي ديني ودنيوي يجتمع فيه المسلمون كافة، ويتبادلون فيه الرأي والفكرة ويطرحون فيه ـ بأقل كلفة ومؤونة – قضاياهم لمعالجتها ودراستها، كما ان هذه المناسبات – وبالخصوص زيارة الأربعين – توجب استفادة الناس من مراكز التعليم الديني وحسن استخدامهم، وكذلك حسن استخدامهم لوقتهم بدل قضاء ذلك الوقت في المقاهي ببطالة ودون عمل مثمر ومفيد، ولا ننسى ان زيارة الأربعين قد اعتادت الملايين على أدائها مشياً على الأقدام فهي تعود على الجلد والصبر والأناة وهو ما ينعكس إيجابياً على الفرد في جميع جوانبه الحياتية، مضافا الى أنها رياضة مفيدة للبدن، فان المشي من الرياضات التي يوصي بها الأطباء و يشهد بفائدتها كل من زاول تلك الرياضة، ولو أردنا أن نعدّد النشاطات الاجتماعية لزيارة الأربعين ل لوجدنا فيها الكثير الكثير من الفوائد والمميزات العظيمة، كل ذلك كرامة من الله تعالى لحبيب قلب رسوله الإمام الحسين سلام الله عليه[1].

١) المصدر نفسه،ص٢١.

ثالثاً: أهدافُ ومنهجُ التبليغ في زيارة الأربعين

ان نهضة الحسين(عليه السلام) ذات وجوه عديدة، ولها عدة جوانب وأبعاد، ومن وجوه هذه النهضة وثمراتها تلك الزيارة العظيمة التي ما انفكّت تتعاظم وتكبر في عيون الشامتين قبل العاشقين، ومن الممكن جداً اعتبار تلك الزيارة عنصراً تبليغياً، فهي رسالة واضحة الى العالم، وطريق لإيصال رسالة الإسلام في العصر الحديث، حيث تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمان التكنولوجيا والثورات الإعلامية المتواصلة، بدت مشاهد الزيارة الأربعينية متلألئة في التلفزيونات والقنوات العالمية، التي نقلت مشاهد مؤثرة تضع المشاهد من جميع أطياف المجتمع أمام تساؤل كبير، فما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الإصرار نحو قبلة الأحرار والثائرين ؟ فيأتي الجواب مدوُياً انه الحسين(عليه السلام) وعظمة التضحية التي قدمها .ومن المعلوم أن هناك أربعة شروط لنجاح أي عملية تبليغية» والمفروض هنا ان زيارة الأربعين مطلب تبليغي «وهذه الشروط هي:

١. غنى واقتدار مضمون تلك العملية من جميع الجوانب، فان عظمة فاجعة الطف حققت الأرضية الصالحة لاستثمارها لصالح ل المذهب الحق، وذلك برثاء سيد الشهداء(عليه السلام) واستذكاره في جميع المناسبات والزيارات ولاسيما زيارة الأربعين التي تحتفظ بوهج خاص لدى الموالين. وبعبارة أخرى ان رسالة الحسين(عليه السلام) تحتوي على قوة الجذب الكافية للعقل والقلب، وقدرتها على حل المشاكل، والقضايا المستعملة في الحياة[1]، ونحن لا نقول ان الزيارة الأربعينية. تقوم بهذه الأدوار والمهمات وحدها، مبتورة عن باقي الأجزاء المكملة للنهضة الحسينية لكنها قطعاً جزء مهم من باقي أجزاء النهضة الحسينية، والتي هي بدورها تتوفر بها كل تلك المميزات قطعاً.

٢. حيازة الإمكانات اللازمة، من وسائل وأدوات ووسائط الدعاية الحضارية، مع الأخذ بعين الاعتبار الشروط والظروف الاجتماعية المحيطة، وهذه النقطة قد يكون من السهل تحقيقها خاصة وأن الأموال التي تنفق في سبيل ذلك من الكثرة بحدّ يلفت

١) مرتضى مطهري،الملحمة الحسينية،ج٣،ط٢، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢،ص٣١٢ .

النظر، وبالخصوص في أربعينية الإمام(عليه السلام) سواء أكانت تلك الأموال على شكل مشاريع ثابتة – كالحسينيات والأوقاف العامة ونحوها –ام نفقات مصروفة لسد الحاجيات المتجددة كالإطعام، والاستضافة ومكافآت الخطباء والذاكرين وغيرها[1].

٣. توفر الصلاحية الفنية والأخلاقية للمبلغ، ويمكن اعتبار الزائر هنا مطلقاً عنصراً تبليغياً فاعلاً ابداً يتحلى بتلك الصفات المذكورة.

٤. استخدام منهج التبليغ واستغلال الأدمغة المفكرة التي تجعل من تلك الشعيرة عنصراً تبليغياً قادراً على إيصال الرسالة التي كان لأجلها خروج الإمام والتضحية بنفسه الزكية. ان زيارة الأربعين بوصفها عنصراً تبليغياً قد أسهمت إسهاما كبيرا في نقل الصورة الايجابية عن أهل البيت(عليه السلام) عن طريق تلك المسيرات المليونية وما يرافقها من ذكر مآثر أهل البيت(عليه السلام) وتضحياتهم في سبيل نصرة الإسلام، بما يتناسب وفهم المخاطبين من أتباع بيت النبوة، وحتى غير الأتباع ممن يتعاطف مع نهضة الحسين(عليه السلام) وخلودها. لقد أثبتت الأيام السابقة ان زيارة بحجم زيارة الأربعين عصيّة على الاندثار لأنها تجسد استمرارية منهج الإمام الحسين(عليه السلام) وأهداف ثورته، فلا غرو ان قلنا ان هذه الزيارة اخذ يتسع ويشع نور ثوريتها الخلاقة، وهذا ما يدعونا الى حث الجهات الرسمية والشعبية بكل فئاتها على اعتبار تلك المناسبة رمزاً صالحاً لتفعيل المنهج الرسالي وأهداف الحسين(عليه السلام) الخالدة التي هي اولاً واخيراً اهداف رسالة الإسلام بعينها. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً[2].

---

١) السيد محمد سعيد الحكيم، فاجعة الطف ابعادها ثمراتها توقيتها، ط٣،٢٠١٠،ص ٤١٢.

٢) هادي الشيخ طه،خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين،ص٢٣ـ٢٦.

رابعاً: الرضا والقاسم المشترك في زيارة الاربعين

يوجد جامع مشترك بين الناس مهما اختلفوا في الوانهم والسنتهم وهوياتهم ومهما تباعدوا في الزمان والمكان الذي يعيشون فيه، وهو (الحب والبغض) او (الرضا والسخط) النابعان من فعل القلب، وهذا الجامع المشترك يؤدي الى اعتبارهم امة واحدة كما انه يؤدي الى اشتراكهم في جريان السنن الالهية عليهم، واشتراكهم في نتائج الاعمال الايجابية او السلبية باعتبارهم اصبحوا جسماً واحداً اذا اشتكى منه عضوً تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى، ومن هنا ورد عن الامام علي (عليه السلام) انه قال (ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط، وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا)[1] وقال تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[2] وعنه (عليه السلام): (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به والرضا به)[3] كما يشترك الناس في العقاب لرضاهم بالحرام، كذلك يشتركون في الثواب وحسن الجزاء لرضاهم به حتى ولو كان بينه وبين القائمين به فاصلة الزمان والمكان، عن الامام الباقر(عليه السلام) انه قال:(من شهد امراً فكرهه كان كمن غاب ومن غاب عن امر فرضيه كان كمن شهده)[4]، وفي زيارة أربعينية سيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام)، وبالرغم من أن تجمع أكثر من أربعة عشر مليون إنسان في مدينة صغيرة (كربلاء المقدسة) لإحياء مناسبة ما يشكل حدثاً فريداً، حيث ليس لمثل هذا الحشد البشري العظيم من مثيل في العالم، لكن هناك مميزات أخرى للحدث الكربلائي جعلت زيارة أربعينية سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) حدثاً أكثر فرادة وأكثر إبهاراً، فلم يذكر تاريخ الأزمان الغابرة والحاضرة أن حب أتباع لإمامهم أو قائدهم دفعهم لأن يقطعوا مئات الكيلومترات سيراً على الأقدام مستصحبين معهم الأهل والعيال لزيارة ضريح (إمامهم المقتول)، فيتركون تجارتهم، ويتقوون على علل أجسادهم، ويغالبون همومهم، ويصارعون الحر الشديد والبرد

---

١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٩.

٢) سورة الشعراء آية ١٥٧.

٣) نهج البلاغة،٤/٤٠.

٤) تحف العقول،٤٥٦.

القارص والعواصف والأمطار، ويبذلون الأموال والأرواح غير مبالين لسيوف قطعان القتل والتكفير، وغدرهم الأسود، وسياراتهم المفخخة، وغزواتهم المتوحشة الدامية. والذي يدهش أيضاً في ذلك المشهد الأربعيني في مدينة كربلاء المقدسة اندفاع المحبين الزائرين للبذل والإيثار والعطاء بينما يتملكهم شعور جارف بأنهم لم يقدموا شيئاً لـ(إمامهم المظلوم) الذي قدم لهم كل شيء.

عاماً بعد عام وأربعينية بعد أربعينية تؤكد الوقائع أن الحسين (عليهم السلام) هو الطريق الأوفى الذي به يستكمل بنو البشر إنسانيتهم، وأن الحسين (عليه السلام) هو السبيل الأوثق الذي به يلتقي الناس على مائدة العدل والحرية والمحبة والسلام والرفاه، وأن الحسين (عليه السلام) هو الوسيلة الأبهى التي عبرها تتوحد جهود المسلمين وطاقاتهم، ليتعاونوا على البر والتقوى من أجل خير أنفسهم ومجتمعاتهم وأوطانهم والإنسانية جمعاء، الأمر الذي يستوجب على الجميع مسؤولية إيصال (قيم كربلاء) بأهم لغات الشعوب الى أقصى بقاع العالم[1].

١) الشيخ رحيم الاسدي، قطف ثمار الوحدانية،مصدر سابق، ص١٥.

خامساً: دور زيارة الأربعين في تبليغ مظلومية أهل البيت(عليهم السلام).

ان زيارة الأربعين بتجمهرها المليوني كانت وما زالت تظاهرة حسينية فاضحة للزيف والتزييف الذي غطى على مساحات واسعة من فكر الجمهور المسلم المتعطش لمعرفة الحقائق كما هي، حتى أضحى ذلك الجمهور لَا يُفرِّقُ بين الشعارات الصادقة وتلك الكاذبة التي لا تمتلك مقومات البقاء، الأمر الذي يسبب الفتنة فعلا أو يشعلها، ومن ثم يحجب الرؤية الواضحة عن النفوس البريئة التي تتأثر بالشعار ولا تغوص في أعماق الأمور، من هنا جاءت زيارة الأربعين لتمثل انتصار الشعار الصادق على رهافة السيف الظالم، ولتخلق روح التوافق والالتحام، فان اجتماع مجموعة من الناس واتحادهم في عمل ما بدافع العقيدة سيولد لا محالة وشائج وثيقة بين الأفراد ويعزز العلاقات الاجتماعية بينهم لاسيما وان العامل المشترك بين الجميع هو عمل عبادي يبغي من ورائه نيل الثواب وهذا ما ينطبق تماماً على مراسم زيارة الأربعين ونشاط مواكبها، مضافاً الا أنها دعوة صادقة للسلام يرتفع نداؤها ليغطي على طبول الظلم الزائفة، ان زيارة الأربعين هي تجسيد لقتل الظلمة والطغاة بلا قتال، وقد اثار ذلك حفيظة الظالمين، فجدّوا في منع الموالين من احياء تلك الشعيرة، والتنكيل بهم، والتشنيع عليهم بمختلف الأساليب، من هنا كانت زيارة الأربعين عملا إعلاميا ضخما، وتبليغيا بالغ الصعوبة والتعقيد لكنها في الوقت نفسه تكشف المعالم الحقيقية للدين، فهي تجعل من الإنسان مادة للرسالة ذلك الإنسان المجرد من كل الأسلحة الا سلاح الولاء واحترام الذات، فهو في زيارة الأربعين كائن مقدس يمشي نحو قبلة الطهر والقداسة لا يتعدى حدوده، يمشي على سكينة ووقار عالماً بحرمة الدماء وقداستها، كما قرر الإسلام ذلك، فالله تعالى يقول ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنما قَتَلَ النَاسَ جِميعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّما أَحْيَا النَاسَ جِميعاً﴾[1] وكما أكدت عليه الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت، نذكر من ذلك:

---

١) المائدة: من الآية٣٢.

١. عن أبي ذر عن النبي(ص) في وصية له قال: « يا ابا ذر سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، واكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه) [١] .

٢. عن أبي بصير عن ابي جعفر، قال: قال رسول الله(ص)« سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية لله، وحرمة ماله كحرمة دمه)[٢].

لقد استوعبت زيارة الأربعين كل تلك المعاني والإشارات، وعمقت عشق ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) في قلوب وضمائر الناس باعتباره ما خرج الا لطلب الإصلاح في أمة جده(ص) آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وهذا هو هدف الإمام في خروجه، اذ قال(عليه السلام): «اني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولاظاما وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي محمد(ص) آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» وهذا ما ينبغي ان يكون شعارا لزيارة الأربعين على مدى الدهر. لقد كانت تلك الزيارة العظيمة سباقة في رفع راية اهل البيت (عليه السلام) وإسماع دعوتهم لغيرهم، لأن تميزهم بإحياء تلك المناسبة ومواظبتهم على رفع شعائر الحب والولاء فيها، وتأكيدهم على ظلامة أهل البيت(عليه السلام) واستثارتهم للعواطف بمناسبة ذلك يلفت أنظار الآخرين إليهم، ويحملهم على الاحتكاك بهم، والتعرف على ما عندهم، ولاسيما ان احياء هذه المناسبة يكون غالبا بنحو مثير وملفت للنظر، يساعد على ذلك كله تأييد الله تعالى لهذه الطائفة المنصورة، فها نحن نرى هذه الايام اثر هذه الزيارة وغيرها في الفات نظر العالم وتوجيه وسائل الإعلام المختلفة نحو فاجعة الطف في مواسمها المشهودة، لينظر العالم بعينه مدى استماتة الموالين في احياء تلك المناسبة وغيرها مضحين بالغالي والنفيس في سبيل إحيائها، غير مكترثين بالمخاطر والظروف التي قد تكون غير مهيأة لتلك الشعائر. «وذلك يفسر مارواه معاوية بن وهب من دعاء الإمام الصادق (عليه السلام)، لزوار الإمام الحسين(عليه السلام)– لعلمه بتلك الظروف التي قد يكون فيها مخاطر جمّة على الموالين – حيث قال «اللهم ان أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، خلافا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة ابي عبد

---

١) الامالي، الطوسي،٥٣٧.

٢) وسائل الشيعة، الاسلامية،٨/٥٩٨.

الله(عليه السلام)، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا[1].

سادساً: استحباب زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) ماشياً.

دأب محبو أهل البيت (عليهم السلام) على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام ومن كل فجٍّ عميق، وذلك في اليوم العشرين من صفر – أي بعد اربعين يوما من استشهاد الإمام(عليه السلام)[2] ولهم في ذلك غايات لا يفهمها الا من تذوق رحيق الموالاة، وتربى على غذاء التضحية الذي لا يقدم الا في موائد آل البيت العامرة بالتقوى وخوف الله تعالى في السر والعلانية، ومن هذه الغايات:

١. تجديد الولاء للإمام الحسين(عليه السلام) وخطه الثوري ويأخذ هذا الولاء شكلاً استثنائيا يتمثل بتأدية الزيارة مشياً على الأقدام ومن مناطق بعيدة جداً.
٢. تدريب النفوس المشتاقة لرؤيا الحسين(عليه السلام) على الأناة والصبر في التعامل مع الأمور، فالسير لأيام عديدة وفي أماكن نائية خالية من العمران يعتبر تجربة لا يمكن إلغاء تأثيراتها الروحية بحال من الأحوال.
٣. إرسال رسالة واضحة لمن لا يفهم علاقة الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) بأئمتهم، بأن تلك العلاقة هي علاقة غير طبيعية، تذوب عندها المسافات وترتفع

---

١) الشيخ رحيم الاسدي، قطف ثمار الوحدانية، مصدر سابق،ص١٧.

٢. يبدو أن لبعض الأرقام دلالات خاصة عند الشعوب الشرقية وبالخصوص السامية ومنهم العرب فجرى الاسلام على ما اعتادوه وأقر ذلك ومن تلك الارقام «االربعون» حيث ورد في القران هذا الرقم اربع مرات «سورة البقرة، آية ٥ والمائدة،آية ٢٦، والاعراف،آية ٤٢ والاحقاف آية ١٥» وورد في الاثر«من أحصى عليَ أربعون حديثا فقد دخل الجنة» ورد مثله في المحاس للبرقي وفي حديث اخر «من اخلص لله اربعين صباحا جرت ينابيع الحكمة على يديه»بحار الانوار،٣٢٦/٥٣ وتذكر التوراة ان صيام عيسى لربه كان اربعين متواصلة وجاء في الفقه عند ابي حنيفة ومن وافقه: ان اكثر النفاس عند المرأة هو اربعون يوماً وان حد الاحتكار حال السعة اربعون ل يوما ويستحب الدعاء اربعين مؤمن في صلاة الليل وقد نزل الوحي على ل رسول الله(ص) وعمره اربعون عاما وفي الحضارة المصرية فان عملية تحنيط الموتى كانت تستغرق اربعين يوما وتتم بعدها مراسم الدفن . وفي امثالنا الشعبية يقال: كل من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم .

حجب المسافات، فلا فرق بين الوصول واللا وصول، فهي علاقة أثيرية خارج نطاق الزمان والمكان.

٤. التأسي والاقتداء بمسير سبايا الإمام الحسين(عليه السلام) حين رجعوا من الشام الى المدينة، فكأن المحبين يقولون «إن كنتم يا عيال الحسين قاسيتم حر الهجير، ووعثاء السفر، فان محبيكم مسافرون على مدى التاريخ، ومواسون لكم في كل سنة تمرّ، حاملين على أكتافنا شدو الخلود ونشيد التضحية.

ولقد حثت الروايات الواردة عن أهل البيت(عليه السلام) على تجديد هذه الزيارة وغيرها مشياً على الاقدام، متقربين بتلك الشعيرة الى الله، ومن لهذه الروايات:

١. ما روي عن الحسين(عليه السلام) بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال ابو عبد الله«: يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين(عليه السلام)، ان كان ماشياً كتب له بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة حتى اذا صار بالحائر كتب له من اهل المفلحين[١].

٢. روي عن ابي عبد الله(عليه السلام) قال: «يا علي زر الحسين(عليه السلام) ولا تدعه، قلت: ما لمن زاره من الثواب ؟ قال: من أتاه ماشياً كتب اهل له لبكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة، وترفع له درجة[٢].

٣. روي عن ابي سعيد القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله(عليه السلام) في غرفة له فسمعته يقول: «من أتى قبر الحسين ماشياً كتب له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل[٣].

وقد يقول قائل: هذه الأحاديث عامة وليس فيها تقييد بزيارة الأربعين، ونحن نقول: نعم، فنحن لا نقّيد استحباب زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) مشياً بالزيارة الاربعينية، ولكن فلسفة الزيارة مشياً وحقيقتها تتجلى في خصوص زيارة الأربعين، لأنها

---

١) الشيخ اسماعيل المعزي الملايري،جامع احاديث الشيعة،ج١٢،قم المقدسة،ص٤٣١.

٢) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي،وسائل الشيعة،ج ١٠،مؤسسة آل البيت لأحياء التراث،قم المقدسة،ص٣٤٢.

٣) المصدر نفسه.

تجديد لحادثة عاشوراء وتكريس استمرارية الحـزن والأسـى بمصـاب ابي عبـد الله(عليـه السلام)، ذلك المصاب الذي يملأ القلوب همّاً وشقاءً لا ينتهي، فزيارة الأربعين هـي أول زيارة بعد عاشوراء، فاستحقت ان تكون بعظمة وخلـود عاشـوراء، ولا يتـأتى الخلـود بزيارة خاطفة يزول أثرها بعد أيام قلائل، بل لا بد من تظاهرة تجترّ الحزن. ويفيض منها التقوى والخشوع،

ليذكر بأيام الله تعالى التي أحياها إمامنا بتضحية رائعة لا يفعلها الا الصدّيقون، فهنيئاً لمن مشى في دروب الصالحين، وخطا تلك الخطوات العظيمة في طريق يغمره الباري برحمته وبركاته، فالكل ينـادي بصـوت واحـد تحفظـه رمـال البريـة وحجـر الدروب.

الخاتمة

لقد حققت فاجعة الطف هدفها على أكمل وجه، حيث صارت الفاجعة – بأبعادها المتقدمة – صرخة مدوية هزت ضمير الأمة، ونبهتها من غفلتها، وأشعرتها بالخيبة والخسران لخذلان الحق ودعم الباطل، وبالهوة السحيقة بين المجتمع الذي تعيشه والواقع الديني الذي اراد الله عز وجل منها ان تكون عليه .ومن آثار فاجعة الطف وإفرازاتها العظيمة، تلك الزيارات التي قررها وشيّد أركانها الأئمة الأطهار، لتظل رابطاً وثيقا بين الموالين والأتباع الخلّص لأهل البيت (عليهم السلام) وأئمتهم الكرام الذين هم مادة الرسالة ومعدن الدين، الذين طهّرهم الله بقوله (إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[1]ومن تلك الزيارات الخالد هي زيارة الأربعين، التي ذاع صيتها وطار بين الناس، وحث عليها الأئمة الكرام واعتبرها الإمام العسكري(عليه السلام) من علامات المؤمن، ولها من الاثار الروحانية والبركات الدنيوية ما سارت به الركبان، فعلى المؤمنين الأخيار المحافظة على تلك الشعير الرائعة التي توحّد المسلمين وتنظف قلوبهم من أدران الطائفية والأحقاد الجاهلية، فهي حج آخر بما هي زيارة للحسين(عليه السلام) وقد ورد في الأثر ان زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) تعدل حجة وعمرة، ففي حديث طويل لسدير:(قال ابو عبد الله:(عليه السلام) يا سدير وما عليك أن تزور قبر الحسين(عليه السلام) في كل جمعة خمس مرات وفي كل يوم مرة .قلت جعلت فداك ان بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال : تصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك الى السماء، ثم تتحرى نحو قبر الحسين(عليه السلام)، ثم تقول :السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يكتب لك زورة، والزورة حجة وعمرة .قال سدير :فربما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرة)[2]. فكيف بمن أدمى رجليه وعلاه التراب وهو يرنو لقبة الحسين (عليه السلام) ولبركات الحسين(عليه السلام)، نسأل الله الأجر والعافية وقبول

---

١) الاحزاب،٣٣.

٢) الكافي،الكليني، ٥٨٩/٤.

الدعاء والزيارة لكل من زار الإمام الحسين(عليه السلام) من قرب ومن بعد، ووفقنا الله تعالى وإياكم لإتّباع الحسين(عليه السلام) ونهجه انه هو السميع العليم.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الشيخ رحيم الاسدي، قطف ثمار الوحدانية في الزيارة الاربعينية،٢٠١٥.

٣. هادي الشيخ طه،خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الاعلام، وحدة الدراسات والنشرات، بدون سنة الطبع.

٤. مرتضى مطهري،الملحمة الحسينة،ج٣،ط٢ ، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.

٥. آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم، فاجعة الطف ابعادها ثمراتها توقيتها، ط٣،٢٠١٠.

٦. الشيخ اسماعيل المعزي الملايري، جامع احاديث الشيعة،ج١٢ ، قم المقدسة.

٧. الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة،ج ١٠ ،مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم المقدسة.

المناعة النفسية لدى طلبة كلية التربية المواظبين على الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين

(دراسة مقارنة)

أ. م. د. خديجة حسين سلمان

قسم العلوم التربوية والنفسية

كلية التربية في الجامعة المستنصرية

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

تُعدُّ زيارة أولياء الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام والصدّيقين والشهداء وأولي العلم والفضل، في حياتهم ومماتهم، عن قرب وعن بعد من الشعائر الإلهية التي درج عليها المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا. والزيارة تعني الحضور عند تربة أحد الأئمة أو أبناء الأئمة أو الشهداء، والذهاب إلى المشاهد الشريفة والعتبات المقدسة، وهي في حقيقتها وسيلة من وسائل التقرب إلى الله عز وجل.

ومن الامثلة على الزيارات الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) حيث يعدها الباحثون ظاهرة لابد من إشباعها بحثا وتنقيبا بشكل ينسجم مع واقعها وعمقها باعتبارها ظاهرة دينية تكرارية – تتجدد في كل عام – لان السلوك دينيا كان أم غير ديني إذا لم يخضع للفكر سيكون عشوائيا ويذهب سدى دون فائدة تذكر لذا قيل: أصل السلوك فكرة أضف إلى ذلك أن السلوك المستند إلى فكر رصين يكون المحرك والباعث عليه قناعة راسخة في ذهن الإنسان منشئها الفكر تولد التزاما وحرصا ودقة في مقام التطبيق.

ولما كانت الأبحاث تشير الى أن الأيمان بالله والمثل العليا والقيم الروحية تعد من المصادر المهمة لتجاوز المصاعب ويتسق هذا مع ما يؤكده فرانكل ١٩٨٢ Frankl الذي يشدد على أهمية الجانب الروحي والديني في تحمل الشدائد. وان ارتباط موضوع زيارة الأضرحة والمراقد المقدسة للأنبياء والاولياء والصالحين وبالأخص زيارة الاربعين للإمام الحسين (عليه السلام) بالدين بشكل أو بَآخر حيث ورد في تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (علامات المؤمن خمس: التختم باليمين وصلوات إحدى

وخمسين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تعفير الجبين وزيارة الأربعين)[1] أثـار فضـول الباحثة للتعرف على:

١) تهذيب الاحكام، الطوسي، ٥٢/٦.

١. مستوى المناعة النفسية لدى طلبة الجامعة.
٢. دلالة الفروق في المناعة النفسية بين الطلبة المواظبين على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين.
٣. دلالة الفروق في المناعة النفسية بين الطلبة المواظبين على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين بحسب متغير الجنس.

ولتحقيق اهداف البحث الحالي قامت الباحثة بتبني مقياس (عبد الجبار ٢٠١٠) لقياس المناعة النفسية والذي يتكون بصورته النهائية من(٣٠) فقرة. وبعد استخراج الخصائص السيكومترية للمقياس من صدق وثبات، قامت الباحثة بتطبيق المقياس على (٢٠٠) طالب وطالبة من طلبة كلية التربية/ الجامعة المستنصرية اختيروا بالطريقة القصدية.

وقد اظهرت النتائج بأن الطلبة بصورة عامة يتمتعون بمستوى جيد من المناعة النفسية، كما اظهرت وجود فروق في المناعة النفسية بحسب المواظبة على الزيارة الاربعينية فيما لم تظهر فروقا بحسب متغير الجنس. وفي ضوء النتائج أعطت الباحثة بعض التوصيات والمقترحات.

الفصل الأول

أولاً: مشكلة البحث

يؤكد Pargament ٢٠٠٢ الى أن الدين يُعد مصدراً للسعادة والصحة النفسية ويفيد في المواقف الضاغطة التي تدفع الافراد لتقنين مواردهم النفسية والعضوية[١] وأكد Grotberg ١٩٩٣ على أهمية الاعتقاد بالله وبالقيم الاخلاقية في زيادة مقاومة الفرد للضغوط [٢]. اذ أن الجهاز المناعي لدى الافراد الذين تظهر عليهم الاضطرابات النفسية بعد التعرض للضغط النفسي يكون ضعيفاً وأن ضعف المناعة النفسية يجعل الافراد عاجزين عن مواجهة الضغوط [٣].

ويؤكد علماء الصحة النفسية أنه لا توجد استراتيجية ثابتة لمواجهة الضغوط وأن أفضل استراتيجية هي تلك التي نقوم بها من أنفسنا [٤]، وأن عملية مواجهة الضغوط تستلزم عدداً من الموارد ومنها: التسامح الديني والمعتقدات والمرونة وموارد اجتماعية كعلاقات الفرد الاجتماعية والمساندة الاجتماعية، وموارد مالية، وموارد جسدية وهي– جهاز المناعة الذاتي– ويشمل صحة الفرد الجسمية والنفسية وطاقته وقدرته على التحمل [٥].

ولما كانت زيارة المراقد المقدسة – من وجهة نظر الزائر- في حقيقتها وسيلة من وسائل التقرب إلى الله عز وجل. حيث تعبر عن شعور رفيع، وترجمان لمحبة قلبية، والحضور إلى جانب أولياء الله له اثار نفسية وتربوية على الزائر فلم تكن الزيارة للتسلية والترفيه، وليست عملاً دنيوياً بل هي عبادة روحية وبدنية يراد بها التقرب إلى الله تعالى بتكريم عباده الصالحين كما أنها لم تكن مجرد تكريم لإنسان ميت، وإنما هي عمل عبادي

---

١) Pargament, ٢٠٠٢ P.٤٤.

٢) Grotberg,٢٠٠٠,p.١٥.

٣) صالح ،٢٠٠٢ ،ص٨٧.

٤) الخزمي، ١٩٩٨، ص٢٦.

٥) شكري،١٩٩٩ ،ص٥٦.

خالص لله تبارك وتعالى ذات أبعاد تربوية، وعقائدية، وفكرية تبني شخصية الزائر، وتشده إلى مسيرة المزور وعقيدته.

وحيث ان المرحلة الراهنة من عصرنا تتسم بكونها مليئة بالضغوط والضيق والتوتر، وكذلك الطموحات والرغبات غير المتحققة الى جانب ما فيها من عنف وحوادث أليمة وتفكك أسر مقرون بالحروب[١]. اذ أن الحجم الهائل من المتغيرات السلبية التي يخضع لها الفرد بصورة عامة والعراقي بصورة خاصة خلال السنوات الماضية أمتد الى نواحي الحياة كافة، فالضغوط المتزايدة كلها تساعد على خلق العديد من التوترات والاضطرابات في حياة الانسان [٢]. وذلك لأن الفرد وليد المرحلة التي يعيشها في مجتمعه وظروف مجتمعه ينعكس تأثيرها في صحته النفسية والجسمية والمجتمع العراقي كغيره من المجتمعات في هذا العالم يعاني من الضغوط والتوترات.

والانسان يسلك في محيطه البيئي كوحدة نفسية واحدة، وتتأثر الحالة الجسمية بالحالة النفسية والعكس صحيح. ونحن نعلم انه لا يوجد اضطراب نفسي يؤثر في النفس من دون الجسم، وهناك أدلة عديدة توضح الارتباط الوثيق بين الجسم والنفس، فانفعال الغضب يؤدي الى تسارع ضربات القلب وانفعال الخجل يؤدي الى احمرار الوجه[٣]. وأن الانسان جسم ونفس ويعد الجسم الامتداد الفسلجي للنفس، اذ يتأثر الجسم بالحالات النفسية التي تعتري الانسان ويؤثر فيها ايضا[٤].

أن وحدة النفس والجسم فكرة معروفة والحديث عن علاقة النفس بالجسم قديم قدم الانسان فأي تغير عضوي يصحبه تغير نفسي وأي تغير نفسي يصحبه تغير عضوي، اذ قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم:(مَنُ كَثُرَ هَمهُ سقم بَدنَهُ)[١]، وقال الإمام عليّ (عليه السلام): (الهم يذيب الجسد والهم نصف الهرم). يتبين

١) القيسي وسالم ،٢٠٠١ ،ص٩٩.
٢) التكريتي واخرون،٢٠٠١ ، ص١.
٣) الزيادي والخطيب ،٢٠٠١، ص٣٦.
٤) يونس، ٢٠٠١، ص٣١.

من ذلك أن الناحية النفسية والناحية الجسمية تتبادلان التأثير فكل منهما يؤثر في الاخرى قوةً وضعفاً وصحةً وسقماً [1].

مما سبق ومن خلال تواجد الباحثة كتدريسية لمادة علم النفس في مختلف اقسام كلية التربية في الجامعة المستنصرية وتعاطيها مع السلوكيات المختلفة لطلبتها اثار انتباهها ما يقوم به الطلبة في المناسبات الدينية المختلفة من مواليد ووفيات أهل البيت عليهم السلام وبالخصوص الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) لأنها شكل من اشكال التدين. حيث ورد في تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (علامات المؤمن خمس: التختم باليمين وصلوات إحدى وخمسين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والتعفير للجبين وزيارة الأربعين).

لذا جاء البحث الحالي للإجابة على التساؤل الآتي : ما مستوى المناعة النفسية لدى طلبة الجامعة وهل يختلف بحسب مواظبتهم على زيارة الاربعين للإمام الحسين (عليه السلام)؟

١) الجنابي ،٢٠٠١،ص٢٣.

ثانياً: أهمية البحث

انطلاقا من تطور اهتمام علم النفس في السنوات الأخيرة في الموضوعات التي تؤكد على النواحي الايجابية للشخصية الانسانية والذي يدعى بعلم النفس الايجابي Positive Psychology والذي يؤكد على ضرورة الاهتمام بالجانب الايجابي للفرد ومن ثم أثراء الحياة الداخلية له وبما يجعلها أفضل قدرة على التعامل الكفء مع أصعب المواقف المحيطة به وينسجم هذا التوجه مع

دعوة سيلجمان ١٩٩٩ Seligman الرئيس الأسبق للرابطة النفسية الامريكية (APA) والذي يؤكد على ضرورة أن يعمل علم النفس على ما يجعل الحياة اكثر سعادة وإنتاجاً، والى نشر الالتزام والعدالة وكل ما يحقق الراحة له [١]. وهذا ما أكد عليه ماسلو Maslow في ضرورة الاهتمام بدراسة الجوانب الايجابية في الشخصية الانسانية [٢].

اذ يرى (Seligman & Csikszentmial,٢٠٠٠) أن بإمكان العلوم المتخصصة بعلم النفس الايجابي Positive Psychology أن تحسن الحياة الانسانية وتمنع اصابتها بالأمراض[٣]. ويندرج مفهوم المناعة النفسية psycho-immunity ضمن هذا التوجه الايجابي في علم النفس وقبل أكثر من عشر سنوات تزايد الاهتمام بمصطلح مقاومة الضغط والشد النفسي والجسمي وأجريت بعض المحاولات لفهم عمليات الحماية أو العمليات الوقائية التي تشكل الاساس فيها، والتي تعني قدرة الانسان في التغلب على المواقف الضاغطة وسميت في بعض الادبيات بمصطلح الدفاع أو المقاومة النفسية أزاء الشدائد والمحن [٤]. والتي ترجع في اصولها الى الطبيب الاختصاص في دراسة الافرازات الهرمونية لغدد الجسم هانس سيلي Hans Selye الذي عدّ

---

١) Seligman,١٩٩٩,p.٥٦٦.

٢) شلتز، ١٩٨٣، ص٢٨٣.

٣) Seligman&Csikszentmial,٢٠٠٠, p.٣.

٤) Martens ,٢٠٠٢,p.١٥.

الضغط مفهوماً فسيولوجياً له جذور لعمليات بايلوجية تحدث داخل الكائن الحي[١].
اذ يؤكد سيلي Selye أن للجسم مقدرة محددة على التحمل ومقاومة الضغوط أي (مناعة نفسية محددة)[٢]، فاذا كان هناك توازن بين المطالب المفروضة على الفرد وإمكاناته فأنه يشعر بالقدرة على التحكم والسيطرة على الموقف الضاغط وهذا الشعور يحميه من الاصابة بالأمراض المرتبطة بالضغوط كأمراض ضغط الدم والسكر والربو وإلآم الظهر والغدد.. الخ [٣]. أما اذا كانت مصادر الضغوط تقع خارج سيطرة الفرد فهي تؤثر على جهاز المناعة النفسي لديه [٤].

وقد أصبح من الأمور المسلم بها أن الايمان بالله أقوّم طريق لخلاص البشرية من كل ما تتعرض له من متاعب فهو العاصم لها من الجروح النفسية مهما كثرت الضغوط ، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال مجاهدة النفس والصبر عليها اذ قال تعالى: ((وَٱلَّذِينَ جَاهَدواْ فِينا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ))[٥]. اذ أشارت الأبحاث الى أن الأيمان بالله والمثل العليا والقيم الروحية تعد من المصادر المهمة لتجاوز المصاعب[٦].
ويتسق هذا مع ما يؤكده فرانكل ١٩٨٣Frankl الذي يشدد على أهمية الجانب الروحي والديني في تحمل الشدائد [٧]. فقد أكد العلماء أن ضعف الوازع الديني يعد من المسببات التي تعطل الفرد عن مواجهة الضغوط والتخفيف من آثارها السلبية [٨].
وأشارت دراسة Salavtor ٢٠٠٤ عن وجود علاقة ايجابية بين قوة التحمل النفسي والتدين بصورة عامة، وأشار أيضا أن قوة التحمل النفسي تعمل كمضادات للاكتئاب

---

١) Shaffer,١٩٨٢,p.١.

٢) Selye,١٩٧٦,p.٦٩٢.

٣) Matheny,et.al,١٩٩٣,p,٣١٥.

٤) Antoni,١٩٨٧,p.٢٤.

٥) سورة العنكبوت (الآية٦٩).

٦) Wong&Stiller,١٩٩٩,p.١٢٩٩.

٧) فرانكل ،١٩٨٢ ، ص٩٥.

٨) عسكر،٢٠٠٠، ص٢١.

والغضب[1]. كما توصل (Young ,et.al) ١٩٩٨ لارتباط ايجابي بين التوجه الروحي والنمو الاخلاقي[2].

و إنَّ التوجُّه بالزِّيارة لقبور أولياء الله تعالى، كقبر الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، إنَّما هو توجُّهٌ لوجودهم المبارك في التوسُّلِ بهم والاستشفاع بهم إلى الله تعالى، يعزّز من مفهوم الارتباط بالله من حيث أمر الله. إذاً ففي زيارة المراقد المشرَّفة سببٌ قويٌّ في تقوية العلاقة بالله تعالى، من باب التَّوبة أولاً، ومن باب محبَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو واسطة الشَّفاعة ثانياً، ويثبت بذلك أنَّ الزِّيارة من الشّعائر الربّانية التي تقوّي أصلَ الاعتقاد بوحدانيَّة الله تعالى وترفَعُ من مقامِ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمَّة عليهم السلام[3] . ولعل من الشعائر المؤكدة الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام)، ويذكر العشرات من الأحاديث الشريفة التي تنصّ على فضل واستحباب الزيارة مشياً على الأقدام لما لها من دلالات واضحة تعلن عن ولائنا الخالص لأهل البيت، وتجديد العهد والبيعة منّا له صغاراً وكباراً قلباً وقالباً، شعوراً وشعاراً، بالجوارح والجوانح، كما ان زيارة الأربعين بما لها من خلفية دينية عاطفية فكرية تملك من المحركية والباعثية على التغيير الاجتماعي والتربوي ومن هنا تتضح أهمية البحث الحالي في تناوله لشريحة مهمة ألا وهي طلبة الجامعة الذين تقع على عاتقهم مهمة بناء المجتمع لذا كان من الضروري دراسة كل ما من شأنه المساهمة في بناء شخصياتهم على أسس متينة وتنمية الجوانب الايجابية في شخصياتهم، وتقويتها على مواجهة الصعاب وتنمية كفاءتها الشخصية بجوانبها كافة. لأن الخلل لا يمكن اصلاحه بالترقيع والترميم الجزئي واجراءات الطوارئ المؤقتة التي نحاصر بها الانهيارات المختلفة ، وإنما بإعادة البناء النفسي السليم .

---

١) Salavtor,٢٠٠٤,p.٣٨.

٢) Young ,et.al,١٩٩٨,p.٦٧.

٣) بن قولويه، ١٤١٧هـ: ص٤٥.

ثالثاً: أهداف البحث

هدف البحث الحالي التعرف على:

١. مستوى المناعة النفسية لدى طلبة الجامعة.

٢. دلالة الفروق في المناعة النفسية بين الطلبة المواظبين على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين.

٣. دلالة الفروق في المناعة النفسية بين الطلبة المواظبين على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين. بحسب متغير الجنس.

رابعاً: حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بطلبة كلية التربية/ الجامعة المستنصرية الدراسة الصباحية ولكلا الجنسين في كافة المراحل للعام الدراسي (٢٠١٥ـ٢٠١٦).

خامساً: تحديد المصطلحات

ستعرض الباحثة ما وقع تحت يدها من تعريفات لمتغيرات بحثها وكما يأتي:

أولاً: المناعة النفسية Psycho-immunity

دُرس المصطلح بمعنى (الحصانة، التحصين، الحماية، المقاومة، الدفاع النفسي، الطاقة النفسية) التي تستهدف حماية الانسان والحفاظ على وحدته.

ومن تعريفات العلماء والباحثين للمصطلح :

١. سيلي ١٩٧٦Selye: المقاومة والصمود النفسي امام الضغوط التي يواجهها الفرد[١].

---

١) Selye,١٩٧٦,p.٤٥.

٢. بلوك ١٩٨٢Block: عمل الذات الذي يسمح بالتكيف المرن المثمر لكلا الضغوط الداخلية والخارجية[١].

٣. كمال ١٩٨٨: القوة والصمود النفسي امام الشدة[٢].

٤. ١٩٩٠Atwater : ردود فعل دفاعية تعمل على وقاية الكائن الحي والمحافظة عليه[٣].

٥. خليفة١٩٩٢: قدرة الفرد على المقاومة ضد الارهاصات المختلفة، وقدرته على تحمل مصادر الضغط والارهاق[٤].

٦. ٢٠٠٠ Grotberg : قدرة الفرد في التغلب على المشاكل، وتقوى هذه القدرة حتى بخبرات الشدائد والمحن[٥].

٧. اللويمي ٢٠١٠: قابلية الانسان لحماية نفسه من الاصابة بالأمراض، وهي تتفاوت من شخص لآخر[٦].

وبما إن الباحثة قد تبنت مقياس (عبد الجبار ٢٠١٠) والتي بدورها تبنت تعريف سيلي Selye وهو: المقاومة والصمود النفسي أمام الضغوط التي يواجهها الفرد. فان الباحثة تتبناه كتعريف نظري للبحث الحالي والذي يقاس اجرائيا بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على فقرات المقياس المتبنى في البحث الحالي.

---

١) Grotberg,٢٠٠٠,p.١٤.

٢) كمال، ١٩٨٨ ،ص٢٨٤.

٣) Atwater,١٩٩٠,p.١٠٩.

٤) خليفة ،١٩٩٢، ص٢٧.

٥) Grotberg,٢٠٠٠,p.٤.

٦) اللويمي، ٢٠١٠ ، ص٤.

ثانياً: المواظبة

أ. المواظبة لغة:

مواظَبة: (اسم) مصدر وَاظَبَ

الْمُوَاظَبَةُ : المدُاوَمَةُ ، الْمُوَاكَبَةُ ، مثابرة ، استمرار المرء في نشاط أو عمل دون أن يتعب أو تخور عزيمته واظبَ / واظبَ على يواظب ، مواظبةً ، فهو مُواظِب ، والمفعول مُواظب وَاظَبَ على الأمر: ثابَرَ عليه وداوَمه (المعجم الغني).

واظب فلانٌ على الأمر : ثابَر عليه وداومه :ـ واظب على العِلْم ، ـ فلان يواظِب على الصَّلاة ، واظب الشَّابُّ على رياضته المفضَّلة . المعجم: اللغة العربية المعاصر.

ب. المواظبة اصطلاحاً:

لم تجد الباحثة في الادبيات التربوية التي وقعت تحت يدها سوى تعريف واحد للمواظبة هي التزام الطالب بالحضور إلى المدرسة، حسب المواعيد الرسمية المحددة لذلك من بداية اليوم الدراسي إلى نهايته بنسبة انتظام دراسي كامل لا تقل عن ٧٥% من الأيام الفعلية للدراسة .

ثالثاً: زيارة المراقد المقدسة

- **الزيارة لغةً:**

الزِّيارة في اللغة معنى الزيارة

جاء في كتب اللغة أن (زور) الزاء والواو والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المَيْل والعدول. من ذلك الزُّور: الكذب؛ لأنه مائلٌ عن طريقَةِ الحق. والزَّوَر: الميل. يقال ازورَّ عن كذا، أي مالَ عنه. ومن الباب: الزائر، لأنّه إذا زارَك فقد عدَلَ عن غيرك.

- **الزيارة اصطلاحاً**

والزيارة عرفا تعني قَصْدُ الْمَزُورِ إكْرَامًا لَهُ وَاسْتِئْنَاسًا بِهِ. وتعظيما له وذهب البعض الى القول بأنّ زيارة الأولياء والصالحين إنّما سمّيت زيارة لانّها تنطوي على ميل عن عالم الطبيعة والالتفات الى عالم الروحانية[1].

ومن عرض ما وقع تحت يدي الباحثة من التعريفات الخاصة بالمواظبة والزيارة يمكن القول ان التعريف النظري للمواظبة على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) هو " الحضور عند تربته (عليه السلام) في يوم العشرين من صفر من كل سنة وبشكل مستمر وفي كافة الظروف والاحوال لما في ذلك من ابعاد نفسية وروحية على شخصية الزائر.

١) http://ar.wikshia.net/view

الفصل الثاني

سيخصص هذا الفصل للأدبيات المتعلقة بالبحث وكالآتي :

أولاً: المناعة النفسية Psycho-immunity

مفهوم المناعة النفسية

يرى العلماء والمختصون المناعة النفسية باختصار على أنها مفهوم فرضي يقصد به قدرة الشخص على مواجهة الأزمات والكروب وتحمل الصعاب والمصائب ومقاومة ما ينتج عنها من أفكار ومشاعر غضب وسخط وعداوة وانتقام وأفكار ومشاعر يأس وعجز وانهزامية وتشاؤم كما تمد المناعة النفسية الجسم بمناعة إضافية. ويرون أن للمناعة النفسية توجهات ثلاثة أساسية:

١. الطبيعية: وهي مناعة ضد التأزم والقلق وهى موجودة عند الإنسان المؤمن في طبيعة تكوينه النفسي، فالشخص صاحب التكوين النفسي السليم والراضي بالإيمان القويم له مناعة طبيعية عالية ضد الهموم والكروب وعنده قدره عالية على تحمل الإحباط ومواجهة الصعاب وضبط النفس.
٢. المكتسبة: هي تلك التي يكتسبها الإنسان من التعلم والخبرات والمهارات التي تمر به حيث تعد بمثابة التطعيم لتنشيط جهاز المناعة لديه وهذا يجعل تعرضه للهموم أقل من جهة الأثر عليه.
٣. الصناعية: هي الموجهة من المعلمين والتربويين والمتخصصين عمدا إلى من يشكو من ذلك الداء أو غيره من الأمراض التي قد تصيب النفس[١].

علم النفس المناعي Immunity Psychology

هو العلم الذي يدرس التغيرات في جهاز المناعة للجسم المرتبطة بنفسية الفرد وسلوكه كما يدرس التغيرات السلوكية المتأثرة بتغيرات جهاز المناعة في الجسم، وتنتج هذه العلاقة من التفاعل بين الجهاز العصبي والمناعي والهرموني في الجسم. وقد نشأ هذا

---

١) http://www.almoslim.net.

الفرع من العلم خلال الثلاثة عقود الماضية، وعلى الرغم من الأدلة المتراكمة التي أظهرت أثر الضغوط النفسية على الصحة الجسدية فأن أبحاثاً قليلة درست متغيرات أخرى مثل العلاقات وتأثيرها على الجهاز المناعي. وعلم النفس العصبي المناعي يدرس التفاعلات بين الوظائف المناعية والوظائف العصبية النفسية والتأثير المتبادل بينهم. اذ يقوم الباحثون باستعمال أحدث التقنيات في دراساتهم، لتقييم وظائف المخ والاعصاب والمناعة. فمثلا يستعملون أجهزة التصوير الصوتي لدراسة وظائف وتركيب المخ كما يعملون على تحليل عدد وأنواع كريات الدم البيضاء White Blood Cells لدراسة وظائف المناعة. ويستعملون المقاييس النفسية والتجارب لدراسة المناعة النفسية، وقد وجد العلماء أن جهاز المناعة يتأثر بالعوامل النفسية [١].

ولا تخلو الحياة النفسية والعقلية من عمل المناعة وتأثيرها، فهناك ما يعرف باسم المناعة ضد الاقتناع

Immunization Against Persuasion، بمعنى تحصين الفرد عقلياً ضد اعتناق افكار أو مذاهب أو آراء معينة [٢]. وذلك عن طريق تلقين الفرد أفكارًا مضادة لهذه الأفكار كأن يحصن الفرد ضد الإرهاب والتطرف بغرس أفكار التوسط أو الوسطية والاعتدال، أو تحصين الفرد ضد الإلحاد بغرس قيم الإيمان والتقوى والورع والخشوع، أو تحصين الفرد ضد الحرب بالإيمان بقيم السلم والسلام والأمان والهدوء والاستقرار، وحتى في أمراض الاكتئاب والقلق ممكن إزالتها بغرس عوامل المناعة النفسية من السعادة والأمل والتفاؤل والمرح والانشراح والبهجة والهدوء والاسترخاء Relaxation. وطرد حالات الكسل والتبلد بغرس الحيوية والحركة والنشاط [٣]. فعملية التحصين تعطي الفرد مناعة ضد ضعف معين أو مرض معين.

مما سبق يتبين لنا أن البعد الروحي يعد بعداً انسانياً متفرداً، ففي الظروف القاسية يمكن للحياة الروحية المتصفة بالثراء الداخلي أن تزيد من صلابة الفرد ومناعته وتزوده

---

١) اللويمي ، ٢٠١٠، ص٢.

٢) جابروكفافي،١٩٩٤،ص١٦٦١.

٣) خضير ، ٢٠١٠،ص٨٣.

بالطاقة الكافية لمقاومة وتحمل تلك الظروف الصعبة ويتفوق عليها ويخرج من مثل هـذه الخبرة بأقل ما يمكن من الخسائر على المستوى النفسـي والبـدني. فقـد افتـرض ماسـلو Maslow أنه عند اشباع الحاجات الدنيا، تتحول القوى الدافعية داخل الفرد لتكريس نفسها الى رسالة ما، وأن تحقيق الفرد لهدفه في الحياة أمر غير ممكن دائما، ومع أن الافراد أحرار في اختيارهم للأهداف، الا انه من الصحي اكثر لو اختاروا الأهداف التي تسهم في تحقيق إمكانياتهم. وأن أكثر النتائج الصحية تحدث اذا اختار الفـرد نشـاطات معـبرة عن القيم العليا قدر ما يستطيع وبعكسه فإنه يتعرض لانتكاسة نفسية في مراحل تطوره العليا، اذ أن تجرد الفرد من أي منظومة قيمية هي حالة مرض نفسي بحد ذاتها. فالإنسان بحاجة لإطار مرجعي من القيم ودين لكي يعيش بصحة سليمة .

ملخص النظريات التي تناولت المناعة النفسية

تعد نظرية المواجهة أو الهروب(Fight –or– Flight) لوالتر كانون Walter Canon ١٩٢٦ من أوائل النظريات الـتي اعتمـدت علـى العوامـل البايوكيميائيـة في تفسير الضغوط. اذ يرى أن الافراد عندما يتعرضون لمواقف ضاغطة فهم أمـا يجاهـدون لمقاومتها أو الهروب بعيداً عنها، وتظهر عليهم عـدد مـن الـتغيرات الـتي تهـيء الفـرد للمقاومة أو الهرب كارتفاع ضغط الدم وزيادة ضربات القلب وسرعة التـنفس ويحـدث ذلك عن طريق جهاز عصبي يغذي جميع الاحشاء الداخلية للإنسان وهو الجهاز العصبي الذاتي بشقيه (السـمبثاوي والباراسمبثـاوي)، فتسـتثار الغـدة الكظريـة لإفـراز هرمـون الادرنيالين والنورادرنيالين ومن ثم يحدث كل تغير فسلجي نتيجة لذلك [١].

جاء هانس سـيلي Hans Selye ١٩٥٦ مـن بعـد كـانون Canon بـأهم النظريات التي يرتكز عليها موضوع الاجهاد أو الشدة وأثرهما علـى الفـرد اذ أن الـربط بين القلق والارهاق ليس بنظرية بقدر ما هو مبدأ من المبادئ المسلم بها في مفهـوم علـم النفس في العصر الحاضر، فحياتنا النفسية وتصـرفاتنا في الظـروف الطبيعيـة مـاهي إلا تعبير عن التوازن بين إمكانياتنا على تحمل التجارب التي نمر بها وبين قـوة ووطـأة هـذه التجارب ولكل واحد منا قدرة معينة أقرب ما تكون (للمناعـة النفسـية) علـى تحمـل

١) العيسوي ،٢٠٠٠، ص٢٩٣.

الارهاق والشدة وما زاد عن هذا الحد فهو كفيل بالإخلال بهذا التوازن سواء كان بالقدر الذي يستطيع التوافق معه أو الى الحد الذي يؤدي الى الانهيار بسبب استنزاف جميع الطاقات الممكن للفرد الاستعانة بها في عملية التحمل وأنه من الممكن إصابة أي فرد بانهيار مناعته النفسية فيما اذا توفر الارهاق الكافي الذي يخضع إليه [١].

فالإنسان وكما يؤكد سيلي Selye يولد وله معدل محدود من المناعة النفسية لمقاومة الارهاق وله أمكانية التوافق مع هذا المعدل. وينصح سيلي Selye كل فرد بأن يسعى لمعرفة الدرجة التي يصاب بعدها بالإرهاق أي درجة المقاومة (المناعة النفسية) ومن ثم عليه أن يحاول تأجيل القيام بالأعمال الجسدية والعقلية التي تتطلب إجهادا الى الوقت الذي يكون فيه الفرد قد استعاد مقدرته. وعلى الفرد كذلك معرفة الوقت الذي يجب عنده التوقف عن العمل والتمتع بالاستراحة ومن ثم العودة الى مواجهة متطلبات الحياة. وحتى الافراد الذين يتمتعون بكميات كبيرة من الطاقة عبر الوراثة نجدهم في اكثر الأحيان يكدسون المشروع فوق المشروع والمسؤولية فوق المسؤولية، يدفعون بأنفسهم نحو الاجهاد والارهاق. اذ أن إضعاف المناعة النفسية للفرد يعني استنفاذ جميع مصادر المقاومة Resistance ومن ثم انهيار هذه المقاومة مما يؤدي الى النحول الجسمي الى حد يصبح فيه الفرد دون المستوى اللازم للمقاومة، مما يدلل على الارتباط الوثيق بين الإمكانيات الجسمية للفرد وبين الإمكانيات النفسية كما يدلل على أن الاخلال بهذا الارتباط من جانب آخر قد يؤدي الى انهيار الفرد[٢].

وبالنظر لأن الناس يختلفون الواحد عن الآخر في درجة تحملهم وفي مقاومات شخصياتهم، فإن ردود فعل الارهاق عندهم تأتي من حيث زمنها وشدتها ونوعيتها متوافقة مع هذه الفروق. فبعض الناس قد أوتوا من المناعة النفسية والقوة ما يمكنهم من الصمود أمام أي درجة من درجات الشدة، غير أن الذي يقرر مدى تحمل الفرد للشدة في أي مجال من المجالات (مشاكل مالية ، مجال العمل، علاقات اجتماعية ، الزواج، الوفاة ..الخ) لا يعتمد فقط على الشدة في حد ذاتها أو درجتها فقط وإنما يعتمد بدرجة أساسية

---

١) كمال،١٩٨٩،ص١٦٤.

٢) كمال، ١٩٨٩ ،ص١٧٣.

على: شخصية الفرد وحصيلته ومناعته النفسية والفسيولوجية المتكونة من إمكانياته البايلوجية وتجاربه الحياتية .

ثانياً: مفهوم الدين Religion Concept

يعد تعريف الدين وتحديد مفهومه من اول الصعوبات التي تواجه الباحثين فيه واكبرها، فالدين كما هو معروف موضوع معقد وشائك، وتشترك في دراسته علوم عدة، فضلا عن ذلك فهو مقدس في نفوس البشر، مما يجعل من تعريفه وتحديد مفهومه مشكلة يواجهها جميع الباحثين فيه، [١]، وعلى هذا الاساس دأب الباحثون في الدين على وضع تعريفات له كل حسب مجال المعرفة التي ينتمي اليه، وبالنسبة لعلماء النفس والاجتماع فقد تمكنوا من وضع عدة تعريفات موضوعية وشاملة له، مستفيدين بذلك ممن سبقوهم، ومستفيدين ايضا من مجموعة الحقائق التي يتصف بها الدين، مثل أن الدين موجود لدى كل المجتمعات قديما وحديثا، بشكل أو بآخر، وان الناس لديهم نزعة فطرية وأساسية للتدين، وان الدين يمثل ظاهرة نفسية اجتماعية، [٢].

وبالنسبة لعلم النفس، فقد كان عالم النفس لوبا (١٩٠١) من اوائل من عرض للدين من وجهة نظر سيكولوجية بعيدة عن الأحكام والاعتقادات الشخصية الخاصة، وحاول أن ينتشل الدين بمعناه السيكولوجي من فوضى التعريفات الهائلة له [٣]، وبعد لوبا حدد ثاولس ثلاثة تعريفات من التي أوردها لوبا، بعد ان وجد أنها تتضمن جانبا من جوانب الدين الفردي، والتعريفات هي (الدين هو قوى يعتقد المرء أنها توجه مجرى الطبيعة والحياة وتضبطها) (الدين هو الإيمان باله يعيش أبدا) (الدين هو حالة من حالات النفس أو انفعال يقوم على الإيمان بانسجام بين أنفسنا وبين الكون عموما)، وقد فسرها ثاولس في ضوء مفاهيم علم النفس، من حيث الإدراك والوجدان والنزوع، فالتعريف الأول يصف اسلوبا سلوكيا، والتعريف الثاني يمثل عقيدة أو رأيا عقليا، أما التعريف الثالث فيعبر عن جهاز من المشاعر والانفعالات(الاعرجي، ٢٠٠٧، ص٩٦).

---

١) بيومي، ١٩٩٩ ص٥، ١٧١.

٢) عبد الباقي، ١٩٨١ ص٧٩

٣) تركي، ١٩٨٠ ص١٧٩.

مفهوم التدين - Religiosity Concept

كثيرا ما يحدث خلط ضمن أدبيات علم النفس وعلم الاجتماع بين مفهومي الدين Religion والتدين Religiosity ، وغالبا ما يستخدم أحدهما مكان الآخر، وقد يبدو للبعض من أول وهله بانهما مفهومان يعبران عن معنى واحد، فبالنسبة لمفهوم الدين فهو مفهوم يتعلق بكل ما هو عقائدي ومقدس لدى البشر، وان البحث فيه يحتاج إلى تعاضد أكثر من علم والى استخدام أكثر من منهجية، إما بالنسبة لمفهوم التدين فمن الواضح تماما بان لفظته مشتقة أساسا من لفظة دين، وأنه في الغالب لا يعبر عن المعتقدات والمقدسات، فبالنسبة لعلماء النفس والاجتماع والانثروبولوجيا لا يقف التدين عند مستوى تردد الفرد على أماكن العبادة فحسب، بل يتعداه ليشمل جميع جوانب الممارسات والشعائر الدينية التي يؤديها بفعل وازعه الديني، فالتدين وفق منظورهم أكثر من مجرد تقليد للطقوس والممارسات الدينية التي يؤديها الآخرون، وإنما هو نزعة فطرية أساسية يمتلكها البشر جميعهم وتظهر على شكل مجموعة من السلوكيات الملاحظة، لتشكل ظاهرة نفسية اجتماعية جديرة بالدراسة، ويمكن ملاحظتها ودراستها بالطريقة العلمية [1]، ومن الجدير بالذكر بان علماء النفس والاجتماع لم يحصروا دراساتهم عن الظاهرة الدينية بمفهوم التدين فقط بل إنهم وسعوا من نطاق دراساتهم ليشمل مفاهيم دينية أخرى مشتقة ومتناغمة مع مفهوم التدين، مثل السلوك الديني، الالتزام الديني، الشعور الديني، التوجه الديني.

---

١) عبد الباقي، ١٩٨١ ص٦٣ .

الدين والصحة النفسية - Religion & Mental Health

يجمع علماء النفس على إن للدين والتدين تـأثيرات هامـة ومباشـرة علـى سـلوك البشر بصورة عامة وعلى صحتهم النفسية بصورة خاصـة [١]، وقـد حـاولوا جاهـدين ومنذ تأسيس علم النفس تحديد تلك التأثيرات من خـلال إجـرائهم لمجموعـة دراسـات تجريبية وامبيريقية واكلينيكيـة تبحـث في سـيكولوجية الـدين والتـدين، وفيمـا يخـص التأثيرات التي يتركها الدين والتدين على الصحة النفسـية للإفـراد، فـان هنالـك جـدل محتدم بين علماء النفس حول مدى ايجابية وسلبية هذه التأثيرات، فتارة ما ينظر إلى الدين على انه يؤدي مجموعة وظائف نافعة تعزز من الصحة النفسية للإنسـان، وتـارة أخـرى ينظر إلى الدين على انه يؤدي مجموعـة وظـائف ضـارة تقـوض مـن الصـحة النفسـية للإنسان[٢].

ويعد كل من يونك والبورت وفروم من اشهر علماء النفس الـذين اتخـذوا موقفـا ايجابيا من الدين، إذ شجعوا عليه، وكتبوا عنه بوصفه يؤدي إلى الصحة النفسية [٣]، فقد عدّ يونك أن اغلب الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الإنسان يمكن حلها باسـتخدام العلاج الديني، بسبب أن جزءا كبيرا من شخصيتنا يتشكل في ضـوء خياراتنـا الدينيـة، وأشار البورت إلى أن الدين يحصن الإنسان من غزو القلق والشك والبؤس (Allport, ١٩٥٠)، وأكد فروم أن للدين وظيفة أساسـية تتمثـل بإنقـاذ الإنسـان مـن كـل أنـواع العصاب التي يتحدث عنها البعض من علماء النفس [٤].

في حين يعد فرويد من اشهر علماء النفس الذين اتخذوا موقفا سلبيا من الدين، إذ هاجمه باستمرار وفي كل مناسبة، ووصفه بأنه ليس عديم الفائدة فقط، وإنما يشكل ضررا جسيما على نمو الإنسان النفسي، وعلى صحته النفسية [٥]، وعدّه نوعاً مـن العصـاب

---

١) السنديوني، ١٩٩٠ ص٥٦.

٢) بيومي، ١٩٩٩ ص١٠.

٣) المصدر السابق، ص١٧.

٤) Fromm,١٩٨٦P.١٤٥.

٥) Gallant, ٢٠٠١ P.١٨.

الجماعي المتعلق بعقدة اوديب [1]، وقد حذا علماء آخرون حذو فرويد في موقفه من الدين، أمثال ألبرت الس وسكومايكر وكوينك الذين حددوا مجموعة مضار للدين على الصحة النفسية.

ولتسليط الضوء اكثر على التأثيرات التي يتركها الدين والتدين على الصحة النفسية فقد بينت الدراسات التي بحثت في منافع الدين وفي علاقته بالصحة النفسية أن الدين يؤدي وظائف ايجابية كثيرة، أهمها انه يساعد الناس على فهم أنفسهم وعلى فهم علاقتهم بالعالم الذي يعيشون فيه، ويزودهم بالأجوبة عن التساؤلات الوجودية التي تدور في أذهانهم، فضلا عن انه يسهم في تماسك مجتمعاتهم، ويوفر لهم الحماية والراحة النفسية لاسيما أوقات الشدّة والأزمات، ويخفف حدة القلق الناشئ لديهم، ويزودهم كذلك بالإحساس بالأمل والمعنى والسعادة، فضلا عن انه يكبح نزعات تدمير الذات لديهم [2].

١) بيرت، ١٩٨٥ص١٨.

٢) السنديوني، ١٩٩٠ ص٥٦.

ثالثا: زيارة المراقد المقدسة

تُعدُّ زيارة أولياء الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام والصدّيقين والشهداء وأولي العلم والفضل، في حياتهم ومماتهم، وعن قرب وعن بعد، من الشعائر الإلهية التي درج عليها المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا. وقد أُسّس لمفهوم الزِّيارة وأدبها وحدودها في الإسلام بالعديد من الأدلّة النّقلية الثَّابتة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وكذلك فيما روي عنهم عليهم السلام وعن المسلمين في صدر الإسلام وإلى يومنا هذا في زيارتهم للقبور وتبرُّكهم بساكنيها والاستشفاع بهم إلى الله تعالى.

والزيارة تعني الحضور عند تربة أحد الأئمة أو أبناء الأئمة أو الشهداء، والذهاب إلى المشاهد الشريفة، والعتبات المقدسة. أن زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) في حال حياتهم لها تأثير كبير، أما بعد مماتهم أو استشهادهم وفيها بناء للذات وثواب كبير.

وردت تأكيدات كثيرة على زيارة الرسول صلى الله عليه وآله، والزهراء عليها السلام، والأئمة المعصومين، وشهداء آل محمد، والعلماء والصالحين. قال الإمام الصادق((عليه السلام)): "من زارنا في مماتنا كأنما زارنا في حياتنا"[1].

زيارة الأئمة تعبير عن إجلال مكانتهم، والسير في طريقهم والانقياد لمواقفهم، ومواصلة خطّهم، وتجديداً للعهد معهم، ووفاء لولايتهم، وإحياء لذكرهم ولتعاليمهم. قال الإمام الرضا (عليه السلام):

"أنّ لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وأنَّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم..."[2].

ومثل هذه الزيارات إضافة إلى ما تتركه من تأثيرات تربوية ونفسية على الزائر نفسه، ودليل على معرفته لأولياء الله وهداة الدين، فإن لها تأثير كبير في إحياء أمر الأئمة

---

١) بحار الأنوار ٩٧: ١٢٤.

٢) بحار الأنوار ٩٧: ١١٦، وسائل الشيعة ١٠: ٣٤٦.

ونشر العقيدة الإنسانية والتربوية لتلك الشخصيات المثالية في المجتمعات البشرية، والالتفاف حول خط القيادة والولاية، وخاصة في الأوقات التي يسعى فيها حكّام الجور والاستبداد والانحراف لمحو آثار الأئمة وذكرهم، فهنا تكون الزيارة بمثابة عمل ثوري وإيجابي، ونوع من المواجهة مع السلطات الجائرة. كما أن زيارة هذه الأماكن المقدّسة ترسخ إيمان الزائر وتشعره بنوع من الارتباط والتواصل معهم، وتلهمه مفاهيم الدعوة إلى الخير، والدفاع عن الحق، والشهادة في سبيل الله. ولعل الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) خير دليل واوضح شاهد على ذلك، بما تستمده من الامام الحسين (عليه السلام) من قيم دينية ومبادئ انسانية ورصيد فكري رصين تمكنت من اذابة جميع الفوارق العنصرية بين الحشود المليونية الزاحفة الى كربلاء اذ تجد فيهم شتى الجنسيات والقوميات والاديان والاتجاهات الفكرية كما تجد الاسود والابيض وقد تساوى الجميع في (الملبس، المطعم، المجلس، المنام، الخدمة ....الخ) بل يسير بعضهم الى جنب بعض في اجواء مشحونة بالأخوة والمحبة ونسيان الذات وكأنهم تخلوا عن جميع الفوارق وانتزع الغل من قلوبهم بمجرد ان وضعوا اقدامهم على طريق كربلاء حتى يبلغ ذلك ذروته عندما تجد ان هذه القوميات والاعراق والالوان كل منها يفتخر بان يكون خادما للآخر بروح ملؤها المحبة والعطاء. حيث انها تمنح الفرد الكثير من القيم الانسانية التي تساعد في بناء مجتمع متماسك وتمنحه القدرة على الصمود بوجه كثير من المزالق ومن هذه القيم (ترسيخ الإيمان، الحرية، العدالة، الصبر ....) ومن هنا ترى الباحثة ان هذه الزيارة المقدسة شكل مهم من اشكال ارتباط افراد المجتمع على اختلاف شرائحهم بالعقائد الدينية كما انها تمثل صورة من صور التفاعل الروحي بين الفرد وخالقه عن طريق اتخاذ الإمام الحسين وآل بيته الاطهار (عليهم السلام) وسيلة للتقرب الى الله سبحانه وتعالى مما يبعث فيهم الامل والقدرة على التحمل والتفاؤل.

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

يضم هذا الفصل إجراءات البحث الحالي من حيث تحديد مجتمعه، واختيار عينته، وتحديد أداته وإجراءات القياس، والوسائل الإحصائية المستخدمة فيه سواء في إجراءاتـه أو في تحليل بياناته.

أولا: مجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث الحالي مـن طلبـة كليـة التربيـة الجامعـة المستنصـرية للعـام الدراسي (٢٠١٤ـ٢٠١٥) للدراسة الصباحية ولكافة المراحل ولكلا الجنسين وقد بلـغ حجم المجتمع (٤٧٧٠) طالباً وطالبة موزعين على (٩) اقسام (٣) علمية (٦) انسانية كما موضح في الجدول رقم (١).

الجدول (١)

توزيع افراد مجتمع البحث حسب الجنس والتخصص

القسم	ذكور	اناث	المجموع
الرياضيات	٢٩٨	٣٥٢	٦٥٠
الحاسبات	٣٦٩	٢٧٢	٦٤١
الفيزياء	٢٣٣	١٨٢	٤١٥
التاريخ	٣٨٤	٣١٥	٦٩٩
اللغة العربية	٢٦٠	٤٢٧	٦٨٧
علوم قرآن	٣٢٢	٢٨٥	٦٠٧
الارشاد النفسي والتوجيه التربوي	١٨٤	١٠٨	٢٩٢
علوم تربوية ونفسية	١٦١	٨٤	٢٤٥
الجغرافية	٣٠٥	٢٢٩	٥٣٤
المجموع	٢٥١٦	٢٢٥٤	٤٧٧٠

(قسم التخطيط والاحصاء)

ثانياً : عينة البحث :

من الخطوات المهمة في البحوث التربوية والنفسية هي اختيار افراد العينة التي ينبغي أن تكون ممثلة للمجتمع الأصلي على النحو الصحيح[1]. وقد اختيرت عينة البحث الحالي بالطريقة العشوائية البسيطة حيث بلغ حجم العينة (٢٠٠) طالب وطالبة موزعين على كافة الاقسام والمراحل ولكلا الجنسين كما موضح بالجدول رقم(٢).

١) عودة وملكاوي، ١٩٩٢، ص٢٢٥.

جدول (٢)

يوضح توزيع افراد عينة البحث

القسم	ذكور			اناث			المجموع
	مواظب	غير مواظب	المجموع	مواظبة	غير مواظبة	المجموع	
التاريخ	٥	٦	١١	٥	٦	١١	٢٢
الجغرافية	٦	٥	١١	٦	٥	١١	٢٢
الفيزياء	٦	٦	١٢	٦	٦	١٢	٢٤
الرياضيات	٦	٦	١٢	٦	٦	١٢	٢٤
الارشاد النفسي والتوجيه التربوي	٥	٦	١١	٥	٦	١١	٢٢
علوم الحاسبات	٦	٦	١٢	٦	٦	١٢	٢٤
العلوم التربوية والنفسية	٥	٥	١٠	٥	٥	١٠	٢٠
اللغة العربية	٥	٥	١٠	٥	٥	١٠	٢٠
علوم قرأن	٦	٥	١١	٦	٥	١١	٢٢
المجموع	٥٠	٥	١٠٠	٥٠	٥	١٠٠	٢٠٠

ثالثا: أداة البحث

لما كان البحث الحالي يهدف الى قياس المناعة النفسية لغرض المقارنة في مستوى المناعة النفسية لدى الطلبة المواظبين على الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين. فانه من الضروري ان تستخدم الباحثة مقياس لقياس المناعة النفسية. وبعد اطلاع الباحثة على الدراسات والمقاييس السابقة التي تناولت متغير البحث فقد تبنت مقياس (عبد الجبار ٢٠١٠) والذي يتكون بصورته النهائية من (٣٠) فقرة وقد كانت بدائل الاستجابة (تنطبق علي كثيرا- تنطبق علي بدرجة متوسطة- لا تنطبق علي) وعليه فأن اعلى درجة ممكن ان يحصل عليها المستجيب هي (٩٠) وأدنى درجة (٣٠) والمتوسط الفرضي (٦٠). وقد قامت الباحثة بالإجراءات الآتية للتحقق من الخصائص السايكومترية للمقياسين وكالآتي:

١. تحليل الفقرات Items Analysis

تحليل الفقرات هو عملية فحص أو اختبار استجابات الأفراد عن كل فقرة من فقرات الاختبار وتضم هذه العملية الكشف عن مستوى صعوبة الفقرة وقوة تمييزها. ويقصد بتمييز الفقرة قدرة الفقرة على تمييز الفروق الفردية بين الأفراد الذين يملكون الصفة من الذين لا يملكونها [١]. ومن اجل تحقيق ذلك قامت الباحثة باستخراج القوة التميزية عن طريق (أسلوب المجموعتين المتطرفتين) Extreme Groups Method ولمقياس المناعة النفسية فقط كونه كان معدا لأعمار مختلفة وكالآتي :

١ـ رتبت الدرجات التي حصلت عليها العينة من أعلى درجة إلى أوطأ درجة.

٢ـ اختيرت نسبة ال (٢٧%) العليا والدنيا من الدرجات لتمثل المجموعتين المتطرفتين، وقد تكونت عينة التحليل من(٢٠٠) طالب وطالبة، اذ يشير نناللي الى إن نسبة عدد افراد العينة الى عدد الفقرات ينبغي ان تكون بنسبة (٥ :١) لعلاقة ذلك بتقليل خطأ الصدفة في عملية التحليل الاحصائي[٢] وأشارت (انستازي) الى ان افضل

---

١) الزوبعي وآخرون، ١٩٨١، ص٧٤.

٢) Nunnally, ١٩٧٨, ٢٦٢.

حجم لعينة تحليل الفقرات لحساب قوتها التمييزية عند استخدام المجموعتين المتطرفتين بنسبة (٢٧%) في كل مجموعة وبذلك يكون حجم عينة تحليل الفقرات (١٠٨) وبعد تطبيق الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة ظهر أن الفقرات جميعها مميزة.

٢- صدق مقياس المناعة النفسية:

الصدق Validity من الخصائص الأساسية في بناء المقاييس النفسية، ويشير إلى مدى صلاحية استخدام درجات المقياس في القيام بتفسيرات معينة [١]. والاختبار الصادق هو الاختبار القادر على قياس السمة أو الظاهرة التي وضع لأجلها [٢]. وقد قامت الباحثة باستخراج الصدق الظاهري Face Validity ويشير هذا النوع من الصدق إلى مدى ما يبدو أن الاختبار يقيسه، بمعنى ان الاختبار يضم فقرات يبدو أنها على صلة بالمتغير الذي يُقاس، وان مضمون الاختبار متفق مع الغرض منه. ويتحقق هذا النوع من الصدق بقيام عدد من الخبراء والمختصين بتقدير مدى تمثيل فقرات المقياس للصفة المراد قياسها[٣]. وقد تحقق ذلك في عرض مقياس المناعة النفسية على نخبة من الخبراء والمختصين (الملحق رقم ١)، واخذ آرائهم حول مدى صلاحية كل فقرة من فقرات المقياس لقياس الصفة المراد قياسها ومدى ملاءمتها لمجتمع البحث. وقد حصلت جميع فقرات المقياس على نسبة اتفاق اكثر من (٨٠%) .

٣- ثبات مقياس المناعة النفسية:

الثبات Reliability من المفاهيم الأساسية في القياس يجب توافره في المقياس لكي يكون صالحاً للاستخدام. يمكن القول أن كل اختبار صادق هو ثابت بالضرورة، في حين لا يمكن القول أن كل اختبار ثابت هو صادق بالضرورة، ذلك لان الاختبار الصادق الذي يقيس فعلا ما أُعد لقياسه تكون درجته معبرة عن الأداء الحقيقي أو القدرة الفعلية

---

١) أبو علام، ١٩٨٩، ص١٤٤.

٢) الزوبعي وآخرين، ١٩٨١، ص٣٩.

٣) الإمام وآخرون، ١٩٩٠، ص١٣٠.

للفرد. ومادامت الدرجة على المقياس الصادق تعبّر عن هذه الوظيفة بدقة، فإنها تكون ثابتة في الوقت نفسه [1]. وقد قامت الباحثة باستخراج الثبات للمقياس بطريقتين وكالآتي:

أ- طريقة التجزئة النصفية: تعد طريقة التجزئة النصفية في حساب الثبات من الطرق الشائعة في المقاييس والاختبارات النفسية والتربوية لأن معامل الثبات المستخرج بهذه الطريقة يوضح مقدار الاتساق الداخلي بين الفقرات في قياس الخاصية، كما ان هذه الطريقة هي اكثر طرق الثبات شيوعاً ويعود ذلك إلى انها تتلافى عيوب بعض الطرق الأخرى للثبات. وقد بلغ معامل الثبات المستخرج بهذه الطريقة لمقياس المناعة النفسية (٠,٨٠) وبعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان-براون بلغت قيمته (٠,٨٩) وبهذا فإن معاملات ثبات المقياس جيدة إذ تشير الدراسات إلى أن معامل الثبات الجيد يتراوح ما بين (٠,٧٠ ـ ٠,٩٠) [2].

ب- طريقة التجانس الداخلي

اختارت الباحثة طريقة معامل الفا كرونباخ. تستند فكرة هذه الطريقة التي تمتاز بتناسقها وامكانية الوثوق بنتائجها، الى حساب الارتباطات بين درجات جميع فقرات المقياس على اعتبار ان الفقرة عبارة عن مقياس قائم بذاته، ويؤشر معامل اتساق أداء الفرد، أي التجانس بين فقرات المقياس[3]. ولاستخراج الثبات بهذه الطريقة طبقت معادلة الفا كرونباخ على درجات افراد العينة، فكانت قيمة معامل ثبات مقياس المناعة النفسية (٨٨,٣%) وهو مؤشر اضافي على ان معامل ثبات المقياس جيد.

---

١) الإمام وآخرون، ١٩٩٠، ص١٤٣ ، ١٤٤.

٢) الإمام وآخرون، ١٩٩٠، ص١٥٩.

٣) الإمام وآخرون، ١٩٩٠، ص١٥٩.

رابعاً: الوسائل الإحصائية Statistical Devices

استخدمت الباحثة الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (StatisticalPackage for Social Sciences) (SPSS) في إجراءات تبني المقياس وفي تحليل النتائج للبحث باستخدام الوسائل الإحصائية الآتية:

١ـ الاختبار التائي لعينتين مستقلتين T-Test لاستخراج تمييز فقرات مقياس المناعة النفسية. ولمعرفة دلالة الفروق بحسب متغيرات البحث.

٢ـ معامل ارتباط بيرسون Pearson Correlation لاستخراج الثبات بطريقة التجزئة النصفية للمقياس.

٣ـ معادلة سبيرمان –بروان التصحيحية.

٤ـ معادلة الفا كرونباخ لاستخراج ثبات المقياس.

٥ـ الاختبار التائي لعيّنة واحدة لإيجاد مستوى المناعة النفسية لدى عينة البحث.

الفصل الرابع

عرض النتائج ومناقشتها

يتناول هذا الفصل استعراضاً ومناقشة لنتائج البحث كما يشتمل على التوصيات والمقترحات في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها.

الهدف الأول: تعرف مستوى المناعة النفسية لدى طلبة كلية التربية

أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن متوسط درجات أفراد العينة على مقياس المناعة النفسية بلغ (٦٨,٣٦) درجة بانحراف معياري قدرهُ (١٥,٠٠٢) درجة، وعند مقارنة الوسط الحسابي مع المتوسط النظري لمقياس المناعة النفسية البالغ (٦٠) درجة، وباستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة تبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي (٧,٨٨) وهي اعلى من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) أي إنها دالة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٩٩)، والجدول (٣) يوضح ذلك .

الجدول (٣)

يبين نتائج الاختبار التائي لإجابات العينة ككل على مقياس المناعة النفسية

العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط النظري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة	
					المحسوبة	الجدولية		
٢٠٠	٦٨,٣٦	١٥,٠٠٢	٦٠	١٩٩	٧,٨٨	١,٩٦	٠,٠٥	دالة

وهذا يعني أن طلبة الجامعة يتمتعون بدرجة عالية من المناعة النفسية، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن طلبة الجامعة لديهم المقدرة في المقاومة والتحمل للمعاناة ومتطلبات المحيط الذي يعيشون فيه، وهم اكثر قدرة على التوافق مع المواقف التي يتعرضون لها.

الهدف الثاني: تعرف دلالة الفروق في المناعة النفسية بين الطلبة المواظبين على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين.

لمعرفة دلالة الفرق في درجات المناعة النفسية لدى عينة البحث تبعاً لمواظبتهم على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام). استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين كما هو موضح في الجدول رقم (٤) .

الجدول (٤)

نتائج الاختبار التائي لعينتين مستقلتين على مقياس المناعة النفسية تبعاً لمواظبتهم على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام)

العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
مواظبين	١٠٠	٧٢,٦٦٠	١١,١٥٧٤٨	١٩٨	٤,٢٧٧	١,٩٦	٠,٠٥ دالة
غير مواظبين	١٠٠	٦٤,٠٥٠٠	١٧,٠٤٢٦٥				

يتضح من الجدول في أعلاه إنه توجد فروق دالة إحصائياً بين الطلبة في المناعة النفسية تبعاً لمواظبتهم على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) ويمكن تفسير تلك النتيجة على وفق نظرية ماسلو Maslow حيث يرى أن الكائن الانساني بحاجة الى أطار مرجعي من الدين او فلسفة في الحياة او منظومة من القيم العليا لكي يعيش ويتفهّم بها مصيره، ويؤكد على أن النتائج الصحية تحدث اذا اختار الفرد نشاطات معبرة عن القيم الجوهرية قدر ما يستطيع، وبعكسه فأنه يتعرض لانتكاسة نفسية في مراحل تطوره العليا. وترى الباحثة ان المواظبة على الزيارة الاربعينية واحدة من الاشكال المهمة في التعبير عن التدين والقيم الروحية التي يحملها الفرد لما تتضمنه من مضامين نفسية وتربوية سامية.

الهدف الثالث: دلالة الفروق في المناعة النفسية بين الطلبة المواظبين على الزيارة الاربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين بحسب متغير الجنس.

لمعرفة دلالة الفرق في درجات المناعة النفسية لدى عينة البحث تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث) استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين كما موضح في الجدول رقم (٥) .

الجدول (٥)

نتائج الاختبار التائي لعينتين مستقلتين على مقياس المناعة النفسية تبعاً لمتغير الجنس

(ذكور– إناث)

العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
الذكور	١٠٠	٦٩,٥٤٠٠	١٥,١٠٢٦٤	١٩٨	١,١١٨	١,٩٦	٠,٠٥ غير دالة
الاناث	١٠٠	٦٧,١٧٠٠	١٤,٨٨١٣٩				

يتضح من الجدول في أعلاه إنه لا توجد فروق دالة إحصائياً بين الطلاب والطالبات في المناعة النفسية وقد يعود السبب في ذلك ان طلبة الجامعة من الذكور والاناث يمتعون بنفس المستوى من المناعة النفسية لان الازمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية التي قد مرت على بلدنا تمر على جميع ابناء مجتمعنا من الجنسين ذكور واناث كما ان المعتقدات الروحية والدينية لا تختلف في جوهرها تبعا للجنس.

التوصيات:

١- تأكيد دور الدين بوصفه مصدراً اساسياً لتقوية المناعة النفسية، من خلال المؤسسات التربوية والدينية الرسمية وغير الرسمية.

٢- على الرغم من ان النتائج اظهرت مستوى عالياً من المناعة النفسية إلا أن ذلك يدعونا إلى مزيد من الاهتمام بالجانب النفسي، لاسيما تقوية المناعة النفسية عند التعامل مع طلبتنا لما لها من اثر كبير في حمايتهم مما يعرف بالأمراض السايكوسوماتية.

٣- العمل على زيادة الاهتمام بالتثقيف والتوعية الصحية والنفسية في مواجهة الضغوط وذلك من خلال وسائل الاعلام والعمل والاسرة والجامعات .

المقترحات:

١- اجراء دراسة مقارنة بين (الديانات، المذاهب، القوميات، الاجناس، المستويات الثقافية.

٢- اجراء دراسة تتناول علاقة المناعة النفسية ببعض سمات الشخصية.

٣- اجراء دراسة تتناول علاقة المناعة النفسية بالتوجه الديني لدى عينات مختفلة.

المصادر:

القرآن الكريم

- ابو علام، رجاء محمود، ١٩٨٩، مدخل الى مناهج البحث التربوي، الكويت، مكتبة الفلاح،ط١.

- الإمام، مصطفى وعبد الرحمن، انور حسين والعجيلي، صباح حسين(١٩٩٠)، القياس والتقويم، بغداد، جامعة بغداد.

- بن قولويه، جعفر بن محمد(١٤١٧) ه: كامل الزيارات تحقيق الشيخ جـواد الفيـومي قسم مؤسسة نشر الفقاهة. ط١.

- بيرت، سيريل، (١٩٨٥)، علم النفس الديني، ترجمة: سمير عبده، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- بيومي، محمد احمد محمد، (١٩٩٩)، علم الاجتمـاع الـديني، دار المعرفـة الجامعيـة، ط٢، مصر.

- تركي، مصطفى احمد، (١٩٨٠)، العلاقة بين التدين والعصـابية والانبسـاط والثقـة بالنفس والدافعيـة للإنجـاز والمرونـة عنـد طلبـة الجامعـة، بحـوث في سـيكولوجية الشخصية بالبلاد العربية، مؤسسة الصباح، الكويت.

- الجنابي ، عمار جواد (٢٠٠١) : مباديء وتوجيهات نبوية في الطب والصـحة، مجلـة الصيدلي ، نقابة الصيادلة في العراق ، العدد ١٠ .

- خضير ، محمد توفيق (٢٠١٠) : الصحة والسلامة العامة ، ط١ ، دار صفاء للنشر ، عمان .

- الزوبعي، عبد الجليل، واخرون، ١٩٨١، الاختبارات والمقاييس النفسية، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

- الزيادي ، احمـد محمـد والخطيـب ، هاشـم (٢٠٠١) : مبـاديء التوجيـه والارشـاد الفسي ، ط١ ، الدار الدولية للنشر ، عمان .

- السنديوني، محمـد فـاروق، (١٩٩٠)، وجهـات نظـر إسـلامية في الصـحة العقليـة ومعالجتها، مجلة الثقافة النفسية، المجلـد الأول، العـدد الثـاني، دار النهضـة العربيـة، بيروت.

- شكري ، مائسة (١٩٩٩) : انماط السـلوك السـحري كاسـاليب لمواجهـة مواقـف المشقة ، مجلة دراسات نفسية ، رابطة الاجتماعيين النفسيين المصرية ، القاهرة .

- شلتز، داوون (١٩٨٣): نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي ، بغداد

- صالح ، قاسم حسين (٢٠٠٢) :اضطرابات مابعد الضغوط الصدمية ، مجلة الثقافة النفسية ، العدد ٤٩ ، المجلد ١٣ .

- عبد الباقي، زيدان، (١٩٨١)، علم الاجتماع الديني، دار غريب للطباعة، القاهرة.

- عبد الجبار، مواهب عبد الوهاب(٢٠١٠): المناعة النفسية وعلاقتها بالكفاءة الشخصية وسمو الذات لدى المصابين بمرض الغدة الدرقية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية /الجامعة المستنصرية .
- عسكر ، علي (٢٠٠٠): ضغوط الحياة واساليب مواجهتها ، الصحة النفسية والبدنية في عصر التوتر والقلق ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة .

- العيسوي ، عبد الرحمن محمد (٢٠٠٠): الاضطرابات النفسجسمية ،ط١، دار الراتب الجامعية، بيروت.

- فرانكل، فيكتور، (١٩٨٢)، الإنسان يبحث عن المعنى، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، ط١، الكويت
- فروم، أريك، (١٩٨٩)، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: سعد زهران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ١٤٠، الكويت.

- القيسي ، عبد الغفار عبد الجبار و سالم، غسان حسين (٢٠٠١): تاثير الحصار على شيوع الاضطرابات النفسية لدى طلبة الجامعة ، مجلة العلوم النفسية ، مركز البحوث النفسية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، العدده .

- كفافي ، علاء الدين و جابر ، عبد الحميد (١٩٩٣) : معجم علم النفس والطب النفسي ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

- اللويمي ، احمد (٢٠١٠) : مجلة الصحة والحياة ،مؤسسة البيان للنشر، دولة الامارات العربية المتحدة ، دبي ، العدد ١ .

- يونس ، رفعة (٢٠٠١) : الطب النفسي يشفي الجسم العليل ، مجلة الصحة والطب ، العدد ٥٩ ، دبي .

المصادر الاجنبية

- Gallant, M. Christina (٢٠٠١) "Existential Expeditions: Religious Orientations and Personal Meaning", Graduate Counseling Psychology Program. Published Master Thesis

- Pargament, K. I., Olsen, H., Reilly, B., Falgout, K., Ensing, D.S. & Van Haitsma, K. (١٩٩٢) "God Help Me (II): The Relationship of Religious Orientations to Religious Coping with Negative Life Events" Journal for the Scientific Study of Religion, Vol. ٣١ (٤), PP. ٥٠٤-٥١٣.

- Selye .H . (١٩٧٦); The stress of life ,New Yor , Mc Graw - Hill Book Company.

- Wong, P. T. P. (١٩٩٨) "Spirituality, meaning and successful aging", P.T.P. Wong & P. Fry (Eds.). Handbook of psychological research and clinical applications. NJ: Erlbaum. Mahway. PP. ٣٤٩-٣٩٣.

- http//arwikishia.net/view/

الملاحق:

ملحق (١)

اسماء السادة الخبراء الذين تم عرض المقياسين بصورتهما المتبناة عليهم

ت	الاسم	التخصص	مكان التواجد
١	أ.م.دـ أمـل اسماعيـل عـايز	القيـاس والتقـويم	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٢	أ.م.دـ سـحر هاشـم محمـد	القيـاس والتقـويم	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٣	أ.م.دـ سناء صاحب الخزرجي	علم النفس الاجتماعي	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٤	أ.م.دـ فرحـان محمـد حمـزه	علم النفس الاجتماعي	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٥	أ.م.دـ ماجدة هليـل شـغيدل	علم النفس التربـوي	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٦	أ.م.دـ نجـلاء نـزار وداعـة	علم النفس التربـوي	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٧	أ. م.د. وحيـدة حسـين علـي	علم النفس التربـوي	الجامعة المستنصرية كليه التربية
٨	م.د. عليـاء جاسـم محمـد	علم النفس التربـوي	الجامعة المستنصرية كليه التربية

ملحق (٢)

مقياس المناعة النفسية بصورته النهائية

تحية طيبة.....

نضع بين يديك مجموعة من العبارات التي تتعلق بالمواقف الحياتية التي يمكن ان يمر بها كل واحد منا ، نرجو منك بعد قراءتها بعناية تامة أن تؤشر بوضع علامة ( ) امام العبارة وتحت البديل المناسب من البدائل الثلاثة (تنطبق عليّ كثيرا ، تنطبق علي بدرجة متوسطة ، لا تنطبق عليّ)

والذي يعبر عن رأيك الصريح، علماً أن اجابتك سوف تستخدم لأغراض البحث العلمي ولن يطلع عليها سوى الباحثة، لذا فلا داعي لذكر الاسم، كما نرجو عدم ترك أي عبارة من دون اجابة .

تقبلوا منا فائق الشكر والتقدير والامتنان

الجنس:

مواظب على الزيارة:

غير مواظب:

ت	الفقرات	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي بدرجة متوسطة	لا تنطبق علي
	على الرغم من الضغوط التي تواجهني :			
١	اشعر بالحيوية والنشاط			
٢	اشعر اني سعيد			
٣	اشعر اني محبوب			
٤	اشعر اني مهم بين اقراني			
٥	اشعر ان الحياة فيها الكثير من الاحداث الجميلة			
٦	اشعر بالطمأنينة والاستقرار في حياتي			
٧	اشعراني غير نادم على الماضي			
٨	اشعر بالاسترخاء			
٩	ارى ان لكل مشكلة حل			
١٠	ارى ان الحياة لها معنى وتستحق العيش			
١١	ارى ان المستقبل مليئا بالآمال والا فراح			
١٢	ارى ان الامور تسير كما ارغب			
١٣	لدي القدرة على مواجهة الفشل			
١٤	لدي الطاقة الكافية لأداء اعمالي			
١٥	لدي القدرة على كظم الغيظ و ضبط انفعالاتي			
١٦	لدي القدرة على تحمل فراق عزيز			
١٧	لدي القدرة على مواجهة الكوارث (القتل ،الانفجارات، الزلازل ، الفيضانات)			
١٨	لدي الوقت الكافي لممارسة هواياتي			
١٩	لدي القدرة على مقاومة التعب والاجهاد اليومي			
٢٠	لدي شعور بأن كل سيء سوف يتغير للأحسن			
٢١	اجد الاسناد والدعم من الاخرين في حل مشكلاتي			
٢٢	اجد نفسي صبورًا ولدي قوة تحمل			
٢٣	اجد متعة بأداء الاعمال الروتينية التي اقوم بها			
٢٤	عندما انهض صباحا اشعر بأن نهارا سعيدا ينتظرني			
٢٥	انا هادئ			
٢٦	انا متوازن			
٢٧	امتلك الطموح اللازم لتحقيق اهدافي في الحياة			
٢٨	افرح بالمناسبات السعيدة واشارك فيها			
٢٩	اتمتع بروح الفكاهة والمرح			
٣٠	اشارك في النشاطات المختلفة (رياضة، موسيقى ، شعر ، رسم ، رحلات ترفيهية ، تنزه)			

مجالس العزاء الحسيني ومواكبها
مسيرة للتكامل الإنساني

أ. د. محمـــد كامـــل الربيعـــي
كليـة الآداب/ الجامعـة المستنصـرية

م. كـــــريم مـــــاهود منـــــاتي
كلية الآداب/ الجامعة المستنصـرية

شكلت مجالس العزاء الحسيني ومواكبها على امتداد التاريخ المعاصر صفحة مهمة من صفحات التألق والتكامل الإسلامي والإنساني، فلم تكن هذه المجالس والمواكب التي كانت تقام أثناء شهر محرم الحرام مظهراً من مظاهر التبجح أو الادعاء أو بدعة ابتدعها أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وانما كانت استذكاراً لقيم الاستشهاد والايثار والتضحية في سبيل إحياء قيم السماء وتطبيقاتها على الأرض.

لم يكن تأسيس مجالس العزاء الحسيني ومسير اتباع الخط الإيماني إلى كربلاء المقدسة أمراً هيناً وسهلاً، فقد قدم المؤمنون تضحيات كبيرة في ظل أنظمة التسلط والظلم سواء في العهد العباسي أو ما بعده من العهود المتأخرة، إذ فرض قسم من الحكام ضريبة جسدية على كل من يسير الى أربعينية الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) وصلت إلى حد قطع يده اليمنى، وعندما قدم هؤلاء أيديهم في العام الأول اضطروا لتقديم يدهم اليسرى في العام الآخر، فضلاً عن إعطائهم ضرائب لفرق السلطة على انها جزء من حبهم لإمامهم واستعدادهم للتضحية في سبيل زيارة مرقده والتشرف بحضور أربعينيته.

واستمراراً لنهج محاربة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومحاولة منع مجالس العزاء الحسيني من اداء وظيفتها ومنع السير الى اربعينية الامام الحسين (عليه السلام)، قامت بعض الأنظمة الجمهورية في العراق بمنع إقامة المجالس الحسينية ومنع توزيع الطعام على الزوار، لا بل وصل الأمر إلى حد وضع النفط في الأطعمة، واعتقال الزوار السائرين الى كربلاء المقدسة أو صبغ شعر المشاركين في (ركضة طويريج) وما الى ذلك من اساليب قمعية، فعلى سبيل المثال شكلت وزارة الداخلية – الأمن العامة في عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف (١٩٦٣ـ ١٩٦٦) مكتباً للتحقيق السياسي كانت بعض مهامه تتعلق بمتابعة كل ما يخص (المواكب الحسينية) وأسماء مؤسسيها وأماكنها وصيغ عملها وما الى ذلك، ووصل الأمر الى ذكر (مواكب أهالي البحرين الساكنين بكربلاء) وتكليف بعض عناصر الأمن أو وكلائهم بكتابة التقارير عنها اثناء الزيارة الأربعينية، فضلاً عن

متابعة زوار الامام الحسين (عليه السلام) والاندساس بين صفوفهم ومعرفة توجهاتهم واعتقال من يعتقدون بخطورة وجوده في الزيارة الاربعينية.

ازدادت حمى محاربة زوار الاربعينية والمواكب الحسينية في عهد النظام السابق ووصل الحال إلى اتهام الزوار باتهامات عدة أوصلت بعضهم الى صعود المشانق، ففضلاً عن منع الزيارة في اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) ووضع السيطرات على الطرق الرئيسة الموصلة الى كربلاء المقدسة، فان الأمر امتد الى الطرق الزراعية وكلفت الأجهزة الامنية وعناصر الحزب وأزلام نظامه بالتبليغ عن أي صاحب موكب حسيني واعتقاله قبل موعد الزيارة الاربعينية ومنع الناس من طبخ الطعام أثناء محرم الحرام والوجود على الجسور، لا بل وصل الأمر الى حد تكليف المنظمات الحزبية، وفي عملية دعائية مكشوفة، لأخذ دور المواكب الحسينية ومنحهم بعض المبالغ النقدية لطبخ الطعام بدلاً من اصحاب هذه المواكب بحجة " رعاية " الدولة للدين واظهار: "محبتها "، "ودعمها" للمسيرة الحسينية.

وعندما سقط النظام السابق في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ وجد المؤمنون وأصحاب المجالس الحسينية الفرصة سانحة لهم للتعبير عن مدى حبهم وولائهم لخط أهل البيت (عليهم السلام) ولقدوتهم في الشهادة والإباء الامام الحسين بن علي (عليهما السلام)، فازدادت اعداد السائرين في الزيارة الأربعينية من داخل العراق وخارجه غير عابئين بعمليات التفجير التي كان يقوم بها الارهابيون والنواصب لمنع الزيارة الحسينية وارهاب المؤمنين ومنعهم من التشرف بهذه الزيارة، وأصبحت هذه الزيارات مليونية تفوق كل التوقعات والحسابات.

يهدف هذا البحث الى تتبع الزيارة الاربعينية وابعادها الانسانية من خلال عقد اللقاءات والمقابلات الشخصية مع عدد من أصحاب المواكب الحسينية وبعض زوار الامام الحسين (عليه السلام) وأخذ آرائهم وانطباعاتهم بها، ولم يقتصر الأمر على

العراقيين فحسب، وانما كان للإيرانيين وبعض البحارنة وابناء القطيف آرائهم ومشاهداتهم عبروا من خلالها عن أسمى درجات العشق الحسيني في أكبر تجمع تشهده الانسانية كل عام.

لماذا المسير إلى كربلاء المقدسة في أربعينية الامام الحسين (عليه السلام)

على الرغم من المحاولات التي قام بها أعداء الثورة الحسينية لطمس حقيقة هذه الملحمة، واخفاء معالمها الأصيلة في اظهار الحق ومحاربة الباطل، الا انهم لم يستطيعوا تحقيق ذلك رغم ما مارسوه من اساليب وما اتبعوه من وسائل متعددة لان الله سبحانه وتعالى " انبأنا عبر جبرائيل (عليه السلام) عبر النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) عبر أمير المؤمنين، عبر السبط الشهيد، عبر السيدة زينب (عليهم السلام): ان الله سيبعث أقواماً لا تعرفهم جبابرة الأرض، ينصبون في هذا الطف – أي كربلاء علماً يستضيء أهل العالم به، لا يزداد يوماً بعد يوم الا سناءً وعلواً، ويجتهد ائمة الكفر على أن يطمسوا أثره، ولكنهم لا يقدرون على ذلك أبداً "[1].

وتأسيساً على ذلك فان الثورة الحسينية لم تكن ثورة آنية تنتهي بزمانها وتنحصر بمكانها، وانما هي ثورة مستمرة على مدى الزمن لأنها قادرة على تحريك الضمائر لأنها قدوة صالحة دائمة على طول التاريخ، وهي الدواء الحقيقي لخوار وضعف الانسان، فتأتي زيارة الاربعين لتهز الضمائر وتوقظاها من سباتها ليقفوا بوجه الطغاة على امتداد التاريخ الانساني[2]، فلم يستطع هؤلاء ان يمنعوا هذه الزيارة، وفشلت أساليبهم المادية ومغرياتهم الحياتية في إعاقة سيرهم الى الامام الحسين (عليه السلام) في يوم الاربعين، وتناسوا ان هذه الزيارة لم تكن بدعة أو تبجحاً يقوم به البعض لغرض ما أو مغنم دنيوي. فقد

---

١) مقتبس من : محمد تقي المدرسي، عاشوراء مدرسة ومنهاج ،طهران ، ٢٠١٤م، ص٥٥_٥٦.

٢) حسين الجعفري، ثورة الامام الحسين (عليه السلام) عَبرة وعِبرة، قم المقدسة، ١٣٩٠ش ، ص ١٧.

خاطبت الحوراء زينب (عليها السلام) ابن أخيها الامام زين العابدين (عليه السلام) قائلة له:

"وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن ائمة الكفر واشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره الا ظهوراً وأمره الا علواً "[1].

أن أي تحليل للثورة الحسينية يقودنا للقول بان نهضة الامام الحسين (عليه السلام) كانت نهضة إلهية خالدة، لا يمكن للبشر ان يمنع آفاقها، لأنها لم تشذ عن سنن الخالق سبحانه وتعالى قيد أنملة، وعبرت عن تخطيط الهي متكامل، فهي لم تكن " تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحكام" ولكن كما قال سيد الشهداء (عليه السلام) في مخاطبته لله سبحانه وتعالى "لنري المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك"[2].

إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في أربعينيته لها ثواب عظيم، ومصداق ذلك ما قاله الامام جعفر الصادق (عليه السلام) عندما أكد إن "من زار الحسين محتسباً لا أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، محصت عنه ذنوبه كما يمحص الثوب بالماء، فلا يبقى عليه دنس ويكتب له بكل خطوة حجة وكل ما رفع قدماً عمرة"[3].

---

١) مقتبس من : كامل الزيارات ، ص ٢٦٢.

٢) مقتبس من: تحف العقول ، ص ٢٣٩.

٣) مقتبس من: كامل الزيارات ، ص ١٤٤.

الزيارة الحسينية عبر التاريخ:

عد المؤرخون زيارة الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) لوالده الحسين (عليه السلام) في اربعينية أول زيارة له في التاريخ فأرسى تقليداً سار عليه المؤمنون من بعده، فالتقى بالصحابي جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) الذي أعتق عبده اعتزازاً بهذه المناسبة، ولم تنفع أساليب الامويين والعباسيين في منع اتباع أهل البيت (عليهم السلام) من زيارة الأربعين، فحدثتنا هذه الكتب التاريخية عن وضع الحكام الطغاة لعوائق كثيرة من أجل منع الزيارة الاربعينية ابتداءً من قطع الايدي اليمنى ثم اليسرى لزائري الاربعين اكثر من مرة، ودفع مبالغ كبيرة لا يستطيع الفقراء دفعها، وما الى ذلك من أساليب وحشية تدلل على معاداتهم لأهل البيت (عليهم السلام).

وفي تاريخنا الحديث والمعاصر نماذج مشرقة لأهمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في أربعينيته ودور المجالس الحسينية في دعم الزائرين والسائرين في الركب الحسيني المقدس الذين رووا بدمائهم الزكية أرض كربلاء المقدسة وقال عنهم سيد الشهداء (عليه السلام) "إني لا أعرف اهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي"[1].

لقد تعرض السائرون في اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) الى صعوبات شتى، وعانوا من الانظمة السياسية الطائفية، ففي العهد الجمهوري الثاني وابان حكم الرئيس عبد السلام محمد عارف (١٩٦٣ـ١٩٦٦) عانى المؤمنون من اساليب نظامه، ومنعهم من اداء الزيارة الاربعينية بشتى الاعتذار والحجج، وكلفت دائرة خاصة في الامن السياسي لمتابعة مسؤولي المواكب وعناوينهم واتجاهاتهم السياسية وتحركاتهم وتأثيرهم الديني على زوارهم، ولم يسمح لأي موكب حسيني بالعمل الا بعد استحصال موافقة هذه الدائرة الامنية وتوقيع تعهد يلزم صاحب الموكب ومسؤوله بان يخبر الامن عن أي شعار أو

١) مقتبس من : الصدوق، الامالي ، قم المقدسة ، د.ت، ص ١٥٦.

(ردة حسينية) تعهدها الحكومة العارفية مساساً بها حسب مزاجها السياسي. ولم يكتف رجال الأمن بذلك، وانما كانوا يجندون عدداً من رجالاتهم للانخراط بين صفوف الزوار للاستماع الى احاديثهم اثناء المسيرة الاربعينية، واعتقال من يعتقدون انه يشكل خطراً على النظام، وحظر الموكب عن عمله في العام القادم وما الى ذلك من أساليب تعسفية عانى منها اتباع أهل البيت (عليه لسلام) طوال حكم عبد السلام محمد عارف حتى سقوط طائرته في (النشوة) بمحافظة البصرة في السادس عشر من نيسان عام ١٩٦٦[١].

تسلط لنا وثائق وزارة الداخلية – الأمن العامة- مكتب التحقيق السياسي معاناة الزوار المؤمنين من أساليب الاجهزة الامنية لنظام عبد السلام عارف، فقد ابلغت هذه الأجهزة متصرفية لواء كربلاء بضرورة مراقبه المواكب الحسينية وتكليف مفارز امنيه لمتابعة المواكب القادمة من المحافظات الوسطة والجنوبية والتحقيق في ميول وهويات و رؤساء المواكب وقراءها ورواديدها، وعدم السماح لهم بقراءة الردأة الا بعد المصادقة عليها كما تم ابلاغ الالوية التي تنطلق منها هذه المواكب بضرورة اعلام الاجهزة الامنية بموعد وساعة حركة المواكب وتنسيب عدد من ضباط الصف والشرطة للمسير معها ومراقبتها[٢].

كانت الاجهزة الامنية لنظام عبد السلام عارف تأخذ تعهدات وكفالات من رؤساء المواكب الحسينية والرواديد قبل اكثر من خمسة عشر يوماً من موعد زيارة العشرين من صفر وترسلها الى الامن العامة للاطلاع عليها وحفظها لديها مع ارسال نسخ منها الى متصرفيات الالوية التابعة لها هذه المواكب والى متصرفية لواء كربلاء[٣].

---

١) حنا بطاطو، العراق . الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، الكتاب الثالث ، ترجمة : عفيف الرزاز، بيروت ، ١٩٩٠، ص ٩٠ ـ ٩١.

٢) مقابلة شخصية مع السيد هيثم علي حسين في داره ببغداد بتاريخ ٢٠١٦/٩/١٠.

٣) مقابلة شخصية مع حيدر الحداد في داره ببغداد بتاريخ ٢٠١٥/١١/١١.

تضمنت تعليمات وزارة الداخلية- مديرة المخابرات السرية والسياسية في كتابها (سري للغاية) الذي ارسلته إلى متصرفيات الالوية العراقية كافة عدا (اربيل والسليمانية والموصل والرمادي) التعليمات الخاصة بالزيارة الاربعينية، وتضمنت تحديد عدد المواكب لكل محافظة بموكب واحد او اثنين على الاكثر لكل مدينة على ان تكون من المواكب القديمة والمعروفة وسبق لها ان اجيزت ولم يبدر منها ما يخالف الاوامر والتعليمات الصادرة، ومنعت التعليمات منح اي اجازة لموكب في مدينة معينة بداعي انه يمثل غيرها في لواء اخر بل يجب اقتصار الاجازة على مواكب اهالي اللواء فقط. وتقرر ان تؤخذ كفالة مالية مصدقة من كاتب العدل يؤيدها اربعة اشخاص على الاقل من رؤساء المواكب على ان يكونوا من الذين يمتلكون كفالة مالية ولا ينتمون لأي حزب سياسي ومعرفون من قبل السلطة الادارية، وان يلتزموا بالكفالة الموقعة من قبلهم، واشترطت التعليمات ان يقدم رؤساء المواكب اسماء الرادود او الرواديد في المواكب، وبعد موافقة السلطة الادارية عليهم تؤخذ منهم الكفالات ايضاً لعدم الخروج عن نص الردات التي اطلعت عليها السلطة الإدارية او تغييرها او اضافة شيء اليها، وتقرر ان تقوم مديرية شرطة اللواء المختص بمدة مناسبة بإخبار شرطة لواء كربلاء بالتفاصيل الكافية عن عدد المواكب واسماء رؤسائها والكفالات المأخوذة منهم وما الى ذلك من المعلومات اللازمة[1].

كان اخطر ما تضمنته تعليمات وزارة الداخلية الى متصرفيها الالوية هو ((منع سفر المواكب الى كربلاء مشياً على الاقدام منعاً باتاً))، كما اشترطت التعليمات على المتصرفيات المختصة ومديرية الامن العامة إخبار متصرفية لواء كربلاء فوراً بكل ما يتحصل لديها من معلومات عن ما يروج من تعليمات سرية وما يجري في الخفاء حول المواكب لكي ((تكون المتصرفية المذكورة على بينة منها وتأخذ ما يلزم لمعالجتها بالطريقة التي تراها مناسبة))، وطلبت وزارة الداخلية من متصرفيات الالوية التي تنطلق منها

١) مقابلة شخصية مع هيثم الصودي في داره بالدغارة بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٠.

المواكب الحسينية ان تكلف معاون شرطة او معاون امن لكي يرافق المواكب المتجهة الى كربلاء المقدسة[1].

واقترحت مديرية الامن العامة – مكتب التحقيق السياسي – الشعبة الرابعة في كتاب ارسلته الى وزارة الداخلية ان يتم تشكيل لجان في مركز الالوية تضم ممثلين عن الامن والشرطة والادارة قبل موسم زيارة اربعينية الامام الحسين (علية السلام) بوقت مناسب لإجازة او منع المواكب ((حسب متطلبات المصلحة العامة)) على حد ما جاء في مقترحها نصاً[2].

لم تتردد الاجهزة الامنية في الالوة التي انطلقت منها المواكب الحسينية في اتخاذ الاجراءات القانونية بحق اصحاب المواكب وروايد والزوار الذين قاموا بالزيارة الاربعينية عام ١٩٦٥ ، فقد تم توقيف رادود موكب عزاء (غماس) التابعة لقضاء الشامية، وثمانية عشر زائراً من اهالي الشامية والنواحي التابعة لها، وادعت معاونيه امن الديوانية التي يتبعها هذا القضاء استناداً الى كتاب مفوض امن الشامية في ٢٠/ تموز /١٩٦٥ ان هؤلاء هم من (الشيوعيين الذين حضروا مواكب عزاء ٢٠ صفر في كربلاء)[3].

ويلاحظ من هذا الكتاب ان الاجهزة الامنية حاولت ان ترسم صورة مزيفة لسلوكيات واتجاهات بعض العناصر المشاركة في المواكب الحسينية بشكل يتنافى مع سلوك المؤمنين الملتزمين بالخط الحسيني الخالد.

إن هذه الاساليب التعسفية والقمعية التي لم تقتصر على هذه الحادثة وغيرها وانما شملت احداثاً اخرى كانت نابعة من طائفية عبد السلام عارف وكرهه للشيعة ولم يكن

---

١) مقتبس من " بحار الانوار ،ج٤٤ ، قم المقدسة ، ص٣٢٩.

٢) المجلسي، مقابلة شخصية مع الطالب علي عبدالله في مشهد المقدسة بتاريخ ٢٠١٥/٨/١١.

٣) مقابلة شخصية مع عليرضا طهراني في مرقد ناصر بن الامام موسى الكاظم (عليه السلام) بتجريش بتاريخ ٢٠١٦/٩/٣٠.

ذلك غريباً عليه، إذ صرح قبل تسنمه السلطة لاحد الضباط الاحرار الذين قاموا بإسقاط النظام الملكي في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ بأنعم سينفذون الثورة ((وهناك ثلاث جماعات يجب استئصالها وهم الاكراد والمسيحيون والشيعة))[١]، وكان ذلك امراً طبيعياً بالنسبة له إذ نشاء في محيط اجتماعي ضيق تسوده نزعة طائفية [٢].

وفي عهد حكومة البعث المقبور (١٩٦٨ـ ٢٠٠٣) تفنن البعثيون في محاربة السائرين الى الزيارة الاربعينية، فجند رجال الأمن وأعضاء حزبه المقبور لمتابعة كل من يقوم بطبخ الطعام وتوزيعه على الناس، ووصل الحال به إلى توجيه جلاوزته بوضع النفط في الاكل المعد لزوار الامام الحسين (عليه السلام) ورفع المنظمات الحزبية تقارير عن أصحاب المواكب الذين كانوا معرضين للاعتقال والسجن في أي لحظة بحجة أو بأخرى، وكانت همهم جاهزة وهي الانتماء للأحزاب محظورة أو "معادية" لحزب البعث المقبور، وكلف النظام البعثي اجهزته المختلفة من شرطة وأمن وجهاز حزبي بالانخراط في صفوف الزوار وافتعال المشاكل معهم ليتخذ من ذلك ذريعة لمنع الزيارة والادعاء بانها مسيرات مسيسة ومعادية " للحزب والثورة"، وكلف النظام البعثي نقابة النقل الخاص لفرض غرامات على السواق الذين يقومون بنقل الزوار من كبار السن والنساء والاطفال الى كربلاء المقدسة ومنع هذه السيارات من الوصول اليها في محاولة منه للتقليل من اعداد الزوار أو منعهم من الزيارة الاربعينية، كما قام هذا النظام بمنع الزوار من المشي على الطرق العامة الموصلة الى مرقد الامام الحسين (عليه السلام) فاضطر الزوار لاختيار الطرق الزراعية البعيدة عن انظار ورجال السلطة وجلاوزتها، الأمر الذي كان

١) مقابلة شخصية مع صالح عباس الطائي في داره بمنطقة الحسينية ، كربلاء المقدسة بتاريخ ٢٠١٥/١١/١١.
٢) مقابلة شخصية مع حسين علي الساعدي في داره ببغداد بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٠.

يدفع بعدد من المؤمنين لمراقبة هذه الطرق وايصال الزوار الى مضافات أمينة يرتاح فيها الزوار ويبيتون فيها حتى يتم ايصالهم بأمان الى كربلاء المقدسة[1].

وعلى صعيد آخر استنفر النظام البعثي كل اجهزته الامنية والحزبية في ايام الزيارة الاربعينية، فضلاً عن بعض افواج الحرس الخاص التابع له لمطاردة الزوار ومنعهم من اداء مراسيم الزيارة، فكانت هذه الاجهزة تقطع الطرق وتضع العراقيل أمام أصحاب المواكب وتفتعل كل ما من شأنه منع الزوار من الوصول الى كربلاء المقدسة، كما انها لم تتورع عن اعتقال الاشخاص الذين يقومون بخدمة الزوار في بيوتهم وتبقيهم لديها الى ما بعد انتهاء الزيارة أو الحكم عليهم بتهمة ما دون مبرر قانوني.

كانت هذه المواكب الحسينية شوكة في عيون صدام حسين وازلام حزبه لان هذه المواكب والظاهر الايمانية ((هي التي زرعت في نفوس وقلوب الاجيال حب الحسين (علية السلام) وحب الاسلام، وبالتالي يجب ان تبقى)) حسبما أكّده السيد محمد باقر

١) محمد تقي المدرسي ، المصدر السابق ،ص ١٠٠.

الصدر [1] (قدس الله سره) وكان يأمر المقربين منه بضرورة تقديم الاموال لكافة المواكب وعدم رد اي طلب من اي مواكب صغيراً كان ام كبيراً [2].

شهد شهر صفر عام ١٣٩٧ه / ١٩٧٧م انتفاضة حسينية كبيرة قام بها المؤمنون الابطال اثناء المسيرة الكبرى من النجف الاشرف الى كربلاء المقدسة بمناسبة اربعينية الامام الحسين (علية السلام) وشارك فيها مئات الآلاف من المؤمنين تحدياً للسلطة البعثية[3] التي منعت اقامة الشعائر الحسينية في عموم العراق[4] فاصطدمت الاجهزة الامنية البعثية بجموع الزوار في اكثر من مواقع على طريق النجف الاشرف – كربلاء المقدسة، كان اعنفها الذي حصل في منطقة (الحيدرية) الأمر الذي أدى الى تدخل الجيش والطائرات المقاتلة للقضاء على هذه الانتفاضة المباركة، لكن الزوار المؤمنين لم يكترثوا بالقوات المرسلة لقمعهم من سمتيات ودبابات الجيش والاجهزة الامنية الاخرى ورفعوا علماً اخضر اللون (وهو لون الاسلام)، وهتفوا بأن (يد الله فوق ايديهم) في رسالة

---

١) ولد في مدينة الكاظمية المقدسة في ٢٨ شباط ١٩٣٥ من عائلة دينية وجهادية معروفة، وتوفي والده السيد حيدر الصدر وله من العمر ثلاث سنوات، فكفله شقيقه الأكبر السيد اسماعيل الصدر. دخل مدرسة منتدى النشر الابتدائية في مدينة الكاظمية المقدسة، وكان من المتفوقين في دراسته، انتقلت عائلته إلى النجف الأشرف فأكمل دراسته الحوزوية هناك، ومنذ عام ١٩٥٩ تفرغ لإلقاء دروس البحث الخارج في علوم الفقه الاسلامي، يعد أحد أهم مؤسسي الفكر الإسلامي في العراق، وأحد أبرز المفكرين الإسلاميين، اعتقل وعذب مرات عدة في ظل النظام البعثي المجرم حتى استشهاده في الثامن من نيسان عام ١٩٨٠ ودفن بشكل سري في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف، للتفصيل عن حياته وجهاده يراجع: محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر. سنوات المحنة وأيام الحصار، عرض لسيرته الذاتية ومسيرته السياسية الجهادية، لندن، ١٩٩٧، مهند عبد الكريم خلف أبو رغيف، محمد باقر الصدر، حياته ودوره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٥.

٢) صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ١٩٠٠-٢٠٠٢، بغداد، ٢٠١١، ص٣٤٢.

٣) جويس ويلي، الحركة الاسلامية الشيعية في العراق، ترجمة: مصطفى نعمان أحمد وهناك خليف غني، بغداد، ٢٠١١، ص١٠١.

٤) حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص١٥١.

واضحة للحكومة البعثية والتنديد بممارساتها المعادية للمسيرة الحسينية وهتفوا بشعار[1]:

كل الشعب ضدك

يا بعث، لا نريدك

تابع علماء الدين الاعلام هذه الانتفاضة المباركة، فارسل السيد محمد باقر الصدر (قدس الله سره) ممثلاً عنه هو السيد محمد باقر الحكيم (قدس الله سره) لتوجيه خطابهم الديني بالشكل الذي يحقق اهداف الانتفاضة، ويعزز صمود الثوار بوجه السلطة البعثية الغاشمة، واشعارهم بأن المرجعية الدينية العليا معهم في موقفهم البطولي الرائع [2].

لم يتردد النظام البعثي القمعي من اعتقال اعداد غفيرة من ثوار الانتفاضة، فضلاً عن قتل اعداد اخرى، وشكل في نهاية شباط ١٩٧٧ محكمة خاصة برئاسة عزة مصطفى وزير العمل والشؤون الاجتماعية وفليح حسن الجاسم وزير الدولة وحسن العامري وزير التجارة للتحقيق في الاحداث، فتم اصدار احكام اعدام بحق ثمانية ثوار وحكم على خمسة عشر آخرين بالسجن المؤبد مدى الحياة، وعد النظام البعثي المقبور ان هذه الاحكام (مخففة جداً) فتم طرد اثنين من اعضاء المحكمة وهما عزة مصطفى وفليح حسن الجاسم من منصبيهما الوزاريين ومن عضوية قيادة الحزب المقبور[3].

وعقب الانتفاضة شنت السلطة البعثية حملة اعتقالات واسعة شملت أكثر من عشرة آلاف شخص، ممارسة كل انواع التعذيب معهم، كما اعتقلت السيد محمد باقر

---

١) جويس ويلي، المصدر السابق، ص١٠١.

٢) حازم صاغية، بعث العراق، سلطة صدام قياما وحطاما، بيروت، ٢٠٠٣، ص١١٢.

٣) ماريون فاروق سلوغت، وبيتر سلوغت، من الثورة إلى الدكتاتورية. العراق منذ ١٩٥٨، ترجمة: مالك النبراسي، لندن، ٢٠٠٣، ص٢٦٥.

الحكيم (قدس الله سره) وحكمت عليه بالسجن المؤبد، كما اعتقلت السيد محمد باقر الصدر (قدس الله سره)، وتتم نقلة الى بغداد حيث مورس معه انواع التعذيب ثم اطلق سراحه بعد الوعيد والتهديد، لتبقى آثار التعذيب واضحة على جسده الطاهر، حتى انه ان لا يقوى على صعود السلم الا بصعوبة بالغة [1].

وخلال السنوات اللاحقة استمر نظام البعث المقبور في ممارسته القمعية ضد المسيرة الاربعينية للإمام الحسين (علية السلام)، وتحمل الزوار انواع الصعوبات والمشاق من اجل هذه المسيرة وتضحيات امامهم الخالد وتمسكهم بأداء الشعائر الاسلامية وحرصهم عليها [2].

يسلط لنا هيثم العبودي أحد ابناء مدينة الدغارة التابعة لمحافظة الديوانية الضوء على الصعوبات التي كان يواجهها زوار الاربعينية أيام النظام البعثي قائلاً: " كان والدي يكلفنا بالذهاب الى البساتين والمناطق القريبة من الدغارة لاستقبال اتباع أهل البيت (عليه السلام) وجلبهم الى جدارنا لأخذ قسط من الراحة والمبيت فيه بعد تناول الطعام المخصص لهم وكنا نأخذ معنا اخواتنا لكي يطمئن الزائرون الذين ترافقهم النساء من اننا لسنا من ازلام السلطة، وتعود الزائرون سنة بعد أخرى على المجيء الى دارنا لانهم تأكدوا من ضيافتنا لهم حتى وشى بنا احد البعثيين ليتم استدعائي الى المنظمة الحزبية وتهديدي بالسجن اذا ما استمريت في عملي الجهادي. وبالفعل وقعت تعهداً بذلك، الا انني لم التزم به لان حب الامام الحسين (عليه السلام) كان يشدني الى ممارسة خدمة الزوار، فتعرضت بسبب ذلك الى الاعتقال والسجن[3] أكثر من مرة.."[1].

---

١) صلاح مهدي علي الفضلي، المصدر السابق، ص٣٤٥.

٢) صلاح الفضلي، السيد الشهيد محمد باقر الصدر وأثره في تاريخ العراق المعاصر، بغداد، ٢٠٠٥، ص١٥٤.

٣) للتفصيل عن أساليب تعذي المعتقلين. يراجع حسن شبر، صفحات سوداء من بعث العراق، الطبعة الثالثة، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٧١ – ١٩٥.

١) مقابلة شخصية مع هيثم العبودي في داره بمدينة (الدغارة) التابعة لمحافظة الديوانية بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ٢٠١٥.

الخاتمة

إن الزيارة الأربعينية ستظل نبراساً لكل السائرين في طريق الحق، وسوف تزداد سنة بعد أخرى، فهي طريق المؤمنين أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين سينهلون من هذه الذكرى دروساً في التضحية والفداء ومحاربة الظلم والفساد والطغيان أينما وجد، وسوف لن تثنيهم كل أساليب المارقين والحاقدين عن السير في (طريق الشوكة) لأنه الطريق الموصل الى الجنة.

الأثر التربوي والأخلاقي للمجلس الحسيني في الزيارة الأربعينية

الباحث

م. علاء إبراهيم رزوقي الموسوي

جامعة بابل - كلية التربية الاساسية

الشعائر الحسينية

إن الشعائر الحسينية هي أحدى المناهج الهامّة التي انتهجها أهل البيت في بناء الامة الإسلامية اذ أنها تستلهم مبادئها من ثورة الحسين (عليه السلام)وتؤكد أهدافها، وهي مناهج ذات جوانب متعددة سياسية وثقافية وعقائدية وروحية.

وقد وضع الأئمة (عليهم السلام)التصميم العام لهذه الشعائر، وأعطوها أبعادها الدينية الكاملة، وحددوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لا بد لها أن تؤديه، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة وأتباع أهل البيت(عليهم السلام)،ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية

ولا شكّ أن نهضة الحسين (عليه السلام) كان لها تأثير بالغ وكبير في حركة التأريخ الإسلامي وحياة المسلمين عامة، بحيث أدت مبادئها واهدافها الواقعية في حركة الأمة إلى حفظ الاسلام والأمة الاسلامية من كثير من مخاطر الانحراف. وإن الشعائر الحسينية كان لها دور آخر مكمّل لدور الثورة نفسها وهو الدور التربوي للمجتمع الاسلامي عامة وللموالين خاصة.

القسم الأول:- أهداف الشعائر الحسينية

هناك عدة اهداف للشعائر الحسينية بصورة خاصة منها:

الهدف الاول:من أهمّ أهداف الشعائر الحسينيّة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[1] ممّا يدلّل على أنّ الشارع يريد إحياء هذه الفريضة.. وأنّ تقديم هذه الأمة وأفضليّتها على سائر الأمم من الأوّلين والآخرين هو نتيجة إقامة هذه الفريضة وهذا الاحياء وهو إنّما يتحقق بإقامة الشعائر الحسينيّة بل هي أوضح المظاهر لإحيائها، لأنّ الأغراض والغايات المطويّة في النهضة الحسينيّة لا بدّ أنّها تنتهي بالتالي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي منها تجديد إنكار كلّ مظاهر الانحراف السارية في المجتمع، وإقامة كلّ معروف ترك من حياة الأمة الإسلامية على الصعيدَين السلوكيّ والعقيديّ، فهي نوع من حالة الصحوة والسلامة والتوبة الدينيّة من خلال مواسم ومراسم الشعائر الحسينيّة.

وورد العديد من الآيات في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل: ﴿ وَلِتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ، ومقتضى أدلّة إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستلزم في مقدّماتها التذكير بهذه الفريضة وإحيائها عبر إحياء الداعي النفسيّ لدى المؤمنين والمتديّنين وتحريضهم نحو أداء هذه الفريضة، وأكبر تحريض هو نفس ما قام به أبو الأحرار وسيّد الشهداء (عليه السلام)من إيقاظ الناس من سُباتهم العميق وإحياء نفوسهم بالعدل والهدى، وتحريرهم من الظلم والرذيلة والهوى، وتربيتهم على عدم الخنوع والخضوع للطغاة والتخاذل، وذلك بإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهما كلّف الأمر، وأينما بلغت التضحية.

---

١) ال عمران:١١٠

الهدف الثاني: اعلان المودة والتولي لأهل البيت (عليهم السلام) والتبري من اعدائهم.

فرض الباري تعالى مودّة أهل البيت (عليهم السلام) على الناس، بل وجعل هذه الفريضة من عظائم الفرائض القرآنيّة في قوله تعالى:﴿ذلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1]،حيث جعل المودّة أجراً على مجموع الرسالة المشتملة على أصول الدين العظيمة، ممّا يدلّل على كون هذه الفريضة في مصاف أصول الديانة، ثم بيّن تعالى أنّ المودّة لها لوازم وأحكام منها:

١ـ الإتّباع كما في قوله تعالى﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[2]، ومنها الإخبات والإيمان بذلك كما في قوله تعالى:﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[3] عن الصادق(عليه السلام) في تفسير هذه الآية (يعني أمير المؤمنين(عليه السلام))[4].

٢ـ الحزن لحزنهم والفرح لفرحهم كما في قوله: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾[5] فبيّن تعالى بدلالة المفهوم ؛ أنّ العداوة مقتضاها الحزن لفرح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته والفرح لمصيبته (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته: فالمحبة تقتضي الحزن لمصابهم والفرح لفرحهم، ونظير هذه الدلالة قوله تعالى﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبُرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُكُمْ ﴾[6]، فعلى هذه الدلالة القرآنيّة يكون العزاء وإقامة المأتم والرثاء والندبة على مصاب السبط بضعة المصطفى

---

١) الشورى:٢٣.

٢) ال عمران:٣١.

٣) الحجرات:٧.

٤) البحراني، هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية(مؤسسة البعثة، قم، د.ت)ج٥،ص١٠٥.

٥) التوبة:٥٠.

٦) ال عمران:٥٠.

سيّد شباب أهل الجنة ريحانة الرسول الأمين من مقتضيات الفريضة العظيمة الخالدة بخلود الدين، وهي مودة القربى.

٣ـ اللعن لأعدائهم: وأمر سبحانه ـبلعن أعداء آل محمّد في كتابه حيث يقول: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[١] والألف واللام للجنس، ولا أحد من الخلق أظلم ممّن أنكر فضل محمّد (صلى الله عليه وآله)وفضل أهل بيته (عليه السلام)، وقدم عدوّهم عليهم، وأثبت له مقامهم الذي جعله الله لهم، وجحد العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على سائر العباد لهم، وأنكر وجوب طاعتهم قال الله:﴿ مِمَّنِ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾[٢].وقد روي عن الصادق(عليه السلام):(إنّ الآيات في باطن القرآن هم آل محمّد (عليهم السلام))[٣]، فلا أظلم ممّن كذّب بفضل آل محمّد وأنكر إمامتهم وولايتهم.

ـ وقال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٤]فيجب اللعن لأعداء آل محمّد(عليهم السلام)تأسّياً بآل محمّد المتأسّين بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)المتأسّي بالله تعالى.

ـ قال الصادق (عليه السلام): (لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون فيه سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه، وسنّة من ذرّيّتهم)[٥]. وهذا يدلّ على الأمر بالاستنان بالله وبرسوله وبوصيّه وبآله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ـ كما روى المغربي في شرح الاخبار: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا سفيان يوما "راكبا " ومعاوية يقود به ويزيد يسوق، فقال: (اللهم العن الراكب والقائد والسائق) [٦].

---

١) هود:١٨.

٢) الأنعام: ١٥٧.

٣) الحلّي: عزّ الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد، المحتضر،تحقيق: سيد علي أشرف(المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٢ ـ ١٤٢٤ ه)ص٦٩

٤) الأحزاب:٢١.

٥) الكليني،أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الفروع من الكافي، علق عليه: علي أكبر الغفاري(دار الكتب الاسلامية، ايران،١٣٦٧)ج٢،ص ٢٤١

٦) المغربي،أبي حنيفة،شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار،تحقيق:محمد الجلالي(مؤسسة النشر الاسلامي، ايران،قم،،د.ت) ج٥، ص١٤٦

ـ وروي عن أنس بن مالك قال: كنت عند عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)في الشهر الذي أُصيب فيه، وهو شهر رمضان، فدعا ابنه الحسن (عليه السلام) ثمّ قال له: يا أبا محمّد ! إعل المنبر فاحمد الله كثيراً واثن عليه واذكر جدّك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأحسن الذكر وقل: لعن الله ولداً عقّ أبويه ـ ثلاثاً ـ، لعن الله عبداً أبق من مواليه، لعن الله غنماً ضلّت عن الراعي، وانزل. فلمّا فرغ من خطبته ونزل اجتمع إليه الناس فقالوا: يا بن رسول الله! أنبئنا. فقال لهم: الجواب عند أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): كنت مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)في صلاة صلاّها، فضرب بيده اليمنى إلى يدي اليمنى فاجتذبها وضمّها إلى صدره ضمّاً شديداً ثمّ قال [لي]: يا علي! قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة فلعن الله من عقّنا، قل: آمين. فقلت: آمين. [ثمّ] قال: وأنا وأنت موليا هذه الأُمّة فلعن الله من أبق عنّا، قل: آمين. فقلت: آمين. قال: وأنا وأنت راعيا هذه الأُمّة فلعن الله من ضلّ عنّا، قل: آمين. فقلت: آمين. قال عليّ (عليه السلام): وسمعت قائلين يقولون معي: آمين، فقلت: يا رسول الله ! [و]

من القائلان معي آمين ؟فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): جبرئيل وميكائيل[1].

ـ وقال الامام علي(عليه السلام):(عشر خصال من لقي الله بهن دخل الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله..... والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله، واجتناب كل منكر)[2].

وهذه الآيات الكريمة والروايات تصبّ في مصبّ واحد وهو مودة أهل البيت (عليهم السلام) ووجوب اللعن و البراءة من أعدائهم، وتعتبر دليلا معتمداً في باب الشعائر الحسينيّة، إذ أنّ الأسى والتألّم لمصابهم، والحزن لحزنهم هو نوع من التولّي لهم والتبرّي من أعدائهم، ويكون كاشفاً عن التضامن معهم والوقوف في صفّهم.

---

١) الحلّي، المختصر، ص٧٣

٢) الواسطي، علي بن محمد الليثي،عيون الحكم والمواعظ،التحقيق: حسين الحسني البيرجندي الناشر(دار الحديث، قم: ١٣٧٦)ص٣٤٣

الهدف الثالث: إحياء أمر الأئمّة (عليهم السلام)

وهذا العنوان وان كان له عدة مصاديق إلا ان الغالب في إحياء أمرهم(عليهم السلام) يظهر في إحياء الشعائر والعزاء الحسينيّ ومذاكرة ما جرى على أهل البيت (عليه السلام) من مصائب. فيتناول الشعائر الحسينيّة سواء المرسومة في زمنهم (عليهم السلام)أو المستجدّة والمستحدثة، ولا يقتصر على الشعائر القديمة.

وقد وردت روايات في مصادر معتبرة في الحث على احياء امرهم (عليهم السلام)منها ما قال الباقر (عليه السلام): (أحيوا أمرنا، رحم اللّه من أحيا أمرنا)* وفي حديث آخر قال (عليه السلام): (من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر اللّه له [ذنوبه])* وقال الصادق (عليه السلام): (تزاوروا، وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه)[1].

ويروى ان الامام الرضا(عليه السلام) اقام عزاء في داره عندما القى عليه دعبل الخزاعي قصيدته التائية:

أفاطمُ لو خِلْتِ الحسينَ مُجَدّلا وقد مات عطشاناً بشطّ فراتِ

إذاً للطَمتِ الخدَّ فاطمُ عندَه وأجريتِ دَمْعَ العين في الوَجَناتِ

وقد تأثر الامام كأشد ما يكون التأثر في الأبيات التي رثى بها دعبل الإمام الحسين (عليه السلام) فقد بكى الامام أمر البكاء، وأغمي عليه غير مرة، فقد نخبت قلبه فاجعة كربلا، وكان يقول: (إن أمر الحسين أسهر جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، يا ارض كرب وبلاء أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فان البكاء عليه يحط الذنوب والعظام)[2]

---

١) *-*- العاملي، محمد بن الحسن الحرّ، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السّلام،تحقيق: قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية (مجمع البحوث الإسلامية،ايران، مشهد، ١٤١٤ هـ. ق)جـ٥،.ص١٣٧.

٢) القرشي، باقر شريف،حياة الإمام الرضا (ع)(انتشارات سعيد بن جبير، ايران،قم،،١٣٧٢ هـ. ش)ص٣٣٥

الهدف الرابع: الحثّ على زيارتهم وتعمير قبورهم وتعاهدها.

ويتّضح من ألفاظ وأسلوب الزيارة أنّها نوع ندبة ومأتم يقيمه المؤمن خلال فترة الزيارة، ليتذكّر من خلاله ما جرى عليهم من مصائب. ونذكر هنا للقارىء الكريم عدة مصادر معتبرة في الزيارات منها:

ـ جمع صاحب وسائل الشيعة الشيخ الحرّ العامليّ قدس سره في هذا العنوان ـ الحثّ على زيارتهم (عليهم السلام) وتعاهد قبورهم وتعميرها والترغيب في الرثاء وإنشاد الشعر لمصابهم، وأيضاً الأمر بالبكاء على مصائبهم وما جرى عليهم (عليهم السلام).

ـ ينقل صاحب البحار العلاّمة المجلسيّ قدس سره أيضاً، عن غير المصادر التي ينقل عنها صاحب الوسائل، وقد عقد في البحار كتاباً للمزار ج ١٠٠.

ـ ابن قولويه فقد ألّف كتاباً خاصّاً في ذلك، وهو كتاب: كامل الزيارات وهو كتاب يختصّ في هذا الباب.. وكذلك صنع تلميذُه الشيخ المفيد في المزار والشيخ الطوسيّ في مصباح المتهجّد..

ـ أمّا ابن طاووس فقد أكثر في هذا الباب العشرات من الكتب نقلا عن المئات من المصادر التي وصلت إليه.

ـ كما عقد ابن إدريس في السرائر باباً للمزار.. ويلاحظ هذا الطرز من إدخال باب المزار في كتب الفقه ممّا

يدلّ على كون ذلك ظاهرة منتشرة في كتب الفقهاء في الصدر الأوّل، بدءاً بالمقنع والهداية للصدوق ورسالة أبيه الشيخ ابن بابويه، والمفيد في المقنعة وهناك متناثرات عديدة في ذلك.

فالمستقرئ في كتب الشيعة يرى أنّ هناك مصادر عديدة تحتوي هذه العناوين المتنوّعة، من الزيارة وتعهّد القبور والرثاء في الشعر والنثر وثواب البكاء وما شابه ذلك.

الشعيرة الحسينية وتحقيق أهداف الثورة الحسينية

إنّ ضرورة كون الشعيرة الحسينية دالة على المعاني والفضائل والقيم النبيلة والأهداف الإصلاحية والتي كانت منعطفاً مهمّاً في التاريخ الإسلامي، وحيث إنّ أهل البيت(عليهم السلام)، هم العِدل الثاني الذين أُمرنا بالتمسك بهم، فلابد أن تكون

أقوالهم وأفعالهم وسيرتهم حجة، ومن ثَمّ فإنّ الشعيرة الحسينية لابد أن تكون دالة على الأهداف والفضائل والقيم النبيلة التي قام من أجلها الحسين(عليه السلام)، وصحّح مسيرة الأُمة. ويجب أن تُنطلق الشعيرة الحسينية، من منطلقات الإمام الحسين (عليه السلام)وأهدافه، ومحوراً وقطباً ومنهلا تنتهل منه الحلول لقضايانا الراهنة، وإذا كان استعراض القضايا الراهنة بعيداً عن فكر كربلاء وعطاء الحسين (عليه السلام)، فإنّها لا تُؤدّي غرضها كما ينبغي إلاّ إذا قمنا بتحليل مواقف واهداف الإمام الحسين (عليه السلام)، وكلماته وتطبيقها على الواقع، وكذلك استعراض اهداف الثورة الحسينية بعيداً عن ربطها بالقضايا الراهنة المعاصرة يقف عائقاً أمام تحقيق غرض الشعيرة الحسينية، ولا يمكنها أن تُؤدّي غرضها، لذلك سوف نستعرض اهداف ثورة الامام الحسين(عليه السلام) لكي تكون اسس للشعيرة الحسينية وهي:ـ

القسم الثاني:- اهداف ثورة الامام الحسين(عليه السلام)

من خلال استعراض خطبه واقواله(عليه السلام) قبل واقعة الطف وخلالها نستطيع ان نستنتج اهدافه(عليه السلام) من النهضة ونعطي دليل رأينا السابق وقد حصرناها في خمسة اهداف هي:

الهدف الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطبيقاً وامتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وهذا ما اعلنه (عليه السلام) في وصيّته قبل خروجه من المدينة: (... إني لم أخرج أَشِراً ولا بَطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خَرَجْتُ لطَلَب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المُنكَر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام))[2]، وهذا دليل على ان أهمّ اسباب نهضته(عليه السلام) هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعروف كل ما امر به الله سبحانه والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمنكر كل ما نهيا عنه ولا يقتصر على

---

١) ال عمران:١١٤.

٢) المجلسي، محمد باقر،بحار الأنوار الجامعة لدررأخبار الأئمة الأطهار(مؤسسة الوفاء،ط٢، بيروت،لبنان،،١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م) ج٤٤،ص٣٢٩.

الفرد بل على الامة كما ورد في الاية السابقة حيث عبر الله تعالى عن ذلك بصيغة الجمع﴿وَلِتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ﴾ هذا من جانب ومن جانب آخر إن المعروف يشمل كل جوانب ونواحي الحياة الانسانية فهناك المعروف الإجتماعي الفكري والعقائديّ الاقتصادي والسياسي والحقوقي وغيرها و كذلك المنكر يشمل هذه الجوانب.

وقد ورد عن الرسول واهل البيت(عليهم السلام)الكثير من الروايات في هذا الباب ومصادر الحديث زاخرة بذلك، نلخصها بهذه الحديث عن الرسول حيث روي عنه (صلى الله عليه وآله)أنه قال: (لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[1] وهذا ما نعيشه اليوم بسبب الابتعاد عن امر الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ اننا لم نعد نأمر بالمعروف ولم ننهي عن المنكر.

ـ الهدف الثاني: أنّ نهضته (عليه السلام)كان منبعها وأساسها هو إقامة الإمامة الالهيّة.. وبعبارة أخرى: أنّ نهضته (عليه السلام)تمثّل وتجسّد الإمامة والولاية، لأنّ رفضه لبيعة وخلافة يزيد هو بدوره ومؤدّاه نوع من التبليغ ونشر لمفهوم الإمامة والدعوة إلى إمامتهم (عليهم السلام) وقد قال(عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية(عليه السلام):(إنّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإصلاح في أُمّةِ جَدّي (صلى الله عليه وآله وسلم) لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي). فكأنّما هو (عليه السلام)أبطل شرعية الثلاثة الذين غصبوا الخلافة، الأوّل والثاني والثالث وهذه عبارة أخرى عن إحياء حقّهم (عليهم السلام) في الإمامة والولاية.

فدعوته (عليه السلام)إلى إمامته وإلى العهد الإلهيّ في حقّهم (عليهم السلام) هو عين الأمر بالمعروف مضافاً إلى أنّ النهي عن الخلافة الباطلة التي انتحلها غيرهم من أهم مصاديق النهي عن المنكر، أو النهي عن طمس كثير من أركان الدين فروعه فمن ثمّ كانت نهضته (عليه السلام)بشكل بارز مَعلَماً لإمامتهم وولايتهم الإلهيّة الحقّة وتطبيقاً

---

١) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه،حققه: حسن الموسوي الخرسان (دار الكتب الاسلامية، ايران، طهران،١٣٦٥) الجزء السادس،ص١٨١.

جليّاً لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشاملة للأمور الاعتقاديّة بكلّ أبعادها وأشكالها.

والمعروف يشمل كلّ الأبواب التي تقرب الى الله تعالى، ومنها التمسك بالولاية واتباع الامامة التي تعتبر اصلاً من اصول الدين وأساسيّات العقائد الأخرى، وهذا أوضح مصاديق المعروف، فيجب الأمر بها، شأنها شأن التوحيد والنبوّة والمعاد، والمُنكَر يتناول جحدها وعدم الاعتراف بها، وبالتالي ان نهضته (عليه السلام) تتداخل وتجتمع فيها عِدّة وجوه وتحليلات فقهيّة واجتماعيّة وأهمّها دعوة إلى الصراط الحقّ وإلى التمسّك بولايتهم:، وإلى إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي هي فريضة كبرى وأحد أبرز مصاديقها: الأمور الاعتقاديّة وهي التوحيد والإمامة.

الهدف الثالث: الاعتراض على الخلافة الغاصبة، وبيان أحقّيّته في الأمر وهو يفسّر لنا أيضاً معنى الشعائر الحسينيّة، ومعنى تخليد ذكراه وهذا الهدف له علاقة مباشرة مع الهدف الثاني وهو أنّ نهضته (عليه السلام)تمثّل وتجسّد إقامة الإمامة الالهيّة ولذلك حيث جاء في كلامه (عليه السلام)حينما دعاه الوليد بن عتبة وهو في المدينة لبيعة يزيد، فقال (عليه السلام): (إنّا أهلُ بيت النبوة ومَعدِن الرسالة ومُختلَف الملائكة ومحلّ الرحمة، وبنا فَتَح اللهُ وبنا خَتَم، ويَزيد رجلٌ فاسقٌ شاربُ الخمر قاتلُ النفس المُحرّمة مُعلِنُ بالفِسق؛ ومِثلي لا يبايع مثله، ولكن نُصبح وتُصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقُ بالبيعة والخلافة)[1]، وكذلك قوله (عليه السلام)لمروان بن الحكم حينما أشار عليه ببيعة يزيد، فقال (عليه السلام):(إنّا للهِ وإنّا إلَيْهِ رَاجِعُون، وعلى الإسلامِ السّلامُ إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدّي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: الخلافة مُحرَّمة على آل ابي سفيان) [2]، ويظهر من ذلك شدّة التصلّب والإباء، وهو (عليه السلام)سيد الإباء، فما هو السرّ في شدّة إبائه لبيعة يزيد طبعاً هذه البيعة مُنكَر من المنكرات، لكن خصوص هذا المنكر يشدّد الإسلام النهي عنه دون بقية المُنكرات وهذا الوجه يركّز على ظاهرة الخلافة الغاصبة، وهو دليل على بطلانها وعدم مشروعيّتها ومن ثم بعد ذلك أصبحت وراثة عائليّة وملكيّة لا تَمُتّ للدين بصلة، وعاد امر

---

١) بن طاووس،علي بن موسى بن جعفر بن محمد، مقتل الحسين عليه السلام المسمى باللهوف في قتلى الطفوف(الأنوار الهدى،إيران،قم،د.ت)ص١٧.

٢) بن طاووس،، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه،ص١٨.

المسلمين إلى الرسم الجاهليّ والقبائليّ، حيث كان حكّام بني أميّة يتستّرون برداء الدين ومن ثمّ كان في هذا المنكر خصوصيّة متميّزة لا نجدها في أيّ نوع آخر من المنكر، وإنّما هو نوع منكر ينطوي على طمس ومحو وزوال لأصل الدين الحنيف.

فكان الحسين (عليه السلام)أشدّ تصلّباً في ذلك منذ هجرته من المدينة ولم يُعلِّل (عليه السلام)خروجه بعلّة غير هذه العلّة، وهي المعارضة العلنيّة والصارمة للسلطة الغاصبة وللخلافة الزائفة، وبيان أحقّيّته في الخلافة.

الهدف الرابع: مبايعة أهل الكوفة له، وإرسالهم إليه الكُتب للقدوم إليهم واستنصارهم له (عليه السلام)حتى بلغ عدد

الكتب اثنا عشر الف كتاب[1] بعد معرفتهم بامتناعه وإبائه عن بيعة يزيد فمن ثمَّ وجدوا فيه الأمَل للتخلّص من يزيد وظلمه ولإقامة العدل مضافاً إلى عقيدة أهل الكوفة في أهل البيت (عليهم السلام)وذكرهم(عليه السلام) بهذه الكتب في الخطبة الاولى حيث قال لهم(يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث و يا زيد بن الحارث تكتبوا الي ان اقدم قد اينعت الثمار واخضر الجناب وانما تقدم على جند لك مجندة)[2] ومن المقرّر في مذهب الإمامية أنّ المعصوم (عليه السلام)إذا وَجد مَن ينهض به بمقدار العُدّة الكافية والعدد وجب عليه النهوض[3]، لكنّ هذا السبب ارتفع وانتفى في كربلاء بعد مواجهة أهل الكوفة للحسين (عليه السلام).

الهدف الخامس: وهو الدفاع عن نفسه الشريفة وعن حريم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كما يستفاد من جوابه لأخيه محمد بن الحنفية عندما اشار عليه بعدم الخروج الى العراق فأجابه الامام الحسين(عليه السلام) بقوله: (اخاف ان يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت)[4]، وكذلك قوله في يوم عاشوراء: (ألا إنّ الدَعِيَّ بنَ الدعيّ قد رَكَز بينَ اثنَتيْن: بين السِلّة والذِّلة، وهيهات ما آخذ الدنيّة، يأبى اللهُ ذلك ورسولُه وجدودٌ طابَت وطَهُرَت، وأنوفٌ حميّة، ونُفوسٌ أبيّة لا

---

١) المقرم: عبد الرزاق، مقتل الامام الحسين(عليه السلام) (المكتبة الحيدرية،النجف،،١٤٢٣هـ)ص١٤٤

٢) المقرم: المصدر السابق، ص٢٢٨.

٣) الصدر، محمد محمد صادق،موسوعة الامام المهدي(عليه السلام)،(دار مكتبة البصائر، العراق،النجف الاشرف،،٢٠١١م).

٤) المقرم، المصدر السابق، ص١٦٧.

تؤثِر مصارعَ اللّئام على مصارع الكرام)[1]، ومن هذا دليل دامغ على ان مشروعيّة الدفاع ثابتة عقلا وشرعاً.

أقول: تكملة لما سبق ذكره قبل الاهداف ان الغاية الاساس من نهضة الحسين (عليه السلام) كما قلنا في الهدف الاول هو ارجاع الناس الى جادة الصواب من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو احد ثوابت الدين لذلك أخذت نهضته هذا العنوان والمبدأ وهو (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) فالالتزام بأمر صاحب النهضة وخدمته هو من اجل تخليد هذا المبدأ وان كل قول وفعل من سنخ المبدأ يصب في تخليد وخدمة صاحب النهضة وبالتالي تخليد واحياء للمبدأ بمعنى ان كل ما يقوم به الموالي مهما كان بسيط والمقصود به خدمة الامام الحسين هو اما تخليد لمبدأ الامر بالمعروف ونهي عن المنكر أو للعمل، لذلك اصبحت طرق القرب الى الله هي عين طرق احياء ذكر الحسين (عليه السلام)وبعبار اخرى ان كل ما يفعل او يقال في محتوى الشعائر الحسينية هي احياء للدين فكل عمل مقصود به خدمة الامام واحياء ذكره هو احد طرق التقرب الى الله.

وكما بينا بتعريف الشعائر: أنّ أيّ شيء أو أمر تظهر فيه صبغة دينيّة وفيه جانب إعلام عن معنى من المعاني الدينيّة، أو حكم من الأحكام الدينيّة، أو سلوك من القيم الدينيّة وما شابه ذلك يسمّى شعاراً أو شعائر.

إذن ان الشعائر لا تقتصر على التقسيم المسبق وان كان هو البارز الا ان هناك اعمال تعتبر قمة الشعائر وزمانها ليس في محرم وصفر وانما هذه الشعيرة وقتها مفتوح وهي جذب الناس الى ادراك وفهم النهضة الحسينية والفكر الحسيني للتأثر به عن طريق الاسلوب المقنع سواء عن طرق القلم أو الطرح الموضوعي أي فكرياً وهذا جانب اعلامي عن معاني وقيم دينيّة وكما قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]، وباعتقادي ان هذه اهم الشعائر وقد اوصى رسول الله(صلى الله عليه وآله)الامام

---

١) ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله ،مثير الأحزان(المكتبة الحيدرية، النجف،،١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م/ص٤٠.

٢) النحل:١٢٥.

علي(عليه السلام) عندما بعثه الى اليمن فقال الله (وايم الله لان يهدي الله على يديك رجلا خير لـك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي)[1].

وهناك الكثير من الاعمال باعتقادي تدخل ضمن الشعائر فكـل عمـل يقـوم بـه الانسان مؤداه خدمة الإمام الحسين(عليه السلام) هو امر بالمعروف ونهي عن منكر مهما كان بسيط ويعتبر شعيرة، هذه هي الغاية من احياء الشعائر الحسينيّة هي ذكـرى تخليـد وإعادة إحياء للشريعة المحمدية.

١- الكليني، الفروع من الكافي، ج٥ ،ص ٢٨.

أقسام الشعائر الحسينيّة

إن أقسام الشعائر تتّسع إلى كلّ ما هـو مرسـوم أو متّخـذ، ومـا يُسـتحدث ومـا يستجدّ من صور وأشكال لإبراز الحُزن والتفجّع، وإظهار التأسـف والتأسّـي والمواسـاة لأهل البيت (عليهم السلام)

فليس هناك حصر للشعائر الحسينية وما تم ذكره من اقسـام هـو المتعـارف عليـه والبارز للاعيان الا ان الشعائر الحسينية ومواطن احياء ذكر الحسين(عليه السلام) بعـدد انفاس الخلائق كما ان طرق التقرب الى الله بعدد انفاس الخلائق وهي عين طرق احيـاء ذكر الحسين (عليه السلام)وبعبار اخرى ان كل ما يفعل او يقال في محتوى الشعائر هـي احياء للدين فكل عمل مقصود به خدمة الامام واحياء ذكره هو احد طرق التقـرب الى الله.

الا اننا حصرنا الشعائر الواضحة والتي تقام في شهر محرم وصفر وهي:-

- المجلس الحسيني بكل ما يحتويه من الخطابة، الشعر، الكتابة، الرثاء.
- التمثيل (التشبيه، المسرح، الفيلم).
- العزاء بأقسامه: البكاء، واللطم، وضرب السلاسل، والتطبير والمواكب المختلفة.
- صور ونواحي الإعلامية مثل لُبس السواد، وهو الـزيّ الخـاص المعبّـر عـن الحـداد والحزن، واستخدام الرايات والأعلام في الحسينيّات والمواكب والشوارع العامة.
- الزيارة الاربعينية: وهي زيارة الامام الحسين(عليه السلام) في العشرين من صفر.

وكما قلنا سابقاً أن أشكال وصور الشـعائر الحسـينيّة كـثيرة وكـلّ منـها يخـتصّ بأبحاث ربّما تختلف عن العناوين الأخرى فلا بدّ من إيقاع بحث لكلٍّ منـها علـى حِـدة على الرغم من أنّ هذه الشعائر تتداخل فيما بينها لذلك سيكون موضوع بحثنـا حـول المجلس الحسيني في الزيارة الاربعينية وحسب ما يتطلبه عنوان البحث

المبحث الثاني

الزيارة الاربعينية:-

ذكر المؤرخين أن أول من زار الإمام الحسين (عليه السلام)بعد استشهاده هو جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله تعالى [١].. ثم وصل الإمام السجاد (عليه السلام)ومن معه من العيال والأطفال، فالتقوا به هناك، وأقاموا المآتم، ثم ارتحلوا بعدها إلى المدينة في الحجاز[٢].

أما مجيء جابر إلى كربلاء في الأربعين الأولى للاستشهاد، فهو وإن كان يمكن أن يكون بداعي الشوق واللهفة، فإنه يمكن أن يكون أيضاً بسبب ما سمعه من النبي (صلى الله عليه وآله) ومن سائر أصحاب الكساء (عليهم السلام) من الحث على المداومة على زيارة قبره بعد استشهاده عليه الصلاة والسلام.

ولعل مما أسهم في التأسيس لزيارة الأربعين ما رواه زرارة، عن الإمام الصادق (عليه السلام)قال: يا زرارة، إن السماء بكت على الحسين (عليه السلام)أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الملائكة بكت عليه أربعين صباحاً الخ.. [٣].

كما روي بسند صحيح عن صفوان بن مهران، عن الإمام الصادق (عليه السلام)نص زيارة الأربعين، فراجع [٤].

ولعل تأخر ظهور وإعلان الأمر منهم(عليهم السلام) بزيارة الأربعين إلى أيام الإمام الصادق (عليه السلام)، يرجع إلى سعيهم للحفاظ على سرية تحركات شيعتهم، كي لا يتمكن أعداؤهم من رصدهم، في زياراتهم في أيام بعينها.

---

١) محمد بن محمد بن النعمان للشيخ المفيد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، (الطبعة الثانية دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).ص ٤٤.

٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان)ج ١، ص ٣٧٤.

٣) أبو القاسم جعفر بن قولويه، كامل الزيارات، المطبعة المباركة المرتضوية، النجف الأشرف، سنة ١٣٥٦ هـ).ص ٨١ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢١٥.

٤) الطوسي،تهذيب الأحكام، ج ٦ ص ١١٣.

أهداف الزيارة الاربعينية:-

أنّ الزيارة الاربعينية كلما اقتربت من تحقيق أهدافها مع وضعها في الإطار الصحيح للممارسة كانت مؤدّية لوظيفتها الحقيقيّة التي أرادها أهل البيت (عليهم السلام)، وبدون ذلك تصبح شكلاً بدون مضمون، وتكون نظير الصلاة التي لا يُقبل فيها الإنسان على الله تعالى.

- ويمكن تلخيص هذه الأهداف بالأمور التالية:

١. الارتباط الروحي والنفسي والعاطفي بالإمام الحسين(عليه السلام) وأهل البيت (عليه السلام) وأهدافهم في هذه النهضة العظيمة.
٢. الرؤية السياسية والدينيّة الصحيحة لقضية الحكم والأحداث السياسية الأخرى التي تواجهها الأمّة الإسلامية في قضايا الظلم والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحكم الإلهي.
٣. مجال للتربية الأخلاقية الأصيلة في الحركة السياسية والاجتماعية التي تتمثّل في التضحية والفداء والصبر والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا المسلمين، والتزام جانب الحق والوفاء بالعهد والميثاق والإخلاص لله تعالى، والصمود والثبات على المبادئ.
٤. التلاقح الثقافي وزيادة الوعي لدى المسلمين بكل قومياتهم في مختلف الابعاد الإسلامية ومعرفة الاسلام والتفقه فيه ورفع درجة الإحساس والشعور في النفس الإنسانيّة، وإيقاظ الوجدان والضمير.
٥. ترسيخ علاقات الأخوّة والمودة والتعاون بين المؤمنين، والاهتمام بأمورهم والنصيحة لهم وإعانة فقرائهم وضعفائهم، وايجاد المزيد من التكافل بينهم وإظهارهم بمظهر القوة والمنعة والوحدة.

نقول:ـ والعنصر الاساس والمهم في تحقيق هذه الاهداف هو المجالس الحسينية التي تقام على مدار شهر محرم بصورة عامة وفي شهر صفر موسم الزيارة الاربعينية بصورة خاصة.

المجالس الحسينية في الزيارة الاربعينية

المجالس الحسينية هي اجتماع لاتباع اهل البيت(عليهم السلام) استذكاراً وتعبيراً عن الحزن العميق لمصائب الائمة عامة ولمصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) خاصة تجسيداً لعظم المصيبة التي نزلت به وبأهل بيته والأبعاد المأساوية التي اشتملت عليها حادثة كربلاء ورجوع السبايا في العشرين من صفر وقد بدأت هذه المجالس منذ الأيّام الأولى للمأساة في مدينة الشام عندما بدأ يزيد بالتراجع أمام بدايات الوعي الجماهيري لأبعاد المصيبة،من خلال التوعية الشاملة التي قامت بها العقيلة زينب الحوراء والإمام السجاد(عليهما السلام)وتشير بعض الروايات إلى أنّ الإمام السجاد(عليه السلام) عقد مجلساً تأبينيّاً عند رجوعه من الشام ومروره مع السبايا على قبر الحسين(عليه السلام)وأقاموا على ذلك أياماً [1]، وبقي أهل البيت (عليهم السلام)يعقدون هذه المجالس كلّما أتيحت لهم الفرصة وخصوصاً في أيّام عاشوراء، ويحثّون شيعتهم ومواليهم على عقدها.وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض النصوص التي تتحدث عن هذه الممارسة لأهل البيت(عليهم السلام).

أهمية المجالس الحسينية وأهدافها:

لقد حدد اهل البيت الغايات والاهداف من اقامة المجالس واستذكار مظلوميتهم ومن خلال الروايات تتبعنا بعض الاهداف وحسب رأينا القاصر ومنها:

الاول: حفظ الشريعة المحمدية من الضياع أو التشويه والتحريف. حيث أنّ ديدن حكام الجور منذ لحظة استشهاد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)هو محاربة الشريعة وشخص الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)ومن ينتسب اليه بصورة مباشرة كالأئمة (عليه السلام) وغير مباشر كالاتباع والموالين لذلك نجد هؤلاء الحكام حاولوا منذ البداية أن يضيعوا الحقيقة حينما طرحوا قضية الحسين(عليه السلام)على أنّها عملية خروج على السلطة الشرعية واطلقت عليه تسمية- خارجي- وعلى أنّه شق عصا المسلمين ووحدتهم، وحاولوا التغطية على شخصيّة الإمام الحسين(عليه السلام) وأهدافه وخلفية

---

١) آل درويش، عبد الله ابن الحاج حسن، المجالس العاشورية في المآتم الحسينية (انتشارات أهل الذكر ،ايران، قم،١٤٢٨ هـ)ص٦٧٥.

نهضته وأسبابها والظروف المحيطة بها، ولكن التخطيط الواعي لأهل البيت (عليهم السلام) تمكّنوا من حفظ معالم هذه الثورة من الضياع، وبقيت محفوظة في التأريخ الإسلامي وفي حياة المسلمين بجميع تفاصيلها وخصوصياتها وذلك من خلال المجالس الحسينيّة.

الثاني:امتثال لأمر الله تعالى، حيث أمر بمودّة العترة الطاهرة (عليهم السلام)بقوله ﷻ: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1] فمواساة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)واهل بيته(عليهم السلام)في هذا المصاب الجلل من أظهر مصاديق المودّة.

أورد الشيرازي في الامثل: عدت المودة في القربى أجر رسالة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)إذا فهذه المودة – من جانب ـ في نفع المؤمنين أنفسهم لا بنفع النبي (صلى الله عليه وآله). ومن جانب آخر فإن هذه المودة وسيلة حصول الهداية على طريق الله تبارك وتعالى. وأن المودة في قربى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)هي استمرار منهج رسالة وقيادة ذلك النبي،وبعبارة أخرى: لمواصلة طريق النبي (صلى الله عليه وآله)وهدايته وقيادته يجب الارتباط بذوي قرباه، والاعتماد على قيادتهم، هذا هو الأمر الذي يدافع عنه اتباع أهل البيت (عليه السلام) في مسألة الإمامة، فإنهم يعتقدون أن امتداد القيادة بعد النبي سيستمر إلى الأبد، لا في شكل النبوة، بل في شكل الإمامة[2].

الثالث: إبقاء نهضة الحسين (عليه السلام) حيّة وفاعلة ومؤثّرة في عدد من الجوانب المهمة في حياة المسلمين عامة وفي أوساط الموالين خاصة ومن هذه الجوانب:

أ- الجانب التربوي والاخلاقي:

التربية والأخلاق هما الهدف الثاني بعد حفظ الشريعة في نهضة سيد الشهداء لذلك كان المجلس الحسيني رافد لهذا الجانب المهم من خلال ابراز معاني التضحية والفداء والصمود والثبات على المبادئ والصبر والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا المسلمين،والتزام جانب الحق والوفاء بالعهد والميثاق والإخلاص لله تعالى.

---

١) الشورى:٢٣.

٢) الشيرازي، ناصر مكارم،الأمثل تم في تفسير كتاب الله المنزل،المجلد الحادي عشر ص٣٩٦.

ب- الجانب النفسي والوجداني:

أنّ أحد الأهداف الرئيسيّة لهذه الثورة هو تحرك الضمائر وإحياؤها عندما يتعرّض المجتمع او الفرد المسلم إلى الظلم والاضطهاد، أو يقع تحت تأثير الضغوط النفسيّة أو أساليب الإرهاب، بحيث ينتهي بالإنسان إلى فقدان الإرادة مع إدراكه للحقيقة، وبهذا أصبحت هذه المجالس عاملاً محرّكاً ليس للجيل المعاصر لها فحسب، بل أصبحت عاملاً محرّكاً على مستوى الوجدان والضمير والإحساس على مرّ العصور والأجيال.

ج- الجانب الديني:

تعتبر أماكن للوعظ والإرشاد،وحلقات لذكر الله تعالى وذكر أوليائه، فهي ترفع المستوى الديني وتصرف الناس عن تضييع أوقاتهم بما لا ينفعهم، وتجمعهم على الخير والصلاح،فهي بنّاءة للمجتمع وهدّامة للأفكار والآراء الملحدة التي قد تستشري فيه.

د -الجانب الثقافي:

إن الثقافة التي تنهل من مدرسة أهل البيت بمختلف أبعادها العقائديّة والأخلاقية والسلوكية والتأريخية ذات ميزات وخصائص ترتبط بالخصائص التي يتميّز بها الخط الأصيل للإسلام الذي انتهجه أهل البيت(عليهم السلام) ودائماً تكون معرية للفكر الالحادي بكل عناوينه لذلك نرى ان هذه المجالس هي مدرسة ثقافية متحركة تحفظ المجتمع المسلم من الضياع والجهل والتعصّب الأعمى.

هـ -الجانب السياسي:

خاصة ونحن نعيش في عصر جُعلت فيه الانتخابات الاساس لاختيار من يمثل الشعب ويحكُمه فتعتبر المجالس الحسينية مراكز توعية بالرؤية الإسلامية الصحيحة لقضية الحكم الإسلامي ومقوّماته، وتشخيص الموقف تجاهه، والقدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ في ممارسات هذا الحكم أو التي تشكّل تهديداً للإسلام بحيث تفرض التصدّي واتخاذ الموقف الحازم رعاية للمصلحة الإسلامية وهذا ما يظهر المؤمنين بمظهر القوة والمنعة والوحدة.

و - الجانب الاجتماعي:

لها أثر كبير في ترسيخ علاقات الأخوّة والمودة والتعاون بين المؤمنين والمحافظة على العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم وتمتين أواصر المحبّة والصلة بينهم والاهتمام بأمورهم والنصيحة لهم

ز- الجانب الاقتصادي:

تعتبر المجالس الحسينية حافزاً لروح الايثار والتكافل ونلمس ذلك من خلال الإنفاق والبذل والعطاء ورعاية الضعفاء والفقراء والتعرّف على أوضاعهم حيث يشارك ويساهم في هذه المجالس أكبر مساحة من المؤمنين وبمختلف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينيّة ومن ثم يؤدي هذا الى معرفة احوال الفقراء والمحتاجين منهم وبالتالي مساعدتهم.

اقول: فمآتم سيّد الشهداء (عليه السلام)ومجالس ذكره فيض لا ينضب، لأنّها مدرسة متنوعة المناهج وواسعة البحث وسامية الهدف تدين الباطل وأهله، وتُعضد الحقّ وأهله، وهي ميدان يؤوب فيه الإنسان إلى ربّه، فكم من ضال قد اهتدى ومنحرف قد استقام فيها، كما أنّ هذه المآتم توجب عزّ المسلمين لأنّها ترفع مستوى الإنسان في كافة الأصعدة الدينيّة والعلمية والثقافية، وتغرس الفضائل في النفس لتطفح في السلوك، وإضافة إلى ذلك أنّها ترسم أنجح السبل وأيسرها لنيل سعادة الدارين.

المجالس الحسينية في آراء المستشرقين:

لقد أدرك علماء بقية المذاهب الاسلامية فاعليّة هذه المجالس وسرعة تأثيرها في النفوس، فحرصوا على عزل جمهورهم ومنعهم من ارتيادها، وخافوا على افتقاد أنصارهم وانضمامهم لمذهب أهل البيت(عليهم السلام)

ونجد ان قسماً من المستشرقين ادركوا فاعلية المجالس الحسينية وأثرها في ترقي الموالي وسيره في طريق الله تعالى، فكيف بهؤلاء العلماء. ونقرأ هذا في رأي الفيلسوف الألماني(ماربين)[1] حيث يقول:

ـ "كلّما ازدادت قوّة أتباع عليّ (عليه السلام)ازداد إعلانهم بذكر مصائب الحسين (عليه السلام)، وكلّما سعوا وراء هذا الأمر ازدادت قوتهم وترقيهم، وجعل العارفون بمقتضيات الوقت يغيّرون شكل مصائب الحسين قليلا قليلا، فجعلت تزداد كلّ يوم بسبب تحسينهم وتنميقهم لها حتى آل الأمر إلى أن صار لها اليوم مظهر عظيم في كلّ مكان يوجد فيه مسلمون، حتى أنّها سرت شيئاً فشيئاً بين الأقوام وأهل الملل الأخرى...

ـ [إنّ] الحسّ السياسي والثوران والهيجان المذهبي الذي ظهر في هذه الفرقة من إقامة هذه المآتم لم ير مثلها في قوم من الأقوام. إنّ من يسبر غور الترقيات التي حصلت في مدة مائة سنة لأتباع عليّ (عليه السلام)في الهند، الذين اتخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم، يجزم بأنّهم متبعون أعظم وسيلة للترقي.

ـ كان أتباع عليّ (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) في جميع بلاد الهند يعدّون على الأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد.

ـ إنّ هذا القسم من الدماغ السياسي والحسّ الثوري ـ الذي هو عدم الاستسلام للضيم والظلم، وهو عند حكماء السياسة أشرف شعار وأعظم سعادة وأفضل صفة ممدوحة لكل إنسان ـ قد ظهر في هؤلاء القوم بواسطة إقامتهم مآتم الحسين (عليه السلام)، وما دام هذا العمل ملكة لهم، لا يقبلون الذلّ والضيم "

---

١) الأمين، محمد حسين، إقناع اللائم على إقامة المآتم،رسالته المسماة (السياسة الإسلاميّة المبنيّة على فلسفة الاسلام)وتحت عنوان:(الثورة الكبرى أو السياسة الحسينيّة) وقدنشرت هذه الرسالة في صحيفة الحبل المتين الإيرانية العدد٢٨/السنة الثامنة/٧محرم ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) ص٣٢٩ ـ ٣٤٧

ويضيف ماربين بعد أن حضر عدداً من مجالس العزاء في إسلامبول مع مترجم خاص:"... إنّهم في الحقيقة يعلّم بعضهم بعضاً علناً... هذه هي نكتة التمدّن الحقيقي للأمم اليوم، هذا هو تعليم معرفة الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة.. وليس لواحدة من الروابط الروحانية التي بين المسلمين اليوم تأثيراً في نفوسهم كتأثير إقامة مأتم الحسين (عليه السلام)، فإذا دام انتشار وتعميم إقامة هذه المآتم بين المسلمين مدة قرنين، لا بد أن تظهر فيهم حياة سياسيّة جديدة... " [1] وهذا ما لا يستطيع احد انكاره.

ـ وسجّل المؤرخ الفرنسي" جوزيف " في كتابه (الإسلام والمسلمين) شهادة مماثلة لا تقلّ من حيث الأهميّة التاريخيّة والتحليلية والواقعيّة عن شهادة الفيلسوف " ماربين "،حيث قال:

ـ " لا يمضي قرن أو قرنان حتى يزيد عددها [أي الشيعة] على عدد سائر فرق المسلمين، والعلّة في ذلك: هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كلّ فرد من أفرادها داعية إلى مذهبه.

واليوم لا توجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلاّ ويقيمان فيها المآتم، ويبذلان المال والطعام... ويمكن القول: بأن جميع فرق المسلمين منضمة بعضها إلى بعض لا تبذل في سبيل مذهبها ما تبذله هذه الطائفة وموقوفات هذه الفرقة هي ضعف أوقاف سائر المسلمين أو ثلاثة أضعافها.

ـ أن كلّ واحد من هذه الفرقة بلا استثناء سائر في طريق الدعوة إلى مذهبه وهذه النكتة مستورة عن جميع المسلمين ـ حتى الشيعة أنفسهم ـ فإنّهم لا يتصورون هذه الفائدة من عملهم هذا، بل قصدهم الثواب الأُخروي، ولكن بما أنّ كلّ عمل في هذا العالم لا بد أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذا العمل أيضاً يؤثر ثمرات للشيعة.. إنّهم حصلوا ويحصلون على فوائد كليّة من هذا الطريق، فهم يحافظون على إقامة هذه المآتم.

ـ اليوم إذا نظرنا في كلّ نقطة من نقاط العالم من حيث العدد والنفوس، نرى أنّ أليق المسلمين بالمعرفة والعلم والحرفة والثروة هي فرقة الشيعة !

---

١) الأمين، إقناع اللائم على إقامة المآتم،،ص ٣٤٥ ـ ٣٤٧.

ـ ان دعوة هذه الفرقة غير محصورة في أهل مذهبهم أو في سائر الفرق الإسلامية، بل أي قوم وضع أفراد هذه الطائفة أقدامهم بينهم يسري في قلوب أهل تلك الملّة هذا الأثر.

ـ وقفت هذه الفرقة على مقتضيات العصر أكثر من سائر الفرق الاسلاميّة... وفضلا عن، أنّهم بواسطة الأعمال يحتاج الناس إليهم، ومحبّتهم ومعاشرتهم لسائر الفرق موجبة لاختلاط الآخرين معهم عند مشاركتهم لهم في مجالسهم ومحافلهم، وحينما يصغي المباشرون لهم إلى سماع أصول مذهبهم وأحاديثهم مرّة بعد مرّة لا محالة يألفون مشربهم، وهذا هو عمل الدعاة، والأثر الذي يترتّب على هذه الوضعيّة هو الأثر الذي توخّته عرفاء دول الغرب في ترقية دين المسيح مع بذل أموال تحيّر العقول ".

ـ فهم يتحملون المشاقّ ليتمكّنوا من ذكر فضائل كبراء دينهم والمصائب التي أصابت أهل هذا البيت بأحسن وجه وأقوى تقرير على رؤوس المنابر وفي المجالس العامّة وبسبب هذه المشاق التي اختارها هذه الجماعة في هذا الفنّ تفوقت خطباء هذه الفرقة على جميع الطوائف الإسلاميّة، وحيث أنّ تكرار المطلب الواحد يورث اشمئزاز القلوب وعدم التأثير، فهؤلاء الجماعة يتحمّلون المشاق فيذكرون جميع المسائل الإسلاميّة العائدة لمذهبهم في هذه الطريقة على المنابر، حتى آل الأمر إلى أن أصبح الأميّون من الشيعة أعرف في مسائل مذهبهم ممن يقرأون ويفهمون من الفرق الإسلاميّة الأخرى من كثرة ما سمعوا من عرفائهم[1].

ورأي هؤلاء الفلاسفة الغربيين اكبر دليل على ان اتباع اهل البيت(عليهم السلام) من حيث يعلمون او لا يعلمون هم تحت المجهر العالمي لانهم قد أرقوا العالم بحبهم للإمام الحسين(عليه السلام).

---

١) الأمين، إقناع اللائم على إقامة المآتم،ص ٣٥١ ـ ٣٥٦.

الخطابة الحسينية (المنبر الحسيني)

وبما ان المؤرخ الفرنسي " جوزيف " عرج في رأيه على ذكر الخطابة والخطيب فنحن اولى منه في ذكر هذا الجانب والدور الذي قام به الخطيب في اكتساب الموالين للفضائل والاخلاق الحسينية لذلك تعتبر الخطابة محور ومرتكز المجلس الحسيني.

قبل الشروع في موضوع الخطابة الحسينية هنا امور يجب توضيحها للقارىء الكريم فيما يخص الخطابة والخطيب بصورة عامة وهي:

تعريف الخطابة:-

الخطابة: هي صناعة يتكلَّف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يراد أن يصدّقوا به، وقولنا يتكلَّف فيها الإقناع أردنا أنّه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بأبلغ قصد ليتمّ، والإقناع الممكن هو الفعل الَّذي يتكلَّف وأردنا به ما يمكن من الإقناع[1]

يمكن مما تقدم أن نعرفها: إنها طريقة علمية عملية يمكن بها إثارة شعور الناس وإيقاظ الوجدان والضمير فيهم وإقناعهم بمبدأ من المبادئ، والاخذ بيدهم لاكتساب الفضائل والكمالات واجتناب الرذائل والسيئات.

والمراد من الاقناع هو التصديق بالشيء مع الاعتقاد بعدم إمكان أن هناك ما يخالف ويعارض هذا التصديق اذ أن النفس تصير بسبب طريقة الخطيب في الاقناع أميل إلى التصديق من خلافه مع مراعاة أسلوب البيان والطرح العلمي والموضوعي بما يتكفل الأقناع مع استعمال امور مساعده على ذلك منها: الصعود على مرتفع، ورفع صوت وتغير نبراته، وما إلى ذلك مما سيأتي شرحه.

أهمية الخطابة والحاجة اليها:-

كثيرا ما يحتاج المشرعون ودعاة المبادئ والسياسيون وغيرهم إلى إقناع الناس فيما يريدون تحقيقه، إذ ان تحقيق فكرهم أو دعوهم لا تتم إلا برضا الناس عنها وقناعتهم بها.

---

١) البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم، شرح نهج البلاغة،(مركزالتبليغات اسلامية في الحوزه العلمية، ايران،قم، ١٣٦٢)ج١،ص٦٠.

فيجب أن تكون الخطبة التي يتلقاها الجمهور والعامي من النوع التي لا تكون مرتفعة ارتفاعا بعيدا عن ادراكاتهم العقلية المحدودة ولذا قيل: (كلم الناس على قدر عقولهم)[1] ويعتبر الأسلوب الخطابي افضل اسلوب للتأثير على الناس. وكل شخص استطاع أن يكون خطيبا بالمعنى المقصود من الخطابة كفن فإنه يستطيع أن يقنع العوام ويأخذ بأيديهم إلى الخير أو الشر، لهذا عبر الخطابة بفن الإقناع اذ انها أنجح من غيرها في الإقناع.

وظائف الخطابة وفوائدها

مما تقدم نستطيع أن نحدد وظائف الخطابة وهي:

١ـ الدفاع عن الرأي وتنوير الرأي العام في أي أمر من الأمور.

٢ـ الحض على الاقتناع بمبدأ من المبادئ الإيمانية او امر الهي.

٣ـ التحريض على اكتساب الفضائل والكمالات واجتناب الرذائل والسيئات.

٤ـ إثارة شعور العامة وإيقاظ الوجدان والضمير فيهم.بمعنى ان وظيفتها إعداد النفوس لتقبل ما يريد الخطيب أن تقتنع به.

لهذا كانت فائدة الخطابة فائدة كبيرة، بل هي ضرورة اجتماعية في حياة الناس العامة وهي كذلك وظيفة شاقة، إذ أنها تعتمد ـ بالإضافة إلى معرفة كيفية الاقناع والتأثير ـتعتمد على مواهب الخطيب الشخصية التي تصقل بالتمرين والتجارب وهذا لا يكتسب بتعلم الخطابة، وإنما وظيفتها توجيه تلك المواهب وإعداد ما يلزم لمعرفة طرق اكتساب ملكة الخطابة، مع التمرين الطويل وكثرة التجارب. وسيأتي موضوع حاجة الخطابة إلى المواهب الشخصية.

أجزاء الخطابة

الخطابة تشتمل على جانبين:

---

١) الأصل فيه ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):" إنا معاشر الأنبياء امرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم " روضة الكافي: ص ٢٦٨ ح ٣٩٤ .

أولاً: موضوع الخطابة: وهو ما يريد الخطيب طرحه وايصاله للناس من فكرة او مبدأ وغيرها.

ثانياً: اساليب الخطيب المساعدة له على التأثير على المستمعين من اقوال والإفعال مما يوجب الإقناع وأن يظهر الخطيب قبل الشروع في الخطابة بمظهر مقبول عندهم.ويتحقق ذلك على نحوين:

١ ـ أن يثبت فضيلة نفسه ـ إذا لم يكن معروفا لدى المستمعين – إما بتعريفه هو لنفسه أو بتعريف غيره يقدمه لهم بالثناء، بأن يعرف نسبه وعلمه ومنزلته الاجتماعية أو وظيفته إذا كان موظفا أو نحو ذلك.

ولمعرفة شخصية الخطيب الأثر البالغ ـ إذا كانت له شخصية محترمة ـفي سهولة انقياد المستمعين إليه والإصغاء له وقبول قوله، فإن الناس تنظر إلى من قال، لا إلى ما قيل، وذلك اتباعا لطبيعة المحاكاة التي هي من غريزة الإنسان، لا سيما في محاكاته لمن يستطيع أن يسيطر على مشاعره وإعجابه، ولا سيما في المجتمعات العامة، فإن غرائز الإنسان ـوبالخصوص غريزة المحاكاة ـ تحيى في حال الاجتماع أو تقوى.

٢ ـ أن يظهر بما يدعو إلى تقديره واحترامه وتصديقه والوثوق بقوله، وذلك يحصل بأمور منها:

أ ـ ان يكون مشهورا بالفضيلة من الصدق والأمانة والمعرفة والتمييز، أو معروفا بما يثير احترامه أو الإعجاب به أو التقدير لما يقوله ويحكم به، كأن يكون معروفا بالبراعة الخطابية والشجاعة في قول الحق وان يماثل فعل قوله حيث إن لمعرفة الخطيب الأثر البالغ في التأثير على المستمعين، فكيف إذا كان محبوبا أو موضع الإعجاب أو الثقة ! وكلما كبرت سمعة الخطيب وتمكن حبه واحترامه من القلوب كان قوله أكثر قبولا وأبعد أثراً.

ب ـ مظهره الخارجي: أي لباسه وهندامه فاللازم على الخطيب أن يقدر المجتمعين ونفسياتهم وما يقدر من مثله أن يظهر به، فقد يقتضي أن يظهر بأفخر اللباس وبأحسن بزة تليق بمثله، وقد يقتضي أن يظهر بمظهر الزاهد الناسك. وهذا يختلف باختلاف الدعوة وباختلاف الحاضرين، وعلى كل حال ينبغي أن يكون الخطيب مقبول الهيأة عند الحاضرين حتى لا يثير تهكمهم أو اشمئزازهم أو تحقيرهم له.

ج- ملامح وجهه وتقاطيع جبينه ونظرات عينيه وحركات يديه وبدنه، فإن هذه أمور معبرة ومؤثرة في السامعين إذا استطاع الخطيب أن يحسن التصرف بها حسبما يريده من البيان والإقناع. وبعبارة أصرح: ينبغي أن يكون ممثلا في مظهره، فيبدو حزينا في موضع الحزن وقد يلزم له ان يبكي أو يتباكى، ويبدو مسرورا مبتشا في موضع السرور، ويبدو بمظهر الواثق من قوله المؤمن بدعوته في موضع ذلك وهكذا.

وأن كثيراً من الواعظين يتأثر الناس بهم بمجرد النظر إليهم قبل أن يتفوهوا باي كلمة، وكم من خطيب في مجالس ذكرى مصرع سيد الشهداء(عليه السلام) يدفع الناس إلى البكاء والرقة بمجرد مشاهدة هيئته وسمته قبل أن يتكلم.

د- التحكم بنبرات صوته: وذلك بأن تكون لهجة كلامه مؤثرة مناسبة للغرض الذي يقصده، إما برفع صوته أو بخفضه أو ترجيعه أو الاسترسال فيه بسرعة أو التأني به أو تقطيعه، كل ذلك حسب ما تقتضيه الحال من التأثير على المستمعين، وحُسن الصوت وحُسن الإلقاء والتمكن من التصرف بنبرات الصوت وتغييره حسب الحاجة من أهم ما يتميز به الخطيب الناجح. ولتقاطيع وجه الخطيب وملامحه ونبرات صوته لها الأثر الفعال في التأثير والوجه الجامد القاحل من التعبير لا يستجيب له المستمع، ولذا اشتهر: " ان الكلمة إذا خرجت من القلب دخلت في القلب " وما هذا إلا لأن إيمان الخطيب بما يقول يظهر على ملامح وجهه ونبرات صوته رضي أم أبى، فيدرك المستمع ذلك حينئذ بغريزته، فيؤثر على شعوره بمقتضى طبيعة المحاكاة والتقليد.

إن الصوت الحسن والمؤثر في أصله موهبة ربانية يختص بها بعض البشر من غير كسب، غير أنها تقوى وتنمو بالتمرين والتعلم كجميع المواهب الشخصية. وليس هناك قواعد عامة مدونة يمكن بها ضبط تغييرات الصوت ونبراته حسب الحاجة،وإنما معرفة ذلك تتبع نباهة الخطيب في اختياره للتغيرات الصوتية المناسبة التي يجدها بالتجربة والتمرين مؤثرة في المستمعين.

ولأجل هذا يظهر لنا كيف يفشل بعض الخطباء، لأنه يحاول المسكين تقليد خطيب ناجح في لهجته وإلقائه فيبدو نابيا سخيفا، إذ يظهر بمظهر المتصنع الفاشل، والسر أن هذا أمر يدرك بالغريزة والتجربة قبل أن يدرك بالتقليد للغير.

هـ ـ القدرة على التأثير في المستمع: وذلك بأن يحاول استمالة المستمعين وجلب عواطفهم نحوه ليتمكن قوله فيهم ويتهيأ وللإصغاء إليه، مثل أن يحدث فيهم انفعالا نفسيا مناسبا لغرضه، كالرقة والرحمة، أو القوة والغضب، أو يضحكهم بنكتة عابرة لتنفتح نفوسهم للإقبال عليه. ومثل أن يشعرهم بأنهم يتخلقون بأخلاق فاضلة كالشجاعة والكرم أو الإنصاف والعدل أو إيثار الحق، أو يتحلون بالوطنية الصادقة والتضحية في سبيل بلادهم، أو نحو ذلك مما يناسب غرضه، وهذا يكون بمدحهم والثناء عليهم أو بذكر سوابق محمودة لهم أو لآبائهم أو أسلافهم.

وليس شيء أفسد للخطيب من التعريض بذم المستمعين أو تحقيرهم أو التهكم بهم أو إخجالهم، فإن خطابه سيكون قليل الأثر أو عديمة أصلا وإن كان يأتي بذلك بقصد إثارة الحمية والغيرة فيهم، لأن هذه الأمور تودي الى رد فعل عكسي تثير غضبهم عليه وكرهه والاشمئزاز من كلامه ولإثارة الحمية طرق أخرى غير هذه.

وبعبارة أشمل وأدق: إن التجاوب النفسي بين الخطيب والمستمعين شرط أساسي في التأثر بكلامه، فإذا ذمهم أو تهكم بهم بعدهم عنه وخسر هذا التجاوب النفسي. وهكذا لو أضجرهم بطول الكلام أو التكرار الممل أو التعقيد في العبارة أو ذكر ما لا نفع فيه لهم أو ما ألفوا استماعه، والخطيب الحاذق الناجح هو من يستطيع أن يمتزج بالمستمعين ويهيمن عليهم، بأن يجعلهم يشعرون بأنه واحد منهم وشريكهم في السراء والضراء، وبأنه يعطف على منافعهم ويرعى مصالحهم، وبأنه يحبهم ويحترمهم.

الاثر التربوي للخطابة الحسينية

أن مدرسة أهل البيت بمختلف أبعادها العقائديّة والأخلاقية والسلوكية والتأريخية ذات ميزات وخصائص ترتبط بالخصائص التي يتميّز بها الخط الأصيل للإسلام والذي انتهجه أهل البيت (عليهم السلام). وان كثير من الناس قاصرين على ادراك هذه الامور لعدة اسباب منها الامية وتعقد نواحي الحياة وكم الفضائيات والانترنيت غيرها من وسائل التي تجعل الانسان في غفلة وبعيد عن دينه، لذلك كان المنبر الحسيني المدرسة العقائدية والاخلاقية والثقافية المتصدية والتي ديدنها جذب الانسان الى جادة الحق من

خلال حثه على الالتزام بالدين وفكر اهل البيت (عليهم السلام) واخلاقهم. لذلك كان للمنبر عدة اهاف منها:

١ـ توضيح أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل البيت من هذه النهضة العظيمة.

٢ـ نشر الثقافة والوعي الإسلامي في مختلف أبعاده الإسلامية في معرفة الاسلام والتفقه فيه ورفع درجة الإحساس والشعور في النفس الإنسانيّة امام المخاطر التي تهدد الدين والمجتمع الاسلامي، وإيقاظ الوجدان والضمير للموالي.

٣ـ مدرسة متنوعة المناهج وواسعة البحث وسامية الهدف، وهي محكمة عادلة وسليمة تعضد الحقّ وأهله وتنصره وتدعو إليه، وتخذل الباطل وأهله وتدينه وتحذر منه، كما أنّ فيها إدانة لحكم وسلطة الظلم والجور، وكشف قبح صورتهما، والحث على تجنّبهما والتباعد عنهما.

٤ـ ترقية القلوب وبعث النفوس على الرأفة والرحمة والتخفيف من كل مصيبة وسلوة عن كلّ رزيّة يمر بها الموالي وما له من صحة نفسية كما مر بنا من خلال استذكار مصائب اهل البيت(عليهم السلام) لأنّ هذه الفضائع التي جرت عليهم وهم سادة الخلق وأكرم الناس عند الله تعالى، فما وزن وقيمة ما يجري على غيرهم من مصائب.

٥ـ الحثّ على وجوب التخلق بأخلاق اهل البيت(عليهم السلام)والاقتداء بهم وغرس حبّ الفضيلة والإباء، والمقاومة الرذائل في النفوس، وحث المؤمنين لاستهداف غايات سامية تشدّهم نحو الآخرة.

٦ـ إنّها مدرسة لجميع الفئات العمرية ومختلف الطبقات، إذ فيها يُعرض التفسير والتاريخ والأخلاق والفقه والشعر فهي بمثابة مدرسة دينيّة ترفع المستوى العلمي للحضور، وتعرّفهم بمختلف العلوم والمعارف الدينية

٧ـ إنّها أفضل وأيسر وأنجح وسيلة إعلام لنشر الإسلام الأصيل، لأنّها تطرح بصورة حيّة، ولذلك كانت وما زالت أشدّ تأثيراً في النفوس.

٨ـ إنّها خير ميدان لابراز الطاقات الكامنة وظهور الكفاءات القادرة على توظيف مواهبها لخدمة الدين الحنيف.

الخطيب والارتفاع إلى مستوى الخطاب الحسيني:

إن على الخطيب أن يرتفع بالناس إلى مستوى الخطاب الحسيني، من خلال تبني مناهج تربوية وتثقيفية في مجالات العقيدة والإيمان، تهتم بتعريف الناس على المعايير والضوابط المعرفية والإيمانية. وتقدم لهم ثقافة تجعلهم يطلون من خلالها على مختلف حقائق هذا الدين، وعلى آفاقه الرحبة، وليميزوا من خلال هذه الثقافة بالذات بين الأصيل والدخيل وبين الخالص والزائف في كل ما يعرض عليهم، أو يواجههم، في مختلف شؤون الدين والتاريخ والحياة، ليخرجهم بذلك عن أسر هذا الذي أدخل في وعيهم عن طريق التلقين الذكي: أن الإسلام مجرد سياسة، واقتصاد، وعبادة، وأخلاق، وعلاقات اجتماعية، فهو أشبه بالقانون منه بالدين الإلهي، لأن هذا الفهم يهيئ لعملية فصل خطيرة للشريعة عن واقع المعارف الشاملة والمتنوعة، التي ترفد ذلك كله وسواه، وتشكل ـ بمجموعها ـ قاعدة إيمانية صلبة، تفتح أمام الإنسان آفاقاً يشتاق إلى اقتحامها، وتعطيه مزيداً من الإحساس بالغيب، والمزيد من الأهلية والقدرة على التعامل معه، وإدخاله إلى الحياة، ما دام أن الإنسان لن يسعد ولن يذوق طعم الحياة الحقيقية بدون هذا الايمان.

وأن أبسط ما يُفرض على الخطيب هو أن لا يُقدم الأئمة (عليهم السلام) للناس على أنهم مجرد شخصيات تتميز بالذكاء الخارق، والعبقرية النادرة. قد عاشت في التاريخ، وكانت لها سياساتها، وعباداتها، وأخلاقها، وعلاقاتها الاجتماعية.. الخ.

بل عليه أن يعرفهم بأنهم فوق ذلك كله، إنهم أناس إلهيون بكل ما لهذه الكلمة من معنى وأن يلخص لهم ـ وفق تلك البرامج التثقيفية والتربوية التي أشرنا إليها ـ كل المعارف التي وردت في كتب الامامية المعتبرة مثل كتاب الكافي الشريف، وكتاب البحار على سبيل المثال، ولو على سبيل الفهرسة الإجمالية للمضامين لتمر على مسامعهم أكثر من مرة ـ، أن أمكن، لأن المعصومين (عليهم السلام)ما قالوا شيئاً ليبقى مغيباً في بطون الكتب والموسوعات، بل أرادوا له أن يصل إلينا وأن يدخل في حياتنا ويصبح جزءاً من وجودنا كله كما قال الامام الصادق في جوابه عندما سئل (بأي شيء يفتي

الامام؟ فقال: بالكتاب. فقال السائل: فما لم يكن في الكتاب؟ فقال الصادق: بالسنة. فقال السائل: فما لم يكن في الكتاب والسنة؟ فقال: ليس شيء الا في الكتاب والسنة)[1].

فلا بد إذن من إعداد ذهنية الإنسان المسلم، وروحه وعقله لتقبل هذه المعارف، وللتعامل معها، من خلال معاييرها ومنطلقاتها الإيمانية والعلمية الصحيحة.

أعداء اهل البيت(عليهم السلام) ومحاربة المنبر الحسيني:

ولقد تفطّن أعداء عاشوراء في وقت مبكر جداً إلى أن أنجع الأساليب وأقواها فتكاً في محاربة عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام)، هي: محاولة هدم المنبر الحسيني المبارك، لأنهم أدركوا أن المنبر الحسيني هو الذي يربي الناس أخلاقياً، وإيمانياً، وسلوكياً، وعاطفياً وعقائدياً، وهو الذي يمدهم بالثقافات المتنوعة، ويثير فيهم درجات من الوعي الرسالي، ويعمق مبادئ عاشوراء في وجدانهم، ويعيدهم إلى رحاب الفطرة الصافية، وينشر فيهم أحكام الله، ويربي وجدانهم وضميرهم الإنساني، ويصقل مشاعرهم، وينميّها، ويغذيها بالمشاعر الجياشة، والصادقة، فإذا ما تم لهم تدمير المنبر الحسيني، فإنهم يكونون قد حرموا الناس من ذلك كله وسواه، وكذلك

حرموهم من ثواب إقامة هذه الشعيرة الإلهية، وما أعظمه من ثواب، وأجلّها من كرامة إلهية سنيّة.

وكان التشكيك بهذا المنبر الشريف، بما يقال فيه من أبسط وسائل التدمير، وأقلها مؤونةً أعظمها أثراً، وأشدها فتكاً، ولقد كان الأدهى هو أن بعض اصحاب الافكار الهدامة والذين تنطلي آراءهم على السذج من الناس وكذلك من يفترض فيهم الثقافة والعلمية ويدعون انهم اصحاب دين قد أسهم عن غير عمد ـ وبعضهم عن عمد وقصد ـ في صنع هذه الكارثة، التي من شأنها أن تأتي على كل شيء، كالنار في الهشيم. فعملوا على إثارة شكوك الناس بخطباء هذا المنبر المقدس، وفيما يقدمونه من ثقافة عاشورائية، واتهموهم بالكذب، وبالتحريف، وبالافتعال المتعمد للأحداث، كل ذلك بعبارات منمقة، ومفردات براقة، وشعارات رنّانة، يغدقونها بلا حساب إسهاماً منهم في زعزعة ثقة الناس بهذه المجالس، الأمر الذي لا يمكن أن يصب إلا في مصلحة الخيانة

---

١) الشيرازي مكارم ناصر، بحوث فقهية مهمة(نسل جوان للطباعة والنشر ،ايران،قم، سنة ١٤٢٢ هـ ق) ص٥٣٨.

للدين، والاعتداء على عاشوراء، وعلى الإمام الحسين (عليه السلام) في رسالته، وفي أهدافه الجهادية والإيمانية الكبرى.

الخاتمة

إنّ استمراريّة المحافظة على الأهداف والغايات السامية التي ارادها الامام الحسين(عليه السلام) من ثورته إنّما يتحقّق تحت ظلّ الشعائر الحسينيّة المختلفة والواعية من قبل شيعته ومواليه وهذه الشعائر من مجالس ومواكب ومراثي ومسيراتِ حزن وغيرها هي مدارس يتعلّم المسلم فيها نصرةَ الدين والإحساس بالمسؤوليّة الشرعيّة للحفاظ على رسالة السماء ؛ ويتلقّن فيها صور الجهاد، ويتعرّف على أشكال التضحية لنُصرة القِيَم الفاضلة والمبادئ السامية للدين الحنيف، ويعيش بكلّ تصميم وإرادة لترك الدنيا، والتغلّب على ملاذها وشهواتها المؤقتة..

إنها مدارس الحسين (عليه السلام) يتربى ويتعلم المسلم فيها كيف يقدّم كلّ ما يملك في سبيل عقيدته وفي طريق تضميد بدن الإسلام الجريح، ويبذل أغلى ما يملك للدفاع عن حريم المبدأ الحنيف.

والمجلس الحسيني هو إلا عبارة عن حياة ضميرية، أثارها مأساة لا يجد أحد في فطرته، ولا في عقله، ولا في وجدانه أي مبرر لها الا تأسياً باهل البيت(عليهم السلام) وانجذاباً لشخصية الامام(عليه السلام) وطلباً للفضائل والكمال الذي يمثله الامام واهل بيته(عليهم السلام).

فحياة الوجدان، ويقظة الضمير، اسس يستند عليها المجلس والمنبر الحسيني ليكون قادراً على الإسهام الحقيقي في صنع المشاعر، وفي صقلها، وبلورتها، باعتبارها الرافد الأساس للإيمان، والحافظ له من أن يتأثر بالهزات، أو أن ينهار أمام الافكار والآراء الملحدة والهدامة.

كما أن ذلك يعطي الفرصة للإنسان المؤمن ليستمع أو يطلع على الكثير مما قاله قرآنه وأنبياؤه وأئمته المعصومون عن السماء والعالم، وعن الخلق والتكوين، وعن الآخرة والدنيا، وعن كل شيء. نعم كل شيء.

هذا الإيمان الذي يفترض فيه أن يكون مرتكزاً إلى الرؤية اليقينية، والى الوضوح والواقعية ؛ لأن الفكر الذي لا يحتضنه القلب، ولا ترفده المشاعر لن يتحول إلى إيمان راسخ، ولن يكون قادراً على أن يفتح أمام هذا الإنسان آفاق التضحية والفداء، والإيثار،

والجهاد، وسائر المعاني والقيم الكبرى، التي يريد الله للإنسان أن يقتحم آفاقها بقوة وعزيمة، وبوعي وثبات.

وذلك يحتم علينا ـ إذا كنا نشعر بمسؤولية المنبر الحسيني الذي يحيي الضمير ويطلق الوجدان من أسر الهوى، ومن عقال الغفلات، ويبعده عن دائرة الهروب، واللامبالاة. كما خطط الأئمة(عليهم السلام) لذلك حين أقاموا مجالس العزاء هذه.

ولتكن تضحية الإمام الحسين وأصحابه وأهل بيته(عليهم السلام)في كثير من مفردات كربلاء. ثم ما جرى على سيدة النساء، وعلى أمير المؤمنين، وعلى الإمام الحسن(عليهم السلام)وسائر مواقف الجهاد والتحدي ـ ليكن ذلك كله وسواه هو تلك الوسائل والمفردات التي أراد الله لها أن تخدم ذلك الهدف السامي والنبيل.

المصادر

١ـ القران الكريم.
٢ـ إقناع اللائم على إقامة المآتم ـ محمد حسين الامين.
٣ـ الأمثل تم في تفسير كتاب الله المنزل ـناصر مكارم الشيرازي.
٤ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ـمحمد باقر المجلسي.
٥ـ بحوث فقهية مهمة ـمكارم ناصر الشيرازي.
٦ـ البرهان في تفسير القرآن ـهاشم الحسيني البحراني.
٧ـ تاج اللغة وصحاح العربية ـإسماعيل بن حماد الجوهري.
٨ـ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه ـأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
٩ـ حياة الإمام الرضا (ع) ـ باقر شريف القرشي.
١٠ـ دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ـمحمد باقر الحكيم.
١١ـشرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ـأبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي.
١٢ـ شرح نهج البلاغة ـ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني.
١٣ـ الشعائر الدينية / نقد وتقسيم ـ محمد السند.
١٤ـ عيون الحكم والمواعظ ـ علي بن محمد الليثي الواسطي.
١٥ـ الفروع من الكافي ـ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني.
١٦ـ كامل الزيارات ـ أبو القاسم جعفر بن قولويه.
١٧ـ كتاب العين ـأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.
١٨ـ لسان العرب ـ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور.
١٩ـ مثير الأحزان ـ نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي.
٢٠ـ مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة ـمحمد بن محمد بن النعمان لشيخ المفيد.
٢١ـ مقتل الحسين عليه السلام المسمى باللهوف في قتلى الطفوف ـ علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس.
٢٢ـ مقتل الامام الحسين(عليه السلام) ـ عبد الرزاق المقرم.
٢٣ـ موسوعة الامام المهدي(عليه السلام) ـ محمد محمد صادق الصدر.

٢٤ـ المجالس العاشورية في المآتم الحسينية ـعبد الله ابن الحاج حسن آل درويش.
٢٥ـ المختصر ـ عزّ الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد الحلّي.
٢٦ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ـ محمد بن الحسن الحر العاملي.
٢٧ـ هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السّلام.ـمحمد بن الحسن الحرّ العاملي.

قصيدة الأربعينية الحسينية الحديثة

قراءة في ضوء النقد الثقافيّ

أ. م. د. علياء سعدي عبد الرسول

كلية التربية- الجامعة المستنصرية

حين تنتمي الكتابة إلى نقد الشعر، الشعر الـذي ينجـزُ بحساسـية خاصّـة تكسـر قواعد الأدب وقوانينه؛ لتُشكّلَ فرادها الخاصّة، وهـو أمـرٌ يتطلّـبُ جهـداً لاستكشـاف أسرار التشكيل اللغويّ. ولعلَّ (قصيدة الأربعينية الحسـينية الحديثـة) قـد تشـكلت في مُناخات شعرية حداثوية، اعتمدت الطاقتين الدرامية والسـردية، وهـو أمـرٌ حفَّـزني إلى قراءها قراءة في ضوء النقد الثقافي، إذ وقف البحث على مستويات ثقافية عدة، وهو مـا أطلق عليه دوغلاس كلنر (ثقافة الوسائل)، وهو مصطلح يكسر الفواصل التقليدية مـا بين الثقافة وفعل الاتصال، ويفتح المجال للنظر إلى الثقافة بوصفها إنتاجاً[1].

حدَّ الشعراء المعاصرون في موضوعة الأربعينية في أغلب الأحيان مـن الرضـوخ إلى نسقية قولبية متخلخلة النسق في محاولة لمجاراة المشاعر الـتي تـدخل إلى الأنسـاق فتـؤثر فيها[2].

إنّ المشاعر الجياشة التي تحاول التقرب إلى الله ـ عزَّ وجلّ ـ تجد في الأربعـين خـير القربان، كما أكد ذلك أئمتنا الأطهار (عليهم السلام)، وممّا يتوافق مـع مصـاديق تلـك الأحاديث ما جاء في دعاء كميل: (ولَيْتَ شِعْرِي يَا سَيِّدِي وإلهِي ومولايَ، أَتُسَـلِّطُ النـارَ على وُجوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ سَاجِدةً، وعلى جَوَارِحَ سَعَتْ إِلى أَوطانِ تَعَبُّـدِكَ طَائِعَـةً)١. وعن مولانا الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال: "علامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ الخَمْسِينَ، وزِيَارةُ الْأَرْبَعِين، والتَّخَتُّمُ في الْيَمِينِ، وتَعْفِيرُ الجَبِينِ، والجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرحمَنِ الرحيم"[3].

---

١) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله محمد الغذامي، ص١٢٢.

٢) ينظر: زيارة اربعينية الامام الحسين، ادلتها واسرارها اهدافها، علي القطبي الحسيني.

٣) صلاة الخمسين: أي الصلوات الواجبة اليومية ونوافلها، إذ يكون مجموع ركعاتها خمسين ركعة، حيث إن الصلوات الخمس سبع عشرة ركعة، و نافلة الصبح ركعتان، ونافلة الظهر ثمان ركعات، وكذلك نافلة العصر ثمان ركعات، ونافلة المغرب أربع ركعات، ونافلة العشاء ركعتان من جلوس وتُحسب ركعة واحدة؛

لا يوجد في الشعر ـ عادةً ـ عمل خاضع لنهاية تغلق الباب في وجه القادم الجديد، فهو ملخص لحركة تهشيم النسق المعتاد، إذ يصبح الشاعر غازياً؛ ليؤسس هياكل جديدة في أرض المرجعيات نفسها.

على هذا الأساس وقف البحث على ثلاثة محاور تكسر نمطية النسق، وهي:

١- **تهشيم الانموذج النسقي.**

٢- **صورة الآخر.**

٣- **تبادل الأدوار النسقية.**

لأن كل ركعة من جلوس تعادل ركعة من قيام، ونافلة الليل إحدى عشرة ركعة، فيكون المجموع خمسين ركعة. ينظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٥٢/٦.

١- تهشيم الأنموذج النسقي.

إنَّ النقد الثقافي يعدُّ خروجاً عن سلطة العائلة النقدية، فهو يستقي مادته من منبعين هما: المؤلف، والمرجعيات الثقافية.

لقد تكشَّفَ في النقد الثقافي عن "زيف الكثير (كذا) من الفوضويات، وهشاشة أسسها، فأصبحنا أشدّ وعياً بدور الثقافة"[١]، إذ حرص النقد الأدبيّ على الالتزام بإنتاج علاقات تناسب الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والإنساني، متلونةً بألوان العصر، حتى أصبحت أنساقاً لها قدسيتها ولها قياسات وأُطر معينة بإظهار الجمالي فقط، بينما انفتح النقد الثقافي على أفق أوسع بالتلفُّتِ إلى المضمرات النسقية، فأخذت الذائقة تتحرَّر ممّا هو مفروض إلى ما تتذوقه هي، "وهذا لا يعني شطباً لتاريخ الذاكرة الثقافية الماضية واقتلاع عقلها واستبدالها بآخر، بل يعني معاودة القراءة الثقافية النقدية لتلك الذاكرة وحلحلتها من المراكز والمرجعيات والسياقات المكبّلة لها، ووضع اليد على حالات نهب الذاكرة، والالتفات إلى المقصي والمهمش، وإعادة قراءته، ومراجعة قوانين المراكز الثقافية المتحكمة في تسيّد أنساق دون أخرى"[٢].

ولقد جاءت نصوص كثيرة تدور في إطار تهشيم الأنموذج النسقي؛ لتخرج من قلب المرجعية.

إنّ الحسين هو مركز الكون الذي تدور كلُّ الأشياء حوله، فلا عجب في أنْ يأتيه الزائرون من كلّ فجّ عميق، فهو صاحب اليوم الغيريّ، والإمام الذي لولاه لمادت الأرض بأهلها، وتحية الحسين للزائرين إنّما هي مباركة لسعيهم إليه، عندها تأتيهم البشرى؛ ليكون ثواب القدوم إلى أربعينية الإمام الحسين هو ثواب ألف حجة وألف عمرة، طبقاً لحديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) المار الذكر.

---

١) النقد الثقافي واليات انتاجه، د. جاسم محمد جاسم، مجلة الموروث، العدد ٣٩، ايار ٢٠١١، ٣٢.

٢) بويطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، د. بشرى موسى صالح، ٣٩.

وقد التجأ الشاعر (أبو حيدر الاحسائي) في قصيدة (حروف هواك) إلى تهشيم نسقية موت الحسين (عليه السلام)، فموته جاء في عرف الشاعر لمحو ذنوب شيعته المحبين. يقول:

مـرّغتُ خـدّي في ثراك ميمماً خـدّي وقـلـبي سيدي بثراك
كثرى ذنـوبي كالجبالِ بكاهلي مَنْ يشـتريها سـيدي إلاك
من أجل كلّ ذنوبِ شيعتك انبرى مترجلاً لـلأرض فـيضُ دماك[1]

تمرّغ الشاعر في ثرى كربلاء، فوصل إلى حالة التطهير التام (التيمم)، وهو تيمم خصّ كلَّ أعضاء الجسد؛ ليصل إلى القلب، عندها تحوَّل الشاعر إلى ملاك إنسانيّ، عندها تتم صفقة البيع والشراء، فهو قد قصد الحسين في تجارة لن تبور فها هو الحسين (عليه السلام) قد اشترى منه جبل ذنوبه مقابل القدوم. وهنا يكمن السرّ في زيارة الأربعينية عند الشاعر، فالحسين (عليه السلام) لم يمت إلا لجعل شيعته ملائكةً إنسانيةً.

وفي عودة رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء ليدفن مع الجسد الطاهر، قد تخلخل النسق عند الشاعر حسب الشيخ جعفر؛ ليكون الرأس الشريف رايةَ تغييرٍ حيّة إلى يوم الدين. يقول في قصيدة (الصخرة والندى):

أيّتها الشمس

طافَ على الرمحِ وها عادَ إلى منبتِهِ الرأس

حيّاً، مُكرّاً، بيرقاً مغيرا[2]

---

١) منتدى لبيك يا حسين https://forums.alkafeel.net.

٢) ديوان نخلة الله، ص٨.

عودة الرأس الشريف قد هشَّمت نسق العودة الاعتيادية؛ كونها عودة تشير في وقتها إلى انتصار الباطل المتمثل ببزيد وجنوده، أمّا ما يتوافق مع انتصار الدم على السيف فقد تجسد في نص الشاعر؛ ليخبر الشمس التي رمزت إلى الجلاء عن حقيقة طمست مدّةً من الزمن؛ لتعلن عودة الرأس إلى الجسد، فها هو قد عاد مكلّلاً بالانتصار المعنوي الأبديّ.. حيّاً.. مُكرّاً.. بيرقاً مغيرا.

٢- صورة الآخر.

"تعدُّ الغيرية منطلقاً إنسانياً، قوامه العلاقة بين الأنا والآخر، من خلال أدوار متباينة ومتشابكة ومتكاملة، أو متعاكسة. ولتحديد الأنا بمختلف أبعاده لابدَّ من وجود الآخر"[١].

إنّ الآخر في صورته النهائية لا يمكن تحديده إلا من خلال استشراف صورة الذات التي تعطي هوية الآخر ما إذا كان فرداً، أو جماعة، إذ لا وجود للآخر من دون الأنا، فلابد من توافر شرط الاختلاف والتمايز فيما بينهما.

ويحدّدُ حسن حنفي صورة الآخر بقوله: "غالبا ما يكون المقصود بالآخر صورته، والصورة بناء في المخيال، فيها تمثّل واختراع، ولأنها كذلك فهي تحيل إلى واقع بانيها أكثر مما تحيل إلى واقع الآخر"[٢].

والآخر في قصيدة الأربعينية الحسينية هو الكون كلّه، يجعله الشاعر لعبته، فيضفي عليه ترسيمات تعكس ما حصدته المخيلة. يقول ادونيس في قصيدة (مرآة الشاهد):

ألا ترى الأشجارَ وهْي تمشي

---

١) النقد الثقافي وانساق الغيرية، طارق بوحالة، مجلة عود الند، WWW.oudnad.net

٢) صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، الطاهر لبيب، ١٩ـ ٢٠.

حدباءَ

في سُكْرٍ وفي أناةْ

كي تشهدَ الصّلاةْ

ألا ترى سيفاً بغيرِ غِمدٍ

يبكي

وسيّافاً بلا يَدينْ

يطوف حول مسجدِ الحسينْ[1].

الحسين (عليه السلام) مركز كوني، كلّ أشياء الكون تأتيه سعياً لتشهد الصلاة حول ضريحه بكل خشوع، فها هي الأشجار قد تكبَّدت عناء المشي (حدباء) خاشعةً، فوصلت إلى مرحلة النشوة الروحية (في سكر)؛ لتكون من المصلين في حرم الحسين (عليه السلام). ويصور الشاعر أيضاً صورة إنسانية مشرقة جسدها أخو الحسين (عليه السلام) وعضده وحامل لوائه أبو الفضل العباس (عليه السلام)، إذ إنّ سيف ذلك البطل مجرد إلى اليوم، وفي ذلك إشارة إلى منهج الحقّ وأنصاره المتعطشين إلى نصرة الحقّ ودحض الباطل، فكانت صورة ذلك البطل الهمام الذي ما زال طائفاً بلا يدين يذود عن أخيه بسيف لم يدخل الغمد بعد.

والآخر في قصيدة قاسم حداد. يقول الشاعر في قصيدته (خروج رأس الحسين من المدن الخائنة):

---

١) المسرح والمرايا، مرايا واحلام حول الزمن المكسور، ٥٨.

نسيرُ ونعرف كيفَ نشقُّ التراب، ونبذرُ داخلَهُ الكائنات

كيف نحزّ الرؤوس ونزرعها عبر كلّ العصور

فنحن الحسين المسافر من كربلاء

ورأس الحسين الممزق بين دمشق وبين الخليج[1].

هذا الالتحام الروحي بالإمام الحسين من قبل الأنوات١ المؤمنة أدّى إلى تقمّص تلك الأنوات لشخصية الإمام الحسين، فهم بحبهم للإمام الحسين (عليه السلام) تمثلوا مسيرته (ونعرف كيف نشق التراب ونبذر داخله الكائنات)، في إشارة إلى البعد المكاني بين المدينة وكربلاء، ثم جاءت الإشارة الثانية إلى موت الحسين (نحز الرؤوس)؛ لتكون زرعاً لا يعرف الذبول عبرَ كلِّ العصور؛ لأنَّ الآخر هو الحسين في طريق الذهاب، وهو الحسين في طريق العودة.

وأراد الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) في قصيدة (ظنوا بأنْ قتلَ الحسينَ يزيد) أنْ يجعل نفسه الآخر الحاكم على نهاية الحسين. يقول:

فرأيتك العملاق جيداً مُتلعاً ... ينعى على الأقزام قطعُ جيدا

ورأيتك الفكرَ الحصيفَ يشقُّ ... أستارَ الغيوبِ ويستشفُّ بعيدا

فعلمتُ أنّك نائلٌ ما تبتغي ... حتما وإنْ يكُ شلوك المقدودا

وبأنَّ من قتلوك ودوُّا عكس ما ظنوا ... قد كان لو علموا المدى المقصودا

بأنْ قتلَ الحسينَ يزيدُهم ... لكنَّما قتلَ الحسينُ يزيدا...[2]

---

١) خروج رأس الحسين من المدن الخائنة، قاسم حداد، ٦٥.

٢) منتديات لبيك يا حسين https://forums.alkafeel.net

ثمة مستوى مغاير الرؤية، فالحسين في مقتله قد انتصر حتّى صارَ عملاقاً وقاتلوه صاروا أقزاماً، مقتله أوصله لما كان يبتغي (عليه السلام)، على الرغم من (شلوك المقدودا)؛ لذا فإنّ الشاعر قد قلب الموازين العرفية النسقية؛ ليكون الحسين في حكم الآخر (الشاعر) قاتلاً ليزيد لا مقتولاً.

٣- تبادل الأدوار النسقية.

في هذا الموضع يحاول الشاعر أنْ يبادل الأدوار بين الأنا والآخر، متخلخلة خارطة المدّ النسقي، فتتبادل الأنساق مجرياتها؛ ليكون الخطاب غيرياً آخر.

وفي قصيدة الأربعينية الحسينية يلحظ المتلقي أنَّ تبادل الأدوار النسقية هو ظاهرة كبيرة درجت في أغلب نصوص الشعراء.

عمد الشاعر أبو علي الكربلائي في قصيدة (تركت الخلق طراً في هواك) إلى تبادل الدور مع الإمام الحسين، فهو في مسيرة الزيارة الأربعينية يرى نفسه الحسين في كلّ تفاصيل فجيعته، والحسين هو الآخر ينتظر مجيء الشاعر المبتلى:

سلكتُ الكربَ والأهوالَ دربا ... وجئتُ ملبياً أخطو خطاك
وطلقتُ الحياةَ بساكنيها ... وعفتُ الأهلَ ملتمساً قراك
تعهَّدتُ الوفاءَ بكلِّ ديْنٍ ... ودينك يومَ عاشورا أتاك
فهدَي إخوتي صرعى ضحايا وهذا ... وأولادي قرابين هناك
طفليَ الظامي ذبيحا ... فهل وفيتُ يا ربّي علاك[1]

زيارة الأربعين جعلت الشاعر يسبحُ في فضاءٍ روحيٍّ، إذ شعر أنه ارتدى قميص الحسين المفجوع، فأخذ يعرض كلّ تفاصيل واقعة الطفّ وينسبها إلى نفسه؛ كونه قد

١) منتديات يا حسين www.yahosein.com

تبادل الدور مع الإمام الحسين (عليه السلام). أما الحسين فهو الآخر الذي ينتظر قدوم المفجوع بلهفة.

ويبادل الشاعر الدكتور عبد الكريم راضي جعفر بين موقف الحسين (عليه السلام)، وموقف قاتليه. يقول في قصيدة (الحسين لم يمت):

لبستُ رأسي المضيء
تعلقت عيونُكم
كنتُ بينكم
أريجَ زهرةٍ بيضاءَ..
هتفت في وجوهكم:

مَنْ قاتلَ الصيفَ ولم يمت

يأتِ على صهوةِ مهرٍ

أشقرَ إعصار[1]

زعزع الشاعر قاعدة النسق المتواتر، متبادلاً الدور بين الحسين (عليه السلام) وبين قاتليه، فيكون الحسين المنتصر بدمه حيّاً، فها هو قد لبس رأسه (لبست رأسي المضيء)؛ ليتولد من الحياة النورانية وجود نوراني يتميز بالضوع (أريج زهرة بيضاء)، في حين أنَّ من انتصر بالسيف ـ وهم أعداء الحسين ـ قد وقفوا وقفة المهزوم خانعين (تعلقت عيونكم)؛ ليأتيَ صوت الحسين هاتفاً فيهم: أنتم (صيف لاهب) لكنني انتصرت عليكم بالخلود الأبدي، فأنا الإعصار على (صهوة مهر أشقر)؛ ليكون الحسين منتصراً بدمه على كل تلك السيوف.

١) مجلة رأينا الثقافية، العدد الثامن، ٢٠١٦، ٧٧.

المصادر:

أولاً: الكتب.

١. بويطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠١٢.

٢. تهذيب الأحكام، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، طبعة دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ه، طهران ـ إيران.

٣. خروج رأس الحسين من المدن الخائنة، قاسم حداد، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٢.

٤. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس العاملي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ط١، (د.ت).

٥. صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.

٦. المسرح والمرايا، مرايا وأحلام حول الزمن المكسور، ادونيس، بدايات للطباعة، ٢٠٠٧.

٧. نخلة الله، حسب الشيخ جعفر، دار الآداب، بيروت.

٨. النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، (د.ت).

ثانياً: الدوريات.

١. قصيدة الحسين لم يمت بعد، د. عبد الكريم راضي جعفر، مجلة رأينا الثقافية، العدد الثامن، ٢٠١٦.

٢. النقد الثقافي واليات انتاجه، د. جاسم محمد جاسم، مجلة الموروث، العدد ٣٩، ايار ٢٠١١.
٣. النقد الثقافي وانساق الغيرية، طارق بوحالة، مجلة عود الند، www.oudnad.net

ثالثاً: الانترنت.

١. زيارة أربعين الإمام الحسين، أدلتها.. أسرارها.. أهدافها، علي القطبي الحسيني. مركز النور: www.alnoor.se.
٢. منتديات لبيك يا حسين www.forums.alkafeel.net.
٣. منتديات يا حسين www.yahosein.com.
٤. منديات مرسى الولاية www.mrsawalyeh.com.

القيم المعنوية

للشعائر الحسينية المقدسة

أ. م. فرح عبد المنعم فتحي
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

م. م ســـــها بحـــــر فيـــــاض
الجامعــة المستنصــرية - كليــة الآداب

الإهداء:

إلى/ أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)

إليك يا مُستباحَ الطفِ يا سـندي أهـدي جمـوداً بهـا أرجـو فـلاحَ غـدي

فكــن شــفيعي يا فخــرَ الأنامِ ويا سبطَ الرسولِ ويا ذُخري ومُعتمدي[1]

١) ديوان الحويزي (ج٢) للعلامة والشاعر الكبير الشيخ عبد الحسين الحويزي/ الطبعة الأولى-مطابع النعمان- النجف.

المقدمة:

لقد أراد الأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) لشهري محرم الحرام وصفر الخير، أن يكونا موسم عزةٍ وكرامةٍ وتحرر وانتزاع للحقوق الإنسانية ومثار شجاعة وثورة على الظالمين وإنعتاق من أَسر الشهوات والمطامع الدنيوية والإخلاد الى الأرض، وميداناً للإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن من عوامل نجاح (موسم عاشوراء) الصفات الكريمة التي جسدها العراقيون وأنصار الحسين (عليه السلام)أينما كانوا كالكرم والإنفاق بلا حدود والتواضع وع والإيثار والحب والرحمة والشجاعة واللهمة العالية وهمة العالية والتآلف والصبر وسعة الصدر وغيرها من صفات حميدة مما حببهم الى جميع الوافدين لإحياء الشعائر الحسينية فكانوا يتسابقون للخدمة وتوفير الراحة للوافدين.

فالمأمول هو (إحياء هذه الشعائر) بشكل واعٍ مع استحضار للأهداف التي أُسست من أَجلها، والمبادئ التي أَراد الأئمة المعصومون (عليه السلام)تركيزها مِن خلال إحيائها، فلم يستشهد الإمام الحسين (عليه السلام)من أجل أن نبكي عليه فقط أو لنتفجع ونحزن، وإن كان هذا مطلوباً في نفسه، ولكن الهدف هو توظيف هذا الحزن والبكاء والألم في رفض الظلم والانحراف والفساد والسعي بهمة كبيرة وتأصيل قيم الحرية والمحبة والسلام والعدالة والمساواة وكل القيم الإنسانية العليا.

تمهيد:

انطلاقا من قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (أحيوا أمرنا، ر انطلاقا من قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرُنا)[1] وأستقبالاً لشهر محرم الحرام وما جرى من مصائب وآلام أمرنا) واستقبالاً لشهر محرم الحرام وما جرى من مصائب وآلام على أهل البيت (عليه السلام)باستشهاد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل ا على أهل البيت (عليه السلام) باستشهاد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس (عليهما السلام)والثلة الطيبة من أهل بيته وأصحابه وتعظيماً لشعائر الله (سبحانه وتعالى) وبحضور جمع غفير من المؤمنين والمؤمنات إضافة الى الحضور الرسمي، أقامت الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، إحدى أهم الشعائر والمراسيم الحسينية، ألا وهي تبديل (الراية الحسينية الحمراء) المعبرة عن الثأر الى (الراية السوداء) المعبرة عن الحزن والعزاء[2].

إن استبدال الراية (الحمراء) براية الحزن والاسى (السوداء) مع بقاء الاعتبار للراية (الحمراء) التي تدل على الثأر وإن دم الحسين (عليه لسلام) لا يزال يفور كدم يحيى بن زكريا، ذلك الدم الذي يظهر ثأر المظلوم من الظالم، وكما نعلم إن إقامة هذه الشعائر والمراسيم مستمر كاستمرار الدين الحنيف الذي فرضه الله تعالى على المسلمين وهو رسالة مضيئة مفتوحةً للآخرين.

الشعائر:

الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة ، وشعائر الله هي الأعلام التي نصبها الله تعالى لطاعته.

يصفها الدكتور فاروق احمد مصطفى بأنها (أفعالٌ متكررة تأخذ شكل العادات التي ترتبط بالنسق الديني ولا يعني هذا إن كل العادات المرتبطة بالممارسات الدينية تعتبر شعائر، فكثير من هذه العادات تكون أفعالا دينية فضلا عن اشتراكها في النشاط الدنيوي، وأقرب مثال على ذلك الاحتفالات الدينية فهي تشمل دائما على الجانبين،

---

١) وسائل الشيعة،١٢/٢٠.

٢) مجلة الاحرار ـ الصادرة عن العتبة الحسينية المقدسة-العدد ١٢ الصادرة في٢٢/١٠/٢٠١٥ م.

الشعائري والدنيوي. وهذا يعني إن الشعائر مهما كانت بسيطة أو معقدة جماعية أم فرديه تعتبر ترجمة وأداء للاعتقاد[١].

وفي النص القرآني نقرأ الاية الكريمة (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)[٢].

ومشاعر الحج:معالمه الظاهرة للحواس، والواحد، مشعر، ويقال شعائر الحج، الواحدة شعيرة، كما وفي الآية الكريمة (لاتحلو شعائر الله)[٣]،أي ما يهدي الى بيت الله، وسميت بذلك لأنها تشعر، أي تعلم بأن تُدمى بشعيرة، أي حديدة يُشعر بها[٤].

١) الشعائر الحسينية –النشأة والتطور–إعداد حيدر الجراح- مجلة النبأ / العدد/٥٦ .

٢) سورة الحج/الآية ٣٢.

٣) سورة المائدة/ الآية ٢.

٤) الشعائر الحسينية – النشأة والتطور– إعداد حيدر الجراح- مجلة النبأ / العدد/٥٦.

الشعائر الحسينية:

ومن هنا نتساءل: هل كان دم الحسين (عليه السلام)شعيرة الإسلام التي أهديت الى الله؟ ونحن لا نجيب ، بل نُذكر بقول الإعلامية الرسالية الأولى زينب (عليه السلام)متوجهة الى الله تعالى: إن كان هذا يرضيك فتقبل منا هذا القربان[1]. وقد ذكر الشاعر المصري محمد العفيفي هذا الموقف العظيم على لسان أبي الشهداء الحسين (عليه السلام)عند استشهاده:

الحسين (عليه السلام): (يهوي على الأرض برفق وهو يسلم الروح): باسم الله وعلى ملة جدي (صلى الله عليه وآله وسلم)،(يهمس بفرح): سبحانكْ، سبحانكْ مُزقتُ لألقاك خطايْ، وعجلتُ إليك لترضى، سبحانكَ سبحانكَ،فلأدع النورَ يُعانقُ عينيّ من يتبعني، دونَ ظلالٍ من أطلالِ وجودي، تُحجبُ بي كلماتي (يتهللُ وجهه فرحاً وتسكنُ أنفاسه)

زينب (عليها السلام) (منفجرة بالبكاء): فاللَّهم ً تقبلْ مِنا هذا القُربانْ[2]

ولارتباط هذه الشعائر وانتسابها الى (الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام) فكفى بهذه التسمية تعريفاً بمن تدور حوله الشعائر.

النشأة والتطور:

وعن إقامة تلك الشعائر، والتي ارتبطت بصاحبها أبي الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) حتى كأن لانفصام بينهما، فهي تقام من كل عام في (صفر الأول، وفق التقويم المكي) ويدعى الآن (محرماً) وعدد أيامه (٣٠)، وقد استحدث هذا الاسم بعد الإسلام[3].

أما يوم إستشهاد الحسين (عليه السلام) فيسمى عشوراء و(هو العاشر من المحرم عند العرب وتاريخه قديم جداً).

---

١) الكبريت الأحمر،٣/٢٣.

٢) هكذا تكلم الحسين (عليه السلام)ـ مسرحيه شعرية من تأليف الشاعر المصري محمد العفيفي/ من منشورات مطابع بيروت ـ لبنان ١٩٦٩م.

٣) علي الشوك/كتابة (جولة في أقاليم اللغة والأسطورة) ص١٩١ ،مطبعة دار المدى/ دمشق/ ١٩٩٩م.

ويسمى يوم عاشوراء في العراق بيوم (الطبك) أي اليوم الذي انطبقت فيه السماء على الأرض على أثر استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء[1].

وماذا عن كربلاء التي اقترن اسمها بصاحب الاسم الخالد الحسين (عليه السلام)؟

فكربلاء هو الموضع الذي استشهد فيه الحسين (عليه السلام) في طرف البرية عند الكوفة، وكثيراً ما تقترن واقعة إستشهاد الحسين (عليه السلام) باسم آخر غير كربلاء وهو (الطَّف) وتعني ما أشرف من أرض العرب من ريف العراق. و(الطف) أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان إستشهاد الحسين بن علي (عليهما السلام) وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون من الماء جارية[2].

وبعد فإن من مُسلمات مدرسة أهل البيت (عليه السلام) استحباب الشعائر الحسينية المقدسة، لا سيما في زماننا، حيث يتوقف عليها إحياء الشريعة الحقة، والفرقة المحقة، وإرشاد الناس إليها، وتثبيتهم عليها، فإنها من أعظم مصادر الإعلام الحديثة ،ووسائل الإعلام والدعوة الى الإسلام، حيث تتوقف عليها مقاومة الغزو الفكري الخطير والقادم عبر مثل هذه الوسائل التي أصبحت سلاحاً فتاكاً من أسلحة الدمار للأمة والدين (ولا يرد السلاح إلا بمثله) فهو داخل في إعداد القوة المطلوبة في قوله تعالى (وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ)[3]. وهل الحرب الإعلامية إلا ضرب من ضروب الحرب التي لا تقل خطراً عن بقية أشكال الحرب إن لم تزد عليه وتكون أساساً لهما ومقدمة اليها.

ولاريب إن الشعائر الحسينية الواعية الهادفة (في هذا الزمن) خير وسيلة في تعبئة الأمة عقائدياً وفقهياً وروحياً وتربوياً وسياسياً لخوض صراعها المقدس ضد أعداء الإسلام[4].

وقد جسدت المرجعية الدينية الرشيدة، ركائز هذا الصراع ودرء الخطر الجسيم، عندما أوعزت بتشكيل الحشد الشعبي المبارك للدفاع عن العراق والمقدسات، ورسمت

---

١) إبراهيم الحيدري/ تراجيديا كربلاء/ دارالساقي-بيروت/ط١/ ١٩٩٦م.

٢) معجم البلدان/ ياقوت الحموي/ ج٤/ ص٣٥.

٣) سورة الانفال- آية ٦٠.

٤) من موسوعة الاستفتاءات والمسائل العامة للعلامة الدكتور فاضل المالكي/ الصادر عن مؤسسة دار الكتاب/ ١٤٢٤هـ.

بحكمتها أُسساً لحياة الناس ضمن علاقات في حدودٍ ومفاهيم تنسجم مع الإرادة الربانية، واضعة منهاجا مقوماً وصالحاً ضمن أنظمة دولية وقوانين شرعية لإنهاء الإرهاب وحربه الملعونة، فطوبى لأبناء الحشد الشعبي والقوات الأمنية وهم يحمون الوطن الأغلى، وطنَ عليٍّ والحسين (عليهما السلام).

الشعائر الحسينية: مفردة من مفردات الإتصال بالله عز وجل:

الشعائر الحسينية مجموعة الطقوس العبادية التي توثق ما جرى على الإمام الحسين (عليه السلام) في العاشر من محرم الحرام (سنة ٦١هـ).

والذين يؤدون الشعائر ويعملون على إنجاحها ودوامها يبتغون رضا الله تعالى ورضا أهل البيت (عليهم السلام) إنطلاقاً من قول سيد الشهداء الحسين (عليه السلام): (رضا الله رضانا أهل البيت).

وإن الغاية التي تقام من أجلها الشعائر الحسينية هي تقوى القلوب والتقرب الى الله تعالى، لكون إن الإمام الحسين (عليه السلام) قدم نفسه قرباناً للإسلام والمسلمين.

لهذا يحيي المسلمون والأحرار في العالم ذكرى استشهاده وأهل بيته وأصحابه وسبي عياله.

من هذا تعتبر الشعائر الحسينية من أبرز مصاديق شعائر الله تعالى، وهو كل موضوع يُشعر بالله تعالى، وما أعظم ذكر الله تعالى في الشعائر الحسينية الحاوية على معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وخصوصاً سُنة رسوله الأكرم نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) وهدْي الثقلين، كتاب الله تعالى، وعترة رسوله (آل محمد) صلوات الله عليهم أجمعين. لاسيما سيرة ومواقف سبطه الشهيد وريحانته وحبيبه الإمام الحسين عليه ال عليه السلام سلام الذي قال فيه (صلى الله عليه وآله): (حسين مني وأنا من حسين).

وعليه فإن تعظيم شعائر الحسين (عليه السلام) تعظيم لشعائر الله تعالى، ويتحقق تعظيمها:

أولاً: في ديمومة إقامتها (بشروطها).

ثانياً: في صيانتها عما يشوهها، وتنزيهها عما لا يليق بها.

ثالثاً: بترتيب الأثر على معطياتها حتى تكون ـ فعلاً ـ من تقوى القلوب، كما اراد الله تعالى في الآية ٣٢ من سورة الحج[١].

في إقامة الشعائر الحسينية تجديد للعهد:

إن في إقامة الشعائر الحسينية تجديد للعهد مع سادة أولياء الله تعالى وولاة أمورنا من آل محمد (صلوات الله عليهم) والتعبير عن نصرتهم، وتجسيد مودتهم قال تعالى: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ۝ ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون))[٢].

وقال سبحانه: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[٣].

وقال سبحانه: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنةً نزِد له فيها حُسناً)[٤].

كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إني تاركٌ فيكم الثقلين، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً، كتابُ الله وعِترتي أهل بيتي)[٥].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً)[٦].

إن من فضائل إقامة الشعائر الحسينية إبراز الكثير من المعطيات العلمية والعملية والروحية والمعنوية والاجتماعية والخيرية بل والسياسية وغيرها والتي تعتبر من الثمرات العظيمة[٧].

للشعائر الحسينية أبعاد نفسية وتربوية عديدة:

---

١) من موسوعة الإستفتاءات والمسائل العامة/ج٢/ للعلامة الدكتور فاضل المالكي/ إصدار مؤسسة دار الكتاب/ سنة ١٤٢٤.

٢) سورة المائدة/ الآية ٥٥ـ٥٦.

٣) سورة النساء/الآية ٥٩.

٤) سورة الشورى/ الآية ٢٣.

٥) بحار الأنوار،٢ /١٠٠.

٦) الارشاد،١٢٧/٢.

٧) موسوعة الإستفتاءات والمسائل العامة/ للعلامة الدكتور فاضل المالكي /ج٢/إصدار مؤسسة دار الكتاب/ سنة ١٤٢٤هـ.

إنَّ الشعائر الحسينية من حيث إنها تمثل مفردة من مفردات الإتصال بالله (عز وجل) إذ تسود فيها الأجواء الروحانية ولها تأثير كبير على النفس البشرية، ففي علم النفس هناك ما يسمى (بالتفريغ الإنفعالي والنفسي) وهذا (التفريغ الإنفعالي) يحتاجه الإنسان في حياته اليومية بسبب تعرضه للضغوط النفسية الكبيرة، والشعائر الحسينية بما تحمله من قيم ومبادئ وبما فيها من طقوس تحرك العواطف وتثير الوجدان قادرة على إحداث عملية التفريغ[1].

استحباب المجالس الحسينية:

يتأكد استحباب المجالس الحسينية، لما في إقامتها ومحاضراتها من إعلاء كلمة الله تعالى ورسوله وأهل بيته (صلوات الله عليهم). لا سيما إنها من أبرز مصاديق مجالس ذكر الله تعالى، ففي الحديث الشريف المأثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

(إذا رأيتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها).

قيل: وما رياض الجنة يا رسول الله؟

قال (صلى الله عليه وآله): (مجالس الذكر)[2]

كما تواترت الأحاديث الشريفة في خصوص المجالس الحسينية المشرفة ، منها: قول الإمام الصادق (عليه السلام): (إن تلك المجالس أحبُّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا)[3].

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (من جلس مجلساً يُحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب)[4].

وقد تعارف المسلمون في مختلف بلدانهم على مؤسسات منتديات أو نوادٍ ومراكز دينية أو خيرية أو اجتماعية أو تبليغية عدوُّها مشاريع تؤدي عملها ودورها في خدمة القضيه الحسينية وشعائرها المقدسة.

---

١) بواسطة وكالة (الميزاب) بتاريخ ١٥ اكتوبر ٢٠١٦ عبر الانترنت.

٢) مشكاة الأنوار،الطبرسي،١١٤.

٣) وسائل الشيعة،١٤/ ٥٠١.

٤) الأمالي،الصدوق،١٣١.

وبالنظرة الدقيقة التي نلقيها على الشعائر الحسينية، نلمس حقيقة إن المجلس الحسيني يحتل موقع الصدارة فيها والتعبير الأكثر بروزاً وشيوعاً، والأكثر نفعاً للأمة بدليل إنه لم يعد مقتصراً على يوم (عاشوراء) أو الأيام العشرة الأولى من شهر محرم أو حتى على شهري (محرم وصفر) من كل عام، وإنما طيلة السنة، بعكس الشعائر الأخرى التي تفتقد الى هذه الخصوصية، إضافة الى إن المسلمين كافة بمذاهبهم ودرجات إيمانهم ومستويات وعيهم وعلمهم وتنوع طبقاتهم، بل وغير المسلمين أيضاً يستجيبون ويتفاعلون مع أنشطة عاشوراء، فالشيعي والسني والمسيحي والسيخي-مثلا- بإمكانه أن يحضر ويتفاعل مع المجلس الحسيني[1].

ثمرات اقامة المجالس الحسينية:

١- الثمرة الاولى: من ثمراتها الدينية تثبيت العقيدة وتركيز الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) فقد فرض الله تعالى على الناس مودتهم في كتابه المجيد (قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة في القربى)[2].

٢- الثمرة الثانية: ما ينشر في مجالس المباركة من الوعظ والارشاد ونشر فضائل اهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم ليقتدي الناس بها ويسيرون بسيرها وينهجون منهجها فان معظم اخبار الانبياء والائمة (عليه السلام) لم يسمعها الناس الا من منابر(المجالس الحسينية).

٣- الثمرة الثالثة: ومن ثمراتها الدنيوية تسلية اهل المصائب عما قد اصابهم. ففي فاجعة الحسين (عليه لسلام) سلوى لكل مصاب وتذليل لكل فاجعة:

انست رزيتكم رزايا التي***سلفت وهونت الرزايا الاتية

٤- الثمرة الرابعة: ومن ثمراتها الدنيوية انها تبعث في النفوس روح الاباء والشيم وتثير المروءة والحمية ،فقد اصبح موقف لحسين (عليه السلام) يوم الطف قدوة لاباء

---

١) رعد الموسوي/ المجلس الحسيني / لمحة عن أدواره وأهدافه المنشور في مجلة (رسالة الحسين (عليه السلام)/ العدد ٢/ ربيع الاول/ ١٤١٢ه/ التي يصدرها مركز دراسات نهضة الحسين (عليه السلام).

٢) سورة الشورى/ آية ٢٣.

الضيم ،فهذا مصعب بن عمير لما طلب منه اصحابه ان يستسلم ويبايع عبد الملك بن مروان ليقره على ولاية العراق ويزيد في عطائه قال لهم: (لقد بذل للحسين عليه السلام يوم الطف اضعاف ما بذل لي والله لا اعطي بيدي اعطاء الذليل ،ولا اقر اقرار العبيد واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما)[1].

٥- الثمرة الخامسة: ان البكاء والاستعبار و الاستغفار في المجالس الحسينية بعد الفاجعة يروح عن النفس وينفس عن القلب ،لا سيما عند ارجاع الامر الى الله واللجوء اليه سبحانه.. ففيه الاجر والثواب وحسن العاقبة.

استحباب البكاء والتباكي على الحسين (عليه ا لسلام):

يستحب لبكاء والتباكي على الحسين (عليه السلام) فانه تعبيرعن مواساة من فرض الله سبحانه وتعالى مودتهم فيما اصابهم ،وفي الاثر الشريف (شيعتنا منا ،يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)[2] وقد تواترت الاحاديث عن رسول لله (صلى الله عليه واله) في بكائه او يزيد على خمسين عاما ،فلا جرم لو بكاه المسلمون بعد مقتله بعشرات السنين ،علما بان وقع الفاجعة بعد وقوعها اعظم ،خاصة فاجعة كربلاء العظمى التي فجع الرول لاكرم واهل بيته(صلى لله عليهم) بمثلها ابدا ،حتى قال الحسن (عليه السلام): (لا يوم كيومك يا ابا عبد الله)[3].

ولذا ورد إن الامام زين العابدين (عليه السلام) بكى اباه الحسين (عليه السلام) طيلة عمره الشريف بعد عاشوراء – أي قرابة خمس وثلاثين عاما حتى سئل عن ذلك فقال (عليه السلام): (ان يعقوب كان له ثنا عشر ابنا فغيب الله واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه ،واحدودب ظهره من الغم ،وكان ابنه حيا في الدنيا ،وانا نظرت الى ابي واخي وعمي وسبعة عشر من اهل بيتي مقتولين حولي ،فكيف ينقضي حزني).

وكذلك رويت في فضل البكاء والتباكي على سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) احاديث كثيرة عن اهل البيت (عليهم السلام).

---

١) عبر الانترنت/ منتدى المفيد/ من فوائد إقامة المجالس الحسينية/ عام ٢٠١٦.

٢) وسائل الشيعة،١٤/٥٠٨.

٣) الأمالي، الصدوق، ١٧٧.

نصبُ سرادقات العزاء ومواكب الخدمات:

إن أُريد بالمآتم نصب العزاء ومراسيم الحزن والبكاء فقد أكدت الأحاديث المستفيضة على إستحبابه لا سيما في عشرة محرم الحرام، وذلك لما فيه من إحياء الحق، وإماتة الباطل، ورسوخ الخط الإسلامي الأصيل، حتى قيل: إن الإسلام محمدي الوجود، حسيني الخلود.

ولعل هذا هو مراد النبيِّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله: (أنا من حسين، وحسين مني) هذا وإن في ترك مأتم عاشوراء من الجفاء لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وكيف لايحزن مسلمٌ لمصيبة بكاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل عامها (بخمسين) سنة.

وقد رويَّ عن الإمام الباقر (عليه السلام) في وظيفة المؤمن يوم عاشوراء، قوله (عليه السلام): (ليندب الحسين وليبكيه ويأمر من في داره- ممن لا يتقيه- بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه)[1].

إنشاء وإنشاد الشعر الرثائي في الحسين (عليه السلام):

أما إنشاء وإنشاد الشعر الرثائي في الحسين (عليه السلام) فقد طفحت كتب الحديث المعنية بذلك في فضله وأهميته واستحبابه الأكيد مطلقاً- بكلِّ لغة ولهجة.

اللطم على الصدور:

لا يخفى أن اللطم على الصدور هو أحد مصاديق الجزع وقد ورد في حسنة ابن وهب عن الصادق (عليه السلام) قوله (كل الجزع والبكاء مكروه ما سوى الجزع

---

١) موسوعة الاستفتاءات والمسائل العامة/ للعلامة الدكتور فاضل المالكي / ج٢/ إصدار مؤسسة دار الكتاب/ سنة ١٤٢٤هـ.

والبكاء لقتل الحسين (عليه السلام)[1] فلا شك في رجحان واستحباب اللطم لمصاب سيد الشهداء أرواحنا له الفداء، ولو كان في ذلك حزازة لأنكر الإمام الرضا (عليه السلام) على الشاعر دعبل الخزاعي قوله:

إذاً للطمت الخدَّ فاطم عندهُ ****وأجريتِ دمعَ العينِ في الوجناتِ

بل تفاعل الإمام (عليه السلام) معه في ذلك وأجهش بالبكاء، وفي ذلك تأييد وتقرير له على ما قال الشاعر وقال (عليه السلام): (إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كربلاء وأورثنا الكرب والبلاء الى يوم الانقضاء)[2].

وعن الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) في زيارة الناحية المقدسة مخاطباً جده الحسين (عليه السلام): (فلأندبنّك صباحاً ومساءاً، ولأبكينَّ عليكَ بدل الدموع دماً)[3].

لِبسُ السواد بمناسبة عاشوراء الأليمة:

لم تثبت كراهة لبس السواد مطلقاً، وإنما وردت في بعض الموارد التي ليس منها لبسه عند المصيبة، فضلاً عن مصيبة الحسين (عليه السلام)، والظاهر إن المنهي عنه اتخاذ السّواد شعاراً تشبهاً (بالفراعنة والعباسيين ومن مثلهم في كل عصر) لا مجرد لبسه. بل استفاض من أحاديث عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) أن النبي وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام أجمعين) لبسوا السَّواد أحياناً، وأن الحسن (عليه السلام) لبس السواد عند مصابه بشهادةِ أمير المؤمنين (عليه السلام).

وجاء بسندٍ معتبر أن الفاطميات (عليهن السلام) لَبِسْنَ السواد على الحسين (عليه السلام) بعلم عليٍّ بن الحسين (عليهما السلام)[4].

---

١) وسائل الشيعة،٣/٢٨٢.

٢) الامالي ،الصدوق،١٩٠.

٣) موسوعة الاستفتاءات والمسائل العامة/ للعلامة الدكتور فاضل المالكي/ المشار اليه (ص١٤٤).

٤) موسوعة الاستفتاءات والمسائل العامة/ للعلامة الدكتور فاضل المالكي/ المشار اليه (ص١٤٥).

فلا ريب من مشروعية لبس السواد في حد نفسه، كما لا شك في رجحانه واستحبابه لأعظم مصيبة جرت على سيد المظلومين والشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

فإن لبس السَّواد إن كان من مصاديق الجزع، فهو داخل في الجزع المأجور لمصاب الحسين (عليه السلام).

التمثيل الوجيه النزيه لمشاهد عاشوراء:

يجوز مبدئياً التمثيل الوجيه النزيه لمشاهد عاشوراء ما لا يلزم منه محذور شرعي تفوق مفسدته مصلحة التمثيل. كهتكِ مقام المعصوم (عليه السلام) وإلا فالأصل إباحتها، بل رجحانها لما في التمثيل الحسي الشريف من إيجابيات وجدانية تهز الأعماق وتفجر العواطف، وتبلور الأفكار والمواقف، وتشد المشاهد لنصرة المظلوم، والنقمة على الظالم، وذلك ملاكٌ عظيم مِن ملاكات إحياء ذكرى عاشوراء.

مراعاة الضوابط الشرعية في إقامة الشعائر الحسينية:

بما إن سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) يقول: (إنما خرجتُ لطلب الاصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه آله) ولكي أَمر بالمعروف وأنهي عن المنكر)[1].

فلتتأكد مراعاة الضوابط الشرعية، والحدود الإلهية في إقامة كل ما تقدم من الشعائر الحسينية المقدسة، ولا نكن من الذين أتخذوا دينهم لهواً ولعباً[2].

---

١) مناقب ال ابي طالب،ابن شهر اشوب،٣/٢٤١.

٢) المصدر السابق.

ثم إن في تشخيص هذه الضوابط مفهوماً وتحققها مصداقاً دقةً و مشقةً لا يقوى عليها –قاعدةً أو عادةً– إلا أولو الخبرة والولاء من الفضلاء الأتقياء، وذلك لاختلافها باختلاف المفردات والأفراد، وتفاوتها بحسب ملابسات الأحوال، وظروف الزمان والمكان.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله المعصومين المظلومين لاسيما سيدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أسير الكربات، وقتيل العبرات، رزقنا الله تعالى في الدنيا الثبات على ولايتهم، وحسن متابعتهم وخالص خدمتهم وزيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم ومجاورتهم والسلام عليهم أجمعين، والله الهادي الى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تنظيم وتنسيق عمل المواكب الحسينية:

إن الاهتمام بأصل الشعائر الحسينية والسعي للحفاظ على جوهرها وقيمتها ودلالتها يتأتى من الأجر العظيم والثواب الكبير والمنزلة الرفيعة التي ترجى من الله سبحانه، لأن الخدمة الحسينية وما يتصل بها من أعمال تؤدى بنية القربة الى الله.

حيث إن ما تقوم به المواكب والهيئات المنظمة لهذا الشأن يعد مواساة وحباً لسيد الشهداء (عليه السلام) الذي قدم أهل بيته وأصحابه قرابين من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام.

وأن ما يقوم به الزائرون الوافدون والمشاركون في إحياء الشعائر الحسينية ما هو إلا تعبير عن تفاعلهم مع القضية الحسينية.

وتأكد إن الهدف من تنظيم وتنسيق عمل المواكب الحسينية في مدينة كربلاء المقدسة وغيرها في جميع أنحاء العالم... هو لجعل الشعائر الحسينية، رسالة حضارية واضحة تظهر حقيقة الإسلام وعظمة (القضية الحسينية) وآثارها الإيجابية للتغيير والإصلاح والبناء

والعمران ورعاية الإنسان وتحسين حياته ونظم معيشته وتيسير أموره بما ينسجم مع إنسانيته المحترمة.. وليست هي مجرد مظاهر للجزع والحزن.

ويتمثل هذا التنظيم للمواكب الحسينية بعدم سد الطرق على السابلة وعدم غلق المحلات التجارية والفنادق وعدم نصب المواكب والسرادقات إلا في مكان لائق لا يسبب تأخير وعرقلة الأعمال في الحياة العامة للناس والحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة.

وبلغ عدد المواكب الحسينية التي تقدم خدماتها للزائرين في كل العراق بحدود (٢٧) الف موكب وهيأة من داخل وخارج العراق[١].

الشعائر الحسينية من الدعاة الى الإسلام والى الحق والحرية والعدالة

تُحيي العائلة الحسينية في سائر أرجاء العالم مراسيم عاشوراء، ذكرى إستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) إنطلاقاً من العراق، وبدءاً من كربلاء المقدسة حيث مئات الالاف بل والملايين من الشيعة ومن محبي آل البيت الاطهار (سلام الله عليهم).. يشاركون بلهفة وقلوب موجوعة في إحياء ذكرى عاشوراء الأليمة.

ومن يزور كربلاء يشهد طقوساً عدة، ويجد أن جميع الفئات العمرية تساهم فيها من الصغير الى الشيخ الهرم رجالاً ونساءاً، كما يجد إن العديد من الممارسات الشعائرية ومنها (ركضة طويريج) يحتشد حولها آلاف الزوار في شوارع المدينة القديمة في كربلاء تطلعاً لأداء الطقوس والمواكب الحسينية والمتتبع لفعاليات الشعائر الحسينية في كربلاء لاريب أنه يتساءل، هل تقام هذه الشعائر في كربلاء فقط؟ وهل تؤدى في المدن العربية؟ في بلدان العالم؟ يجيب عن هذه التساؤلات الإعلام الالكتروني والمرئي معلناً إن للعائلة الحسينية دوراً مهماً في إقامة هذه الشعائر بمناطق كثيرة في العالم، دون أن يقتصر الحديث

١) مجلة الاحرار/ الصادرة عن العتبة الحسينية المقدسة/ العدد ١٢ الصادرة في ٨محرم ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٥/١٠/٢٢

على إقامة العائلة للشعيرة، بل يصل بنا الى إسهامات الفرد الحسيني فيما تنتجه فعاليات الشعائر من نُظُم قيمية وإنسانية باستقطاب المسلمين وغير المسلمين لمعرفة حقيقة الاهداف التي خرج لأجلها الإمام (عليه السلام) في ثورته ضد الباطل والظلم والجور.

وإلى الضاحية الجنوبية لبيروت وتدفق مئات الآلاف صباح عاشوراء لإحياء ذكرى العاشر من محرم الحرام، بإطلاق المسيرة العاشورائية سيراً على الأقدام، وإقامة المجالس الحسينية مرتدين ملابس سود واوشحة خضراء وتُعصب رؤوس أطفالهم بعصبة حمراء، يكتب عليها (يا أبا عبد الله) بينما على عُصبٍ وضعتها النساء (يازينب).

هذه المشاهد تتكرر ويضاف عليها مشاهد للمسرح الحسيني في سوريا واليمن والبحرين والكويت وفي مدينة الإحساء والقطيف و في الحجاز.

فيما يحتفل المصريون بإعداد حلوى طبق (العاشوراء) والتي تصنع من حبوب القمح، كما يعتبر موسماً لإقامة الولائم الاسرية، فيما يقوم البعض الآخر من الشيعة ومحبي آل البيت الأطهار (عليهم السلام) في عاشوراء بزيارة مقام الحسين (عليه السلام) في القاهرة، وإضاءة الشموع وقراءة قصة مقتل الحسين (عليه السلام) والبكاء والنحيب واللطم تعبيرا عن الحزن والجزع في هذه المناسبة (الفاجعة) الأليمة.

أما في المغرب حيث يطلق على يوم عاشوراء (يوم زمزم) ويقوم فيه المغاربة برش الماء على بعضهم وعلى مقتنياتهم للتبرك. ويجتهد التجار في بيع كل بضائعهم، ويعقب عاشوراء (ليلة الشعالة) حيث يجتمعون حول نارٍ يرددون الأناشيد ويقصون على الأطفال قصة مقتل الحسن والحسين (عليهما السلام).

لا يقتصر نشاط (الفرد) الحسيني داخل الدول العربية، إنما كانت مبادرته تجوب بلدان العالم بما يكفي الإعلام لتوثيقه ونشره في مختلف الدول كالهند وباكستان وأفغانستان وايران حتى أعلى قمم الجبال في اليابان، وليصل دويّ هذه الانطلاقة وهي

تجوب بلاد القارة الخضراء أوربا، ومنها الى أمريكا وقبلهما أفريقيا تلبية لنداء الحق ونصرة لصدى استغاثة الإمام (عليه السلام). ورفعت الشارات السود في كل مكان وكتب عليها شعارات مؤلمة على مصاب أهل البيت مثل (يا حسين، يا مظلوم، يا ثأر الله، السلام عليك يا أبا عبد الله) وملأت سرادقات العزاء شوارع وأزقة البلاد مرفوعاً عليها الأعلام السَّود مكتوبة بالأحمر، بما يشير الى الدماء كلمة (يا حسين يا شهيد، يا قمر بني هاشم)[1].

لماذا الزيارة الأربعينية:

إن مسيرة حياة الإمام الحسين (عليه السلام) مع جده وأبيه وأمه (عليهم السلام)كانت جانباً مشرقاً ومتميزاً، إلا إن ساعات (الطف) وما دار فيها كانت الأجلى والأكثر تأثيراً في نفوس المجتمعات الإسلامية وغيرها، وكأن لحظة الشهادة هي ذاتها لحظة الولادة، فكانت قصة البطولة في عاشوراء محط اهتمام الموالين حتى إن نسبة كبيرة منهم يحفظون (رواية المقتل) بتفاصيلها على ظهور قلوبهم، ويحيون مراسيم العزاء ويواظبون على أدائها وتطويرها في عاشوراء سنوياً.

ومنذ لحظة الحدث تلك بدأت زيارة عاشوراء التي يحييها العالم في (١٠) من المحرم الحرام. ثمة حرارة في قلوب المؤمنين تجاه قضية الإمام الحسين (عليه السلام).أخبر بها النبيُّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث الشريف: (إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً)[2].

---

١) حسين النعمة/ إسهامة العائلة الحسينية في إحياء الشعيرة الحسينية/ المنشور في مجلة الأحرار/ محرم الحرام ١٤٣٧هـ.

٢) مستدرك الوسائل، النوري، ١٠/ ١٨.

كان وراء إمتداد المراسيم بشكل فعلي ورسمي منذ اليوم الأول لشهر محرم الحرام حتى ال(٢٠) من صفر الخير، وتحديداً بعد (زيارة الأربعين) المعروفة والتي يتوافد خلالها الملايين من الموالين والمحبين لابي عبد الله الحسين (عليه السلام) قاصدين مرقده الشريف، إلا إنَّ ثمة تساؤل يطرح (اذا كان مصرع الحسين (عليه السلام) وراء زيارة مرقده الشريف في العاشر من محرم الحرم فما هو منشأ ما يعرف ب(زيارة الربعين) في الـ(٢٠) من صفر كل عام؟ ويكون الجواب على هذا التساؤل بجملة من الحوادث التأريخية التي تزامنت مع هذا التوقيت وهو الـ(٢٠) من صفر، ليكون الجامع المشترك فيها هو قضية الحسين(عليه السلام) واستشهاده.

إن أبرز ما قيل من الروايات في يوم الأربعين إضافة الى زيارة الحسين (عليه السلام) في هذا اليوم هو ما روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) إنه قال: (علامات المؤمن خمس، صلاة الواحد وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم، والتختم باليمين، وتعفير الجبين)[1] ولعل هذه الرواية الأكثر شهرة وصراحة التي يستدل بها على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) بعد مرور أربعين يوماً من استشهاده، وجعل هذا العمل (المندوب) علامة من علامات المؤمن. مع وجود روايات أخرى.

إنَّ هذه الرواية وغيرها من الروايات تتحدث عن تفاعل واقعي للكون والطبيعة مع قضية استشهاد الحسين (عليه السلام) وقد سجلها التاريخ لكي تصلنا نحن الذين نتساءل عن سر تفاعل المؤمنين مع يوم (الأربعين) وإحيائه سنوياً والمواظبة على زيارته (عليه السلام) في هذا الوقت تحديداً. حادثة تاريخية يقدمها جملة من علمائنا المتقدمين كسبب لنشوء مراسيم زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الـ(٢٠) من صفر، والتي مفادها إن يوم (الأربعين) هو اليوم الذي جاء فيه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) الى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاده.

---

١) مصباح المتهجد، ٧٨٨.

وصفوة القول فيما ذكرناه آنفاً:

إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) لها من الفضل العظيم ما لا يمكن أن يعد ويحصى، ولا يمكن اختزالها في يوم دون الآخر، خصوصاً وإن أيام زائري الحسين (عليه السلام) (لا تعد من آجالهم)[1] كما صرح بذلك الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) مما يجعل الشيعة والموالين والمحبين في تنافس دائم لإحياء مراسيم الزيارة سواء في العاشر من محرم أو الاربعين أو حتى في النصف من شعبان ويوم عرفة فضلاً عن ليالي الجمعة المباركة.

الزيارة الأربعينية في سجل الخلود:

تأخذ الزيارة الأربعينية (عاماً بعد عام) صداها الإعلامي الواسع على مستوى العالم أجمع وذلك عند توافد الحشود الغفيرة من أغلب بقاع العالم لإحياء هذه الشعيرة المقدسة ولكي يتوحدوا تحت راية أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) الذي جسد لهم الحرية والإباء والثورة على الظلام والجائرين وجسد لهم معاني الخُلق العظيم الذي ورثه عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

تأتي هذه الجموع الغفيرة لتخلد ذكرى لم يحصل مثيلها في التاريخ وهي ذكرى عودة سبايا أهل البيت (عليهم السلام) ومعهم الرؤوس الطاهرة التي دفنوها مع الأجساد المقطعة والتي قطعت في سبيل الحفاظ على الدين والحرية وحقوق الإنسان والتي أصبحت ملاذاً للثائرين ضد الظلم والجور. نعم قضية عاشوراء كانت وما زالت تدافع عن كل مظلوم وتدحر كل ظالم وهي القضية الوحيدة التي برزت رغماً عن الذين حاربوها وحاولوا دفنها في طيات التاريخ وهي القضية التي هزت مشاعر وضمير الإنسانية لتفيقهم من سُباتهم وهي القضية التي حافظت على إستقامة وبقاء الرسالة الإسلامية.

---

١) كامل الزيارات، ٢٦٠.

الزيارة الأربعينية التي تحصل في كل سنة هي ليست مختصة بمذهب من المـذاهب أو دين من الأديان أو فئة محددة، بل هي تضم جميع الأديان والمذاهب والفئات على مختلـف أنواعها، لأن الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من أجل الإنسانية وإحقاق الحـق ونبـذ الباطل عن جميع العالم وضحى بالغالي والنفيس من أجل أن تكون كلمة الحق هي العليا.

إن خلود المسيرة الحسينية إبتنى على إحياء الرسالة الحسـينية وتطبيقهـا في حياتنـا الطبيعية وذلك لما لها من الأجر العظيم عند الله تعـالى وايضـاً لمـا لهـا مـن الصـلاح في المجتمع، كما قال الحسين (عليه السلام): (ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي لآمر بالمعروف وأنه عن المنكر)[1].

هذا ماتعلمناه من مسيرة النهضة الحسينية التي رسمت لنا أسمى الأهـداف لنجعلـها منطلقاً لحياتنا نحو الأفضل، فكيف لا تكون المسيرة الحسينية في كافـة شـعائرها خالـدة ودائمة الى الأبد.

١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب، ٣/ ٢٤١.

الخاتمة:

وفي الختام نقول إن الشعائر الحسينية هي احدى الأسباب التي أبقت شعلة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) متقدة الى يومنا. فهي التي حملت صوت الحق على مر الزمان وسيبقى هذا الصوت مدوياً ما بقيت تلك الشعائر مستمرة في تعرية الباطل من أثواب الزيف والخداع التي يتظاهر بها أعداء الدين والوطن لإغراء الجهلة والغافلين، وستبقى هذه الشعائر تؤجج نار الثورة بوجه الظالمين، إضافة الى إن هذه الشعائر هي مواساة وتعزية للنبيّ الأكرم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم) وهي مصداق لقول الله تعالى: (ومن يُعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)[1].

فهناك من كانوا يقفون تحت قبة الحسين (عليه السلام) بهذه المناسبة الأليمة في الأعوام السابقة ها هُم اليوم يشكلون جدار الصد والمواجهة في جبهات القتال لمحاربة الزمر التكفيرية الظلامية الظالمة.

سائلين الله تعالى أن يتقبل عملهم وأن يرحم الشهداء منهم ويشفي جرحاهم. وقد قدم أنصار الحسين (عليه السلام) هداياهم المتواضعة (العظمية عند الله) بتحرير أرض الوطن من دنس العناصر الإرهابية الغاشمة.

وقد استلهم أبطالنا الغيارى صبرهم وعزيمتهم من صبر الحسين (عليه السلام) ووقوفه ضد الطغاة ورفض الذل والظلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للمزيد من معرفة الحسين (عليه السلام) ولتطبيق أهدافه ونحن على أمل أن يأتي ذلك اليوم الذي يستنير فيه المسلمون وكل العالم من نور الحسين (عليه السلام) ويستضيئوا من مصباح هدايته جادين في تحقيق سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.. وان يجعلنا جميعا من السائرين على نهج الإمام الحسين (عليه السلام)

---

١) سورة الحج/ آية ٣٢.

وأن نلبي نداءه وهتافه (هل من ناصر ينصرنا) الذي لا يزال يحرك الضمائر والهمم للنهوض بالأهداف السامية العظيمة التي ضحى من أجلها ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

اللهم وارزقنا شفاعة الحسين (عليه السلام) شفاعة حبه في الله. وشفاعة السير على نهجه وخطه وشفاعة من حمل رايته الإسلامية الخفاقة وشفاعة من وقف بوجه الظلم والظالمين على مر العصور. وشفاعة من رفض أن يبيع دينه بدنيا غيره وآخر دعوانا: (اللهم كُن لوليّك الحجة ابن الحسن (سلامك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة) ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تُسكنه أرضك طوعاً وتمتعه طويلاً)[1]، وصلى الله على محمد وآل محمد وشفعهم بنا. يا أرحم الراحمين. والحمد لله رب العالمين.

١) ثورة الحسين (عليه السلام)/مدرسة للحياة/ إصدار معهد الامام الخميني للدراسات الإسلامية.

المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. ديوان الحويزي (ج٢)/ للعلامة والشاعر الكبير الشيخ عبد الحسين الحويزي/ الطبعة الأولى-مطابع النعمان/ النجف الأشرف
٣. مجلة الأحرار-الصادرة عن العتبة الحسينية المقدسة- العدد /١٢ الصادرة في محرم الحرام ١٤٣٧ه/الموافق ٢٢/١٠/٢٠١٥م
٤. الشعائر الحسينية/ النشأة والتطور/ إعداد حيدر الجراح/ مجلة النبأ/ العدد ٥٦ محرم الحرام ١٤٢٢ه/ نيسان ٢٠٠١م
٥. هكذا تكلم الحسين (عليه السلام) مسرحية شعرية من تأليف الشاعر المصري محمد العفيفي/ من منشورات مطابع بيروت/ لبنان ١٩٦٩.
٦. علي الشوك/ كتابه (جولة في أقاليم اللغة والأسطورة) ص١٩١ مطبعة دار المدى/ دمشق ١٩٩٩.
٧. ابراهيم الحيدري/ تراجيديا كربلاء/ دار الساقي-بيروت/ط١/١٩٩٦م
٨. موسوعة الاستفتاءات والمسائل العامة/ ج٢/ للعلامة الدكتور فاضل المالكي/ إصدار مؤسسة دار الكتاب- ١٤٢٤ه.
٩. وكالة (الميزاب) بتاريخ ١٥/اوكتوبر/٢٠١٦ (عبر الانترنت)
١٠. رعد الموسوي/ المجلس الحسيني/ لمحة عن أدواره وأهدافه المنشور في مجلة (رسالة الحسين (عليه السلام) العدد/٢-ربيع الاول ١٤١٢ه/ التي يصدرها مركز دراسات نهضة الحسين (ع).
١١. منتدى المفيد/من فوائد إقامة المجالس الحسينية/ إصدارات عام ٢٠١٦ (عبر الانترنت)
١٢. حسين النعمة/ إسهامة العائلة الحسينية في إحياء الشعيرة الحسينية/ المنشور في مجلة الاحرار/ محرم الحرام ١٤٣٧.

١٣. الموسوعة الحسينية/ إشراقات الأربعين- الصادرة عن العتبة الحسينية المقدسة- ٢٠١٥/٥/٧.
١٤. ثورة الحسين (عليه السلام)/مدرسة الحياة/ إصدار معهد الإمام الخميني للدراسات الإسلامية ص.ب ٢٤.

الثنائيات الضدية في الشعر الحسيني

(الزيارة الاربعينية أنموذجاً)

الأستاذ المساعد الدكتور إسراء خليل فياض

الأستاذ المساعد الدكتور أناهيد الركابي

الجامعة المستنصرية - كلية التربية

توطئة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تعد الزيارة الاربعينية العصب الحي والنابض والامتداد الحي الـذي يصـل الماضـي بالحاضر من خلال استذكار واقعة الطف وشخصية الامام الحسين (عليه السلام) الذي سطر ببطولاته ودفاعه عن راية الاسلام اروع ملامح التضحية والاستبسال الذي ليس له نظير، ولاشك ان الامتداد الزمني لتلك البطولات يجسد صراعا ازليا بين ثنائيات ضـدية تمثل الصراع بين الحق والباطل، والدين والكفر، والبطولة والجبن. وغيرها مـن ثنائيـات ضدية تمثل ذلك النزاع بين الخير والشر في رؤى معنوية متعددة، ومن هنا كانت الرغبـة الفاعلة في دراسة النصوص الشعرية التي تمثل الزيارة الاربعينية والشعائر الحسينية وبيان المتضادات اللفظية فيها وانعكاسـها علـى السـياق النصـي في تجسـيد تلـك الـدلالات الفاعلة. وقد ارتأينا أن نأخذ نصوصاً متعددة لشعراء مختلفين لنبين الخصائص الشـعرية لكل منهم وتوظيفهم المتقن لتلك الثنائيات الناطقة في نسجها السياقي التعبيري. وقسم البحث الى محورين فضلا عن توطئة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع. فجاء المحـور الاول بعنوان (مفهوم الثنائيات المتضادة)،بينما جاء المحور الثاني بعنـوان (الشـواهد التطبيقيـة للثنائيات الضدية)،واتبعنا في تحليلنا لتلك الشواهد التطبيقية المنـهج التحليلـي الفـني الذي يسلط الضوء على نواحي الابداع والتميز في التوظيف الاسلوبي.

المحور الأول: مفهوم الثنائيات المتضادة

تعد الثنائيات المتضادة احدى اللبنات الاساسية في بناء اللغة الشعرية اذ تقف الالفاظ المتضادة او ما يسمى بالطباق او المقابلة على طرفي السياق النصي لتفجر من ذلك التضاد او التباين المعنوي معاني جديدة وصوراً شعرية منبثقة في ثراء شعري مستفيض يتناغم والتجربة الشعرية، وقد تنبه العلماء العرب قديما الى القيمة الجمالية المنبثقة من هذا الفن فجعلوا باب الطباق ضمن المحسنات البديعية فالطباق فن اسلوبي اشتهر في كلام العرب وعد من الاساليب البلاغية الراقية في توليد المعاني وجمالية الالفاظ. والطباق لغة: "المطابقة، والتكافؤ، والتضاد، وهو الموافقة.

قال طابقت بين الشيئين: جعلت احدهما على حذو واحد والزقتهما، والمطابقة: المشي في القيد، وهي ان يضع الفرس رجله في موضع يده"[1].

والطباق في اصطلاح البلاغيين: "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"[2].

وفرق العلماء بين الطباق والمقابلة، من ان المقابلة طباق متعدد "فاذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"[3] وعليه فالطباق والمقابلة من حيث الموضوع شيء واحد.

ومن حيز الطباق والمقابلة يتولد مفهوم الثنائيات الضدية القائمة على التنازع المعنوي بين تلك الالفاظ المتضادة، ولابد من القول ان الثنائيات الضدية لا تتفتق من خلال التنازع بين تلك الالفاظ المتطابقة والمتقابلة فحسب بل احيانا تتولد الثنائيات الضدية من السياق القولي الذي يفضي بمحتواه الدلالي الى ثنائية ضدية واضحة المعالم، إذ يعد التضاد المقابل التراثي للمفارقة التصويرية لان المفارقة التصويرية تقوم على ابراز

---

١) لسان العرب. لابن منظور: مادة (طبق).

٢) الايضاح في علوم البلاغة، صنعة الشيخ العلامة الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ه)، تحقيق د. رحاب عكاوي.ط١. دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠: ٣٤٨.

٣) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ه)،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،ط١، سفنكس للطباعة، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي،الرياض،١:١٩٨٣/١٥٧،١٢٩.

التناقض بين طرفيها[1]. وهذا ما يعضد قولنا ان الصورة الضدية قد لا تتوالد من خلال الالفاظ الطباقية والتقابلية المباشرة الظاهرة للعيان بل قد تتوالد احيانا من خلال المفارقة التصويرية التي تتجسد فيها الصورة الضدية من خلال السياق الشعري. وسنعرج الى ذلك من خلال التحليل النصي للنص الحسيني الذي يفضي بثنائياته الضدية إلى معان ثرة تنسجم والنص الحسيني وتجسيد الشخصية الفذة للإمام الحسين (عليه السلام) وتجربته الجهادية التي ظلت مناراً شامخا للإسلام والمسلمين.

والثنائيات الضدية بنيات لغوية متقاطعة اللفظ والمعنى متباينة ظاهرة في النسق مضمرة تظهر في تباينها ابداعا وجمالا شعريين يعد ترجمة لنفسية الشاعر ومكنوناته الداخلية التي تجسد تجربته الشعرية، والثنائية مصطلح يقوم على الربط بين الظواهر المنفصلة والتعالق بينها. والتضاد "هو ضد الشيء، خلافه، وقد ضاده، وهما متضادان، ويقال ضادني فلان اذا خالفك، فاردت طولا فاراد قصرا، واردت ظلمة فاراد نوراً"[2] ويرى الجاحظ ان قانون الثنائية الضدية هو قانون الحياة المعاشة، وان مكنونات الوجود تقوم بأمور ثلاثة: منسجم، ومتغاير ومتضاد[3].

ونجد ان عبد القاهر الجرجاني اكد اهمية التضاد واثره في تشكيل الصورة اذ يقول: "وهل تشك في انه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك ما بين المشرق والمغرب ويريك التئام عين الاضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين كما يقال في الممدوح هو حياة لأوليائه /موت لأعدائه، ويجعل الشيء من جهة ماء ومن جهة اخرى نارا"[4]، وبذلك نجد ان الجرجاني قد بين فاعلية التضاد في النص الشعري ومدى تعالق طرفي الثنائية وتكاملهما. "والثنائيات الضدية وليدة فكر معرفي يتحرك وينسج مسار حركته ويتشكل تاريخيا، وثمة ثنائيات كثيرة لها اشد الحضور في حياتنا فلا وجود لشيء من دون نقيضه، أما اللغة فهي اداة تحقيق معاني الحياة"[5].

---

١) التضاد في النقد الادبي، منى الساحلي، ط٢١٣، ١.

٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى،ط٣ ،مكتبة الخانجي، القاهرة ،١٤٧:١٩٧٨، ١٤٨.

٣) الحيوان /الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون،١٩٦٥ :٢٦/١.

٤) اسرار البلاغة /عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر ابو فهر ط١ ١٩٩١، مكتبة الخانجي:٣٢.

٥) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، بيروت، لبنان:٢٨٥.

وتشكل الثنائيات الضدية ركنا اساسا من اركان الخطاب الشعري وبنية لغوية فاعلة في خلق تصورات معينة تجاه مكنونات الحياة، إذ تنبع الثنائية الضدية من تمايز ظواهر معينة في جسد النص.

وتمثل لغة التضاد احد المنابع الرئيسة التي تحقق الفجوة او مسافة التوتر في النص الشعري فللتضاد قيمة داخل السياق النصي. فهو مثير اسلوبي يستحث المتلقي[1].

وسيتجلى لنا بوضوح ذلك التوظيف الشعري للثنائيات الضدية بمختلف صورها ومعانيها في تجسيد المعاني الحسينية الجليلة من خلال النص الحسيني العباسي والاندلسي.

١) جدلية الخفاء والتجلي /كمال ابو ديب،المغرب:١٠٩،مصطلح الثنائيات الضدية، مجلة عالم الفكر، سمير الدبدوب:١١٦.

المحور الثاني: الدراسة التطبيقية للثنائيات الضدية في النص الحسيني

يعرض هذا المحور للنصوص الحسينية وما فيها من ثنائيات ضدية اسهمت في تفتيق اكمام المعاني الشعرية بصورة تحليلية متوازنة تستنطق المتلقي وترفده بكثير من التجليات الفكرية للمعاني الحسينية العميقة المبثوثة في ثنايا النصوص الشعرية. ومن النصوص الشعرية التي قيلت في ذكرى الاربعينية الحسينية قول الشاعر ابو حيدر الاحسائي[1]:

سجدت على شفتي حروف هواك واطالت السجدات في نجواك

وتزاحمت ذرات حبك في دمي واستنطقتني انني اهواك

وخرجت شوقا من ديار احبتي وشريت بالدنيا هنا اخراك

فالشاعر يأتي بالألفاظ المتطابقة (دنياك واخراك) ليحقق من هذا التضاد الانسجام الدلالي المتناسق مع السياق النصي محققا التقديس والهيمنة الشعورية للشعائر الحسينية في الزيارة الاربعينية التي تعادل الدنيا وما فيها فالزائر يشتري الاخرة بزيارته الاربعينية. وهذا الشاعر دعبل الخزاعي وهو من شعراء القرن الثاني الهجري يقول في احدى هاشمياته مشيرا من خلال الثنائيات المتضادة إلى السبي إذ يقول[2]:

الم ترَ اني مذ ثلاثون حجة اروح واغدو دائم الحسرات

ارى فيأهم في غيرهم متقسما وايديهم من فيئهم صفرات

---

١) ديوان حيدر الاحسائي، تحقيق وتعليق راضي ناصر سلمان، وتقديم الاستاذ الدكتور اسعد علي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر ،ط١ ١٠٢ :٢٠٠٣.

٢) دعبل بن علي الخزاعي: شاعر آل البيت حياته وشعره، د. عبد الكريم الاشتر، منشورات دار الفكر ،دمشق،٢٢٢ ٢٢٣.

فآل رسـول الله نحـف جسـومهم وآل زيـــاد غلـــظ القصـــرات

بنـات زيـاد في القصـور مصـونة وآل رســـول الله في الفلـــوات

فلولا الذي ارجوه في اليوم او غد تقطع علي قلـبي أثـرهم حسـرات

خــروج امــام لا محالــة خــارج يقــوم علــى اســم الله والبركــات

يميــز فينــا كــل حــق وباطــل ويجـزي علـى النعمـاء والنقمـات

سأقصر نفسي جاهدا عن جدالهم كفــاني مــا القــى مــن العــبرات

فيا نفس طيبي، ثم يا نفس ابشري فغــير بعيــد كــل مــا هــو آت

وبذلك نجد ان هذا النص مليء بالثنائيات المتضادة التي اسهمت اسـهاما فـاعلا في رفد النص الحسيني بالمشاهد التصويرية المتقابلة الـتي تجسـد حـال آل بيـت رسـول الله (عليهم السلام)، في نحافة الجسوم، وفي الفلوات، وفي المقابل حال اعدائهم مـن غلاظـة الاعناق، وفي القصور ولا شك ان الشاعر استطاع تصوير الحـالين مـن خـلال الالفـاظ الوصفية التي تجسد حال اجسامهم ومن خلال الالفاظ المكانيـة المتضـادة في حالهـا مـن فلوات حارة وقصور منعمة، وبعد ان يوازن بين الحالين في الدنيا الفانية دار الباطل مـن خلال تلك الصور الضدية المتقابلة يختم النص بتضاد زمني بـين (اليـوم والغـد) مشـيرا باليوم الى الحياة الدنيا ومشيرا بالغد الى ظهور الامام المهدي (عج) والى الاخرة ونعيمهـا ليحقق الواقع الإيماني الذي لا جدال فيه في انتصار الحق على الباطل من خـلال مفـردتي (الحق والباطل)، ان تلك الفلوات الدنيوية القاسية التي عانى من لظاها آل البيت (عليهم السلام)، وذلك الحال الجسماني الضعيف سيبدل في الاخرة الى الضد من خلال النعـيم الأخروي الذي يبـدل الفـلاة الى جنـة عرضـها السـموات والارض والحـال الجسـماني الضعيف الى وجوه ناضرة الى ربها ناظرة مستبشرة بوعد الله ولاشك ان الشـاعر وظـف

لولا وهي اداة شرط تفيد امتناع الشيء لوجود شيء ليحقق من خلال تلك الاداة والثنائية الضدية بين اليوم الفاني والغد الباقي الخالد الصورة الشعرية التي تصف حاله ايضا الذي يكاد يتقطع قلبا لولا الرجاء في الاخرة ونعيمها الخالد. فضلا عن تصويرها لنعيم آل البيت (عليهم السلام)، وخسارة اعدائهم الذين سيبدل حالهم من القصور وغلظ الرقاب الى نار جهنم خالدين فيها. وكلما نضجت جلودهم يبدلون جلودا اخرى، ثم يستمر في رصف الثنائيات المتضادة ليحقق تلك الصورة الأخروية التي تجسد ذلك النعيم الأخروي، حيث يختم الشاعر تلك الجدلية الثنائية بتضاد يختزل الزمن اختزالا يحقق الاستباق الزمني من خلال الشطر (فغير بعيد كل ما هو آت) ليجسد قرب الاخرة وانتصار الحق على الباطل من خلال المفردتين المتضادتين (بعيد وآت) ونراه في نص حسيني آخر [1]:

رأس ابن بنت محمد ووصيه ـ يا للرجال ـ على قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع لا جازع من ذا ولا متخشع

أيقظت أجفانا وكنت لها كرى وانمت عينا لم تكن بك تهجع

كحلت بمنظرك العيون عماية واصم نعيك كل اذن تسمع

ما روضة الا تمنت انها لك مضجع، ولخط قبرك موضع

ان هذا النص الحسيني قد وظف الثنائيات الضدية بشكل مختلف يختلف تماما عما قبله فهذا النص يقوم على وصف منظر الاستشهاد من جهة ومن جهة اخرى مقابلة موقف المسلمين المتخاذل ازاء هذا الحدث الجلل الذي دعا الشاعر الى هجائهم، ويستهل الشعر نصه بمفارقة تصويرية جسدت في تضاعيفها تضادا تصويريا يخلو من الالفاظ المتضادة ولكنه حاوي للمعاني الضدية في سياق وصفي متجانس جسدته تلك

١) م. ن:٢٣٢.

المفارقة التصويرية المشهدية التعجبية، فالرأس الشريف يحمل على القناة والمسلمون يشاهدون، دون جزع او خشوع، ثم ينطلق الشاعر من تلك المشهدية في رصف الثنائيات الضدية التي تسهم في رسم الجزئيات الاخرى للمشهد الشعري التصويري وتبرز هذه الثنائيات الضدية الوصفية من خلال الالفاظ (ايقظت، كرى، والعيون والعمى والصم والسمع) ليختم ذلك النص باستنطاق مكاني يجسد حب الارض واعتزازها بان تكون مضجعاً للإمام الحسين (عليه السلام) ليحقق من ذلك الاستنطاق المكاني تضادا معنويا يهجو المسلمين وعماهم وصممهم عن هذا المشهد الجلل ويمدح المكان الذي يتفوق على الاحياء في احساسه بذلك المشهد الحسيني وتفاعله معه اكثر من المسلمين الاحياء.

ويقول أحد الشعراء في مشاهد الزيارة الاربعينية[1]:

نحن ايتام الحسين هل لنا ياكربلا

ان نزور الاب نشكو ما اصابنا

ونضم القبر شوقا فهو مذ قد رحلا

ما راينا غير هم غير غم وبلا

فاتركينا نغسل القبر بدمعات الاسى

علنا بالدمع نروي سيدا مات ظما

١) نص من الانترنيت على الموقع www.mollajalil.net.

فهو في البيت الأخير يفيد من الدلالة الضدية بين الروي والظمأ ليحقق الصورة المتألمة والحزينة للزائرين ودموعهم الغزيرة المنهملة في تلك الشعائر الحسينية والتي تذكرهم بظمأ الامام الحسين(عليه السلام) لحظة استشهاده.

وهذا ديك الجن يوظف الثنائيات الضدية في نقل وقائع الثورة الحسينة بتفاصيلها المشهدية إذ يقول [1]:

أين الحسين وقتلى من بني حسن ... وجعفر وعقيل غالهم غمر

قتلى يحن اليها البيت والحجر ... شوقا، وتبكيهم الآيات والسور

مات الحسين بأيد في مغائظها ... طول عليه وفي اشفاقها قصر

لا در در الاعادي عندما وتروا ... ودر درك ما تحوين يا حفر

لما راوا طرقات الصبر معرضة ... الى لقاء ولقيا رحمة صبروا

قالوا لأنفسهم: يا حبذا نهل ... محمد وعلي بعده صدر

ردوا هنيئا مريئا آل فاطمة ... حوض الردى فارتضوا بالقتل واصطبروا

الحوض حوضهم والجد جدهم ... وعند ربهم في خلقه غير

أبكيكم يا بني التقوى واعولكم ... واشرب الصبر وهو الصاب والصبر

أبكيكم يا بني بنت الرسول ولا ... عفت محلكم الانواء والمطر

---

١) ديوان ديك الجن الحمصي /جمع وتحقيق مظهر الحجي /منشورات وزارة الثقافة /احياء التراث العربي، دمشق،١٩٧٨:٩٥، ٩٦.

إن الثنائية الضدية المتجسدة في الطول والقصر والشاخصة في البيت الثالث جسدت جبن اعداء الحسين الذين استطالت ايديهم الحاقدة على قتله جورا وظلما لكن قصرت عن شجاعته فهي قصيرة في اشقاقها منه وخوفها ووجلها من بسالته وشجاعته المستمدة من شجاعة ابيه وجده (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين)، ومن طباق الايجاب الى طباق السلب في تحقيق الصورة الضدية التي توازن بين فعل الحاقدين وبين الارض وما حوت من جسد شريف تشرفت بضمه، وتتجسد تلك المعاني الثرة من خلال (لا در در الاعادي، ودر درك)، ومن خلال السياق الموازن بين القتل الدنيوي وما يوازيه من نعيم أخروي يهون مرارة القتل والصبر عليه حيث حوض الكوثر في جنان الخلد فمن خلال هذه الموازنة المشهدية ترتسم المشاهد الضدية والثنائية الضدية التصويرية بين الحالين الدنيوي والأخروي.

ولديك الجن ايضا قوله [1]:

قتلوك عطشانا ولما يرقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا

ويكبرون بأن قتلت وانما قتلوا بك التكبير والتهليلا

إن المشهدية الضدية تتجسد من خلال (يكبرون، وقتلوا التكبير والتهليلا) حيث يجسد الشاعر المشهد الحسيني الناطق ساعة الاستشهاد والفاظ التكبير التي خرجت من افواه اعداء الحسين لعنهم الله وهم لم يعلموا لجهلهم وعماهم انهم قتلوا التكبير والتهليل بقتلهم الامام الحسين (عليه السلام).

وقال الشاعر الطبيب نوري الوائلي قصيدة في الذكرى الأربعينية [2]:

---

١) م.ن: ١٦٠.

٢) نص من النت على الموقع:

.www.roro٤٤.com/vbswar/files/www.mowjeldoha.combordes-٣٢.gif

اعـيش بحسـرتي كـوني بعيـدا بيـوم الاربعـين ويـوم سـفر

اخي عاذ المصائب ونحـن نبكـي وعـيني لم تجـف كالنـهر تجـري

....

فـلا تبكـي بيـوم الطـف حزنـا تنسـى فتحهـا في درء كسـر

فالتضاد بين البكاء وعدمه والفتح والكسر جسد المعاني السامية الكامنة في شـعائر الزيارة الاربعينية.

وهذا الشاعر عقبة بن عمرو السهمي يقول [1]:

اذا العـين فـرت في الحيـاة وانـتم تخـافون في الـدنيا فـاظلم نورهـا

مررت على قبر الحسـين بكـربلا ففاض عليه مـن دمـوعي غزيرهـا

فما زلـت ارثيـه وابكـي لشـجوه ويسـعد عـيني دمعهـا وزفيرهـا

....

سلام بآصال العشـي وبالضـحى سـلام بآصـال العشـي وبالضـحى

فالتقابل اللفظي بين الثنائيات الضدية في هذا النص اثرى السياق الشعري بدلالات مستفيضة تجسد موقف الشجو والالم بتراكماته المعنوية والمتجسد (بالعشـي والضـحى

١) نص من النت على الموقع.

والشجو وسعادة العين بدموعها وزفيرها والظلام والنور) فلاشك ان العين لاتجزع من دموعها المذروفة والارض تظلم لهذا المشهد الباكي.

وهذا الشاعر الحماني يقول في الحسنين (عليهما السلام):

انتما سيدا شباب جنان الـ ... خلد يوم الفوزين والروعتين

يا عديل القران من بين ذي الخـ ... ـلق و يا واحدا من الثقلين

انتما والقران في الارض مذ انـ ... ـزل مثل السماء والفرقدين

قمتما من خلافة الله في الار ... ض بحق مقام مستخلفين

قاله الصادق الحديث، ولن يفـ ... ـترقا دون حوضه واردين

إن الثنائية الضدية تشخص في البيت الثالث وفق سياق تشبيهي يقوم على تشبيه اثنين باثنين مشبهين بمشبهين به ووجه الشبه القرب الازلي، فالحسنان (عليهم السلام) والقران في الارض والتقارب الازلي الخالد بينهما مثل التقارب الازلي الدائم بين السماء والفرقدين. ولاشك ان ذلك التشبيه التصويري الفاعل انبثق من التضاد المكاني بين مفردتي الارض والسماء وبذلك فان التضاد اللفظي او الثنائية الضدية الكامنة في الارض والسماء انبثقت عنها صورة تشبيهية رائعة المعنى تمثل ذلك السمو الحسني الحسيني الذي ليس له نظير.

أما تميم بن معز الفاطمي فنجد ان الثنائيات الضدية في نصه الحسيني تتراصف في بنية سياقية مضمرة حيث المعاني الضدية والمشاهد الثنائية المتضادة التي تخلو من الطباق والمقابلة لتجسد المشاهد الحسينية وفق منظور حسي متفاعل مع تلك المشاهد الناطقة

في اطار من التعجب والتوبيخ لأعداء الحسين ومدح آل الحسين ورثائهم رثاء موجعا يجسد فيه الشعائر الحسينية الاربعينية واستذكار تلك الواقعة الأليمة، اذ يقول[1]:

فلهفي على قتل الحسين ومسلم وخزي لمن عاداهما وبعاد

ولهفي على زيد وبثا مرددا اذا حان من بث الكثيب نفاد

الاكبد تفنى عليهم صبابة فيقطر حزنا او يذوب فؤاد

الا مقلة همي الا اذن تعي اكل قلوب العالمين جماد

تقاد دماء المارقين ولا ارى دماء بني بنت النبي تقاد

اليس هم الهادون والعترة التي بها انجاب شرك واضمحل فساد

تساق على الارغام قسرا نساؤهم سبايا الى ارض الشّام تقاد

يسقن إلى دار اللعين صواغرا كما سيق في عصف الرياح جراد

كأنهم في النصارى وانهم لأكرم من قد عز منه قياد

يعز على الزهراء ذلة زينب وقتل حسين والقلوب شداد

فمما لاشك فيه ان الصيغة التوبيخية الكامنة في هذا النص اثرت النص بدلالة تتصارع فيها المشاهد المتضادة في ثنائية مضمرة حيث المشاهد الحسينية الناطقة بالألم والشجن والسبيل لآل البيت (عليهم السلام)، وفي المقابل المواقف البائسة المتخاذلة من المسلمين الذين لا يعون ولا يسمعون.

---

١) ديوان الحماني /تحقيق د. محمد حسين الاعرجي /دار صادر بيروت /ط١ /١٢٠:١٩٨٨.

ونجد كثيرا هذا التراصف الضدي حيث الالفاظ الضدية المتراصفة في تجسيد المعاني الحسينية الناطقة والمشاهد الدامية الناطقة شجنا والما في السياق المعنوي والمفارقة التصويرية في استنطاق المشاهد بالرؤى الشعرية المتضادة، عرج البعض الى الالفاظ المتضادة صراحة في تجسيد الصور والمعاني الحسينية في تصوير الشعائر الحسينية الواضحة للعيان في الاربعينية الحسينية، ومن ذلك قول ابن دراج القسطلي [1]:

لعلك يا شمس عند الاصيل شجيت لشجو الغريب الذليل

فكوني شفيعي الى ابن الشفيع وكوني رسولي الى ابن الرسول

فأما شهدت فأزكى شهيد واما دللت فأهدى دليل

على سائق في قيود الخطوب ونجم سنا في غثاء السيول

فهو في البيت الاخير يأتي بصورة متضادة من خلال اللفظين (النجم، والسيول) ليحقق من خلال هذين اللفظين الابعاد الضدية او الثنائية الضدية المتحققة بين الماضي الزاهر والحاضر المؤلم الذي يمثل لحظة الاستشهاد فكسف لذلك النجم الساطع في السماء ان يكون يوما في غثاء السيول.

لتتفتق من تلك الثنائية ثنائيات ضدية ضمنية تجسد المشاهد الحسينية إذ يقول [2]:

ويعجب كيف دنا من علي ولم تنفصم حلقات الكبول

---

١) ديوان تميم بن المعز الفاطمي، تقديم أ. د. ابراهيم الدسوقي جاد الرب /القاهرة /الهيئة الثقافية العامة، مصر:١٢٠،١١٩.

٢) ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق د. محمود مكي، طبعة دمشق،١٩٦١: ٧٠.

وكيـــف تنســـم آل الـــنبي وابطـــأ عنـــه شـــفاء الغليـــل

واطـــواد عـــزهم مـــاثلات لـــه وهـــو يرنـــو بطـــرف كليـــل

وابحـــرهم زاخـــرات اليـــه ويرشـــف في الثمـــد المســـتحيل

وقـــد آذنـــوه الخصـــيب المريـــع ومرتعـــه في الـــوخيم الوبيـــل

ففي هذه الابيات تتجسد الثنائيات الضدية لتحقق الرؤية الشعرية التي تـوازن بـين الماضي المزهر والحاضر المؤلم في واقعة الطف عـبر صـورتين متضـادتين حيـث الاطـواد الشامخة والنظرة الكليلة، والابحر الزاخرات والارتشـاف المسـتحيل، والخصـيب المريـع والوخيم الوبيل، ومن تلك المتضـادات التصـويرية تولـدت المفارقـة الصـورية لتحقـق المشاهد المتضادة. ثم نراه يقول[1]:

غريـــب وكـــم غربـــت راحتـــا ه في الارض مـــن وجـــه بكـــر بتـــول

مكرمـــة مانـــات عـــن بـــلاد ولا قربـــت مـــن شـــبيه مثيـــل

تضـــيء لهـــا مظلمـــات النفـــوس وتـــروى بهـــا ظامئـــات العقـــول

وتطلـــع في زاهـــرات النجـــوم ومطلعهـــا جـــانح للأفـــول

شـــريد الســـيوف وفـــل الحتـــوف يكيـــد بـــأفلاذ قلـــب يهـــول

تهـــاوت بهـــم مصـــقعات الرواعـــد في مـــدجنات الضـــحى والاصـــيل

١) م. ن:٧٥.

فنجد ان الثنائيات الضدية المختلفة والمتنوعة تتراصف مع بعضها لتحقق ابداعا دلاليا مستفيضا حيث (النأي والقرب، والضوء والظلام، النجوم والافول، والضحى والاصيل) ان هذه الثنائيات الضدية الزمانية والمكانية اثرت النص الحسيني بدلالات وصور ومشاهد حسينية ثرة.

وتتوالى تلك الثنائيات الضدية في وصف سبايا النساء من آل البيت(عليهم السلام) اذ يقول[1]:

فمن حرة جليت بالجلاء وعذراء نصت بنص الذميل

ولا حلي الاجمان الدموع يسيل على كل خد اسيل

فبدلن من بعد خفض النعيم بشق الحزون وخفض السهول

ومن قصرا لليل تحت الحجال بهول السرى تحت ليل طويل

ومن علل الماء تحت الظلال صلاء القلوب بحر الذليل

ومن طيب نفح بنور الرياض تلظى لفح بنار المقيل

ومن انسها بين ظئر وترب سرى ليلها بين ذيب وغول

ومن كل مرأى محيا جميل تلقي الخطوب بصبر جميل

فالأبيات الشعرية في هذا المقطع ماهي الا متواليات هندسية متقابلة لتجسد الماضي المنعم لنساء ال البيت (عليهم السلام) والحاضر المؤلم في السبي والصحراء المتشظية في صور شعرية متضادة وثنائيات ضدية متجانسة تمثل واقعة الطف والمآسي الحسينية. ثم

---

١) م. ن:٧٦.

يختم القصيدة بوصف المشاهد المستقبلية الأخروية موظفا الالفاظ الضدية ايضا، حيث يقول مخاطبا آل البيت (عليهم السلام) [1]:

فانتم هداة حياة وموت وانتم ائمة فعل وقيل

وسادات من حل جنات عدن جميع شبابهم والكهول

وانتم خلائف دنيا ودين بحكم الكتاب وحكم العقول

ووالدكم خاتم الانبياء لكم منه مجد حفي كفيل

تلذ بحملكم عاتقاه على حمله كل عبء ثقيل

ونراه يقول في الحسنين (عليهما السلام) [2]:

يا صفوة الحسنين كم قد احسنا اصغاء ود النازح المتودد

يا ايها القمران ابن سناكما عن مطبق في ليل هم اسود

يا ايها الغيثان هل لكما الى روض النهى والعلم في الترب الصدي

فالثنائية الضدية شاخصة في البيت الثاني الذي يتوسل فيه الشاعر بالحسنين وبجاههما ان تزول ظلمة همومه واشجانه ولاشك ان الصورة الاستعارية وما فيها من ابداع تصويري اسهمت في تفجير الطاقات الكامنة في الالفاظ الضدية (القمران وسناهما، والليل الاسود) التي ادرجها الشاعر في سياق مجازي فاعل.

---

١) م. ن:٧٦.

٢) م. ن:٧٦.

ويطالعنا دعبل الخزاعي في ابياتـه الـتي تجسـد الالم والاحـزان في زيـارة كـربلاء اذ يقول[1]:

هلا بكيت علـى الحسـين واهلـه هــلا بكيــت لمــن بكــاه محمــد

فلقــد بكتــه في الســماء ملائــك زهــر كــرام راكعــون وســجد

لم يحفظــوا حــب الــنبي محمــد اذ جرعــــوه حــــرارة مــــاتبرد

ولاشك ان الطباق المتجسد في الالفاظ (الحرارة والبرد) اثرى النص بمعان ودلالات شعرية تجسد حدة الموقف وألمه.

ويمثل نص الشاعر السوسي مشاهد السبي موازنا بين الحالتين قبل السبي وبعده من خلال الالفاظ وتكرارها اذ تولدت الثنائيات المعنوية ليس بالألفاظ المتضادة فحسب بـل من خلال التكرار اللفظي وفاعليته فضلا عن الاساليب الفنية الاخرى اذ يقول [2]:

لهفــي علــى الســبط ومــا نالــه قــد مــات عطشــانا بكــرب الظمــا

لهفــي لمــن نكــس علــى ســرجه لــيس مــن النــاس لــه مــن حمــا

لهفــي علــى بــدر الهــدى اذ عــلا في رمحــه يحكيــه بــدر الــدجى

لهفــي علــى النســوة اذ بــرزت تســاق ســوقا بالعنــا والجفــا

لهفــي علــى تلــك الوجــوه الــتي ابــرزن بعــد الصــون بــين المــلا

١) م. ن:٧٦.

٢) دعبل الخزاعي حياته وشعره (٦٥).

لهفـي علـى ذاك العـذار الـذي عـــلاه بـــالطف تـــراب العـــرا

لهفـي علـى ذاك القـوام الـذي حنـــاه بـــالطف ســـيوف العـــدا

فلا شك أن التكرار وفونيماته المتكررة اثرى النص بتراكمات دلالية تجسد الثنائيـة المعنوية بين الزمنين قبل وبعد الواقعة. مما اعطـى الـنص الصـوت الفاعـل والمتميـز في تجسيد تلك الشـعائر الحسـينية الباكيـة شـجوا والمـا في ذلـك الاسـتذكار او المشـاهد الاستذكارية الباكية.

ويطالعنا ابن هانئ الاندلسي ايضا بإبداعاته الضـدية وثنائياتـه المتميـزة في تجسـيد المعاني الحسينية، اذ يقول في احدى مدائحه للخليفة المعز لـدين الله، معرجـا الى ثـارات الحسين، اذ يقول [1]:

بـني هاشـم قـد أنجـز الله وعـده وأطلـع فـيكم شمسـه وهـي دالـك

ونـادت بثـارات الحسـين كتائـب تمطـي شـــراعا في قناهـــا المعـــارك

تـــؤم وصـــي الاوصـــياء ودونـــه صـدور القنـا والمرهفـات البواتـك

وضـــرب مـــبين للشـــؤون كأنمـــا هـوت بفـراش الهـام عنـه النيـازك

فالشاعر يوظف طلوع الشمس ودلوكها ليحقق بتلك الثنائية الضدية الثأر الحسيني الذي يأخذ وان دلكت الشمس يوما، فإنها حتما ستشرق على وعد الله والحق الحسـيني

١) نص من النت على الموقع www.yahosein.com.

والثورة الحسينية التي عاد الشعراء يرونها في انتصارات ممدوحيهم على اعدائهم ليعرجوا من خلال هذه الانتصارات إلى الثأر والانتصار الحسيني الذي اضحى في ضمائرنا دوما.

وله ايضا من قصيدة اخرى، يمدح فيها الممدوح نفسه ويعرج على واقعة الطف، معرجا الى مشاهد السبي اذ يقول [1]:

الا ان يومـــا هاشميـــا أظلـــهم ... يطير فـراش الهـام عـن كـل مجـثم

كيـــوم يزيـــد والســـبايا طريـــدة ... علـى كـل مـوار المـلاط عثمـثم

وقد غصت البيداء بالعيس فوقها ... كـــرائم ابنـــاء الـــنبي المكـــرم

ذعـرن بأبنـاء الضـباب واعـوج ... فـابكين ابنـاء الجـديل وشـدقم

يشـلونها في كـل غـارب دوسـر ... عليـه الولايـا بالخشـاش مخـرم

فما في حـريم بعـدها مـن تحـرج ... ولا هتـك سـتر بعـدها بمحـرم

فـان يتخـرم خـير سـبطي محمـد ... فـــان ولي الثـــأر لم يتخـــرم

الا سائلوا عنـه البتـول فـتخيروا ... أكانـت لـه أمـا وكـان لهـا ابـنم

وبذلك نجد ان ابن هانئ يعمد في نصوصه الحسينية الى المستقبل الثائر في كل واقعة يخوضها الممدوح ضد الاعادي، ويوظف الثنائيات الضدية لتحقق هذه الصورة الشعرية التي تجسد الثورة القائمة في نفوس المسلمين الى قيام الساعة موازنا من خلال هذه الثنائيات بين الماضي المؤلم وما حصل في واقعة الطف وبين المستقبل المشرق من خلال

١) ديوان ابن هانئ الاندلسي، اعتناء وشرح وجمع: احمد طماس. دار المعرفة،لبنان،ط٢٢٥:٢٠٠٥،١.

الثأر الذي لم يمت في النفوس الابية، ويتمثل ذلك في بيته السابع من خلال طباق السلب (يتخرم، لم يتخرم) الذي حقق من خلاله ابداعا تصويريا فاعلا.

وهذا الشاعر الاندلسي ابن شكيل يجسد المشهد الحسيني تجسيدا شجيا مؤلما يمثل واقع واقعة الطف ويلعن اعداء الحسين، وبذلك يمكننا القول ان الشعراء اختلفوا في توظيفهم للبنية الضدية الثنائية في تجسيد المعاني الحسينية وان كانوا من عصر واحد او عصور مختلفة فمثلا ابن هانئ في حسينياته كان يجسد الماضي والمستقبل الثائر في ثنائياته الضدية، بينما نجد ان ابن شكيل قد جسد النص الحسيني بطريقة مختلفة وتوظيف ثنائي مميز اذ يقول[1]:

من كان في جفنه دمع يضن به ... فان دمعي لأهل البيت ممنوح

آل النبي لقا سقيتم علا ... كأس المنايا فمغبوق ومصبوح

صلى الاله على اشلاء منجدل ... بكربلاء يحيي روحه الروح

اوفى على معرك الابطال محتسبا ... ليت شعاراه تهليل وتسبيح

يا فارسا هاشميا ما اضر به ... تثاقل القوم اذ ناداهم روحوا

طاروا واثبت في الهيجاء أخمصه ... صبرا، وكان له عنها مناديح

حتى ترى الفارس الحجاج يتبعه ... من هاشم الخير فرسان جحاجيح

لم يتقوا الضرب بالأكتاف اذ صرعوا ... بل النجيع على اللباب منضوح

تندى الوجوه نجيعا وهي مشرفة ... كأنها في دجى الهيجا مصابيح

---

١) م. ن:٢٩٤.

فابن شكيل يعرج الى الثنائيات الضدية ليحقق ابداعا شعريا ونصيا يجسد عمق التجربة الحسينية ودلالاتها المستفيضة من خلال السرد القصصي وابداعاته المتسلسلة المتراكمة في طاقاتها الابداعية. ويتمثل ذلك التوجيه الثنائي الضدي من خلال الالفاظ (الضنين، المنح والغبوق، والصباح، طاروا وثبت) تلك الثنائيات التي رفدت النص الشعري بالإثراء الدلالي الفاعل.

ونحن نرى بأم اعيننا التلاحم النصي بين هؤلاء الشعراء من مختلف العصور في نسج النص الحسيني بالطاقات الشعرية الفاعلة ونقف وقفة تحليلية موازنة لبيان التشابه والاختلاف التوظيفي للثنائيات الضدية. فهذا بديع الزمان الهمذاني يتخذ من المفارقة التصويرية مشهدا يحمل في طياته تضادا يبين مكنونات الصورة الشعرية الكامنة في النص الحسيني اذ يقول[1]:

يا لمة ضرب الزما ن على معرسها خيامه
لله درك من خزا مى روضة عادت ثغامه
فوربه قامت به للدين اشراط القيامة
لمضرج بدم النبو ة ضارب بيد الامامة
متقسم يطأ السيوف ف مجرعا منها حمامه
منع الورود وماؤه منه على طرف لثامه

فهو من خلال الابداع الاستعاري المتمثل بقوله (ضرب الزمان على معرسها خيامه) وقوله (خزامى روضة عادت ثغامة) حقق بذلك التعجب الاستعاري صورة

١) ديوان ابن شكيل، تقديم وشرح حياة قارة.ط١، ١٩٨٨، المجمع الثقافي في ابي ظبي:٤٧.

شعرية تحمل مفارقة تصويرية تجسد عمق المشهد الحسيني لحظة الاستشهاد. ويستمر في قوله (متقسم يطأ السيوف) ليحقق تلك الدلالات الشعرية بصورة مشهدية منسجمة مع السياق النصي ومن بديع الزمان ننتقل الى الشريف الرضي، واخيه الشريف المرتضى وما كتباه من نصوص حسينية وظفا من خلالها الثنائيات الضدية لتفتيق اسمى المعاني الشعرية وابدعها دلالة، ونبدأ بالشريف الرضي وهو يتخذ من الرحلة عنوانا لنصه الحسيني وهو يقول[1]:

قف بي، ولو لوث الأزار. فإنما هي مهجة علق الجوى بفؤادها

بالطف حيث غدا مراق دمائها ومناخ أينقها ليوم جلادها

القفر من أرواقها، والطير من طراقها، والوحش من عوادها

تجري لها حبب الدموع، وانما حب القلوب يكن من امدادها

يا يوم عاشوراء كم لك لوعة تترقص الاحشاء من ايقادها

ما عدت الا عاد قلبي غلة حرى، ولو بالغت في ابرادها

مثل السليم مضيضة آناؤه خزر العيون تعوده بعدادها

يا جد لا زالت كتائب حسرة تغشى الضمير بكرها وطرادها

ابدا عليك، وادمع مسفوحة ان لم يراوحها البكاء يغادها

هذا الثناء، وما بلغت، وانما هي حلبة خلعوا عذار جوادها

---

١) ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق الشيخ عبد الوهاب رضوان ـمحمد شكري افندي "١٩٠٣ مطبعة باب الخلق،مصر:٧٦.

أأقـول: جـادكم الربيـع؟ وانـتم في كـل منزلـة ربيـع بلادهـا

أم اسـتزيد لكـم عـلا بمـدائحي أيـن الجبـال مـن الـربى ووهادهـا

كيف الثناء على النجـوم، اذا سمـت فـوق العيـون الى مـدى ابعادهـا

أغنى طلوع الشمس عن أوصافها بجلالهـا وضـيائها وبعادهـا

فهذا النص يمثل رثاء حيا مستفيضا للإمام الحسين بأسلوب شعري ولغـة شـعرية تختلف عن سائر الاشعار الحسينية التي قالها الشعراء في نصوصهم الحسينية، فهـو يبـدأ هذا النص بمخاطبة حادي العـيس ويطلـب منـه الوقـوف في الطـف حيـث النفحـات الحسينية الخالدة، واریاح الاحباب (عليهم السلام) ليجسد واقع تلك الديار وحزنها من خلال الجمع بين الاضداد (الوحش والطير) ليحقق ابداعا تصويريا ودلاليا وصفيا لتلك الماكن المقفرة، وهو يأتي بلفظ لا ينسجم والسياق الرثائي في قوله (تتـرقص) ليدخلـه في سياق الاستعارة المكنية ليحقق صورة شعرية موشحة بالتضاد الاسلوبي في توظيف لفـظ في غير مناسبته وتفجير الطاقات الشعرية والدلالية مـن خـلال ذلـك الابـداع الضـدي المتجانس في رصفه السياقي، ويستمر في الابداع التوظيفي للثنائيـات الضـدية (حـرى، بردى والرواح، والغدو) ليحقق من خلالها صورا شعرية تجسد ازلية القضية الحسينية في الضمائر وخلودها والاقتداء بسيرة الحسين (عليه السلام) في كل تفاصيل الحياة. ثم يختم النص بمفارقات شعرية تحمل في جزئياتها او تحمل ضمنا معاني ضدية من خلال اسلوبية المفارقة التصويرية، اذ يقول [1]:

أأقـول: جـادكم الربيـع؟ وانـتم في كـل منزلـة ربيـع بلادهـا

أم اسـتزيد لكـم عـلا بمـدائحي أيـن الجبـال مـن الـربى ووهادهـا

١) ديوان الشريف الرضي سلسلة دار العرب:٣٦٣/١.

كيف الثناء على النجـوم، اذا سمـت فــوق العيــون الى مــدى ابعادهــا

أغنى طلوع الشمس عن أوصافها بجلالهـــا وضـــيائها وبعادهـــا

فكيف يدعو لهم بالسقيا وهم الربيع الدائم، وكيف يدعو لهم بالعلو وهـم الجبـال الخالـدات دومـا، وكيـف يـثني علـى النجـوم بـل هـم الشـمس وقـد اغنوهـا عـن اوصافها(عليهم السلام).

ومن الشريف الرضـي ننتقـل الى الشـريف المرتضـى واسـتذكار المشـاهد الطفيـة والواقعة الاليمة، وهو يوظف المتضادات الثنائية في رفد المعاني بالطاقات الشـعرية الثـرة، اذ يقول[1]:

ألا إن يوم الطـف أدمـى محـاجرا وأودى قلوبـــا مـــا لهـــن دواء

وان مصـــيبات الزمـــان كـــثيرة ورب مصـــاب لـــيس فيـــه عـــزاء

أرى طخيـة فينـا فـأين صـباحها وداء علـــى داء فـــأين شـــفاء

وبـــين تراقبنـــا قلـــوب صـــديئة يـــراد لهـــا لـــو أعطيتـــه جـــلاء

فهو يزاوج بين الثنائيات المتضـادة المتعـددة (أودى، دواء، الـداء، شـفاء، صـديئة، جلاء) ليحقق من خلال هذه الثنائيات بسياقاتها المختلفة ابداعا شعريا يجسد عمق المعاني واستذكارها المؤلم الذي لا يشفى. والم صيد مظلم ينتظر الصـباح. ويسـتمر في رصـف ثنائياته المتضادة لبناء النص الحسيني الرائع في معانيه وعرضه اذ يقول[2]:

---

١) م. ن:١/٣٦٤.

٢) ديوان الشريف المرتضـى، تحقيـق رشـيد الصـفار، مراجعـة د. مصـطفى جـواد، محمـد رضـا الشـبيي. دار البلاغة،ط١ ،بيروت،لبنان،١٥٩ :١٩٨٨.

اذا لم تكونـــوا فالحيـــاة منيـــة ولا خـــير فيهـــا والبقـــاء فنـــاء

وامـــا شـــقيتم في الزمـــان فإنمـــا نعيمـــي اذا لم تلبســـوه شـــقاء

لحـا الله قومـا لم يجـازوا جمـيلكم لأنكـــم أحســـنتم وأســـاءوا

ولا انتاشهم عند المكاره منـهض ولا مســتهم يــوم الــبلاء جــزاء

فالحياة دون وجودهم فناء ومنية، واذا شقيتم فنعيمي شقاء، والله سوف ينتقم من القوم الذين جاروا على آل البيت (عليهم السلام)رغم احسانهم اليهم. وبذلك فقد استطاع الشاعر تجسيد المعاني الحسينية من خلال الاتكاء على الثنائيات الضدية.

ومن التنازع الضدي في شعر الشريف المرتضى قوله[1]:

ان يـــوم الطـــف يـــوم كـــان للـــدين عصـــيبا

لم يـــدع في القلـــب مـــني للمســـرات نصـــيبا

انـــه يـــوم نحيـــب فـــالتزم فيـــه النحيبـــا

فالمسرات ليس لها مكان وسط النحيب الذي اصابنا جراء واقعة الطف. ويقول ايضا[2]:

---

١) م. ن:١٦٠

٢) م. ن:٢١٤.

أجل بـأرض الطـف عينيـك مـا بـين أنـاس سـربلوا العـثيرا

حكـم فـيهم بغـي اعـدائهم علـيهم الـذؤبان والانسـرا

تخـال مـن لألاء انـوارهم ليـل الفيـافي لهـم مقمـرا

فالتضاد الماثل بين الانوار والليل اضفى على النص ابداعا دلاليا يجسد النور الازلي الخالد لآل البيت (عليهم السلام).

ومن الشواهد الشعرية الاخرى التي تجسد الزيارة لكربلاء قول السيد الحميري [1]:

امـرر علـى جـدث الحسيـ ن وقـل لأعظمـه الزكيـة

يـا اعظمـا لازلـت مـن وطفـاء سـاكبة رويـة

مـا لـذ عـيش بعـد رضـ ك بالحيـاة الأعوجيـة

قـبر تضـمن طيبـا أبـاؤه خـير البريـة

فـاذا مـررت بقـبره فأطـل بـه وقـف المطيـة

ومن النصوص التي تجسد تلك المعاني قول الشيخ ابراهيم العاملي[2]:

أتيـت الإمـام الشـهيد بقلـب حـزين ودمـع غزيـر

١) ديوان السيد الحميري، شرح وضبط وتعليق ضياء حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط١: ٣٣.

٢) www.yahosein.com.

أتيـــت ضـــريحا شـــريفا بـــه يعـــود الضـــرير كمثـــل البصـــير

أتيـــت أمـــام الهـــدى ســـيدي إلى الحـــاير الجـــار المســـتجير

أرجـــي الممـــات ودفـــن العظـــام بـــأرض الطفـــوف بتلـــك القبـــور

لعلـــي أفـــوز بســـكنى الجنـــان وحـــور محجلـــة في القصـــور

اتيـــت الى صـــاحب المعجـــزات قتيـــل الطغـــاة ودامـــي النحـــور

فالشاعر وظف الالفاظ المتضادة (الضرير،والبصير) ليحقق من خلال هذا التضـاد الدلالات المستقيضة حزنا والما لتلك المشاهد المبكية.

وهذا الشاعر طلائع بن رزيك يجسد النص الحسيني ويذكر الطف وآلامه الكـبيرة بعد واقعة الطف واحداثها الاليمة، اذ يقول وهو يهجو ويلعن اعداء الحسـين، موظفـا التضاد الزمني بين (الغدو والاصال) كي يحقق ازلية لعنهم في الارض والسماء [1]:

أيا نفس من بعد الحسـين وقتلـه على الطف هل ارضـى بطـول حيـاتي

واني لأخـــزي ظالميـــه بلعنـــة علـــيهم لـــدى الآصـــال والفلـــوات

١) ديوان طلائـع بـن رزيـك، جمـع وتبويـب محمـد الهـادي الامـيني /منشـورات المكتبـة الاهليـة،ط١ ،مطبعـة النعمان،١٩٦٤: ٦٨.

وننتقل الى الشاعر الخليعي المتوفى في القرن السابع الهجري ونجد المعاني المستفيضة في نصوصه الحسينية الرثائية اذ يقول [1]:

حـــــر قلـــــبي والســـــبايا في بكـــــــــاء وانتحـــــــــاب

يتصـــــــــارخن ســـــــــليبا ت رداء ونقـــــــــــــــــاب

وبـــــدور الـــــتم صـــــرعى مـــــن مشـــــيب وشـــــباب

فالطباق بين (الشيب والشباب) اثرى النص الحسيني وبين عمق الفاجعة التي أصابت آل البيت بعدد كبير بين شيب وشباب (عليهم السلام).ومن الثنائيات المتضادة قوله في تجسيد حديث ومناجاة السيدة زينب (عليه السلام) وهي تقول [2]:

يـــا اخـــي ضـــاقت علينـــا بعـــدكم ســـبل الرحـــاب

ليجسد من خلال (الضيق والرحاب) العمق الشعوري المستفيض في حزن السيدة زينب (عليها السلام)، فأضحى الكون الرحب ضيقا عليها لفراق اخيها.

ويجسد الخليعي اشجانه في استذكار مشهد الاستشهاد في ابداع تصويري اذ يوظف التقنيات الضدية في بناء اللغة الشعرية، إذ يقول[3]:

لســـت أنســـاه طريحـــا يشـــتكي حـــر الاوام

---

١) ديوان الخليعي، تحقيق وتذييل د. سعد الحداد، اصدارات مجلس محافظة بابل، هيئة الاحياء والتحديث الحضاري رقم (٥)،٢٠١٠: ٩٩.

٢) م. ن: ١٠٠.

٣) م، ن:١٧٤.

صـــــاديا يـــــروي العـــــدى مـــــن نحـــــره حـــــد الحســـــام

فالتضاد الماثل بين (الصادي، ويـروي) حققـت ابـداعا شـعريا متميـزا في تجسـيد المشهدية التصويرية. فهذه الصورة الشعرية التي مثلت عطش الحسين (عليه السـلام) في لحظة الاستشهاد ذلك العش الخالـد الـذي روى السـيوف ليخلـد بـذلك الارواء رايـة الاسلام والعروبة والاستبسال وليكون ذلك العطش نبراسـا لـه في الجنـة عنـد حـوض الكوثر، وقد تكررت هذه الصورة كثيرا في شعر الخليعي، اذ يقول في موضع آخر[1]:

لســـــت أنســـــاه وحيـــــدا في عـــــــراص العلقمـــــــي

ظامئـــــا والطفـــــل يـــــروي مـــــن دم الطفـــــل الصـــــبي

ومن الذين ابدعوا في رفد النص الحسـيني بالطاقـات الابداعيـة الـتي تجسـد عمـق التجربة ومحتواها، الشاعر ابن جابر الاندلسي اذ يقول من قصيدة له[2]:

وان الحسين الصابر الحازم الـذي متى تقصر الابطال في الحرب يشدد

شبيه رسول الله في البأس والندى وخـــير شـــهيد ذاق طعـــم المهنـــد

اذ يزاوج الشاعر بين الثنائية الضدية في قوله (تقصر ويشدد) ليحقق من خلال هذه الثنائية الشجاعة العظيمة الكامنة في شخصية الإمام الحسين (عليـه السـلام) فمـتى مـا قصر الابطال فهو يشتد بسـالة وقـوة وشـجاعة فـلا احـد يـوازي الشـجاعة الحسـينية المستمدة من السلالة المحمدية العلوية.

---

١) م. ن:٧٣.

٢) شعر ابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠ه)،صنعة الدكتور احمد فوزي الهيب،دار سعد الدين للطباعـة والنشـر،ط١ ٢٠٠٧.دمشق:٦٥.

الخاتمة:

بعد ان انتهينا من هذا البحث خلصنا الى ان المعاني السامية الكامنة في شخصية الامام الحسين (عليه السلام)خالدة في الضمائر من خلال مآثرهم التي تجسد اعماقهم المتألمة حزنا والما فقد تناولنا شعراء من مختلف الاماكن والازمان ووجدنا ان تلك المواقف والشعائر الاستذكارية لواقعة الطف من خلال الاشعار التي تجسد زياراتهم لأرض كربلاء واستشعار الشعائر الاربعينية شاخصة وناطقة في اشعارهم وقد وظفوا الثنائيات الضدية في بيان تلك المعاني الثرة ومن خلال التحليل الفني وجدنا عمق المعاني التي جسدتها تلك المتضادات لتخرج بدلالات معنوية مستفيضة تجسد الآلام والأحزان الخالدة في وجداننا، فلاشك اننا ومن خلال الزيارة الاربعينية نستخلص دروسا تبقى خالدة في الضمائر الحية الى الازل. ووجدنا ان تلك المعاني أكثر ما تجسد في النصوص الرثائية.

المسير نحو قبلة الأحرار

وانعكاسه السلوكي والأخلاقي على طلبة الجامعة المستنصرية

(دراسة مسحية)

The trend towards to Karbala and its reflection the moral and behavioral on Al- Mustansiriya university students

(Survey)

المدرس الدكتور هدى سلمان صبار المدرس الدكتور بشرى فاضل زبون

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب/ قسم المعلومات والمكتبات

المستخلص

في هذا البحث تم تسليط الضوء على دور المسير نحو قبلة الأحرار وانعكاسها على سلوك وأخلاق الشباب وخصوصاً طلبة الجامعة المستنصرية/ حيث تم تصميم استبانة وزعت على الطلبة لقياس المستوى الفعلي لدور الزيارة الاربعينية في تغيير سلوك الطلبة وانعكاسها الاخلاقي عليهم من خلال اجراء مسح لأرائهم وإجاباتهم حول الموضوع. كما اجريت مقابلات عديدة مع شخصيات علمية واسلامية بينت الدور الريادي الذي تلعبه الزيارة الاربعينة في سلوك واخلاق الشباب باعتبارهم الركيزة التي تستند عليها الامة والمجتمع.

خرج البحث بمجموعة من النتائج كان أبرزها:

١ـ هناك وعي لدى الطلبة بأهمية إحياء الشعيرة (الزيارة الاربعينية).

٢ـ إفتقار المجتمع لوجود مثل اعلى بحياتهم غير الاباء والامهات يدفعهم لأتخاذ الحسين ((عليه السلام)) اسوة حسنة يحتذى به.

أما أبرز توصيات البحث، فكانت:

الكلمات المفتاحية: الحسين ((عليه السلام))/ الاخلاق والسلوك/ الثورة الحسينية/ الزيارة الاربعينية / المسيرة المليونية/ قبلة الاحرار.

Abstract

In this research trying to see the how much the million – human march, which is called,“Arbain visit” and toward the liberal, effected on the ethics and behavior of University of Mustansiriyah students. Also this paper highlighted the leading role played by “Arbain visit” in the behavior of young students as the substrate that are based upon the nation and society.

The paper adopted the survey and the questionnaire method for data collection and analysis. The find out was set of result, most notably:

١- There is awareness among the students of the importance of “Arbain visit” or “toward the liberal”.
٢- Lacking community to the presence of their lives, such as the highest non-parents, push them to take Hussein peace be upon him, just like a good role model.

Keywords: Al_Hussein, peace be upon him, Ethics and behavior, Husseinieh Revolution, Arbain visit, Million-human march, Towards the Liberal

المبحث الأول

منهجية الدراسة (Research Methodology)

مشكلة البحث (Research Problem):

الشباب، الطاقة الخلاقة والمحرك الأكثر مهارة في فاعلية ثورات الشعوب والطليعة الأساس التي تستند عليها الأمم في مواجهة الأخطار والركيزة القوية لاستقرار المجتمع وغالبا ما يبحث الشباب عن مثل اعلى يقتدون به، ذلك ان مرحلة الشباب ليست مرحلة عمرية فحسب، بل انها مرحلة بناء وصقل وتهذيب لما بعد ذلك، فالبحث عن شخصية روحاً وعقلاً يعتبر أهم أهدافهم في تلك المرحلة العمرية الاكثر أهمية في الحياة.

والحسين (عليه السلام) الشاب الأول في الاسلام، الذي ثار وضحى ضد الظلم يُعد الأسوة الحسنة التي يمكن للشباب الاقتداء بها، تلك الشخصية (العظيمة) (عليه السلام) والتي استمدت أخلاقها وسلوكها من أعظم البشر وسيد الكائنات الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لابد أن تؤثر في حياة الشباب وحدهم بل في حياة أمم كثيرة، فقد خص رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حفيده الحسين (عليه السلام) بمقولته المؤكدة والشهيرة (حسين مني وأنا من حسين)[1]، كما قال صلى الله عليه وعلى آله (ان الله جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي)[2]،

---

١) الاسلام سؤال وجواب، الشيخ محمد صالح المنجد، رواه الترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجة (١٤٤) وأحمد (١٧١١١) عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ). "https://islamqa.Info/ar/١٦٦٤٣٨".

٢) الطبراني - المعجم الكبير - الجزء - (٣) : رقم الصفحة(٤٣) : ، - ٢٥٦٤حدثنا : محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ثنا : عبادة بن زياد الأسدي ، ثنا : يحيى بن العلاء الرازي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن

وهذه دلالة واضحة على ان الحسين (عليه السلام)، الذي تربى وترعرع في حجره صلى الله عليه وآله وسلم، ورثَ واكتسب كل القيم الأخلاقية والسلوكية منه صلى الله عليه وآله وسلم والذي كُرم بأكبر شهادة يقاس بها الخلق الحسن والسلوك الانساني القويم بقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)[1].

ويرى الشباب والناس على حد سواء ان في شخصية الحسين (عليه السلام)، المثل الاعلى لكل الاحرار على مر العصور وفي عالمنا اليوم، حيث ألقى الغرب واتجاهاته العلمانية الحديثة ثقله الواضح في تشتت الشباب وانهيار بعض الأمم، وانحدار مستواها الثقافي والأخلاقي والسلوكي وتهاوي المثل والقيم العليا. فالأخلاق والسلوك كما يقره العلماء ويعرفه الجميع مرتبطة أرتباطاً وثيقاً ببيئة الفرد، وان وجود القدوة الحسنة والمثل الأعلى والملهم الروحي والنفسي لأي مجتمع أو أمة، يساهم بلا شك في رفعتها وسموها بين الأمم وخصوصاً فئة الشباب. ولعل الحسين (عليه السلام) وثورته في معركة الطف سنة (٦١) للهجرة، لها الأثر النفسي والروحي في سلوك شبابنا في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ الأمة العربية والاسلامية، وان الزيارة الاربعينية والمسير نحو قبلة الأحرار كربلاء المقدسة يحفز نمو هذا الإرث ويعزز الالهام في تسوية السلوك والاخلاق لدى الشباب المتعطش للظهور بصفة وسمة الكمال وانه يجد كل ذلك في شخصية الحسين (عليه السلام) شخصا وقائداً وحراً رفض الظلم وأبى أن يستكين ويستسلم لقرارات جائرة تحت حكم انغمس في ملذات الهوى وانشغل بأمور الدنيا ناسيا امور دينه الحنيف وقيمه السماوية الجليلة. ومما لاشك فيه أن الحسين (عليه السلام) مؤسس الاصلاح، فقد خرج للإصلاح، اصلاح أمة كادت تنجرف نحو الهاوية تحت حكم بني أمية، وقد بين ذلك

جابر (ر) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب(ر) . الرابط:

http://www.sonnaonline.com/Hadith.aspx?HadithID=٤٦٤٢٠٦

١) سورة القلم، الآية (٤).

الحسين سلام الله عليه وعلى آله في مقولته الشهيرة (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي)[1] وهذا هو الامتداد الفعلي لنهج رسولنا الاعظم محمد (صلى الله عليه وعلى ألـه وسلم): (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[2].

ان الموروث الذي خلفه الحسين وثورته الاصلاحية يتجلى اليوم في المسيرة المليونية كل عام لزيارة ابي الاحرار ومرقده الشريف (عليه السلام)، فعملية الإصلاح الصعبة في عالمنا اليوم مستمرة لتغير سلوك واخلاق الفرد وخصوصاً الطلبة والشباب ونراها قد انعكست بشكل ملفت في المسيرة السنوية الدورية للزيارة الاربعينية والتي احدثت وأسهمت بهذا التغيير.

انطلاقاً من ذلك جاء البحث للإجابة على التساؤلات التالية:

١ـ هل يرى الشباب وخصوصاً الطلبة في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) القدوة الحسنة التي يُحتذى بها على مر العصور والتي ساهمت وتساهم في إحياء الضمير وتقويم الأخلاق والسلوك؟؟

٢ـ ماهو دور الزيارة الأربعينية لمرقد الامام الحسين (عليه السلام) في أخلاق وسلوك طلبة الجامعة المستنصرية بأعتبارهم الجيل الواعد؟

٣ـ هل ساهمت الزيارة الأربعينية في تغيير اتجاهات الطلبة وسلوكهم وتصرفاتهم الفردية وبالتالي غيرت من أخلاقهم؟

٤ـ هل وحدت الزيارة الأربعينية مجتمع طلبة الجامعة المستنصرية بأعتبارها ذكرى سنوية عظيمة ومتجددة؟

---

١) بحار الأنوار، ٤٤/ ٣٢٩.

٢) بحار الأنوار، ١٦/ ٢١٠.

٥ـ هل ان الزيارة الأربعينية ساهمت الى حد ما من تغيير نمط وحياة الطلبة ممن جبرهم بعض الظروف الحياتية للابتعاد عن شعائر الاسلام والانصياع لملذات الدنيا؟

٦ـ هل ان طلبة الجامعة وشبابها يؤمنون ايمانا عميقاً وراسخاً بتعظيم شعيرة زيارة قبر ابي الاحرار الحسين (عليه السلام) وانهم يرون في الزيارة الاربعينية التجسيد الحقيقي لقوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب)[1]؟

٧ـ ماهي الطرائق المعتمدة من الطلبة لأحياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية"؟.

٨ـ ما الصعوبات التي تواجه الطلبة لأداء الزيارة الأربعينية؟.

---

١) الحج، ٣٢.

أهداف البحث (Research Objectives):

يسعى البحث الى تحقيق الأهداف التالية:

١ـ التعرف على أهمية الزيارة الأربعينية لدى طلبة الجامعة المستنصرية بإعتبارهم الشريحة الفاعلة في بناء المجتمع.
٢ـ أسباب أحيائهم للشعيرة الحسينية (الزيارة الأربعينية) من خلال الاطلاع على أرائهم في المسير نحو قبلة الاحرار سنوياً.
٣ـ قياس المستوى الفعلي لدور الزيارة الاربعينية في تغيير سلوك الطلبة وانعكاسها الاخلاقي عليهم من خلال اجراء مسح لآرائهم وإجاباتهم حول الموضوع.
٤ـ التعرف على درجة الطاقة الايجابية التي تخلفها وتبعثها الزيارة الاربعينية في نفوس الطلبة من خلال مسيرهم المليونية سنويا نحو قبلة الأحرار.

أهمية البحث (Research Importance):

إن ثورة الحسين (عليه السلام) جاءت لتؤكد ان خروجه سلام الله عليه انما كان بهدف الاصلاح والسير على نهج جده محمد عليه وعلى اله وصحبه افضل السلام. والاصلاح انما جاء نتيجة حتمية لظروف قاسية اودت بحياة الامة الاسلامية الى مهالك الردى ، حيث توالت الصراعات على كرسي الحكم ايام بني أمية، وقد رأى (عليه السلام) ان السكوت على حكم الطاغية انما يؤدي الى ضياع الامة وهلاكها الحقيقي، فجاءت ثورته الخالدة مقومة لتلك الحالة المزرية التي عانت منها الامة الاسلامية آنذاك.

ومما لاشك فيه ان الشباب يلعب دوراً كبيراً في حمل رسالة الاسلام والنهوض بالامة من خلال تجسيد معاني وقيم الرسالة السماوية وبث روح العزيمة لحماية المجتمع

الاسلامي من الخروقات والافكار الغربية التي تهدد الاسلام وتسعى الى خرابها والعبث بموروثها، والذي يؤثر وبشكل واضح في سلوك واخلاق المجتمع.

إن خروج الحسين (عليه السلام) بغرض الاصلاح بعد ان بلغ الفساد ذروته وان ذلك لايعالج الا بالثورة حتى وان كلفه ذلك اقصى مايملك (نفسه وعياله)، فجاءت ثورته سلام الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين الحل الامثل لتقويم الاعوجاج وصقل وتهذيب الانفس في المجتمع الاسلامي.

إن للزيارة الاربعينية أهمية كبرى في شحذ همم الشباب وخصوصاً الطلبة لما لها من معاني لإحياء الذات وتهذيبها في زهد الدنيا وملذاتها. ان اهمية احياء تلك الشعيرة وخصوصاً لدى الشباب يساهم بشكل فعلي في بناء المجتمع ويؤثر على سلوكه وأخلاقه من خلال استنباط الدروس والعبر من نهج الحسين (عليه السلام) ورسالة جده محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم.

من هنا جاءت أهمية البحث لتسليط الضوء على دور الشعيرة (الزيارة الاربعينية) في سلوك واخلاق الشباب من خلال مسيرهم نحو مرقد أبي الاحرار (عليه السلام) في كربلاء كل عام.

منهج البحث (Research Method):

تم اعتماد المنهج المسحي في جمع المعلومات وتحليلها.

أدوات وإسلوب جمع البيانات (Tools and Styles of Data Collection):

ان عملية جمع البيانات لموضوع البحث اشتملت على مجموعة من الأساليب وكما يلي:

١ـ الجانب النظري: وتم تعزيزه من خلال الاستناد الى مختلف المصادر والادبيات كالكتب والرسائل الجامعية والمواقع الالكترونية الرصينة وكذلك البحوث والدراسات المتخصصة.

٢ـ الجانب العملي: إشتمل الجانب العملي على عدة أساليب منها:
اعتمدت الأستبانة (The Questionnaire) كأداة لجمع المعلومات إذ تم تقييم الاستبانة اعتمادا على آراء بعض المختصين في هذا الجانب.تم تصميم استبانة عرضت على طلبة الجامعة المستنصرية ومن ثم عرضها على الطلبة عينة البحث.

حدود البحث (Research Boundaries):

أـ الحدود المكانية (Place Boundaries):
الجامعة المستنصرية (كلية الآداب، كلية العلوم، كلية التربية).

ب- الحدود الموضوعية (Subject Boundaries):
تناول البحث موضوع السير نحو كربلاء وأثره السلوكي والآخلاقي على طلبة الجامعة المستنصرية.

مجتمع البحث (Society of Research):

طلبة كليات (الآداب، التربية، العلوم) في الحرم الجامعي للجامعة المستنصرية حيث بلغ عدد الطلبة الذين وزعت عليهم الأستبانة (٣٠٠) طالب وتم استرجاع (٢٩٢) منها والتي خضعت للتحليل الفعلي.

المبحث الثاني

الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام)

مشروعيتها، تاريخها وأهدافها

تعتبر ثورة الامام الحسين (عليه السلام) ثورة رائدة فذة العطاء، غنية القيمة والتأثير، واسعة الاهداف، إذ كان الحسين (عليه السلام) يستهدف تحقيق أهدافاً كثيرة قريبة وبعيدة، منها[1]:

١ـ تغيير الاوضاع السياسية واستبدال الجهاز الحاكم واسلوب الادارة والسياسة، والتعامل مع الأمة وفق الموازين والمقاييس التي ثبتها الاسلام.
٢ـ إيقاظ الحس والوعي السياسي للأمة، وجعلها جهاز مراقبة للسلطة إذ ما انحرفت عن المبادئ أو تخلت عن تطبيق الاحكام والقوانين الاسلامية.
٣ـ إعادة تربية الأمة وبنائها، تربية وبناءاً سليماً.
٤ـ تصحيح الانحراف وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها.
٥ـ كسر حاجز الخوف والارهاب المفروض على الأمة وتحريك روح الثورة والفداء فيها.

فكانت ثورة الامام الحسين (عليه السلام) هي أعظم الأحداث مأساوية ونبلاً في التأريخ الاسلامي... إذ لا توجد ثورة عاشت في تاريخ الشعوب كما عاشت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقدمت وما زالت تقدم للإنسان القيم والمثل العليا في جميع المجالات، فأصبح الإمام الحسين (عليه السلام) شعاراً للثوار ومناراً للأحرار، ومدرسةً

١) الامام الحسين (عليه السلام)، الامام الحسين (عليه السلام)، تأليف لجنة التأليف. ط٥. – (د.م): مؤسسة البلاغ، ٢٠١٠. ص ٢٢٨.

للكفاح والحرية... وتأييداً وتأكيداً على حب الإمام الحسين والـولاء لـه ولأهـل البيـت (عليه السلام) والسير بسيرته والاقتداء به، والسير على نهجه.. اتبع المؤمنين عدة أساليب للتعبير عن ذلك فكانت الشعائر الحسـينية هـي السـبيل الأكـبر لتحقيـق ذلـك. وقـد أكتسبت تلك الشعائر تعظيماً وشعبية كبيرة لدى عامة المسـلمين وأصـبح عـزاء سـيد الشهداء دليلاً على درجة الإيمان لدى المسلمين.

أما فلسفة تعظيم شعائر عزاء سيد الشهداء، فهي مكافآت يقدمها التاريخ لأبطـال عاشوراء، إذ ان ذكر سيد الشهداء (عليه السلام) يرتبط بنا من عدة جهات فمن جهة ان هذه الذكرى عبارة عن نبع من الفيض الرباني الذي يمكننا الاستفادة منه، وهي من جهة أخرى تقديراً منا للشهداء والشهادة، ومـن جهـة ثالثـة تعـبير عـن الواجـب التـأريخي والفرائض الاجتماعية[1].

تنوعت تلك الشعائر في أشكالها وموضوعاتها من المواكب الحسينية، إقامـة المـآتم.. وأداء الزيارة (زيارة الأربعين) والتي تعتبر من أهم تلك الشعائر ذات المـدلولات الكـثيرة العقائدية والثقافية والأجتماعية والسياسية، والدالة على هوية المسلم المؤمن...إذ يتوافـد الملايين من أتباع أهل البيت (عليه السلام) ومحبيهم وعشاق الحسين (عليه السلام) مـن داخل العراق وخارجه نحو قبلة الأحرار كـربلاء لزيـارة ضـريح الإمـام الحسـين وأخيـه العباس وأصحابهم الكرام عليهم السلام.

مشروعية زيارة الأربعين

نصت أكثر النصوص على مشروعية زيارة قبور الأولياء الصـالحين والنـاس عامـة مستندة بذلك على ما رواه العديد من المؤمنين في كتبهم عن رسول الله (صلى الله عليـه

١) المطهري، مرتضى. الملحمة الحسينية. – ج١ ،ط٣.ـ قم المقدسة: سليمان زاده، ١٤٣٠هـ، ص ١٦١.

وآله) وآل البيت (عليهم السلام)[1]، والتي حثت وشجعت على زيارة قبور الصالحين والمسلمين عامةً والسلام عليهم والدعاء لهم، وإهداء الثواب اليهم بتلاوة القرآن الكريم وفعل الخيرات. ومن تلك الاحاديث:ـ

١ـ روى إبن ماجة (ج – ل. ص٢٤٥) بسنده عن الرسول (صلى الله عليه وآله): زوروا القبور فأنها تذكركم الآخرة. وبسنده عنه (صلى الله عليه وآله): كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فأنها تزهد في الدنيا وتذكرالآخرة.

٢ـ زار النبي (صلى الله عليه وآله) قبر أمه. روى مسلم في صحيحه (ج٤ ،ص٢٢٥ بهامش إرشاد الساري)، وابن ماجة (جـ ل،ص٢٤٥)، والنسائي (ج – ل، ص ٢٨٦) بإسنادهم عن أبي هريرة. زار النبي (صلى الله عليه وآله) قبر أمه "رضي الله عنها" فبكى وأبكى من حوله... .

٣ـ علم (صلى الله عليه وآله) عائشة حين قالت له: كيف أقول لهم يارسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): قولي: (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين) "رواه مسلم".

٤ـ روى إبن أبي شيبة عن أبي جعفر(عليه السلام)، (وفاء الوفا، ج ٢، ص:١١٢)، ان فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت تزور قبر حمزة تَرمَه، وتُصلحَه، وقد تُعلمنَه بحجر.

(وروي عنه أن فاطمة (عليه السلام) كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة، فتصلي هناك، وتدعو، وتبكي حتى ماتت).

((وروى الحاكم عن علي (عليه السلام) أن فاطمة (عليه السلام) كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده))[2]. وهذا يؤكد اهمية زيارة قبور الائمة والاولياء الصالحين عند أئمة أهل البيت (عليه السلام) وعبادة الله عندها بالصلاة

---

١) محمد مهدي شمس الدين. ثورة الحسين (عليه السلام) في الوجدان الشعبي.ـ بيروت: الدار الاسلامية، ١٩٨٠. ص ٥٣ـ ٥٤.

٢) تلخيص الحبير، ابن حجر، ٥/ ٢٤٨.

والدعاء وتلاوة القرآن الكريم والسلام عليهم والدعاء لهم، حتى انهم اعتبروها من شعائر الله وانه من تقوى القلوب.

أما مشروعية زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ومكانتها لدى أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، فهناك مئات الأحاديث المروية عن أهل البيت (عليه السلام) والمثبت صحتها تدعو وتحث المؤمنين لزيارة الأمام الحسين (عليه السلام) في جميع الأوقات أو في أيام معينة وفي القرب والبعد، ومن تلك الاحاديث:

١ ـ في حديث ينتهي بسنده الى الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين (عليه السلام) قال:ـ ((مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فأن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقّر للحسين ((عليه السلام)) بالإمامة من الله عزّ وجلّ)[١].

٢ ـ في حديث ينتهي بسنده الى زرارة، قال:

((قلت لأبي جعفر (الباقر) (عليه السلام): ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له:لاتخف ولاتحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك))[٢].

٣ ـ حديث أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال:

((ياعلي "ابن ميمون الصايغ" زُر الحسين ولاتدعه. قال: قلت : ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطة حسنة، ومحى عنه سيئة، ورفع له درجة))[٣].

٤ ـ وفي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)[١]:

---

١) محمد مهدي شمس الدين. المصدر نفسه. ص٦٥ـ٦٨.

٢) كامل الزيارات، ٢٤٣.

٣) كامل الزيارات، ٢٥٦.

((من سرّه أن يكون على موائد النور يوم القيامة فليكن من زوار الحسين بن علي عليهما السلام)).

٥ـ في حديث عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام):

((أدنى ما يثاب به زائر الحسين (عليه السلام) بشط الفرات إذا عرف حقّه وحرمته وولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر))[٢].

٦ـ في حديث ينتهي بسنده الى الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال:

((إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبروهم فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعائهم يوم القيامة))[٣]. روى الشيخ في التهذيب والمصباح عن الامام الحسن العسكري (عليه السلام). قال: علامات المؤمن خمس صلاة إحدى وخمسين (أي الفرائض اليومية) وزيارة الاربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين بالسجود والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[٤].

كما أن أئمة أهل البيت (عليه السلام) كانوا يزورون الإمام الحسين (عليه السلام)، فكان الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، يتوجه من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر أبيه (عليه السلام). فقد شاهده بعض شيعة أهل البيت (عليه السلام) في مسجد الكوفة، ولما تعجب من وجوده، قال له: ((ما أقدمك بلاداً قتل فيها أبوك؟ أجابه (عليه السلام):ـ (زرت أبي وصليت في هذا المسجد...)[٥].

---

١) كامل الزيارات، ٢٥٨.

٢) كامل الزيارات، ٢٦٣.

٣) كامل الزيارات، ٢٣٧.

٤) عباس القمي، مفاتيح الجنان.، قم المقدسة: بعثت، (د.ت)، ، ص ٣٦١.

٥) الكافي، ٨/ ٢٥٥.

وهذا يدل على مشروعية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وفضلها وأجرها الكبير عند الله سبحانه وتعالى.

تاريخ الزيارة الأربعينية لمرقد أبي الأحرار (عليه السلام)

بدأت زيارة الأربعين في فترات زمنية مبكرة وبدأت بزيارة الإمام زين العابدين بن الحسين (عليه السلام)، إلا أنها لم تكن شائعة إلا انها كانت تنمو وتتعاظم بإستمرار ويتسع نطاقها وغدت لها مواسم ثابتة بدأ ذلك في عهد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ففي حديثه مع عبدالله بن حماد البصري قال له الإمام (عليه السلام)[1]:

((بلغني أن قوماً يأتونه (قبر الحسين "عليه السلام") من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساءاً يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فهم بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت: نعم. جعلت فداك، قد شهدت بعض مايتصف. فقال (عليه السلام): الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا (وغيرهم يهددونهم) ويقبحون ما يضعون))[2].

أما وسائل النقل المعتمدة في السفر الى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) فكانت تستخدم جميع وسائل النقل المعروفة آنذاك فضلاً عن المشي وأغلب النصوص تبرز أهمية المشي الى كربلاء.

---

١) محمد مهدي شمس الدين. المصدر نفسه. ص٦٥.

٢) محمد مهدي شمس الدين. المصدر نفسه. ص٧١.

أهداف الزيارة

لقد وجه أئمة أهل البيت (عليه السلام) المسلمين لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) واعتبروا تلك الزيارة مؤسسة فكرية ـ سياسية ـ اجتماعية لها دور في جعل المسلمين على صلة حية ومباشرة بمنابع إسلامهم الصحيح... وضعوا الآداب الواجب التزامها والنصوص الواجب قراءتها عند الزيارة من قريب أو بعيد والتي تعظم وتكرم الإمام وتبين جهوده الفكرية والجهادية في سبيل الإسلام ... وجعلت زيارات الإمام الحسين (عليه السلام) في مقدمة المواسم الدينية عند المسلمين عامة والشيعة خاصة في كل مكان من العالم. وهذا يؤكد أهمية زيارة الامام الحسين (عليه السلام) بخدمة هدف كبير هو إبقاء الصلة حية ونابضة بين الاسلام الحي وبين المسلم لئلا يتحول الاسلام في ذهنه الى مجرد ممارسات وطقوس وفقه معطُل، ولتبقى في ذهنه النماذج السليمة البريئة الصافية للاسلام.

كما ان الدافع الى الزيارة انها تتصل بتكريم الأشخاص المزارين، لأنهم كرام عند الله تعالى. وتتصل بطلب الشفاعة منهم عند الله وتتصل بطلب البركة بواسطتهم من الله، وان الانسان المؤمن حين يقوم بزيارة الامام الحسين (عليه السلام) يكون قد جدد صلته بالاسلام ... وعاهد الله على التمسك به والحفاظ عليه، وتطبيقه في حياته، وهو عمل يستحق عليه الثواب، بالإضافة الى ان زيارة الامام الحسين (عليه السلام) هي مظهراً لثورة الحسين (عليه السلام) في الوجدان الشعبي الاسلامي.

ومما يؤكد أهمية زيارة الأمام الحسين (عليه السلام)، خوف الحكام المستبدين والسلطات الظالمة من بني أمية والعباسية.. وما يمكن أن يكون بين الناس من حالة الوعي للواقع وإدانة القوي السياسية المسيطرة. مستنيرين بثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وأهدافها.

فأتخذت تلك السلطات على مدى التاريخ عدة إجراءات الهدف منها منع تدفق الزائرين الى كربلاء ومن تلك الأجراءات[1]:

١ـ وضع المسلحين والحراس على الطرق المؤدية الى كربلاء لمنع الزائرين من الوصول إلى قبر الحسين (عليه السلام)، وإنزال شتى العقوبات بمن يقبض عليه منهم وقد تصل العقوبة في بعض الحالات الى القتل.

٢ـ محاولة إزالة موضوع الزيارة، وذلك بهدم القبر وإزالة معالمه فيضيع مكانه فلا يهتدى اليه.. وكان هذا في عهد المتوكل العباسي بالقرار الذي أتخذه بهدم قبر الامام الحسين(عليه السلام).

إلا ان تلك الإجراءات لم تفلح وظلت زيارة الإمام (عليه السلام) مستمرة مكونة تياراً بشرياً جارفاً يتعاظم باستمرار من جميع الأعمار والأوطان.

أما ما يبرهن أهميتها في الوقت الحالي الإحصائيات التي نشرت والتي بينت أعداد الزائرين ومنها ما هو موضح في الشكل البياني التالي:

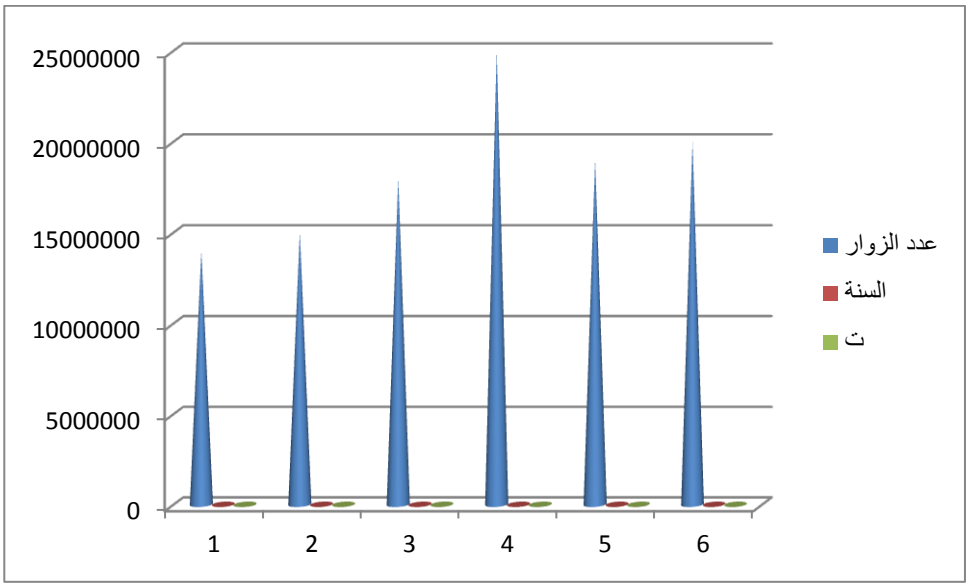

١) محمد مهدي شمس الدين. المصدر نفسه. ص٧١.

شكل رقم (١)

يوضح اعداد الزائرين لقبلة الأحرار للاعوام (٢٠١٥،٢٠١٤،٢٠١٣،٢٠١٢،٢٠١١،٢٠١٠).

فقد وصلت الاعداد في كل من الاعوام الستة الاخيرة، (٢٠١٥،٢٠١٤،٢٠١٣،٢٠١٢،٢٠١١،٢٠١٠) الى اعداد متقدمة ومذهلة ففي عام ٢٠١٥ تجاوز عدد الزوار لأكثر من (٢٠) مليون زائر[١]، وفي عام ٢٠١٤ كان عدد الزائرين يقدر بحوالي (١٩) مليون زائر[٢]، اما في عام ٢٠١٣ فقد وصل عدد الزوار الى أكثر من (٢٥) مليون زائر[٣]، وفي عام ٢٠١٢ وصل عدد الزوار (١٨) مليون زائر[٤]، وفي عام عام ٢٠١١ وصل عدد الزوار (١٥) مليون زائر[٥]، اما عام ٢٠١٠ فكان عدد الزوار الى كربلاء هو (١٤) مليون زائر[٦].

---

١) وكالة الفرات نيوز "http://alforatnews.com/modules/news/article.php?storyid=١٠٢٢٠٢".

٢) السومرية نيوز.

٣) صدى الحقيقة "http://sdhnews.com/archives/٢٤٦٦٦".

٤) بوابة كربلاء الالكترونية ،"http://holykerbalaprovince.com/video.php?id=٤".

٥) كتابات في الميزان "http://www.kitabat.info/print.php?id=٤٠٨٦٦".

٦) الفرات نيوز "http://almosaoy.blogspot.com/٢٠١٤/١٢/١٤٣٦.html#.WCJyeLfrvDc".

الشباب وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)

تتدرج مراحل عمر الانسان من طفل الى شاب الى كهل وفق سنوات متتابعة إلا ان مرحلة الشباب تتفرد عن غيرها وتتميز، ففيها تكون الانطلاقة الحقيقية للحياة، وهي مرحلة النمو الكامل، والنضوج التام المكتمل،.. وما يدل على ذلك معنى كلمة (شباب) وأصلها (شب) والتي تعني الاشتعال .. فهي مرحلة التجدد الذي يسعى اليه الأنسان في هذا السن، كما انها مرحلة السعي وراء التجارب وإختيار النموذج الأعلى للإقتداء به. ويتفق أغلب الباحثين والدارسين على أن عمر (٢١) سنة هو العمر الذي يعتبر به الانسان شاباً، الا انها تظهر بعمر مبكر في مجتمعاتنا إذ تظهر بعمر (١٥) سنة[١].

إن ذلك يدل على أهمية تلك المرحلة العمرية بالنسبة لمجتمعاتنا الاسلامية ومحاولة كسب الشباب بأعتماد الاساليب التربوية الصحيحة واختيار النماذج البشرية الرائعة والتي لها دور في بناء النموذج الاسلامي الصحيح فكان الامام الحسين (عليه السلام) خير ما يقتدى به، وبالتالي يأتي دور الأهل والمؤسسات التربوية والعلمية لتثقيف الشباب بالاقتداء بالإمام الحسين (عليه السلام) وتجديد الولاء له ولأهل بيته الاطهار سلام الله عليهم من خلال ممارسة الشعائرالحسينية المختلفة خاصةً الزيارة... إن لزيارة ضريح الامام الحسين (عليه السلام) أهمية كبيرة في صنع الشباب المؤمن، من خلال قدرتها على التحويل النفسي للشباب من الوضع الاستسلامي، الى وضع متحرك فعال وقادر على تغيير واقعه الى ما هو أحسن.

إن ممارسة الشباب للشعائر الحسينية عامة والزيارة خاصة تدل على وعي الشباب ومنهم الطلبة لدور الامام الحسين (عليه السلام) وانجازاته وثورته في قيادة حركة الاسلام وفي مجال التشريع والتطبيق مما يعزز صلة الشباب بالاسلام المتحرك الفعال... فكان على

---

١) غادة حلايقة. اهمية مرحلة الشباب. (htt://mawdoo٣.com).

الشباب القيام بالدور والمسؤولية الملقاة على عاتقهم بشكل مشرف ومن تلك المسؤوليات[1]:

١ـ استثمار تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال والانترنت، لبث روح الحماسة والقيم الاصيلة التي خرج من اجلها الامام الحسين (عليه السلام).

٢ـ الحضور بالمؤتمرات وبذل الوقت والجهد من اجل عقد الندوات والمجالس والحلقات التثقيفية، والتي تسهم في استذكار ملحمة الطف الخالدة.

٣ـ غرس خصال البذل والعطاء لدى الشباب والمجتمع والاهل ولا سيما في مناطق سكناهم لأحياء الشعائر الحسينية.

٤ـ بث الوعي الفكري في صفوف المجتمع وحمايته من الإساءات الدينية المغرضة والتي تحاول التفريق بين صفوف المسلمين أجمع.

٥ـ الحث على اليقظة والاهتمام بالوضع الأمني في المجتمع وعدم اعطاء الفرص للمتربصين بأمن البلاد على اعتبار ان الشباب هم الحصن الامين لكل أمة.

---

١) غادة حلايقة.المصدر نفسه، (htt://mawdoo٣.com).

المبحث الثالث

الجانب العملي للبحث

قسم هذا المبحث الى قسمين الأول منه للتعريف بالكليات مدار البحث وخصص القسم الثاني لتحليل نتائج الاستبيان الذي تم توزيعه على الطلبة مجتمع البحث.

القسم الاول : الكليات الثلاث عينة البحث

أولاُ: كلية الآداب

تأسست كلية الاداب عام (١٩٦٣) وهي تضم الاقسام العلمية التالية:

١ـ قسم اللغة العربية.

٢ـ قسم اللغة الانجليزية.

٣ـ قسم اللغة الفرنسية.

٤ـ قسم الترجمة.

٥ـ قسم المعلومات والمكتبات.

٦ـ قسم علم النفس.

٧ـ قسم علم الفلسفة.

٨ـ قسم علم الانثروبولوجيا.

٩ـ قسم التأريخ.

كما تضم بعض المعاهد والمراكز التعليمية منها (معهد تعليم اللغة العربية) لغير الناطقين بها، مركز اللغات الاجنبية، المكتب الاستشاري للترجمة واللغات الاجنبية، مركز ابن سينا...).

وهي تسعى لتحقيق عدة اهداف منها تخريج الكوادر المتخصصة في الدراسات اللغوية العربية والانجليزية والفرنسية والترجمة وفي تخصصات آخرى منها العلوم النفسية والفلسفية، المعلومات والمكتبات، التأريخ، الانثروبولوجيا،.. لسد حاجة المؤسسات المختلفة لتلك التخصصات .. فضلاً عن أهداف علمية وتربوية اخرى[1].

ثانياً: كلية العلوم

تأسست كلية العلوم عام (١٩٦٣)، وهي تضم الاقسام العلمية التالية:

١ـ قسم الرياضيات.

٢ـ قسم الكيمياء.

٣ـ قسم الحاسبات.

٤ـ قسم علوم الحياة.

٥ـ قسم الفيزياء.

٦ـ قسم علوم الجو.

كما تضم الكلية بعض المراكز الاستشارية المتخصصة، للتعاون مع قطاعات المجتمع المختلفة.

تهدف الكلية الى تخريج الطلبة المؤهلين للعمل في المجالات العلمية المختلفة ونشر المعرفة من خلال انجاز البحوث العلمية الرصينة واستثمار التكنولوجيا الحديثة لخدمة العلوم التطبيقية وسد الاحتياجات المحلية والقطاعات الصناعية للبلد، بالملاكات العلمية المتخصصة [2].

ثالثاً: كلية التربية

---

١) الجامعة المستنصرية. دليل الجامعة المستنصرية. بغداد: الجامعة،٢٠١١. ص٢٦ـ٢٩.

٢) الجامعة المستنصرية. دليل الجامعة المستنصرية. بغداد: الجامعة،٢٠١١. ص٣٥ـ٣٧.

تأسست الكلية عام (١٩٧٦) ، وهي تضم الاقسام العلمية التالية:

١ـ قسم الفيزياء.

٢ـ قسم الرياضيات.

٣ـ قسم اللغة العربية.

٤ـ قسم الارشاد والتوجيه التربوي.

٥ـ قسم التأريخ.

٦ـ قسم علوم الحاسبات.

٧ـ قسم الجغرافية.

٨ـ قسم العلوم التربوية والنفسية.

٩ـ قسم طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الاسلامية.

وهي تسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف منها رفد وزارة التربية بملاكات متخصصة فضلاً عن تقديم الخبرة والمشورة لمؤسسات الدولة ذات العلاقة، كالمشاريع التطويرية المشتركة في تخصصات اقسامها العلمية، كذلك تقديم المناهج الدراسية وتطويرها[١].

١) الجامعة المستنصرية. دليل الجامعة المستنصرية. بغداد: الجامعة،٢٠١١. ص٤٥ـ٤٩.

القسم الثاني للجانب العملي من البحث

تحليل الاستبانة(The Questionnaire)

بعد توزيع الاستبيان على الطلبة عينة البحث (ملحق رقم ١) تم استرجاع الغالبية منه وكما موضح في الجدول رقم (١) الآتي:ـ

ت	الكلية	الاستمارات الموزعة والمسترجعة	
		الموزع	المسترجع
١	الآداب	١٠٠	١٠٠
٢	التربية	١٠٠	٩٢
٣	العلوم	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (١)

يبين الاستبانات الموزعة وما أسترجع منها وخضع للتحليل الفعلي

١- بعد فرز الاستبانة تبين ان النسبة الاكبر من الطلبة، هم الانـاث، وكمـا موضـح في الجدول رقم (٢) والشكل رقم (٢) التالي.

ت	الكلية	العينة المختارة		المجموع	
		ذكور	إناث	التكرار	%
١	الآداب	٥١	٤٩	١٠٠	١٠٠%

٢	التربية	٦٢	٣٠	٩٢	%١٠٠
٣	العلوم	٤٤	٤٦	١٠٠	%١٠

جدول رقم (٢)

يبين تفوق الاناث في احياء "الشعيرة الحسينية "

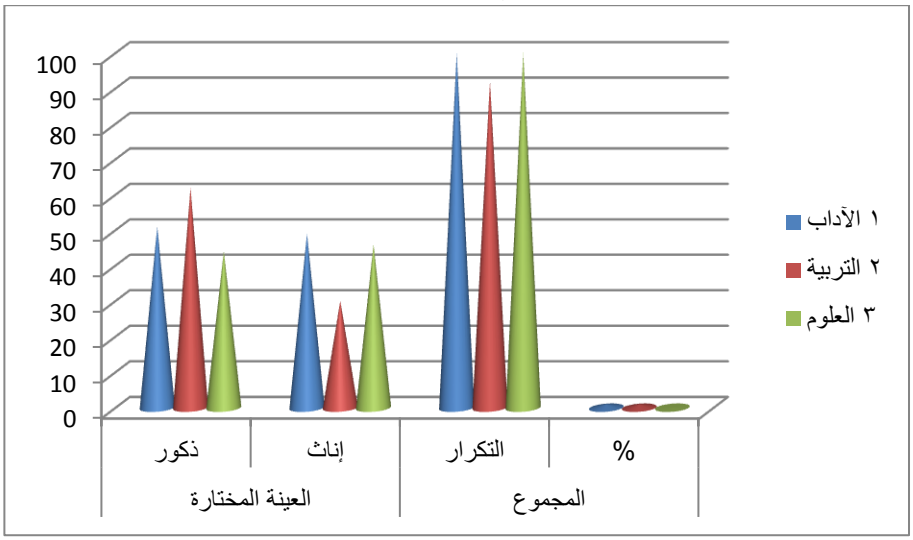

شكل رقم (٢)

يبين تفوق الاناث في إحياء "الشعيرة الحسينية"

وفيما يتعلق بمدى اهتمامهم بإحياء الشعيرة الحسينية والزيارة الاربعينية، لمرقد سيد الشهداء (عليه السلام). فأن الجدول الآتي وضح ما يلي:

ت	الكلية	نعم		كلا		المجموع	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
١	الآداب	٩٧	%٩٧	٣	%٣	١٠٠	%١٠٠

٢	التربية	٨٠	%٨٦	١٢	%١٤	٩٢	%١٠٠
٣	العلوم	٩٥	%٩٥	٥	%٥	١٠٠	%١٠٠

جدول رقم (٣)

يبين اجابة الطلبة حول اهتمامهم بإحياء الشعيرة الحسينية

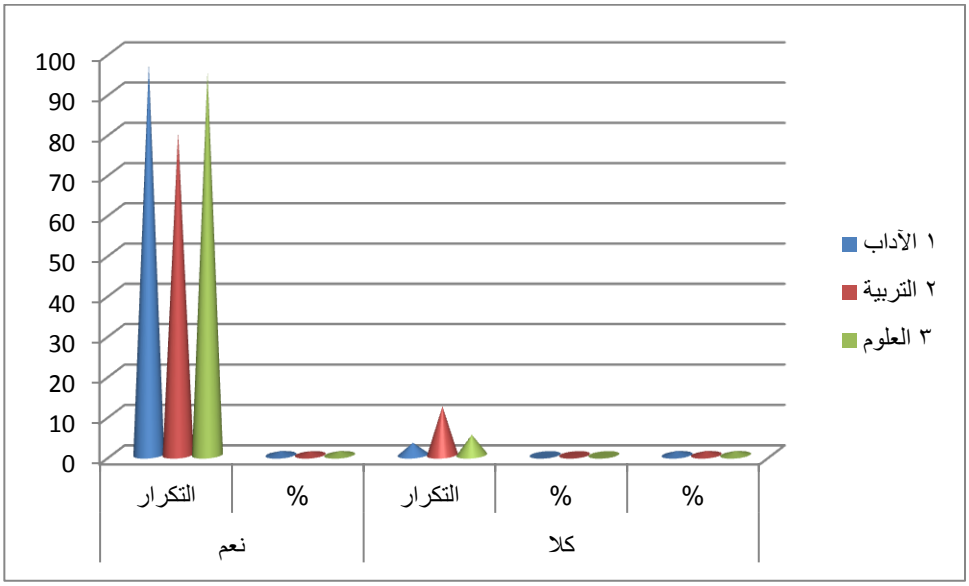

شكل رقم (٣)

يبين أعداد الطلبة وفقاً لكلياتهم والذين لهم اهتمام بأحياء الشعيرة الحسينية

يتبين من الشكل البياني رقم (٣)، للجدول رقم (٣) ان العدد الأكبر من الطلبة وفي جميع الكليات مدار البحث، ان لديهم إهتماماً وبنسبة كبيرة جداً بإحياء الشعائر الحسينية " الزيارة الأربعينية" وجاءت كلية الآداب بالمرتبة الأولى بتكرار (٩٧) وبنسبة (٩٧%).

أما اجابة الطلبة حول أهتمامهم بإحياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الاربعينية" فهي موضحة في الجدول رقم (٤) الآتي:

ت	الفقرارت المجاب عليها	الكلية					
		الاداب		التربية		العلوم	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	١٠٠
١	تعظيم الشعائر الحسينية	٧٧	%٩٧,٣	٦٤	%٨٠	٦٠	%٦٣
٢	مناسبة اجتماعية	٢٩	%٢٩,٨	٢٧	%٣٣,٧	٣٦	٣٧,٨
٣	زكاة للاموال	١٨	%١٨,٥	١٦	%٢٠	١٣	%١٣,٦
٤	رياضة بدنية	١	%١	١١	%١٣,٧	٦	%٦,٣
٥	إتباع لما وجد	١١	%١١,٣	١٨	%٢٢,٥	١٠	%١٠,٥

جدول رقم (٤)

يبين أسباب إحياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية"

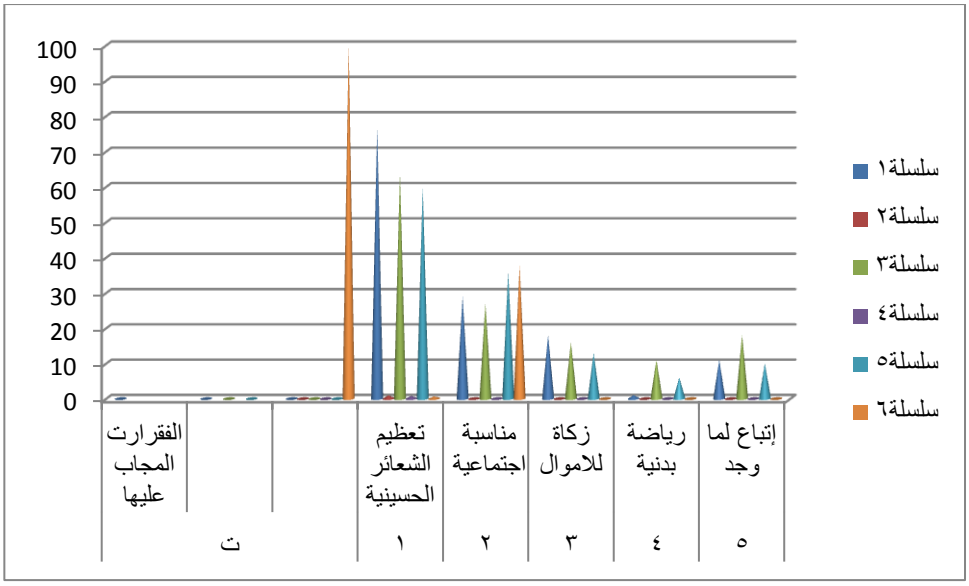

شكل رقم (٤)

يبين الاسباب الرئيسية لأحياء الشعيرة الحسينية من قبل الطلبة

من الشكل البياني اعلاه للجدول رقم (٤) يتبين ان الاسباب الرئيسية لأحياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية" هما : اولاً:ـ انهم يرونها وسيلة لتعظيم شعائر الله تعالى فضلاً على انها مناسبة إجتماعية لألتقاء المؤمنين، بينما جاء السبب الآخر ليوضح كونها رياضة بدنية وروحية بأقل تكرار ونسبة في جميع الكليات.

أما اسباب عدم إحياء الشعيرة الحسينية " الزيارة الأربعينية" فالجدول رقم (٥) يبين الآتي :

ت	الفقرات المتعلقة بالسؤال	الكلية					
		الآداب		التربية		العلوم	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
١	ليس لديك وقت كاف	١	%٣٣	١	%٨,٣	١	%٢٠
٢	إزدحام الطرق	١	%٣٣	١	%٨,٣	١	%٢٠
٣	تعتقد انها مظاهر	١	%٣٣	٨	%٦٦,٦	٤	%٨٠
٤	الافتقار للأمكانيات	-	-	١	%٨,٣	١	%٢٠

جدول رقم (٥)

يبين أسباب عدم إحياء الشعيرة الحسينية " الزيارة اربعينية" من قبل بعض الطلبة.

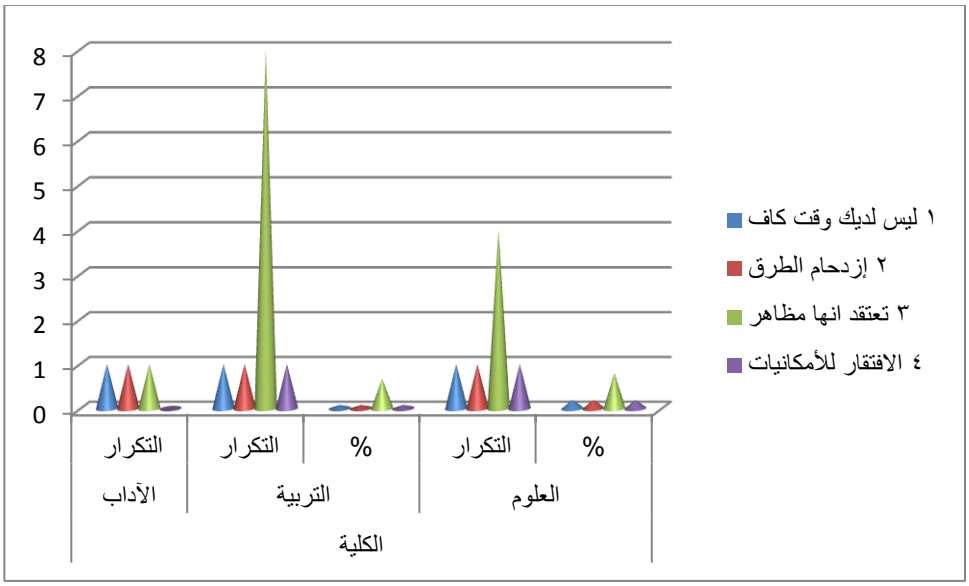

شكل رقم (٥)

يبين اسباب عدم احياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الاربعينية" من قبل بعض الطلبة

اما اسباب عدم احياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الاربعينية" من قبل بعض الطلبة والموضح في الرسم البياني رقم (٥)، للجدول رقم (٥)، فيعود الى إنهم يرونها مظهراً من مظاهر المباهاة، وهذا يعود الى قلة معرفتهم بمكانة الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) عند الله تعالى والرسول محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم وعند آل البيت الأطهار عليهم السلام اجمعين، من الأجر والثواب الذي يحصل عليه الوافدون الى زيارته (عليه السلام) والمتمسكون بأخلاقه والاقتداء به سلام الله عليه.

أما فيما يتعلق بالطرائق المعتمدة في إحياء وتعظيم الشعيرة الحسينية" الزيارة الأربعينية"، لمرقد أبي الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)...فالجدول رقم (٦) يوضح الآتي:

ت	فقرات الاجابة على السؤال	الكلية					
		الآداب		التربية		العلوم	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
١	التبرع بالمال	٤٤	%٤٥,٣	٢٢	%٢٧,٥	٢٣	%٢٤,٢
٢	اقامة مجالس العزاء	٢٤	%٢٤,٧	٢٢	%٢٧,٥	١٤	%١٤,٧
٣	المسير والتوجه	٣٥	%٣٦	٥٠	%٦٢,٥	٣٣	%٣٤,٧
٤	كل ذلك	٣٨	%٣٩,١	٢٣	%٢٨,٧	٣٥	%٣٦,٨

جدول رقم (٦)

يوضح اساليب احياء الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية"

يتبين من الجدول اعلاه ان هناك مجموعة من الاساليب التي يعتمدها الطلبة في إحياء الشعيرة الحسينية وتعظيم الزيارة الاربعينية والتي تنوعت في أشكالها إلا ان مضمونها وهدفها واحد وهو إستذكار عظمة الإمام الحسين والتضحيات العظيمة التي قدمها للعالم في سبيل البقاء على النهج والمبادئ الاسلامية إلا ان المسير والتوجه الى ضريح الأمام الحسين أحتل أعلى المراتب في الكليات الثلاث، إذ جاءت بالمرتبة الأولى كلية التربية، والمرتبة الثانية في كلية العلوم، بينما جاءت كلية العلوم بالمرتبة الثالثة.

أما مدى مساهمة الشعيرة الحسينية (الزيارة الأربعينية) في تغيير سلوك الطلبة، فـأن الجدول رقم (٧) يبين الأتي:

ت	الكلية	مدى التغيير				المجموع	
		نعم		كلا			
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
١	الآداب	٩٤	%٩٦,٩	٣	%٣	٩٧	%١٠٠
٢	التربية	٧٦	%٩٥	٤	%٥	٨٠	%١٠٠
٣	العلوم	٧٩	%٨٣	١٦	%١٦،٨	٩٥	%١٠٠

جدول رقم (٧)

يبين مدى مساهمة الزيارة الأربعينية في تغيير سلوك الطلبة

الجدول أعلاه يبين ان للزيارة الاربعينية دوراً كبيراً في تغيير سلوك الطلبة الى مـاهو أحسن، إذ جاء بتكرار (٩٤) وبنسبة ٩٦،٩% في كلية الاداب، وبالمرتبة الثانيـة في كليـة العلوم، وبالمرتبة الثالثة في كلية التربية، وكما هو مبين في الشكل رقم (٧) التالي:

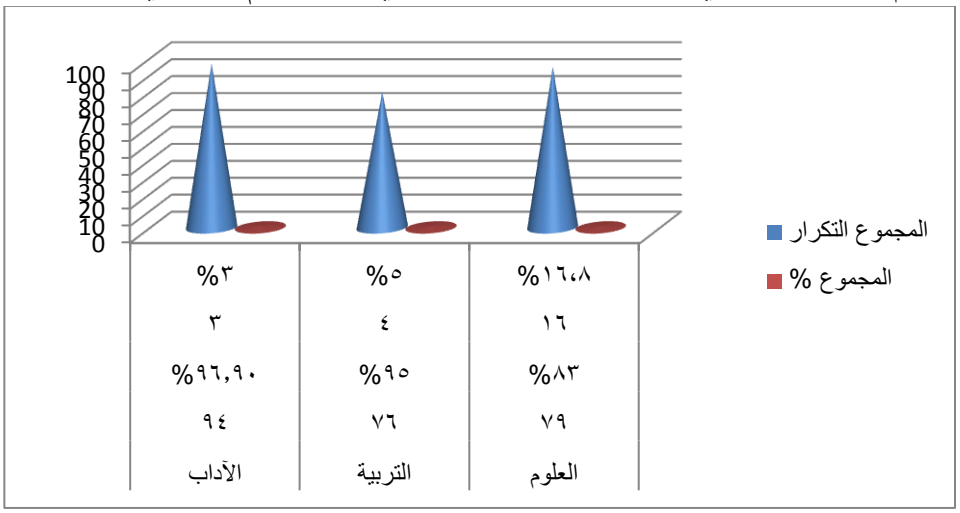

شكل رقم (٧)

يبين مدى مساهمة الشعيرة الحسينية (الزيارة الاربعينية) في تغيير سلوك الطلبة

أما طبيعة ذلك التغيير السلوكي والاخلاقي فالجدول رقم (٨) التالي يبين ذلك.

ت	التغييرات السلوكي والاخلاقية	الكلية					
		الآداب		التربية		العلوم	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
١	التخلص من العادات...	٣٩	%٤١,٤	٣٦	%٤٧,٣	٢٥	%٣١,٦
٢	أصبحت أكثر تقرباً...	٥٥	%٥٨,٥	٤٧	%٦١,٨	٣٩	%٤٩,٣
٣	تحسين مستواك العلمي...	١٧	%١٨	١٧	%٢٢,٣	١٤	%١٧,٧
٤	الزيارة الأربعينية ولدت...	٢٨	%٢٩,٧	١٨	%٢٣,٦	١٨	%٢٢,٧
٥	إزدادت قابليتك...	٢٠	%٢١,٢	١٦	%٢١	١٢	%١٥
٦	الشعيرة الحسينية ساهمت...	٣٢	%٣٤	٢٣	%٣٠	١٦	%٢٠
٧	إن انتصار الثورات...	٢٥	%٢٦,٥	٢٢	%٢٨,٩	١٤	%١٧,٧
٨	ضرورة التمسك...	٢١	%٢٢,٣	١٧	%٢٢,٣	١٣	%١٦,٤

٩	ان الرفقة والصحبة...	٧	٧,٤%	١٣	١٧%	١	١,٢%

جدول رقم (٨)

يبين طبيعة التغيير السلوكي والأخلاقي للطلبة

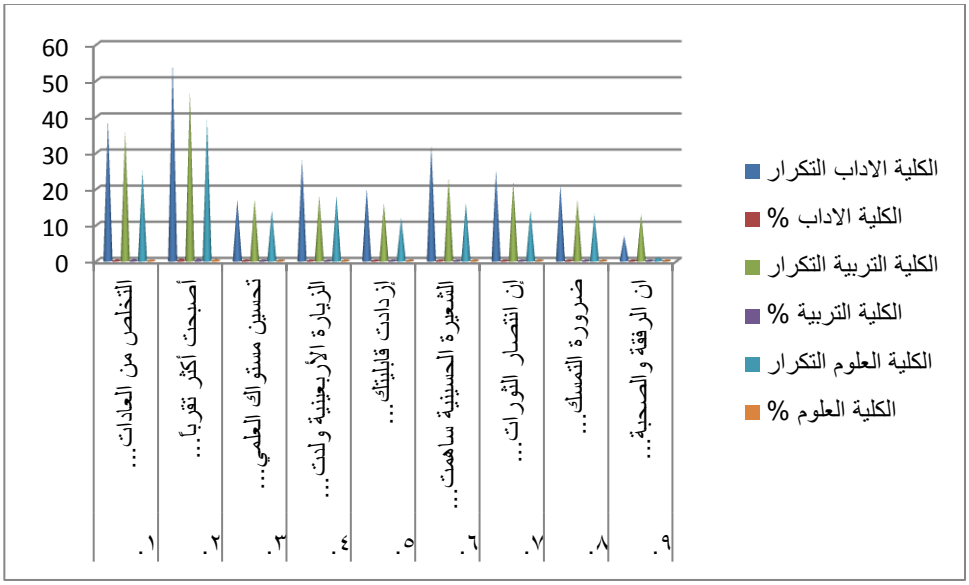

شكل رقم (٨)

يبين طبيعة التغيير السلوكي والأخلاقي للطلبة

أمـا أسـباب ضـعف التـأثير السـلوكي والأخلاقـي للشـعيرة الحسـينية "الزيـارة الأربعينية" على الطلبة، فالجدول رقم (٩) يبين الآتي:

ت	أسباب ضعف التأثير	الكلية					
		الاداب		التربية		العلوم	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
١	ان الشعيرة الحسينية	٠	٠	٤	%١٠٠	١٠	%٦٢,٥
٢	قلة معرفتي...	١	%٣٣,٣	٤		٣	%١٨,٧
٣	السلوك السيئ...	١	%٣٣,٣	٣	%٧٥	٧	%٤٣,٧
٤	ان الظروف...	١	٠	١	%٢٥	٢	%١٢,٥

جدول رقم (٩)

يبين أسباب ضعف تأثير الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية" في سلوك الطلبة

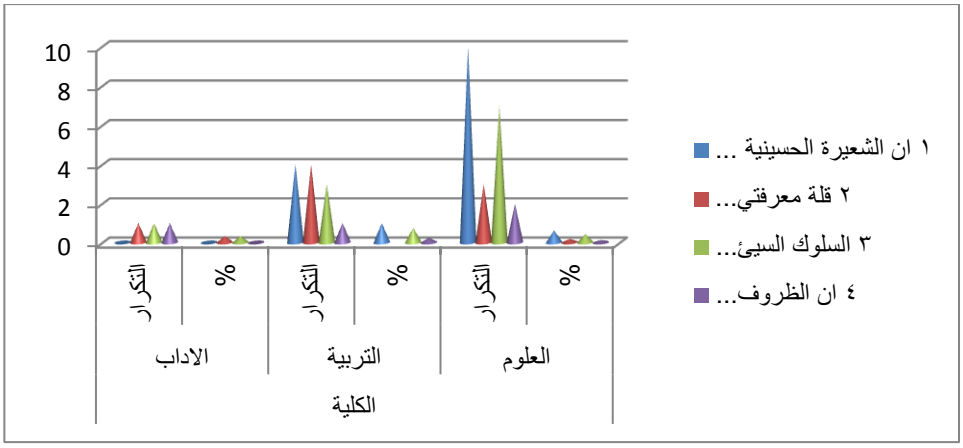

شكل رقم (٩)

يبين أسباب ضعف تأثير الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية" في سلوك الطلبة

المبحث الرابع

النتائج والتوصيات

(The Result and Recommendations)

القسم الاول : النتائج (The Results)

خرج البحث بمجموعة من النتائج كان أبرزها:ـ

١. ان زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ذات فضل كبير عند الله سبحانه وتعالى، بل انها تعتبر احدى الامور الواجبة على كل مؤمن، وهذا ما دلت عليه الأحاديث الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين.

٢. تنامي اعداد الزائرين في الفترات الاسلامية الاولى وحتى الوقت الحالي.

٣. محاولة السلطات الظالمة في الاوقات المختلفة للقضاء على تلك الشعيرة، وشعورهم بالدور الذي تلعبه هذه الشعيرة في تزويد المؤمنين بالطاقة الايجابية والقوية واستعدادهم لمقارعة الظلم والظالمين.

٤. إفتقار المجتمع لوجود مثل اعلى بحياتهم غير الاباء والامهات يدفعهم لأتخاذ الحسين (عليه السلام) اسوة حسنة يحتذى به.

٥. هناك وعي لدى الطلبة بأهمية إحياء الشعيرة (الزيارة الاربعينية).

٦. ان زيارة الامام الحسين (عليه السلام) رسخت قيم المبادئ التي يمثلها الدين الاسلامي الحنيف ولابد منها ان تستمر وهذا واضح بتزايد اعداد الوافدين لكربلاء كل عام.

٧. أغلب الطلبة يرون ان احياء الشعيرة الحسينية هي وسيلة لتعظيم شعائر الله تعالى.

٨. ان اكثر الطرائق المعتمدة في احياء الشعيرة الحسينية هي السير الى مرقد ابي الشهداء الحسين (عليه السلام).

٩. ان ممارسة الشعائر الحسينية من قبل الطلبة وحسب آرائهم هي استذكار عظمة الامام الحسين (عليه السلام) والتضحيات العظيمة التي قدمها (عليه السلام).

١٠. هناك دور ايجابي كبير لممارسة الزيارة الاربعينية وزيارة ضريح الامام الحسين (عليه السلام) في تغيير سلوك الطلبة الى الاحسن ومحاولة التخلق بأخلاق الامام الحسين (عليه السلام).

١١. ان أهم المظاهر السلوكية التي كان لزيارة الامام الحسين (عليه السلام) دور كبير في تغييرها، هي التخلص من العادات السيئة والابتعاد عن ظاهرة الكذب، وكذلك تشجيع الطلبة على قول الحق مهما كانت مردودات ذلك عليهم.

القسم الثاني: التوصيات (The Recommendations)

إن إبرز التوصيات التي أوصى بها البحث فهي:

١. ضرورة السعي لتعريف مجتمع الطلبة بكافة مراحلهم وتخصصاتهم الموضوعية، بشخصية الامام الحسين (عليه السلام) ودوره الفاعل في احياء وبقاء التعاليم الاسلامية الصحيحة. من خلال:ـ

٢. عقد الندوات التثقيفية والمؤتمرات العلمية لطرح الافكار والاحداث الاساسية لثورة الحسين (عليه السلام) بكافة تفاصيلها وتوضيح أسباب قيام الامام الحسين (عليه السلام) بتلك المظاهر المختلفة، كأصطحاب أهل بيته (عليه السلام) معه، ورفض البيعة ليزيد لعنه الله.

٣. تشجيع الطلبة على القيام بالمهرجانات التثقيفية، كعرض المسرحيات عن الامام الحسين (عليه السلام) والمسابقات، وتقديم الهدايا العينية للطلبة المتميزين.

٤. تعميق الجانب التربوي من خلال اغناء المناهج العلمية والتربوية في مختلف المراحل الدراسية والتخصصات الموضوعية المختلفة، وإثراء المناهج كافة بالدور الريادي الذي لعبته ثورة الحسين وما استفادت منه شعوب العالم على مختلف اديانها وقيمها من خلال تشكيل اللجان المتخصصة بتطوير المناهج الدراسية.

٥. تعميق روح التسامح والالفة بين الدين الاسلامي والديانات الاخرى، من خلال الاستفادة من الدروس والعبر لثورة الامام الحسين واصحابه الكرام، الذين تميزوا بأختلاف اديانهم ومذاهبهم الا ان الحسين (عليه السلام) هو الذي وحدهم.

ملحق رقم (١)

Appendix (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

م/ إستبانة (**Questionnaire**)

عزيزتي الطالبة
عزيزي الطالب
تحية طيبة...

تروم الباحثتان إعداد بحث بعنوان (المسير نحو قبلة الأحرار وإنعكاسه السلوكي والأخلاقي على طلبة الجامعة المستنصرية – دراسة مسحية)، نرجو تفضلكم بالأجابة على فقرات هذه الاستبانة خدمة للبحث العلمي.. مع التقدير.

معلومات عامة :

الكلية : [ ]

طالب : [ ] المرحلة :

طالبة : [ ] المرحلة :

الباحثتان
م. د. هدى سلمان صبار
م. د. بشرى فاضل زبون
قسم المعلومات والمكتبات
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

يرجى وضع علامة (√) داخل الأقواس التي تمثل إجابتك.

١ـ هل انت مهتم بإحياء الشعيرة الحسينية " الزيارة الأربعينية" لمرقد سيد الشهداء (عليه السلام)؟

نعم ( ) كلا ( )

- إذا كانت إجابتك "نعم" فهل السبب يعود إلى كونها:

أـ تعظيماً لشعائر الله تعالى ( ).
ب ـ مناسبة إجتماعية ودينية تقرب الناس وتزيدهم تماسكاً؟( ).
ت ـ زكاة للأموال والأنفاق على الفقراء؟( ).
ث ـ رياضة بدنية وروحية؟( ).
ج ـ اتباع لما وجدت عليه من عادات الاهل؟( ).
ح ـ اخرى تذكر؟

- إذا كانت إجابتك "كلا" فهل السبب بعود الى :

أـ ليس لديك الوقت الكافي؟( ).
ب ـ إزدحام الطرق مما يظطرك لأدائها في وقت أخر؟( ).
ت ـ تعتقد إنها مجرد مظاهر ومباهاة ليس إلا.
ث ـ الأفتقار للأمكانيات المادية ( ).
ج ـ أخرى تذكر.

٢ـ إذا كنت ممن يعظم الشعيرة الحسينية "الزيارة الأربعينية" لمرقد ابي الشهداء الحسين (عليه السلام)، فهل تحيي هذه الشعيرة عن طريق :

أـ التبرع بالمال( ).

بـ إقامة مجلس العزاء والمواعظ الدينية( ).

تـ المسير والتوجه نحو مرقد الحسين "عليه السلام" ( ).

ثـ كل ذلك( ).

جـ أخرى تذكر.

٣ـ هل ساهمت الشعيرة الحسينية "زيارة الأربعين" في تغيير توجهاتك السلوكية والأخلاقية؟

نعم ( ) كلا( )

- إذا كانت إجابتك بنعم فما هذا التغير ؟

أـ التخلص من العادات السيئة والابتعاد عن مظاهر الكذب وما الى ذلك من عادات يرفضها المجتمع( ).

بـ أصبحت أكثر تقرباً لله تعالى وأكثر تمسكاً بالدين الاسلامي ومبادئه لأنهما أساس الحياة الكريمة؟( ).

تـ تحسين مستواك العلمي إيماناً منك بأن بالعلم تبنى الاوطان؟( ).

ثـ الزيارة الاربعينية ولدت طاقة ايجابية فأصبحت أكثر ثقة بالنفس؟( ).

جـ ازدادت قابليتك على القيادة وإحداث التغيير في المجتمع؟( ).

حـ الشعيرة الحسينية ساهمت في قابليتك في قول الحق بوجه سلطان جائر؟( ).

خـ إن انتصار الثورات وحسمها لايتم بالاعداد العسكري (القوة ورباط الخيل) وإنما هو انتصار لمبادئها وانتشارها بين الناس (انتصار الدم على السيف) ( ).

د- ضرورة التمسك بالأسرة والاستعانة بجميع أفرادها من الصغير الى الكبير وان ولاء بعضهم لبعض جزء من الوفاء، بل هو الوفاء بعينه( ).

ذ- إن الرفقة والصحبة لها دور كبير في مساندة الفرد ومن الضروري الاختيار الجيد للأصحاب، كما قيل :

عنِ المرْءِ لا تَسألْ وسَلْ عن قَرينه،

فكُلُّ قَرينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدي ( ).

- إذا كانت اجابتك "كلا" فهل السبب يعود الى :

أ- أن الشعيرة الحسينية " الزيارة الاربعينية" مجرد طقوس اعتاد احياؤها الناس وليس لها دور في تغيير السلوك( ).

ب- قلة معرفتي بتلك الشعائر وبالتالي قلة التأثر بها( ).

ت- السلوك السيء لبعض الممارسين لتلك الشعائر كالرياء وما الى ذلك( ).

ث- إن الظروف التي حدثت أثناءها الثورة الحسينية هي مغايرة للظروف الحالية ونحن بطبيعتنا نساير الظروف.

ج- أخرى تذكر.

أصداء الثورة الحسينية وزيارة الأربعين

في الشعر العراقي الحديث

الأستاذ المساعد الدكتور رباب هاشم حسين

الجامعة المستنصرية - كلية التربية

أولاً: الاصداء الرمزية لشخصية الحسين (عليه السلام).

وقف الشعراء العراقيون مواقف متعددة حول توظيف الحسين رمزاً انطلاقاً من قدراتهم الفنية، ولقد تعددت استثمارات الرمز في قصائدهم على وفق رؤاهم الفكرية وواقعهم البيئي وتجربتهم الشعرية، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر الجواهري الذي يقول:

شممت ثراك فهب النسيم ... ختام القصيدة بالمطلع
يسير الورى بركاب الزما ... ن من مستقيم ومن ضلع
وأنت تسير بركب الخلو ... د ما تستجد به يتبع
ويا واصلا من نشيد الخلود ... ختام القصيدة بالمطلع
بان الاباء ووحيا لها ... وفيض النبوة من منبع
تجمع في (جوهر) خالص ... تنزه عن (عرض) المطمع[1]

إذ رسم لنا الجواهري ((صورة موضوعية له عبر (العقل) والحواس، ولا يركن إلى المرويات التاريخية أو البكائيات أو النصوص الادبية القديمة))[2] بل إنه جعل الحسين رمزاً سرمدياً خالداً . فالنسق الكلي لهذه الابيات بشيء بدلالة الحسين رمزاً تاريخياً خالداً في كل الازمان والعصور سجله بدمه وفي صورة فيها الحسين رمزاً تاريخياً للشاعر محمد البغدادي إذ يقول:

وطَنٌ

دمي وشمُ

---

١) ديوان الجواهري- المجلد الثاني- دار العودة- بيروت- ط٣- ١٩٨٢- ص٢٦٦- ٢٦٩.

٢) من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسيني، دار العلم، بيروت، لبنان، (د.ت) ص ٨-٩.

على أعتابهِ

لغز

تحارُ الأرضُ

في استيعابه

لَمَّا يزل

دمي يسيلُ

مع النخيل

ولم ازل أحيا بهِ[1]

لقد أصبح الحسين عليه السلام رمزاً للتضحية والتحرر إذ تحرر بثورته في زمن الطغاة ليكون رمزاً خالداً للتحرر الانساني عبر الزمن في صورة تشخيصية إذ جعل الوشم له باب واعتاب .

ولعلَّ أدق صورة للرمز التاريخي الصورة التي رسمها الشاعر حسين الكاصد إذ جعل الحسين عليه السلام آية من آيات الله الخالدة فيقول في قصيدة ((تراتيل من سورة الطف))[2].

الوحي يتلو

ما تيسر من حسين الله

١) ديوان ما لم يكن ممكناً، محمد البغدادي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ت: ص١٧.

٢) ديوان ما تيسر من دموع الروح، حسين الكاصد، دار الينابيع، نشر وتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠١٠. ص ١٤٠.

لكن الظلام قبائل

الوقت ينزو طفّهُ

والطف من الق الحسين

إلى العصور رسائل

فالوحي في هذه القصيدة يتلو على الحسين وهو نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا استطاع أن ينهض بشعرية النص الرمزي إذ جعل الطغاة وأعداء الحسين عليه السلام أمثال معاوية بن يزيد واتباعه جماعات كثيرة (الظلام قبائل) إلا إن الحسين عليه السلام رمز فكريً وعقائدي على مر التاريخ لتحمل واقعة الطف من خلاله على مر التاريخ أعلى مراتب للتضحية والبطولة والفداء، فكتب باستشهاده رسالة أرسلها إلى الإنسانية كلها تبقى حاضرة خالدة في كل الأزمان فنزيف دمه هو الذي صنع النصر فزمن الظلم لا ينهى إلا بالثورة الدامية.

وفي مثل هذا المعنى يقول الشاعر رحمان غركان

يا اسم الشهادة

قرانا وبسملة

وآية فيهما

لا ينتهي العمر[1]

لقد مثل استشهاد الحسين رمزاً تاريخياً لانفتاح الزمن الذي لا أمد له . فهو رمزٌ لحفظ مبادئ النهضة الحسينية فيما حققته الثورة من حفظ المضامين الانسانية على مر

١) ديوان تصلي المآذن، رحمن غركان، دار الينابيع، طباعة نشر وتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٧ ـ ١٨.

العمر ولاسيما وإن الشاعر عمق صورته الدلالية بألفاظ (قرآناً، بسملة، آية) وكلها تنشئ لعظمة الخالق سبحانه وتعالى وسرمدية بقائها، ولعلنا لا نجافي الصواب إذا قلنا إن الشاعر في هذه الومضة الشعرية الرمز الديني والتاريخي المتحققان معاً باستشهاد الامام الحسين عليه السلام ولاسيما إن ((ابتكار الرمز واختياره لا يكون دائماً قضية قصدية إذ لابد للشاعر أن يكون مأخوذاً حتى النخاع بهاجس فكري أو جمالي أو وجداني يكون محور حياته كلها))[1].

لقد ظل الإمام الحسين (عليه السلام) رمزاً ذا أبعاد تاريخية ودينية واجتماعية تدور في فلك التاريخ إذ أنه غيّر مجرى التاريخ كله ماضياً وحاضراً ومستقبلاً فهناك في تاريخ البشرية حوادث ضخمة تعدّ منطلقات خطيرة تبدل التاريخ فيها من مسار إلى مسار آخر، وفي هذا المضمار تقف مأساة كربلاء وقتل الحسين بن علي (عليه السلام) في قائمة الصدارة على الاطلاق ماضياً ووقوعاً ومستقبلاً)) إذ اجتمعت فيه قيم البطولة والفداء وإنه لم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين، فقد عاش الاب للحق وجرد سيفه للذياد عنه منذ يوم بدر، واستشهد الابن في سبيل الحرية يوم كربلاء ولا غرو فالأول ربيب محمد والثاني فلذة منه[2].

ثانياً: الحسين (عليه السلام) صدى لنقد النظم الفاسدة

ومن القصائد التي تتجلى فيها الرمزية التاريخية للإمام الحسين (عليه السلام) المسرحية الشعرية للشاعر محمد علي الخفاجي إذ تبدأ المسرحية بصوت الاعرابي ينادي:

يا فقراء الأمة

يا عشاق الكلمة

---

١) في حداثة النص الشعري، د. علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠: ص ٨٥ .

٢) ينظر: اجراس كربلاء، المجموعة الاولى، اعداد محمد سعيد الطريحي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٨٩:٢٥، ٥٥، ٨٣ وينظر مقدمة الكتاب نسخة ص١٢.

إنّ أبا عبد الله يرحل في غد

إنّ أبا عبد الله يرحل في غد

((يعود الصوت ثم يبتعد))

يا فقراء الامة

يا عشاق الكلمة

إنّ أبا عبد الله

يا وعد الغيمة في الصيف

يا شعراء الكلمة المعسولة

لا يتهاوى فيها غير ذباب الناس

لم خنتم عهدي بعد البيعة؟

وعقرتم ساريتي كرما لابن زياد

ورسائلكم عندي

وعليها ضمغ اياديكم

تلك كشاهدة القبر

بينا تقفون اليوم سيوفاً في وجهي[1]

---

١) ديوان محمد علي الخفاجي، بيروت، لبنان (د.ت)، ص١٨٠.

لقد جسَّد الشاعر فكرته باستحضار الصورة التاريخية لتوظيف الحسين رمزاً تاريخياً، عبر الحوار ذلك أن رمز الحسين تاريخ ولغة موحية معبأة بدلالات متعددة فاللغة كانت ولا زالت ((نسقاً عضوياً من الرموز، ينكشف لنا بوساطته فكريا في طابعه الصوري وطابعة التجريبي ويعني هذا أن أفكارنا وتصوراتنا، تبقى غامضة مبهمة ما لم تمسكها اللغة وتدخلها في جهاز حي من الرموز الدالة))[1]، فجاء استحضار الصورة الكنائية (ذباب الناس) لتعزز الصورة الكلية المتعلقة بغدر أهل الكوفة ونكث عهدهم (للحسين عليه السلام) لم خنتم عهدي بعد البيعة عقدتم ساريتي كرما لابن زياد/ رسائلكم عندي/ فجاءت الكوفة رمزاً تاريخياً لغدر وخيانة أهل الكوفة، البيئة الصالحة لانتشار الذباب أي اهلها أهل الغدر والخيانة على مر التاريخ وبذلك رسم الشاعر صورة تاريخية عبر توظيف الرمز وفق بناء تصويري لا يقف على حدود استبدال الكلمات إنما يتجاوز ذلك إلى بناء معادل موضوعي وفني لها.

لقد كان توظيف الرمز التاريخي للشاعر محمد علي الخفاجي ثمرة تداعي ونتيجة المقايسة، وإنه لهذا كله يرسم لنا الصور المقابلة التي نتلقاها فتعرف منها تجربة الشاعر وأحاسيسه وانفعالاته إزاء الثورة الحسينية الخالدة التي جسدها الحسين عليه السلام إذ يقول:

من غير الكوفة ذاق ماء علي كالذئب

فالكوفة لا عهد لها

والكتب الكثر برحلك

---

١) الرمز الشعري عن الصوفية، عاطف أبو حمادة، دار الاندلس، مصر (د.ت) : ص١٤.

ربّ خروف هاجت نَبْلاً وخديعة[1].

ويقول الدكتور سمير الخليل في هذا المقطع ((فإذا كانت الخيانة قد جاءت في حوار محمد السابق على مستوى الاداء المتمثل بقتل أهل الكوفة لأبيه واخيه فهي جاءت هذه المرة على مستوى اللغة، إذ قد تخون الكلمات فتصبح خيانتها مساوية لخيانة الانسان أو أكثر، وقد أراد الشاعر هنا أن يضخم من حجم الخيانة فيجعل اللغة تخون من خلال حروفها وليس من خلال الكلمات، ثم أسندها إلى الفعل هاجت لتشي بالفوضى وعدم الانتظام وقدرتها بالنيل لتكون أوقع على مستوى الاداء))[2].

الحسين (عليه السلام) صدى لنقد النظم الفاسدة .

يعد الخطاب الحسيني خطاباً فكرياً يحمل قيم العدالة والكرامة ورفض الظلم وإغلال السلطة الجائرة ولم تكن تلك الثورة وقتية لتنتهي بعد زمن، وإنما كانت ثورة الحق ضد الباطل وثورة العدالة ضد الظلم وثورة الانسانية ضد الاضطهاد، وثورة الهداية ضد الظلال، فهي عبر مختلف العصور والدهور شمسٌ للثائرين في سبيل رسالة الحق ومما لاشك فيه أن حب الوطن هو بؤرة المشاعر الانسانية والهاجس الاكثر حضوراً لدى الانسان على اختلاف الزمان والمكان ففي كل زمان ومكان نجد حسيناً ومعاوية.

---

١) الحوار وأثره في تطور الحدث الدرامي (مسرحية ثانية يجيء الحسين) مصدقاً. د.سمير الخليل، ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي الثاني ٢٠١١م: ص١٣٦.

٢) الحوار وأثره في تطور الحدث الدرامي :ص١٤٨ .

وقد جسد الشاعر السياب ذلك الوهج الحسيني والسير على منوال الثورة الحسينية بقوله[1]:

الثورة شرف توج هامات الأبطال

الثورة علم اورق في كون الأجيال

الثورة عز باسم الله

الثورة ودج لا يقبل إجرام الجور

الثورة الثورة وحي من عاشور

الثورة... الثورة وهج اطلقة نهر العطشان

الثورة... الثورة نور سمعت من نور

القران

الثورة نحر نحر كالبركان

الثورة فكر نصر كتبت عراما ما اجلاه

الثورة... الثورة وقعة جر لا يركع إلا الله

الثورة... الثورة نصر نصر بسم الله

فالثورة على كل ظالم معتد ومتسلط هي الحل الامثل لردع الواقع وهي امتداد لثورة الحسين (عليه السلام)، من خلال التشبيهات الاستعارية التشخيصية:

---

١) الحوار وأثره في تطور الحدث الدرامي :ص١٣٤ .

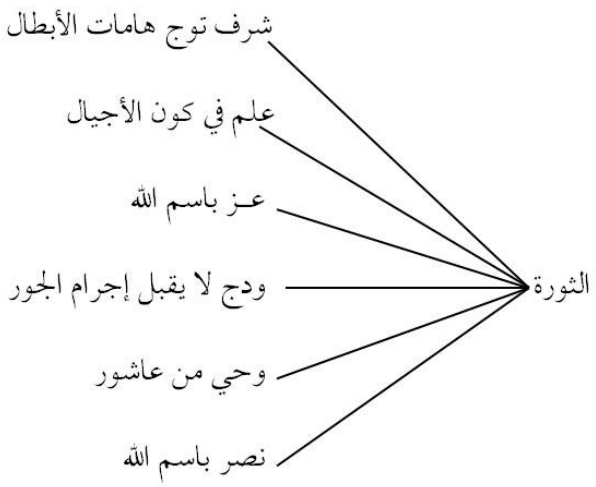

ولعل من مهام الشاعر في كل زمان ومكان ((تجسيد معالم الواقع وتشخيصها إذ إن ابعاد الشعر تتصل بمهمات الشاعر الاجتماعية والفنية وتتلازم فيها الجوانـب الابداعيـة مع القدرة على تمحيص الواقع ومجابهته مباشرة في صياغة فنية تشكل فيهـا المعانـاة دوراً اساسياً بنصوص تفوح منها رائحة الانسان وواقعه المعاصر))[1].

ونجد انعكاس الواقع يتضح جلياً في الصورة الشعرية التي يهجو فيها الشاعر مظفر النواب الحكام وهم من أشاعوا الطائفية المدعين بها مدركاً أن القومية والوطنية هي قاعدة التعامل الكلي بين الشاعر ومغزى القصيدة إذ يقول[2]:

إنّ القتال مرير وإنّ التوازن صعب

وإن حكوماتنا في ركاب العدو

١) موقع بدر شاكر السياب على الانترنت (قصيدة وانتصر الحسين).

٢) بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧: ٥١٤.

وإن ضعاف النفوس انتموا للذئاب

وعاشت ذئاب من الطائفية تفتك للذئاب

وعاشت ذئاب من الطائفية تفتك بالناس

إنما أمة للنهوض... تواجه ما سوف يأتي

إذ الشعر يعلن دولته بالطبول

لست ابكي

فإنك تأبى بكاء الرجال

ولكنها

ذرفتني أمام الضريح عيوني

يطاف برأسك فوق الرماح

ورأس

فلسطين أيضاً يطاف به... في بلاد العروبة.

صاغ الشاعر ثورة الامام الحسين في صورة استعارية تشخيصية ذات بعد تاريخي مؤثر فالعيون هي التي تذرف الشاعر لا العكس فثورة الامام الحسين (عليه السلام) هي الأفق الإنساني الأرحب التي تجمع بين حال العراق وفلسطين وقد استعار الشاعر ما يعمق الدلالة (حديقة حيوانات) كما أنه اختار (الذئاب) وما عرفت به من قسوة وغدر ومسخ من كل الصفات الانسانية فجاءت صورته الفنية لتعبر عن الحكام ممن اتخذوا من الحسين ذريعة للقتل الطائفي، فالحسين هو أمة خالدة للنهوض بتلك الطوائف والفئات

وظل نبراساً للتضحية والفداء. لقد التحق الشاعر بموقف الحسين (عليه السلام) الرافض لظلم بني أمية اسطورة التاريخ الخالدة بالغدر والخيانة فيجعل الشاعر من صدام رديفاً دلالياً لمعاوية ولاسيما وإن مظفر النواب من الشعراء الذين حملوا رموزهم ابعاداً نابعة من احاسيسهم الداخلية تجاه وطنهم فهم يطمحون إلى حريته وابائه وفي هذا المعنى قوله[1]:

ترى كيف يخبز رأس العراق

وكيف تقطع

أوصاله... ويطوف يزيد في البلاد

وواه من

الانكسار المرير بعين الرجال

أبالغ أنك وحي تواصل بعد الرسول

ومن الملك اجنحة وفضاء

كأني أعلو

ويمسكني ترابك هيهات يعلى عليه

وبعض التراب سماء تنير العقول

ليس ذا ذهبا ما أقبل

بل حيث

١) موقع مظفر النواب على الأنترنيت .

قبل جدك من وجنتيك

وفاض حليب البتول

لم يزل هما للقتال ترابك

ويوشك قفل ضريحك أن يتبلج عنك

اراك بكل

المرايا على صهوة من ضياء ونخرج منها

فاذهل انك اكثر منا حياة

ألست

الحسين بن فاطمة وعلي لماذا الذهول

يستمد الشاعر وهجه من الحسين وتضحياته ليرسم صورة في منتهى الفنية والجمال وهو يجعل من التراب يداً تمسك المؤمنين والاوفياء بل يرى أن تراب ضريح الحسين لا يعلى عليه لأنه مصفر بدم الشهادة والكبرياء بل صار تراب كربلاء مشعلاً بل سماء تنير العقول ثم يستدرج التاريخ ليعود بنا إلى حب الرسول للامام الحسين (عليه السلام) وهو يقبله من وجنتيه ويكفي الحسين طهراً أنه سقي اطهر لبن هو حليب البتول فاطمة الزهراء، وليس غريباً أن ينبهر بالحسين أليس هو ابن علي وفاطمة وجده الرسول.

ذرى لا تطال وعنها انحدار السيول

إننا في

زمان يزيد... كثير الفروع

وفي

كل فرع لنا كربلاء

وكشف إحدى

وعشرون عمرو بن عاص ونصف نعم ثم

روشانبي فينقاع ويرقى قراد الحلول

هرم

المهر.. من سوف يطعمه للكلاب

واحسب

إن الكلاب تقيء لفرط نجاسته

لا تخون

الكلاب ولا تتباهى بفرط خصاها

لعنت زمانا

خصى العقل فيه يقود فحول العقول

ثم يخرج الشاعر في المقطع الثاني من القصيدة على إدانة الاوضاع المعاصرة فلا فرق بين زمان يزيد وزمن الكفرة والحاقدين ممن حولوا كل فرع إلى كربلاء جديدة يموت بها الف شهيد ويسخر الشاعر من الحكام المتسلطين في عصرنا والذي لا مؤهل لهم سوى

ثرائهم وغبائهم الذي يقود عقول الناس إلى النهايات ليـدفنوا في الحيـاة، ثم يلعـن زمنـا تنقلب فيه الموازين وتنكعس فيه الامور فيصبح الحق باطلاً والباطل حقاً.

الخاتمة ونتائج البحث

تظل اصداء الثورة الحسينية وزيارة الأربعين مدار حديث لا ينقطع ما دمنا بصدد الحديث عن التاريخ ورجاله البارزين الذين اسهموا اسهاماً فاعلاً في صنعه على مرَّ العصور والأجيال، وتناولته دراسات كثيرة لا نريد ذكرها بقدر ما نريد ذكر اصداء توظيفها في قصائد اتخذت من شخصية الحسين (عليه السلام) وثورته المبجلة بالخلود والتضحيات رموزاً مكثفة واثرائاً دلالياً وأبعاداً فكرية وشعورية لدخول جسد تلك القصائد فهو ثورة ونهضة متجددة قديماً ولاسيما الظروف السياسية التي تكبل الناس بوحشتيها متجددة في كل زمان ومكان. وقد تناول البحث عدداً من الشعراء العراقيين الذين جعلوا من الحسين (عليه السلام) واستذكار أربعينيته رمزاً خالداً متجدداً فكانت قصائدهم تنبض بالشعرية والصياغات الفنية العالية.

Abstract

It is a recognised fact that Al-Emam Al-Husein is the the revoluation which expresses the symbol of unfairness refusal for all periods; past and nowadays. His rebellion will be also renewing since it indicates the echo of Human Rights claim in all manifestations. It grants all generations a good example for seeking life full of honour, dignity and nobleness. It will stay the scream that denounces all kinds of submission. It is totally obvious that Al-Emam Al-Hussein gives us lessons to be in touch with honourable life requirements, that's well shown by poet's poems and participating of public volunteers against Isis who followed Al-Hussein's procedures to save our country in Mosul, Tikreet and Al-Anbar. They are really considered the revolution that born from Karbalaa womb.

المصادر

١. اجراس كربلاء، المجموعة الاولى، اعداد محمد سعيد الطريجي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٨٩:٢٥، ٥٥، ٨٣ وينظر مقدمة الكتاب نسخة ص١٢.

٢. بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧: ٥١٤.

٣. الحوار وأثره في تطور الحدث الدرامي (مسرحية ثانية يجيء الحسين) مصدقاً. د. سمير الخليل، ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي الثاني ٢٠١١م: ص١٣٦.

٤. الحوار وأثره في تطور الحدث الدرامي :ص١٣٤ .

٥. الحوار وأثره في تطور الحدث الدرامي :ص١٤٨ .

٦. ديوان الجواهري- المجلد الثاني- دار العودة- بيروت- ط٣- ١٩٨٢- ص٢٦٦- ٢٦٩.

٧. ديوان تصلي المآذن، رحمن غركان، دار الينابيع، طباعة نشر وتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٧ـ ١٨.

٨. ديوان ما تيسر من دموع الروح، حسين الكاصد، دار الينابيع، نشر وتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠١٠. ص ١٤٠.

٩. ديوان ما لم يكن ممكناً، محمد البغدادي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ت: ص١٧.

١٠. ديوان محمد علي الخفاجي، بيروت، لبنان (د.ت)، ص١٨٠.

١١. الرمز الشعري عن الصوفية، عاطف أبو حمادة، دار الاندلس، مصر (د.ت) : ص١٤.

١٢. في حداثة النص الشعري، د. علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠: ص ٨٥ .

١٣. من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسيني، دار العلم، بيروت، لبنان، (د.ت) ص ٨ـ٩.

١٤. موقع بدر شاكر السياب على الانترنت (قصيدة وانتصر الحسين).

١٥. موقع مظفر النواب على الأنترنيت .

أضواء على التكامل الإنساني

في زيارة أربعينية الحسين (عليه السلام)

الأستاذ المساعد الدكتور رنا عبد المنعم كريم العباسي

الجامعة المستنصرية - كلية التربية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إن للشريعة المحمدية المقدسة غايات وأهداف جليلة في مقدمتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والرجوع إلى حيث أمر الله. فجاء في قوله تعالى: (إِنَّا لِلّهِ وإِنّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ)[1]، وقد أوجدت لذلك سبل بينتها وطرائق أوضحتها منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترة الهادية (صلوات الله عليهم أجمعين) كما نص على ذلك حديث الثقلين المتواتر، ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة إن الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) أبواب الله تعالى التي منها يؤتى، وإنهم (سلام الله عليهم) سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع نهجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

إن الإمام الحسين (عليه السلام) سفينة النجاة العظيمة والسريعة وفق الأحاديث الشريفة بل هو (سلام الله عليه) سفينة الكمال، وقد ورد في الأثر الشريف: « قال الحسين (عليه السلام): دخلت على جدي وعنده أُبي بن كعب فقال لي: مرحباً يا زين السماوات والأرض، فقال أُبي: كيف يكون غيرك زينهما؟ فقال (صلى الله عليه وآله) والذي بعثني بالحق انه لفي السماء أكبر منه في الأرض وانه مكتوب على يمين العرش وانه لمصباح هدى وسفينة نجاة» [2].

إن لهذا الحديث الشريف مضامين كبيرة لا نستطيع الاحاطة بها في هذا البحث الموجز، اذاً فان اسم الحسين (عليه السلام) مكتوب على يمين العرش، والعرش هو

---

١) القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية ١٥٦.

٢) الصراط المستقيم، ج٢، ص١٦١. وبذات المعنى أيضاً بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٠٤، باب٤٠.

العلم وهو منتهى الكمال الإنساني الذي لا يستطيع الإنسان إدراك ما فوقه فعن أبي جعفر (عليه السلام): « تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوماً تكلموا في الله فتاهوا حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه » [1].

إن الشريعة المقدسة طالما بعثت المسلمين إلى التكامل المعنوي عبر الماديات وتحمل الصعوبات والمشاق وكأفضل مثال لذلك السفر لحج بيت الله الحرام كفرض واجب على كل مستطيع واستحباب الحج لمن حج سابقاً، وجعلت لذلك الثواب العظيم وذات الأمر نجده في زيارات مراقد المعصومين (سلام الله عليهم) ابتداءاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى الإمام العسكري (سلام الله عليه) لكن عند استقراء الروايات الشريفة نجد أن لزيارة سيد الشهداء تميُز خاص وثواب فاق الجميع بل فيها إشارة إلى التكامل الإنساني موضع البحث فعن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما لمن زار قبر الحسين (عليه السلام)؟ قال: كان كمن زار الله فوق عرشه. قال: قلت: ما لمن زار احد منكم؟ قال كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله) [2].

وعن الحسين بن محمد القمي عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: « من زار قبر أبي عبد (عليه السلام) بشط الفرات كمن زار الله فوق عرشه» [3].

والجدير بالذكر ان زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) وهي بهذا الثواب العظيم لابد لها من تكامل أولي واستعداد ذاتي حتى يوفق الشخص لزيارته فعن الفضيل بن عثمان عمن حدثه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: « من أراد الله به الخير قذف في قلبه حب

---

١) القرآن الكريم: سورة النمل: الآية ٢٣.

٢) لسان العرب، باب عرش.

٣) الكافي، ج١، ص١٣٢، باب العرش والكرسي.

الحسين (عليه السلام) وحب زيارته، ومن أراد الله به السوء قذف الله في قلبه بغض الحسين (عليه السلام) وبغض زيارته» [1].

فنلاحظ ان الرواية الشريفة هدفت الى جميع المؤمنين على حب الحسين وأن الله يحب من أحب الحسين (عليه السلام)، ومن هنا نفهم جانباً من المتحابين في الله وقد جعل الله لهم الثواب العظيم والمنزلة الرفيعة فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « المتحابون في الله يوم القيامة على ارض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمين وكلتا يديه يمين وجوههم أشد بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل، يقول الناس: من هؤلاء فيقال هؤلاء المتحابون في الله»[2]، أي ان الحب والبغض في الله جامع لهدف واحد من مصاديقه الكاملة حب الحسين (عليه السلام) وإظهار ذلك الحب والود بالتوجه إلى الله سبحانه عبر الحسين ومن عند الحسين (عليه السلام)، فعظم الله سبحانه أجر من زار الحسين بثواب عظيم جزيل فجعل ووفق الروايات الشريفة في كل خطوة حجة وعمرة مبرورة وهكذا يضاعف الله لمن يشاء.

وقد قرن الله سبحانه بزيارة الحسين (عليه السلام) ظرفين مكاني وزماني وعظّمهما وجعلهما هدف الزائرين فوقتت الروايات الشريفة زيارات مخصوصة لسيد الشهداء عليه السلام كزيارة عرفة العظيمة وزيارة النصف من شعبان الشريفة وزيارة النصف من رجب وزيارة الأربعين [3].

---

١) وسائل الشيعة، ج١٤، باب ١٦٤ استحباب زيارة الحسين عليه السلام حباً لرسول الله ص٤٩٦، ح١٩٦٧٨.
٢) الكافي، ج١، ص١٢٦، باب الحب في الله والبغض في الله.
٣) موقع السيد الشيرازي، زيارة الاربعين مسيرة الكمال الانساني، (٢٠١٥): http://www.alshirazi.net.

زيارة الاربعين:

إن زيارة الاربعين وهي موضوع البحث الحالي وظرفها الزماني يوم العشرين من شهر صفر الخير، وقد قال فيها المحدث الجليل الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان: روى الشيخ في التهذيب والمصباح عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال: «علامات المؤمن خمس، صلاة إحدى وخمسين، أي الفرائض اليومية وهي سبع عشر ركعة والنوافل اليومية وهي أربع وثلاثون ركعة وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين بالسجود والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم» [1].

كما نلاحظ ان عدد الأربعين ذاته يمثل جانب التكامل في الإنسان قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام):« إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه» [2]، وقال (عليه السلام): « من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً فلم يعذبه» [3].

والقرآن العظيم أشار إلى ذات العدد في مسألة التكامل قال تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ) [4]. وكذلك الله سبحانه واعد موسى عليه السلام لأربعين يوم حتى يتلقى التوراة منه سبحانه قال تعالى: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) [5].

---

١) موقع السيد الشيرازي، زيارة الاربعين مسيرة الكمال الانساني، (٢٠١٥): http://www.alshirazi.net/.

٢) الخصال، ج٢ن ص٥٤٥.

٣) وسائل الشيعة / ج ٢٧/ ص ٢٩.

٤) القران الكريم: سورة الاحقاف: الآية ١٥.

٥) القران الكريم: سورة البقرة: الآية ٥١.

كذلك نجد الأمر في الروايات الشريفة ما ورد عن الإمام الصادق إنه قال: «إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيرا وأنت أعلم به منا قال الله تبارك وتعالى قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون».

والحديث حول صلاة الليل حيث يستحب الدعاء لأربعين مؤمناً وكذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من قدّم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا بنفسه أستجيب له.

وشاءت إرادة الله سبحانه أن تكون نهضة سيد الشهداء وآله الأطهار من حين شهادته في العاشر من محرم عام(٦١) للهجرة في كربلاء حتى العشرين من صفر من ذات السنة وهي مدة مثلت مسيرة السبايا من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى دمشق في الشام والعودة إلى كربلاء المقدسة، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة من جميع أنحاء العالم إلا تذكير بمسيرة كربلاء الخالدة [1].

ولزيارة الاربعين دروس وعبر روحية تتمثل في إنها:

١. تجديد للعهد وتذكير النفوس بالتعاليم الإلهية.

٢. تجديد للعهد مع الأخلاق السامية والقيم النبيلة.

٣. تجديد للعهد مع معاني التضحية والفداء.

٤. تجديد للعهد مع مبادئ الثوار الشرفاء.

---

١) الحسيني، علي القطبي (٢٠٠٩): زيارة أربعين الإمام الحسين (ع) أدلتها..أسرارها.. أهدافها، مقالة منشورة على موقع وكالة أنباء براثاhttp://burathanews.com.

٥. إنها محطة مراجعة الحسابات لئلا تسرق الدنيا الإنسان وتنسيه نفسه.

٦. ثورة الحسين تذكر الإنسان بالواجب والتكاليف الإلهية مقابل السهو والنسيان والطغيان.

٧. نهضة الحسين تذكر الإنسان بمشاهد الآخرة لتقف أمام الدنيا في رغباتها وشهواتها المحرمة.

٨. نهضة الحسين انتصار مبادئ العدل والإستقامة ونكسة للطغاة والعصاة.

٩. نهضة الحسين الإصلاحية ثورة على النفاق..ثورة على التملق للحكام الظالمين المتسترين باسم الدين.

وخلاصة الأمر إن من كان في كربلاء المقدسة ـ الظرف المكاني ـ وفي يوم الأربعين ـ الظرف الزماني. فقد جمع عاملي التكامل المنشود شرط الاستعداد المسبق للتكامل لاسيما حب الله ورسوله وأهل بيته وأن يكون الفرد عارفاً بحقهم، فمن يكون له ذلك يكون قاب قوسين من التكامل المقصود.

فما هو التكامل المقصود؟

التكامل فطرة جُبل عليها الإنسان منذ أن وُجد على ظهر هذا الكوكب، والسعادة غايته التي يسعى إليها، وهو دائب السعي وراء ما يحقّق له الهدف، ويوصله إلى غايته القصوى.

ومن بديهيات الإيمان بالله واليوم الآخر أنّ أتمّ سعادة وأكملها للإنسان هي القرب من الله تعالى والوصول إليه ـ جلّت آلاؤه وعظمت نعماؤه ـ لأنّه الكمال المطلق. وهذا هو أسمى هدف خُلق الإنسان من أجله، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾[1]، فهو

١) القرآن الكريم: سورة النجم (٥٣)، الآية: ٤٢.

عزّ وجلّ غاية ليس بعدها غاية، وهدف ليس وراءه أيّ هدف. إلاّ أنّ الإنسان عاجز عن الوصول بنفسه إلى الكمال المنشود له. فهو دائم الحاجة طوال مسيرته في هذه النشأة، إلى مَن يأخذ بيده ليدلّه على غايته المطلوبة، وهدفه الذي يسعى إليه. من هنا نشأت الحاجة إلى الدين، لأنّه السبيل الوحيد في وصول الناس إلى غايتهم، فكان من لطف الله سبحانه أن أرسل إليهم ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1]، هداة إلى الله سبحانه، وأدلاّء على مرضاته، ولئلاّ يقول أحد: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[2]، وهكذا شرعت الرسالات تترى على الناس، كلّما استكملت رسالة أهدافها أعقبتها أُخرى أوسع منها وأشمل لتلبية حاجات الأمم ومتطلّباتها[3].

ويتلخّص الهدف الرباني من بعثة الأنبياء (عليهم السلام) بهداية الإنسان إلى طريق كماله الوجودي ونمائه الاجتماعي. فكل مفردة من مفردات هذا الكون إنما تسير إلى ذروة كمالها ونموّها بما أودع الله فيها من مقوّمات الكمال ومستلزماته، ومن هذه المستلزمات هداية الأنبياء له. (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ)[4].

فالآية واضحة الإشارة إلى أنّ مهمّة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هي تلاوة آيات الله على الناس، وتعليمهم الكتاب والحكمة، وتطهير الناس وتنميتهم.

---

١) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية: ١٦٥.

٢) القرآن الكريم: سورة طه (٢٠)، الآية: ١٣٤.

٣) الحيدري، كمال(٢٠١١): التكامل الانساني، بحث منشور على موقع السيد كمال الحيدري http://alhaydari.com.

٤) القرآن الكريم: سورة الجمعة، الآية: ٢.

على إعتبار إن مصادر التشريع هي كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنه تعالى قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى﴾[1] أي ليس يتكلم بهواه وشهوته، إنما يتكلم بما يوحي الله إليه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى﴾[2]، ولم يرحل خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ وقد اكتملت معالم الدين الإسلامي الحنيف بأبعادها المختلفة (اليومُ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً)[3] وبعد تمام الدين واكماله وتحديد الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم مصادر التشريع التي أمر بها الله تعالى، ليس ثمة أحد يمتلك حق الزيادة أو النقصان في أمر الدين القويم وشريعته السمحة، ومن يحاول ذلك فهو مبتدع ومفترٍ.

وهذا الخطر هو الذي يخاف منه على الاسلام، ولكن ببركة الحسين (عليه السلام) وثورته وشهادته رفع هذا الخطر عن الاسلام، وأوجد خندقا بين التشريع والحجية، وأيقظ المسلمين من سباتهم. ومن آثار ثورته (عليه السلام) هو توعية عامة الناس الى ان الاسلام الحقيقي هو غير ذلك السائد، بل على العكس منه تماماً، حيث اثار سبط النبي (صلى الله عليه وآله) انتباه المجتمع آنذاك الى الاسلام الحقيقي لكي لا ينخدع بأقوال الظالمين الذين لا دين لهم، والذين كانوا يطمسون حقيقة الاسلام باسم الاسلام، وليعلموا أن الاسلام الحقيقي يعني التسليم لأمر الله ويتطلب ان لا يشرك معه أحداً في عبادته، وان تكون الاطاعة منحصرة في الله ومن يمثله حقاً، واظهر الحسين عليه السلام بثورته للجميع حقيقة الحبّ والتعلق الصادقين وأنّ من الواجب أن يتعامل الانسان بطهر في ساحة المحبّة، ويطرد عنه كل ما هو اناني وذاتي، وأن يقدم روحه على طبق

---

١) القرآن الكريم: سورة النجم، الآية: ٣.

٢) القرآن الكريم: سورة النجم، الآية: ٤.

٣) القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية: ٣.

الاحسان للمحبوب وعلى طريقه[1]، لذلك كان لزوار الحسين عليه السلام في أربعينيته المتجددة في كل عام دور أعمق الاثر في بقاء نهضته، واستمرارها عبر الاجيال. ونصرة لدين الله ولمذهب آل البيت.

وتعد زيارة الاربعين من أعظم آيات الخلود هي زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام) فإن هذه الآية أبهرت العقول وأعيت الأوهام وأعجزت الأقلام، وأذهلت العالم بأسره وتحيّر في كنهها العلماء وتلعثم في بيانها البلغاء، فلها هدير لعشاق دين الله ولها رنينٌ بين الخافقيين ونوراً اعجب العينين، وفيها أعظم صور الخلود حيث يزحف الملايين من البشر من الذين أحبوا دين الله وأقسموا ان يسيروا على درب الكرامة نحو قبلة العاشقين لله وملاذ الحائرين وكعبة الصابرين سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام)، فتجد في ذلك الزحف أناساً من كافة الاديان والمذاهب والطوائف وجميعهم اشتركوا في عشق الكرامة والإباء فهم يسيرون وعيونهم تلمح بريقا في السماء يخبرهم ببشرى رضا ربها وحسن كمالهم نحو سمو العلياء[2].

وهنا يكمن التكامل في رضا الله والايمان بدينه القويم وبكتابه الكريم الذي نزل على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الذي حافظ على بقائه الحسين (عليه السلام)، بتضحياته بطف كربلاء.

---

١) عبد الجبار، حازم (٢٠١٣): الاسلام محمدي الوجود...حسيني البقاء، مقالة منشورة في موقع وكالة أنباء براثا http://burathanews.com.

٢) آل حسين، مهند (٢٠١٢): نهضة الامام الحسين، مقال منشور على موقع العتبة الحسينية http://imamhossain.org/arabic/forty-٢٥/١٧٢٤٧.

حقيقة الكمال الإنساني:

إنّ الله وضع صيغة معيّنة للحياة الفردية والاجتماعية، ويريد منه أن يعيش حياته وفقاً لهذه الصيغة الربانية، التي تضمن للإنسان كماله وسعادته في الدنيا والآخرة. وتكامل حياة الإنسان هو بناؤها على أساس الصيغة الربانية، بنحو تتطابق فيه حياة الإنسان مع هذه الصيغة، وتكون تجسيداً بشرياً واجتماعياً لها.

والتطابق بين حياة الإنسان وإرادة الله يكون تارةً بترك ما نهى الله عنه، وهذه هي المحرّمات والمكروهات. ويكون تارة أخرى بالقيام بما أمر الله به، وهذه هي الواجبات والمستحبّات. وبالجمع بين هذين المحورَين تتكامل أبعاد حياة الإنسان. فليس فيها ما يغضب الله، من الناحية السلبية، ومن الناحية الإيجابية: نجد فيها ما أراده الله. وإعمار الكون والمجتمع مشروط في واقع الأمر، بهذا التطابق بين الفعل الإنساني والإرادة الربانية. لا إعمار بدون هذا التطابق. بل العكس، إنّ عدم التطابق يؤدّي إلى خراب الحياة الإنسانية والكونية، في الدنيا والآخرة.

أركان التكامل الانساني

خلق الله الإنسان وأودعه القدرة والقوة على تحقيق الهدف المنشود وعبّد الطريق له و أرسل له أنبياءه وأقام حججه على عباده، فأوضحوا منهاجه وارشدوا الخلق الى كل ما فيه صلاحهم ورشدهم وكمالهم.

ويمكن لكل مفكر البحث في الآيات الكريمة والروايات الشريفة ليتضح له بجلاء عوامل الكمال على الأصعدة كافة، وبالتأكيد فإن تكامل الأفراد تكامل المجتمع كونهم اللبنة الأساسية في البناء الاجتماعي.

كثيرة هي الروايات الشريفة المبينة لأركان التكامل ولكن هناك أركان ثلاثة هي مثّلت القمة في الكمال متمثلة بالحديث الشريف الوارد عن الإمام باقر علوم الأولين

والآخرين محمد بن علي (عليهما السلام) حيث قال: «الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة» [1].

الركن الأول: التفقه في الدين

قالوا في اللغة: «فقه الأمر فقهاً: أحسن إدراكه. يقال: فقه عنه الكلام ونحوه: فهمه»[2]. وهذا الركن بديهي بما ان الإسلام أوجد آلية الكمال فلابد من فهم الإسلام أولاً ليمكن تطبيقه ومن ثم تحصيل ثمرته المنشودة، ومن هنا نجد الروايات الشريفة بعثت نحو طلب العلم لاسيما العلوم الدينية وجعلتها في قمة العلوم من حيث الشرفية بل إن كتب الروايات الشريفة وكذا كتب الأخلاق أفردت باباً خاصاً في هذا المضمار وسنورد بعضاً من تلك الروايات المباركة: قال رسول الله (صلى الله عليه واله): « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» [3].

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين» [4].

ومن البديهي إن كل ما يخالف أهل البيت عليهم السلام فهو على خطأ جسيم، وهذا الخطأ الجسيم قد ألقى بحباله ومكره أوسلطنا في الوقت الراهن في مختلف المجالات الحياتية لاسيما الأُطر الفكرية والقوانين الوضعية المتحكمة في تنظيم الشعوب فمثلاً العراق ذو الغالبية الشيعية يخضع لقوانين وضعية مخالفة في الجملة لتعاليم العترة الطاهرة صلوات الله عليها، وما هذا إلا بسبب الابتعاد عن النهج النمير الصافي العذب للقوانين الإلهية، وبالجملة العراق بل العالم اجمع لن يرى السعادة والرفاه والتطور الحقيقي

---

١) الكافي الشريف، ج١، كتاب فضل العلم ص٣٢. وتحف العقول ص٢١٣.

٢) المعجم الوسيط: مادة فقه.

٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٣٢ باب٩ من كتاب العلم ح٢٠.

٤) الكافي الشريف، ج١ باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، ح٣، ص٣٢.

للكمال المنشود إلا بالعودة إلى القوانين الإلهية المبيَّنة من قبل أهل بيت العترة والرسالة عليهم السلام. فزيارة الحسين (عليه السلام) مهما كان نوعها المطلقة منها أم زيارته (عليه السلام) يوم الجمعة أو يوم عاشوراء أم يوم الاربعين يجب أن تكون مذكرةً بأن الذي جرى عليه وآل بيت النبوة في واقعة الطف إنما هو لتفقهه (عليه السلام) بالدين وايمانه المطلق بالله وبكافة تعاليمه. بحيث إنه ضحى بكل غالي في سبيل إعلاء كلمة الله أكبر إلى يومنا هذا.

الركن الثاني: الصبر على النائبة

الصبر وهو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بأن تقاوم معها، بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه من السرور والطمأنينة[1].

وكذا إن تكامل الإنسان أكثر كان ذلك في درجة صبره حيث يكون رضاه بما نابه فرحاً بذلك ملتذاً به مبتهجاً فكل ما يرد من المحبوب محبوب وقد بشَّر الله سبحانه الصابرين في ابتلائه وامتحانه عبر نوائب الزمان قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ*أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)[2].

ومن النزعات الفذة التي تفرد بها سيد الشهداء الصبر على نوائب الدنيا ومحن الايام، فقد تجرع مرارة الصبر منذ أن كان طفلا، فرزئ بجده وامه، وشاهد الاحداث الرهيبة التي جرت على أبيه، وما عاناه من المحن والخطوب، وتجرع مرارة الصبر في عهد

---

١) جامع السعادات، العلامة محمد مهدي النراقي، منشورات الاعلمي بيروت الطبعة السابعة ١٤٢٢ هجرية ج٣ فصل الصبر ص٢٨١.

٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: الآيات ١٥٥ـ١٥٧.

أخيه، وهو ينظر إلى خذلان جيشه له، وغدرهم به، حتى ارغم على الصلح، وبقي معه يشاركه في محنه وآلامه، حتى اغتيل معاوية بالسم، ورام أن يواري جثمانه بجوار جده فمنعته بنو امية فكان ذلك من أشق المحن عليه.

ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها أنه كان يرى انتقاض مبادئ الاسلام، وما يوضع على لسان جده من الاحاديث المنكرة التي تغير وتبدل شريعة الله، ومن الدواهي التي عاناها أنه كان يسمع سب أبيه وانتقاضه على كل هذه الرزايا والمصائب. وتواكبت عليه المحن الشاقة التي تميد بالصبر في يوم العاشر من المحرم فلم يكد ينتهي من محنة حتى تطوف به مجموعة من الرزايا والآلام، فكان يقف على الكواكب المشرقة من أبنائه وأهل بيته، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم فيخاطبهم بكل طمأنينة وثبات:

" صبرا يا أهل بيتي، صبرا يا بني عمومتي، لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم "

وقد بصر شقيقته عقيلة بني هاشم، وقد أذهلها الخطب، ومزق الاسى قلبها، فسارع اليها، وأمرها بالخلود إلى الصبر والرضا بما قسم الله.

ومن أهوال تلك الكوارث التي صبر الامام عليها أنه كان يرى أطفاله وعياله، وهم يضجون من ألم الظمأ القاتل، ويستغيثون به من أليم العطش فكان يأمرهم بالصبر والاستقامة، ويخبرهم بالعاقبة المشرقة التي يؤول اليها أمرهم بعد هذه المحن الحازبة.

وقد صبر على ملاقاة الاعداء الذين ملئت الارض جموعهم المتدفقة، وهو وحده يتلقى الضرب والطعن من جميع الجهات، قد تفتت كبده من العطش وهو غير حافل بذلك كله، لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطف من أندر ما عرفته الانسانية.

إن أي واحدة من رزاياه لو ابتلي بها أي انسان مهما تدرع بالصبر والعزم وقوة النفس لأوهنت قواه واستسلم للضعف النفسي، ولكنه (عليه السلام) لم يعن بما ابتلي به في سبيل الغاية الشريفة التي سمت بروحه أن تستسلم للجزع أو تضرع للخطوب[1].

ونجد زوار أربعينية أبي عبد الله الحسين في مسيرهم المليونية العلنية في وقتنا الحاضر أو مسيرهم السرية في زمن النظام السابق إنما يجسدون صورة من صور الصبر المتمثلة ببعد المسافة بين المناطق التي جاءوا منها وبين الضريح المقدس ومشقة السفر وعناء الطريق ويتقدهم الصغير قبل الكبير، الشيخ قبل الشاب، المرأة قبل الرجل، المريض قبل المعافى، المعاق قبل السليم. فليس في الأرض ما يشبه مشهد ملايين السائرين، مشياً على الأقدام، مستصحبين معهم الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، مسافة تتجاوز ٦٠٠ كيلومتراً، أو أكثر لا يبالون بحرارة الشمس وعواصف الغبار، ولا تساقط الأمطار وبرد الثلوج، ولا يأبهون بسيارات الإرهابيين المفخخة وعبواتهم الغادرة، وهو تعبير صادق عن عمق ارتباط هذه الحشود المليونية بالإمام سيد الشهداء (عليه السلام).

الركن الثالث: تقدير المعيشة

بمعنى الإنفاق وفق القدرة بما يناسب وضعه المالي بلا إسراف أو تبذير فإذا امن الإنسان الحاجة اطمأن، فالمال ضروري لتلبية الحاجات والاستغناء عن الناس والاستقلال، فالحاجة إلى الناس خلاف الكمال حيث انه نقص.

---

١) من مثل الامام الحسين عليه السلام (٢٠١٤): بحث نشور على موقع عقيدة https://www.aqaed.com.

هذا لكن لا ينبغي ان يكون الطلب للمال غاية وهدفاً أساساً فهذا خلاف الكمال الحقيقي، قال بعض العلماء: «أنه لا ريب في عدم كون المال والجاه كمالاً، لأن القدرة والاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف وعلى القلوب والأبدان بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت، فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل. فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل، فانهم يظنون ان القدرة على الأجساد بقهر الحشمة، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال. ولما اعتقدوا كون ذلك كمالا أحبوه، ولما أحبوه طلبوه، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله، أعني العلم والحرية..»[1]. فينبغي الطلب بمقدار حاجة الانسان او كما عبر الإمام عليه السلام: «اكف بها نفسي عنك وعن الناس».

ومما تقدم يتبين إن أركان الكمال كل الكمال ثلاثة العلم والصبر وتقدير المعيشة فان اجتمعن بلغ الإنسان مصاف الكمال الإنساني الحقيقي وفق الحديث الشريف.

وتجديداً للعهد بالولاء للإمام الحسين (عليه السَّلام) ولآبائه وأبنائه الطّاهرين (عليهم السَّلام)، تزحف الملايين من شتى بقاع العالم نحو قبلة الآباء لزيارة سيد الشهداء (عليه السلام).

وإن عمق الانتماء لكربلاء ينبغي أن يدفع المؤمن الى بلورة حبه لسيد الشهداء (عليه السلام) الى كلمة طيبة، وعمل صالح، وعلم نافع، وخلق رفيع، ونصرة المظلوم، وإصلاح ما فسد من أمور الناس، ومد يد العون للمحتاج والضعيف، ورعاية الأيتام والأرامل، واتخاذ كبير المسلمين أباً وأوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً، والنظر الى الناس على أنهم إما أخ في الدين أو نظير في الخلق، وإن عاشوراء نهضة إصلاحية لم تتوقف منذ أن انطلقت في العام(٦١ هـ)، وإن ساحة الفوز والخسارة ما زالت مفتوحة للجميع،

---

١) جامع السعادات، مصدر سابق، ج٢ ص٣٥٩.

كما أن عوامل الفوز والخسارة تحيط الجميع، وهذا ينبغي أن يكون حاضراً في قلب وعقل ووجدان الزائر.

الزيارة الأربعينية مسيرة للتكامل الانساني

في تحقيق التحول

من الممارسة الشعائرية الدينية الطائفيه الى وعي عالمي

المدرس الدكتور ستار جبار راضي

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

المقدمة

للظاهرة الدينية عمقاً واقعياً فكرا وسلوكا لدى الانسان منذ فجر الخليقة ومن هذا المنطلق امتازت المجتمعات بمختلف درجة حضارتها ورقيها في التطور التقني وعلى تنوع دياناتها بممارسات شعائرية تتماشى مع ما يملي عليها ايمانها وأضحت جزء لا يتجزءا من حقيقة هذا الايمان بتمظهراته في الواقع المعيش. وعليه فلا يمكن تجاهل مثل هذه التظاهرات التي تساهم في بلورة وعي اخلاقي عال من جهة وكذلك طورت وعياً بالهوية الثقافية الدينية لمجتمع ما في وقت معين من جهة ثانية أي سلوك ديني لا يصادر الحياة بل يمنحها زخما قل نظيره.

تعتبر الكثير من هذه الطقوس مناسبات " تماسك اجتماعي ولها وظائف بنائية [1]" ورفد الفعل الانساني بطاقات جديدة اذا ما اعتبرنا الدين كفعل خلاق يساعد الانسان على الانتقال بالدين من مجرد فعل خلاص فردي في اوقات الازمات التي تلم بالأمة الى فعل ثوري يكسر قيد العبودية وينشد العدالة الاجتماعية في حركة اصلاح جذرية كما نشهد ذلك كل عام منذ قيام الحسين بالخروج على طغيان السلطة والسلطة الباغية في القرن الاول الهجري.

احاول في ورقتي هذه الفات النظر لظاهرة جديرة بالاهتمام والملاحظة والدرس من لدن علماء الاجتماع الديني والتي بدأت منذ قرون خلت الا وهي الزيارة الاربعينية لكعبة الشهداء وأبي الاحرار. كيف يمكن لمسيرة التكامل الانساني هذه ان تتحول من الممارسة الشعائرية الى وعي ديني يسقط فيه الانفصال بين الجانب الفردي والجماعي؟ ومن ثم يتجلى فيه التلاحم بين السلوك والنظر ليستمد استمراره من قدرة الممارسة

---

١) د. علي ليلة، "الدين والحاجة الى التماسك الاجتماعي.. دور الرمز في الاديان عموما"، مجلة عالم الفكر، ع. ٣، المجلد ٤٠، يناير /مارس٢٠١٢، ص. ٤٣.

الشعائرية على تحويل الايمان لسلوك يتماشى مع طاقات الدين في الحفاظ على رفد المجتمع بأخلاقيات عالية لتصبح فعلا اساسيا في مسيرة التكامل الانساني دون ان تنغلق في حس طائفي ضيق وتخسر دفقها الحيوي وقابليتها على تحقيق الاستمرارية في السير على النهج الحسيني الذي كان وما زال السبب الرئيسي في ايجادها الا وهو تجلي الحق كله في شخصية الامام لينتفض على استلاب الانسان من خلال اقرار وترسيخ النظام السلطوي القمعي الغاشم الذي انبرى لمحاربته وإفهام الاخرين مقدار المسؤولية الاخلاقية الملقاة على رمز الامة اذا شئنا ان نتحدث عن المسيرة كظاهرة اجتماعية دون التأكيد فقط على الجانب الغيبي والارادة الالهية التي شاءت ان ترى في الحسين شهيدا ليرتقي لأعلى مراحل التكامل الانساني من خلال التضحية بالنفس من اجل تعديل العوج الذي الم بالأمة واستباح حرماتها من خلال تجاسر السلطة الظالمة على تدنيس المقدسات.

لا أسعى في ورقتي هذه للمخاطبة بلغة منبرية في الترغيب على الاجر والثواب دون اقصاء البعد الروحي للظاهرة الدينية مع التشديد على انعكاساتها الاجتماعية، احاول قدر الامكان، واسأل الله التوفيق في ذلك، التأكيد على نهج التكامل الانساني في القضية كونها ظاهرة وعي ديني لها بعدها الاجتماعي وفعاليتها في صياغة مواقف حياتية من قيم الحق في التجربة المعيشة، لأنه ليس مثلي من يصدر احكاما على ظاهرة تجاوزت الافاق في نهجها الثوري والإنساني والمعرفي وتحقيق ما ارادت تحقيقه على يد قائدها اولا وعلى يد اتباعه ثانيا في تحقيق الانتصار على قوى الظلم و الطغيان ولو بعد حين و ما المسيرة التي ترتقي الى اعلى التلاحم مع الرمز إلا دليل قاطع على انتصار الحسين والقيم التي بذل مهجته دونها.

وسنتناول في هذه الورقة بعض لمحات تشكل جزء لا يتجزأ بدءاً من العنوان مرورا سريعا بتاريخ التظاهرة الروحية وحسها الانساني وكذلك الموقف الذي يقفه إزاءها بعض من يرى انها تهدده ولا سيما ما عانته الزيارة بعد انهيار صنمية القمع وأشكال العداء

الجديد ثم العروج على تنامي الزيارة في تكاملها الانساني وسعة افقها العالمي لنتوقف في الخاتمة على الرؤية الموضوعية للزيارة في تحقيق هذا التحول.

انطلاقا من عنوان اعمال ملتقى اللطف الذي قد يشير هذه المرة تعميما لا يخلو من التباس للمتلقي الذي لم يكن على تماس تام مع الحدث التأسيسي الذي كان وما زال الأصل في اقامة شعائر هذه الزيارة. اذا نفترض وتماشيا مع الاهداف المرسومة وبشكل دقيق أيضا على تجاوز الحيز الذي تنطلق و تتحرك فيه أي الافق المكاني للتواجد التاريخي للمسلمين من شيعة العراق. وهنا لا اقصد على وجه التحديد المفهوم الطائفي الضيق بل اسعى لتسليط الضوء على اهمية اتباع مذهب ال البيت لتبنيهم لهذه الشعيرة بل و ايجاد السبل الكفيلة في دوامها منذ قرون خلت كظاهرة تعبدية دون ان تخلو من بعد ثقافي ووعي حضاري بقيم الحق يسهم في تكوين بعض من خصائص هوية المسلم في العراق المنفتح على الاخر من خلال تكريس ظاهرة دينية لا يمكن عزلها عن الظاهرة الاجتماعية مع التأكيد على عدم المساس ببعدها الأخروي.

وهذا الالتباس في طريقه اذن الى التلاشي اذا ما نظرنا بعين الانصاف الى حصيلة الوجود الشيعي في التركيبة الديمغرافية للسكان في العراق. وبالتالي اسهم هذا التواجد وسوف يسهم ابدا في التأكيد على الدور الاستثنائي المتبادل الذي يلعبه في منح الزخم لهذه الزيارة والتسلح بمبادئها. يلعب هذه التبادل دورا رئيسيا في بلورة رؤى جديدة تتماشى مع الصيرورة التاريخية للتحولات الاجتماعية على جميع الاصعدة المحلية و الاقليمية دون ان نغفل البعد العالمي لهذا المد بفعل التطور الهائل في مجال الاتصالات و تحول العالم الى قرية صغيرة.

فما يحدث في العراق من نهضة شعبية في مستوى الاداء في الزيارة الاربعينية احرج الكثير من الزعامات الاسلامية وغيرها رغم انه لم يلق تغطية تناسب حجم المناسبة التي تثير عدم الارتياح لدى الكثير من المراقبين من المسلمين ام من غيرهم. ما يعنينا الان

ليس الانشغال بمن لا ينظر نظرة موضوعية لإحياء هذه الممارسة العقائدية التي تستمد مشروعيتها من اسباب قيام الثورة التصحيحية التي كانت وما زالت كما اسلفنا الاسس التي اعتمدها هذه الزيارة لاستمرارها.

البدايات الأولى في الزيارة الأربعينية

كما هو معروف لكل متتبع للأحداث المهمة التي طبعت بطابعها شعباً ما في بقعة ما وفي ظرف ما ان للتاريخ دورا هاما في تفسيرها من خلال البحث في اصولها وجذورها التاريخية اذا اعتبرنا واقع الزيارة الاربعينية كظاهرة تسعى لإحياء تاريخ مهمش وتمثيل تاريخي لانعطافه فارقة في تاريخ الامة اراد له البعض ان يبقى خارج التاريخ. رغم انه" الحدث الذي بلغ من الدراماتيكية ما يفقد الانسان تقنياته المعرفية" [1]، لكننا نكاد نقطع باليقين الذي لا يخامره شك بأنه لا يمكن فهم واقعة الطف دون الاحاطة بجذورها التاريخية. أذن هل هناك سند تاريخي لهذه الزيارة التي انتجتها مذبحة كربلاء؟

رغم إن المقام لا يتسع للخوض في المسار التاريخي لنشوء الزيارة من خلال كتب التاريخ او تلك الكتب التي تهتم بأدبيات الطائفة أولا وكتب المسلمين ثانيا لكني وجدت لزاما ان اوضح دون اطناب السند الاخلاقي في قيام هذه المسيرة وبداياتها الاولى.

يصادف العشرون من صفر في العام الهجري ذكرى مرور اربعين يوما على قمع ثورة الحسين التي انتهت باستشهاده مع جمع مؤمن ثائر من ال بيته وأصحابه في العاشر من محرم الحرام من سنة احدى وستين للهجرة دون ان تنتهي الى الابد. لهذا بعد الخطب الجلل الذي ترك كسرا في ضمير الامة عموما والموالين لآل بيت النبوة خصوصا مضى

---

١) ادريس ألحسيني، لقد شيعني الحسين، الانتقال الصعب في المذهب و المعتقد، منشورات دار الاعتصام للطباعة والنشر، ١٤١٥ هجرية، ص٢٩٧.

المسلمون الشيعة الاجتهاد في اقامة مراسم عزاء كاستمرار لعزاء ايام عاشوراء وذلك من خلال ممارسات وشعائر خاصة، وهو ما عرف تسميته ب (زيارة الأربعين)

يؤكد بعض المهتمين بتاريخ الزيارة الاربعينية ان اول من تجشم عناء الزيارة لقبر الإمام الحسين(عليه السلام) بعد استشهاده، هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، القادم من المدينة المنورة وان زيارته تزامنت مع اليوم العشرين من صفر من العام ٦١ الهجري.

فقد اورد الشيخ المفيد في بحار الانوار التوكيد على وفود جابر الانصاري على زيارة قبر الامام الحسين: "وقال عطاء، والصَّحيح عطية العوفي، أحد رجال العلم والحديث روي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهو الّذي تشرّف بزيارة الحسين(عليه السلام) مع جابر، كما ذكر ذلك الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب.

يقول عطيّة: "كنت مع جابر بن عبد الله يوم العشرين من صفر فلمّا وصلنا الغاضريّة ـ المقصود أرض كربلاء ـ اغتسل بشريعتها ولبس قميصاً. ثم ذكر الزّيارة التي زار فيها الإمام الحسين(عليه السلام)"[1].

وتنقل الكثير من المصادر التاريخية بان هذه الطقوس سميت بزيارة الاربعين لأنها تزامنت في العشرين من صفر الذي تمت فيه الزيارة.

ما يعنيني هنا ليس الخوض في التحقيق في وقتها الذي شهد اختلاف وتباين في وجهات نظر المختصين بدراسة تاريخية الزيارة، لأني كما اسلفت في البدء ما يثير الاهتمام في هذه الزيارة التي لا يقلل من شأنها التنوع في وجهات نظر المؤرخين او اولئك الذين يسعون لإيجاد السند في المرويات عن التشكيك في شرعيتها، بل ما يهمني كونها امراً

١) انظر المجلسي، بحار الانوار، ج٩٨، ص.٩٨–٩٩.

واقعاً وفيه من الفائدة و التبصير ونشر الوعي اكثر أهمية من الخوض في توخي الدقـة في أنه هل جاء التأكيد عليها ام لم يؤكد عليها في المأثور و المنقول؟

لا يهمني و الحال هذه على الفرضية التي بنيت على احتمالات تاريخية، في أنَّ يـوم العشرين من صفر لم يكن يوماً زار به أحد قبر الإمام الحسين(عليه السـلام)، لا موكـب السبايا ولا جابر بن عبد الله الأنصاري والذي يقضي من خلال ما تقدم بعـدم دلالـةٍ إذاً على خصوصيّة زيارة هذا اليوم بعنوان "زيارة الأربعين".

إن أهم ما وددت التركيز عليه في هذا المقام منحصر حقيقة في التعامل مـع جميـع العوامل التي ساعدت وعملت على ايجادها وسـاهمت في اسـتمراريتها والمعطيـات الـتي جاءت بها على مر الزمان. لكي لا نتشتت في خضم الافتراضات التاريخية التي قـد تنـأى بنا عن موضوع هذه الورقة فلا بد ان نبحث في ما وراء تاريخية الزيارة.

البعد ما وراء التاريخي للزيارة الاربعينية

كما اسلفنا القول فيما سبق تستمد الزيارة الاربعينية اهميتـها مـن عظمـة مصـمم نهضتها. إذا كان مشروع النهضة الحسينية قام على اسس عديدة تزامنت مـع منعطـف خطير في تاريخ الامة فانه اسس في ذات الوقـت اسـتمرار مشـروعيه النهضـة بأشـكال مختلفة كما سيمر علينا ذلك خلال البحث. وجـد الامـام الحسـين حينـها ان الخطـاب الديني المنبري و الحوار الحضاري التربوي البناء وان علت قيمته لا يجدي نفعـا مـع ثلـة استأثرت بالحكم" وأسرفت في المعاصي[1]". فقد حولت السلطة جزءاً كبيراً من انجازات مشروع السماء الاخلاقي في بناء الانسان – حيث يشير الحديث الى ذلك اشـارة علنيـة ودونما تورية " الإنسان بنيان الله لعن الله من هدم بنيانه" – الى محض تسلط وتسـخير. مناهضة بذلك ارادة السماء التي دأبت على ارساء سلوكيات جديدة و اخلاقيات تسعى

١) جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، خرج احاديثه أحمد بن شعبان بـن ابي احمـد، القاهرة، مكتبة الصفا، ط.١، ٢٠٠٥، ص. ١٧٤.

للرقي بالإنسان الى التكامل الانساني في البيئة الجديدة التي اسهم من خلالها شخص الرسول الاعظم في تحمل العبء الرسالي في القيام على أكمل وجه في تبليغ الرسالة في بعدها العالمي.

حتى اذا اتم الباري جل تعالى شأنه النعمة على رسوله وإكمال الدين بدأت بوادر الخلاف في المجتمع الذي ترعرع في كنف الرسول والذي لم يستطع البعض منه ان يتعقل مفاهيم الاسلام في العدالة والكرامة الانسانية والدور الرسالي لامة كانت تعيش في حالة من التنازع والتشرذم وعدم الاستقرار على جميع المستويات.

إذن ما هي الاسباب التي جعلت من الزيارة الاربعينية معينا لا ينضب لسلوك جمعي سعى الى تحقيق وحدة من التلاحم الاجتماعي في بعدها الانساني ؟ ورب سائل يسأل وقد يكون محقا في سؤاله : أيجوز لنا الابقاء بعد على هذه الزيارة، بالرغم من النهوض العلمي والثورة المعرفية و التطور في مجالات الاتصالات ورغم الثقافة وتوسع ميادين الانثروبوليجيا ليشمل اصغر التجمعات البشرية وبرغم المعرفة الدينية ومعرفة الكون وفتح شفرات كانت ملغزة لقرون خلت، على الاحتفاظ، بل، الاصرار على ممارسة هذه الشعيرة التي تتمثل في الزيارة الاربعينية ؟

لنرد ردا عقلانيا على السؤال بسؤال من نوع اخر. أيجوز ان نتجاهل جمعا يشكل احد مكونات الاسلام معرفيا وتاريخيا ولم يأت بشيء بربري من خارج التاريخ؟ أيسمح لنا تجاهلنا ان نلغي وجود الحقائق الساطعة؟ ألا يكون من الاجدر بنا كمسلمين قبل ان نصادر الوقائع ان ندرس سياقها التاريخي ومعرفة الدوافع التي ساهمت في ايجادها؟

ربما من لا يريد ادراك الوقائع في بعديها التاريخي و ساعتها الراهنة يدلل على انه يضمر سوء نية في سؤاله منذ البدء. وهذا حسب كل ذي عقل معاند للحق ولا يريد ان ينظر للأمور بعين الانصاف والعدل. وبالمحصلة فانه يصادر الناس حقوقهم.

اذا كان هذا جائزاً فان السائل يريد كما اسلفنا ان يصادر احداثا عظيمة الت الى هذا الحال الذي نحن عليه وبالتالي ممكن لثورة الحسين (عليه السلام) بكل ثقلها أن ندرس معالمها تحت ذريعة: ان حاكم العصر مفترض الطاعة والخروج عليه يعد عصياناً. لكن باي مقاييس ممكن لنا ان نصف انتفاضة الامام بانها خروج غير شرعي على حاكم المسلمين؟

وهنا لابد لنا من المقارنة بعد استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) بان ضمير الشخص المسلم انفتح على حين غرة على هاوية فاغرة تكشفت عن العراء العميق للأشياء الاكثر الفة حسب تعبير داريوش شايغان[1]: فالمظهر الطبيعي للأشياء مكن ان يحجب التمزق العميق الذي اجتاح وعي الامة المخدر. بتعبير اخر اذا جاز لنا القول : ان التمزق العظيم الذي صحى عليه الفرد المسلم المنوم مغناطيسيا بالخوف الملجم بإحكام وعاظ السلاطين والمؤمن بجنة عرضها السموات والأرض وعدم الرغبة في فقدان كل شيء و الحرص على اخذ كل شيء بسلامة وعافيه وجد انه في حالة انفصام تام ما كان يؤمن به حينما وضع على المحك في اختبار ايمانه الذي نشد فيه الخلاص الفردي فقط. لهذا لجأت قيادات السلطة الغاشمة الى الاستمالة والتهميش، في ذات الوقت، لتنفيذ المشروع الاموي.

لكن في الحقيقة هل يمكننا ان نختزل كل هذا الاضطراب في ضمير الامة ونقرأ حاضر الزيارة خارج سياقها التاريخي ونتجاهل الجانب الاخر الذي اكن الولاء لآل بيت النبوة واعتقد تمام الاعتقاد بأحقية المشروع الحسيني في ثورته؟ أن قراءة كهذه تساهم في تجرد الزيارة الاربعينية من الاسس النفسية التي ساهمت في انشائها في اطوارها التاريخية المختلفة وأهدافها الاصلاحية.

---

١) داريوش شايغان، ما الثورة الدينية الحضارات التقليدية في مواجهة ألحداثة ترجمة وتقديم د.محمد الرحموني، النجف، دار الفكر الجديد، دون تاريخ، ص. ٢٠٨.

الحقيقة تساؤل على هذا المنوال يدعونا الى اعادة التأمل في تاريخنا الذي نفخر فيه على الامم كمسلمين قد لا يعدو ان يكون مجرد سوء تفاهم بامتياز. لأننا في الحقيقة نعجز عن اعادة تقييم ماضينا بكل ما فيه من ثغرات وطمس لكثير من المعالم. ان الاستمرار في التحدث بلغة الارقام والاعداد من المسلمين متناسين ذلك الكائن المفرد و المتوحد المتحلق حوله الاخرون وان كان غائبا في حسابات من لا يرى في زيارة كهذه سوى طقس تراجعي او تحريفي وربما غير منسجم مع القيم المتوارثة عن السلف الصالح.

بيد ان الزيارة الاربعينية تعد وقفة تأمل ولحظة انتعاش في ضمير الأمة ذات الهوية المأزومة. لأن تجربة بمثل هذا التفرد وان كانت في بداية انطلاقها قد وسمت بصبغة طائفيه اذا ما اردنا ان نستجيب لبعض الاخوة من المسلمين الذين يرون هكذا بفعل انتماءاتهم الفقهية او المذهبية، ولا مثلبة في الامر. لان لابد للتفرد من حاضنة ايمانية مكانية لكي يستمر دفق اشعاعه ويضمن له الحماية ويؤكد عطاء من خلال اعلان انتماء بأحقيته في الاعراب عن رؤاه دون أن يصادر الاخر، سواء كان اخا في الدين او نظيرا له في الخلق.

ولهذا فان الزيارة الاربعينية هي تجربة زاخرة بالتوتر ولا يمكن لها إلا أن تبقى في اطر التاريخ: الزمانية و المكانية. وبالنتيجة فهي تسعى من خلال التجمع المليوني لإحياء ما وهن في ضمير الامة بطرق سلمية ألا وهو عودة للأصول الحقيقية للدين و المطالبة بالعودة الى جادة الصواب بعد الانحرافات التي اصابت وتصيب بعض من يشذ عن السرب وينأى عن صوت الحق وقيم بناء الانسان بنيانا حقيقا.

مع ذلك مرت الزيارة الاربعينية بحقب تاريخية مختلفة تراوحت من انزواء الى تنامي كما سنرى في البحث.

الزيارة الأربعينية في أطوارها المختلفة

وكما أسلفنا في البدء تعرضت الزيارة الاربعينية منذ انطلاقتها الاولى لحقب وادوار مختلفة. امتدت من المحاربة العلنية و التضييق الى الدعم الظاهري على كل من يتبنى هذه الممارسات الشعائرية و يحرص على اقامتها. لاسيما تلك الحقب العسيرة التي لاقاها اتباع مذهب ال البيت الذين ينشدون الاجر و الثواب الذي لا يعد و لا يحصى اولا وليبرهنوا على موالاتهم للتمسك بالعترة ثانيا و السير على النهج الذي انتهجه الائمة الاطهار (عليه السلام). فقد دأبت الشيعة ومحبو اهل بيت النبوة على ارساء دعائم هذه التظاهرة في بعديها : التعبدي والاجتماعي. وواظبوا على سائر الشعائر الحسينية لما لها من اثر بالغ في غرس الروح الثورية وكذلك الابقاء عليها في نفوس المؤمنين لتكون تذكرة مستمرة على مقارعة الظلم و الجور.

وقد اثبتت الوقائع التاريخية تتابع الثورات او تلك الانتفاضات التي تتماشى مع الخط الثوري الذي ينشد التغير و الاصلاح ورفضه لأنظمة حكم قمعية من خلال الانتفاضات المستمرة التي لا تهادن في الحق ولا تداهن السلطان الجائر.

لهذا السبب ولأسباب أخرى واجهت زيارة الاربعين حقب عسيرة في العصور الاولى و المتأخرة منها على حد سواء. نجد من الفائدة ان نعرضها على نحو الايجاز لأنها تشكل كل لا يتجزأ من تاريخها الطويل وأطوارها المختلفة لتدلل على التلاحم الحقيقي بين الائمة وإتباعهم في مختلف العصور:

العصر الاموي

يجمع المؤرخون بان الزيارة الاربعينية واجهت في العصر الاموي الـذي اسـتتب لـه الحكم من سنة ٤١ هجرية الى ١٣٢ اشد المعارضة. فقد تعرض للتنكيل و البطش مـن قبل سلاطين الحكم الاموي كل من سعى اليها. لأن ذلك العصر امتاز بالتطبع السـلبي فمن خصائص هذا العهد المظلل ان حشده الاعلامي عمد الى تشـويه انتفاضـة الامـام الحسين (عليه السلام) و اعتباره مارقاً عن الدين و خارجاً عن الحكم الذي يمثـل اجمـاع المسلمين كما يرون من وجهة نظرهم. متناسين بأنهم هم الذين سخروا مقدرات الخلافة كمغنم لهم دون واعز من تقـوى الله أو نشـدان العـدل في الرعيـة. لان الامـويين كـانوا يعتقدون أي خروج على خليفة المسلمين امرا موجباً للقتل دون ان كان حقـا ملكهـم يمثل الخلافة الاسلامية وفق دستور الرسالة المحمدية. ومرد هذا الايغال في مصادرة حقوق الاخرين يستند الى نظرية في الحكم مفادها : ان استتباب ملكهم يتطلب اخمـاد كـل مـا ينتمي الى معارضيهم كون شهادة سبط الرسول وابن البتول وخامس اصحاب الكسـاء عليه السلام حدثت في عصرهم القمعي ولذا كانت وسائل التعتيم وملاحقة محبي اهـل البيت عليهم السلام من لوازم ديمومة دولتهم. و كان محبـو اهـل البيـت وفي مقدمتـهم الشيعة يتحملون عبءاً كبيراً في مواجهة الطغاة و ومجابهة القتل والتغييب بكـل أنواعـه ولذا فان ممارسة وإحياء الطقوس في ابان الحكم الاموي كان شاقا على اتباع اهل البيـت عليهم السلام و بالذات شعيرة زيارة الامام الحسين عليه السلام يوم الاربعين لان محييها يتعرض الى المضايقات التي تصل لأقصـى درجـات التنكيـل، حيـث تفننـت الحكومـة الاموية في ايجاد تلك الضغوط لما رأته من التهديد الناجم عن ممارسة الشـيعة للشـعائر الحسينية وبشكل خاص تلك المخاطر التي تجسدها الزيارة الاربعينية. لأن حكام بني امية قد ربطوا ربطا جدليا بين الثورة والشيعة السائرين على نهجه اولا ولما لهـا مـن تـأثير في نفوس الناس بعد ايضاح الحقائق ثانيا. لذلك حاولت ابادتهم و منعتم مـن اقامـة المـآتم الحسينية ومجابهتها بشتى انواع الوسائل دون مراعاة ولا ذمة، مع ذلك تحلـت الشـيعة في

تلك الحقبة العسيرة من تاريخها بصمود صلب حيث ارخصوا الغالي و النفيس واستمدوا قواهم من ثورة الامام الحسين صلوات الله عليه التي يرون فيها حركة توعية و تنبيه للعقول لما تحمله هذه القضية من مبادئ سامية وجليلة القدر. وقد قوض الله سبحانه وتعالى لجمع الموالين من الشيعة ولا سيما بعد استشهاد الحسين شخصية اخرى لتنتقل اليها زعامة التشيع إلا وهو الامام زين العابدين بن الحسين (عليه السلام) الذي تبنى منهجا في غاية الحكمة حيث تكرست مدرسته لبناء المظهر الاسلامي من خلال وسائل الدعوة المضادة للحكم الاموي انطلاقا من التعريف بثورة ابيه "ويقوم بثورة من نوع اخر[1]". ومن نافلة القول ان السلطة القمعية هي التي تدون التاريخ فرأى الامام السجاد في ضرورة الحفاظ على الثورة الحسينية من خلال فضح ممارسات سلطة البغي بخطاب توعية يمنح الشيعة القوة و المشروعية في الاستمرار على مقارعة الظلم و الطغيان.

ولا ننسى دور المرأة في تبيان اهداف الثورة الحسينية ونهجها الاصيل بعد تعرضها للتشويه من قبل الجهاز الاعلامي الاموي بعد اجهازه على ثورة الحسين. فانبرت زينب وكانت هي ايضا من اول الزائرات التي اتخذت منحى اخر في سبيل ان لا تطمس اهدافها الى الابد. فكانت الزيارة الاربعينية منبرا فاعلا في استمراريتها الى الان وكان للعقيلة زينب دور نوعي في توعية الناس وتصحيح الخطاب الاموي لدى المتلقي الذي عمد سلاطين بني امية الى تشويش فهمه. فكانت زينب نعم اللسان الذي فضح المؤامرات التي مارست تعتيما على الرأي العام الذي اخذ الندم منه مأخذا كبيرا حتى اسهم في انشاء وعي مغاير كانت نتيجته ثورات مستمرة.

---

١) محمد تقي المدرسي، التاريخ الاسلامي دروس وعبر، طهران، دار المدرسي للطباعة والنشر، ١٩٩،ص، ٨١.

زيارة الاربعين في العهد العباسي

كان العصر العباسي قد شكل مفارقة ازاء ممارسة الشعائر الحسينية ففي الوقت الذي رفعت فيه الدولة العباسية شعارات مظلومية اهل بيت الرسول الاعظم. لأن الدولة العباسية قد تبنت في احد اركانها ذريعة الانتصار لآل بيت النبوة. كان هذا الدافع قد اسهم اسهاما فعالا في اسقاط الدولة الاموية التي كان اخر ملوكها المسمى (مروان الحمار)، ولذلك حققت الدولة العباسية غلبتها على الدولة الاموية.

وكما هو معروف من اسباب انتقالية بعد انهيار الامويين وارتقاء العباسيين، فقد شهد الشيعة انتعاشاً فكرياً جديراً بالاهتمام ولاسيما في ابان المدة التي تولى فيها السلطة ابو العباس السفاح من سني حكمه الذي استمر من ١٣٢ الى ١٣٦ هجرية.

كان انشغال الحاكم العباسي في تتبع وملاحقة بقايا فلول الدولة الاموية قد اتاح للإمام الصادق (عليه السلام) فسحة يتحرك من خلالها في نشر ثقافة اهل البيت (عليهم السلام) والتأكيد على استذكار فاجعة جده بكربلاء لتكون معينا لا ينضب في الولاء للنهج الصحيح والعمل على احياء الشعائر الخاصة بالزيارة الاربعينية.

و بعد أن وطد العباسيون اركان ملكهم و قوت شوكتهم عمدوا الى تفكيك منظومة الشيعة ومضايقتهم بكل ما اوتوا من الوسائل حيث اوغلوا في عدائهم وأجرموا و اسرفوا بسفك الدماء و التعذيب. وقد فاقوا بني امية في اجرامهم اتجاه البيت العلوي الذي لاقى الويل منهم كونهم يدركون انهم احق بالأمر منهم في النهوض بشؤون العباد والبلاد.

ففي الوقت الذي اخمد فيه الحاكم الاموي الثورات بالحديد بل ومضى في تماديه ان يضرب بيت الله الحرام بالمنجنيق فالحاكم العباسي ليس ببعيد عن هذا الامر. فقد دعاه تمسكه بالحكم الى تشتيت الشيعة بل والنيل من رموزها الى ان قاموا بتهديم ضريح الامام

الحسين(عليه السلام) ومحاولة طمس اثره خلال حكم المتوكل. وفي سنة ست وثلاثين بعد المائتين كما يؤكد السيوطي[1]، أن المتوكل أمر بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقيت صحراء، وكان المتوكل معروفا بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك ما يبين تذمر المسلمون :

بالله ان كانت امية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد اتاه بنو ابيه بمثله هذا لعمري قبره مهدوما

أسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

وهكذا تتالت جرائم بني العباس باستثناء، (المنتصر بن المتوكل) الذي تعاطف مع الشيعة و ذرية النبي الاكرم وانتحى منحى اخر في معاملتهم اتسمت بالبر و الاحسان.

فقد مرت الشيعة في اوقات حالكة في العهد العباسي الذي انعكس بالنتيجة على الشعائر الحسينية وممارس طقوسها اذا لاقت الزيارة الاربعينية عداء سافرا وتم منع ممارستها كونها تمثل تهديدا للحكم العباسي الذي وظف الموالاة للعلويين في تثبيت اركان دولته. وما ان تم له ذلك اضحى من اشد المعادين لكل ما يمت لإل بيت النبوة بشيء. وبهذا سعى الى نفيي هذه الشعائر خارج التاريخ وذلك للتضييق علي احد منابع الفكر الذي يدعو الى العدالة الاجتماعية والخلاص في التحرر من عبودية التسلط المطلق.

---

١) جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، خرج احاديثه أحمد بن شعبان بن ابي احمد، القاهرة، مكتبة الصفا، ط.١، ٢٠٠١.،ص.٢٦١.

يعود الايغال في العداء للزيارة الاربعينية كما مر سالفا الى ان الحكم العباسي تبنى مبدأ الانتصار للبيت العلوي ورفع الظلامة عنه ولكنه في الوقت ذاته رأى في ممارسة هذه الطقوس خطوة تهديد تنتهي الى نوع من المفارقة. فحاولت بكل ما اوتيت من قوة القضاء عليها قضاء مبرما ولكن يشاء الله ان يقوض لهذه الزيارة اسباب استمرارها لأنها تستمد وجودها من مبادئها السامية. مع ذلك، تشهد العداء في كل مرة مع السلطان الجائر الذي تبقى مصدر قلق له وتهديد كما حدث ابان النظام البعثي الظالم.

زيارة الاربعين في العهد الحديث

ومن جانبها مارست الحكومة الصدامية البائدة ممارسات لا انسانية في التنكيل بالتيارات الفكرية عامة والشيعية على نحو خاص. فقد تمادت الى ابعد درجات الغي في مصادرة كل ما يسعى للتحرر ولو فكريا من الطغمة الحاكمة. لهذا جاءت في اولويات برامجها القمعية السرية و العلنية : التضييق على كل من يعرب عن عدم انسجامه مع الخط البعثي المتسلط على رقاب الناس قولا او فعلا. وبما ان الزيارة الاربعينية هي من اكبر التظاهرات التي تمثل تهديدا ملموسا للنظام كونها تستمد استمراريتها من النهوض ضد الظلم و الطغيان. لهذا عانت الشيعة الامرين حيث اعتادت الدولة ان تشن حملات تصفيه طالت حتى تلاميذ المدارس المتوسطة ناهيك عن القمع و التغييب الذي لقيه طلاب المدارس الدينية والمفكرون الاسلاميون.

فان تظاهرة عارمة تتمثل في الزيارة الاربعينية كانت بالأجدر وفق مقاييس القمع البعثي ان تدرس وتطمس معالمها ولا يسمح لأي كان ان يمارسها كما يشاء. لكن من جانب اخر لعب نظام البعث في العراق دورا مضطربا وخبيثا ازاء الشعائر الحسينية، فتارة يعلن بأنه سليل الدوحة المحمدية ليقيم تحت عناوين مختلفة الولائم التي تقام كجزء من مراسيم الزيارة الاربعينية وتارة اخرى يدس ازلام نظامه وسط التجمعات التي تمارس

هذه الشعائر بغية ابادتها. وقد تفننت الطغمة الحاكمة في العراق في استخدام انواع الاسلحة والتعذيب والسجن بحق الشيعة لا سيما عند انطلاقة الانتفاضة الشعبانية في النجف الاشرف في ١٩٩١م، حيث كان النظام الصدامي يقمع و يمنع كل من يمارس شعيرة المشي الى الامام الحسين (عليه السلام). شهدت اضرحة الائمة (عليهم السلام) الكثير من انتهاك الحرمة وكذلك تحمل أتباع ال بيت النبوة من التقتيل وهدم الدور والمساكن حينما أسفر النظام عن وجهه الحقيقي عندما ادرك ادراكا تاما بانه لا ينفع التعامل مع الشيعة في اللعب على وتيرة الحس الديني وبالخصوص ان ابناء الشيعة ورثوا حب الامام علي واولاده بالطبع وصار هذا العشق والتعلق يسري مسراه منهم في الدماء. وبالتالي دفعت الشيعة ثمنا باهظا في اتباعها مذهب ال البيت كلفها السجن والقتل والتهميش في الحياة عامة ما خلا بعضاً ممن لا يعنيه الامر في شيء ولا يرقب ذمة ولا ضمير.

ولا أريد ان اخوض في اشكال العداء الجديد القديم الذي يكنه المذهب الوهابي لجميع ممارسات الطائفة الشيعية. ويورد السيد محسن العاملي بعض اشكال العداء الاعمى لكل ما يمت بصلة للشيعة وممارساتهم حيث يقول : "ولا نزال نسمع ونقرأ في كتب بعض الاخوان المصريين الباحثين من اهل العصر أمثال الرافعي و احمد أمين وغيرهما الفاظ الذم والنقد والرمي بالعظائم في حق الشيعة بدون مسوغ ولا مبرر بل تقليدا لما قرأوه وسمعوه ورسخ في أذانهم وتشويها لوجه التاريخ، ليس سببه الا السياسة[١]"

فلذا السبب لا نستغرب ان نشهد ابشع هجمة شرسة دموية في التأليب على الشيعة كما لو أنهم من غير المسلمين. لكن ممارسة ابشع الجرائم بحق اولئك العزل الا

١) السيد محسن الامين العاملي، الشيعة في مسارهم التاريخي، تقديم د. ابراهيم بيضون، قم، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، ط. الثانية، ٢٠٠٥، ص١١٩.

من حب محمد وال محمد لا يزيدهم الا اصرارا في تحدي ذلك الارهاب على جميع مستوياته. وانطلاقا من ايمان مطلق بمظلومية الحسين تقوم شيعة العراق بتحمل الدور الرسالي في ايصال صوت هذه الشعيرة الى الافاق لتكون الزيارة قد حققت انتقالة نوعية في الاداء ولا سيما بعد انهيار صنمية القمع الصدامي في انفتاحها العالمي.

تنامي الزيارة وسعة افقها العالمي

أن كل عمل صالح تترسخ جذوره في الارض وتتعالى فروعه في السماء وما هذا الطقس التعبدي في زيارة الاربعين إلا مثل يحتذى به. ولا نحتكر كمحبين لآل بيت النبوة ميزة هذه المناسبة، لكن المراقب المحايد لهذا التجمع الهائل الذي تتلخص احد ميزاته بتذويب الطبقية العنصرية بل وجميع التمايزات الاخرى لتبقى ميزة الاخلاص لهذه الشعيرة في تكاملها الانساني هي الميزة الوحيدة التي اكتسبت مكانتها من مكان صاحبها الذي اختصم فيه حتى اعداءه حسب ما يروى بعد انتهاء المعركة[1].

لهذا اكتسبت الزيارة عظمة في التاريخ وقد بدأت بشكلها الحديث في اواسط القرن التاسع عشر الميلادي منطلقة من مدينة النجف الاشرف التي تطورت لتشمل مئات الافراد. وهكذا اخذت الزيارة في التنامي من الحشود الى الملايين في بداية القرن الحادي و العشرين الميلادي وحسب ما يذكر الباحث علي المؤمن بان الاعداد التي توافدت لممارسة هذه الزيارة بلغت الملايين وهي تعد بهذا من اكبر المسيرات الراجلة متعددة الجنسيات عرفتها البشرية في تاريخها الحديث[2].

---

١) الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، نور الابصار في مناقب بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم، بيروت، دار الجيل، ٢٠٠٠. انظر الصفحات ٢٥٦–٢٦٨ و الصفحات التالية.

٢) يجرد الباحث علي المؤمن التجمعات السلمية على مر التاريخ في مقالة له لتبيان اهمية الزيارة الاربعينية مع التجمعات السلمية في العالم.

وجاء الانفتاح العالمي الاخير على مراسيم الزيارة الاربعينية لأسباب عديدة منها على سبيل المثال وليس الحصر: برهنة الفكر الشيعي على سلمية الفكر الاسلامي وعدم الانزلاق في طروحات التكفير و الإقصاء، بل اكد علماء الشيعة على تبني الحوار والتأكيد على نقاط الالتقاء مع الاديان الاخرى. وما الأبحاث التي كرست لدراسة ثورة الامام الحسين وإشعاعها العالمي لهو خير دليل على أهمية الثورة التي تلتقي مع جوهر الدين في نزوعه الى احترام الانسان كقيمة عليا وكذلك مقارعة الظلم. ان مقولة الزعيم الهندي غاندي تعكس التمسك بنهج الإمام الحسين(عليه السلام) في عدم مهادنة الظالم والركون الى الحياة دون كرامة. فأضحت هذه الثورة نبراساً يحتذى به كل ثوري حين قال غاندي تعلمت من الامام الحسين ان اكون مظلوما فانتصر.

دفعت كذلك هذه القراءات المنصفة لثورة الامام الحسين (عليه السلام) إلى قيام بعض المفكرين او الكتاب في تحمل مسؤوليتهم الاخلاقية لكي يسهموا في لعب دور ايجابي في التعريف بهذه المواقف البطولية لشخصيات الطف العظيمة. نذكر مثلا الكاتب اليوناني نيكوس كازنتزاكي[1] الذي يذكر في كتاب سيرته الذاتية بأنه يشعر بجريان دماء عربية في عروقه تمتد لتلك الصرخة التي اطلقها العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في كربلاء لنصرة اخيه المظلوم. هذا الشعور بالانتماء يبرهن على التقاء الفعل الانساني الخلاق في رفض قيم الاستلاب فيأبى إلا ان يعرب عن رفضه ولو كلفه ذلك حياته ليخلف قبسا من شعلة وهاجة للأجيال لا تخبو أبداً.

ولا نستغرب ايضا ان تشارك الكاتبة الالمانية كاتلين كوبل، في العام ٢٠١٤ ،ملايين الزائرين في زيارة مرقد الامام الحسين(عليه السلام) حيث قالت في لقاء لها مع وكالة نون

١) انظر كتاب نيكوس كازنتزاكي، الطريق إلى غريكو ج ٢.، ترجمة ممدوح عدوان، بيروت دار ابن رشد للطباعة و النشر، ١٩٨٠.

الخبرية[1]: "اعرف الكثير عن عاشوراء وما جرى على الامام الحسين (عليه السلام) لذا انا انوي ان أؤلف كتابا بعنوان (طريق الحرية) يتحدث عن زيارة الأربعين والمسيرات المليونية الهائلة فانا اهتم بالشرق وبالإسلام لذا انا هنا من أجل أن أتعايش مع الحدث ولكي اكون اكثر دقة في نقل الاحداث.

الحقيقة أن رأياً موضوعياً يرى بعين منصفة لهو جدير بالاحترام ليس لأننا بحاجة لتعميق قناعتنا لكنه يعكس حقيقة مدى تنامي هذه الزيارة و التعامل معها كظاهرة ايجابية لا يمكن تجاهلها بل هي تعد طريقا نحو الحرية.

وهذا هو ما تسعى لتحقيقه هذه الزيارة، حيث تضيف كاتلين كوبل بان هذه المسيرة السلمية لهي جديرة بكشف الجانب السلمي من الدين الإسلامي لذا فاني اريد ان ابين للأوربيين ما غفلوا عنه في رؤيتهم من رسائل السلام التي تشكل محوراً اساسياً في هذا الدين الذي سعى من خلاله آل بيت النبوة ليكونوا المترجم الامين لأخلاقياته بمعنى الكلمة. الحقيقة نستغرب استغرابا يثير فينا تساؤلات كثيرة نأتي عليها في خاتمة البحث من بعض اخواننا المسلمين الذين يغفلون عن النظر بعين الانتماء لهذه الزيارة وبالتالي فإنهم يضيعون على انفسهم استثمار طاقة هائلة تنير ظلمات الدروب في السعي نحو الحرية.

---

١) نقلا عن https://www.dorar-aliraq.net/threads/٤٢٨٨٣٠ حيث شاركت الكاتبة الالمانية كاتلين كوبل في المسيرة الأربعينية المليونية للعام ٢٠١٤ التي رسخت الكثير من قناعاتها بان الدين الاسلامي دين سلام بفضل بركات الزيارة.

خلاصة البحث

كما اسلفنا خلال البحث ان أي مجتمع بحاجة الى مستوى عال من التماسك الاجتماعي وذلك لكي يصبح قادرا على تطوير النظم الاجتماعية التي تسعى الى اشباع النوازع الاساسية لأعضاء المجتمع. لهذا فان الزيارة الاربعينية تتناسب تماما مع تطوير وبناء ذلك التماسك الاجتماعي بصفتها ظاهرة تمارس على نطاق واسع لدى المسلمين الشيعة خاصة ومن لدن الطوائف الاخرى. فهي ظاهرة تستحق وقفة تأملية ولابد ان تلقى اهتماما متزايدا يتناسب مع الانجازات التي تحققها وتلك التي ما زالت على طريق التحقق لخدمة الانسانية بعيدا عن التخندق المذهبي الضيق.

الحقيقة ان طقسا يستمد شرعيته من أشرف وأنبل العادات والتقاليد في موروث الأمة الاسلامية والذي يندرج تحت عناوين كبرى الحركات الاصلاحية التي تجاوزت محنة الفكر المجرد حبيس الابراج العاجية. كون الشعائر الحسينية تستند الى الفعل الذي يتبلور حوله عمل الدين من خلال الايمان كطاقة روحية لها مردود ايجابي في حياة الامة.

فالسائرون على نهج ثورة ابي الاحرار لم يكونوا حبيسي الشعارات او الاقوال وإنما كسروا قيد النظرية لتكون شاهدا على تلاحم الايمان بالفعل الثوري الذي لا يصادر الدنيا انطلاقا من مسلمات أخروية يعتقد انها تشكل حقائق قبلية لا تقبل النقاش وتحل لديه محل حركية الفعل وضرورة التقدم كي لا ينغلق على حركة التاريخ وبالتالي تكون مجرد طقس تعبدي بعيدا عن التغيرات العميقة التي طرأت على الدين من خلال الممارسة السياسية وتأثيرها السلبي على الدين نفسه وحسر دوره في ممارسات وطقوس غير مجدية من خلال اقصاء الدين عن التأثير المباشر في الحياة، كما هي النظرة الرسمية للدين في تجربة العقلية العربية المسلمة التي تعاني من التصلب الذي يصل حد الجمود احيانا تحت مسميات القدسية التي لا يمكن المساس بها.

بعد الذي تقدم آنفا نستطيع القول أننا نسعى لان نتمكن في هذه الزيارة الاربعينية من انجاز التحول الكبير من مستواها التعبدي و الطقوسي الخالص الى مستوى وعي منفتح و متطور، فاعل ومؤثر في التجمعات البشرية التي تنشد الخلاص والحرية الفكرية من خلال الدين كمحرك وحافظ للهوية في جدلها من النظرة السكونية بعيدا عن الانزلاق في مهاوي الارهاب الفكري او العنف القسري الذي يمارس ضد الاخر المغاير.

إن تفحصاً واعياً لحركة الزيارة الاربعينية لكل منصف في التاريخ يجد انها لم تكن اسقاطا لعالم طائفة منغلقة على ذاتها، بل هي طريق منفتح على الاخر وفق مقاييس التكامل الانساني في خلق مناطق احتكاك ايجابية للتأثير المتبادل مع الاخر أيّاً كان حيث تبدأ دائماً حسياً و انفعالياً لتنتقل في المرحلة اللاحقة إلى وعي ثوري. فالشرارة الأولى لكل وعي يبدأ بالتدرج المنطقي حتى المعرفة في منهاجها تتبنى هذه الخطوات في الوصول الى اهدافها السامية. اذا نبدأ بالملموس فأننا نستذكر كل كربلاء روحا وانتفاضة وثورة تتجاوز الاطر النظرية والتجريد بل ونستنطق التاريخ في كل وقفة من وقفات الإمام وخروجه مع عياله ونفر من أصحابه.

تعد الزيارة وفق هذا التصور تجربة الروح الثورية في ممارساتها الحياتية حيث كل عضو يشعر بالانتماء لهذا النسغ الثوري يمارس ويعلن ثورته بطريقته الخاصة. لهذا السبب ان المسير إلى كربلاء لا ينتهي بمجرد البكاء كما يدعي البعض. بل حقيقة هذه الشعيرة تجعلنا نتمثل تاريخ الطغيان البشري بجميع اشكاله وحينما نكون على طريق الحرية فإننا في وحدة لا يهيئها لنا أي تجمع اخر.

ألم يشكل هذا التجمع الهائل في الزيارة الاربعينية وعيا تاريخيا مغايرا لتاريخ السلطة القمعية؟ في الواقع يتصف هذا الوعي بكونه وعياً منزوعاً منه القشور، وعي التقاء الحقيقة وجها لوجه مع الوجدان. وبهذا تكون الزيارة ملجئاً لكل من ضاقت به الحياة لينفتح على وعي صاف بعيدا عن عملية اللجم المبرمج وبعيدا عن القيود التي توضع

على عنق الانسان قبل ان يدخل الى محراب التاريخ الحقيقي الذي كتب بالدم العبيط لفتية امنوا بربهم ونذروا ارواحهم لإنارة مستقبل ايامنا القادمة.

ألم يشكل هذا الوعي الجديد الذي ينبني على الوجدان ضربا من التحرر من التقليد الاعمى لسياسة متحجرة اسست ساحة صارت لها الغلبة على التاريخ وبالتالي فأنها اسست لبؤس التاريخ؟.

الحقيقة ان الزيارة بعد كل ما تقدم مناسبة حقيقة لتخرجنا من بؤس التاريخ الى نور العقل الذي يشكل وعيا مغايرا. لذا وبكل انصاف تدعونا مظاهر الزيارة الاربعينية في وحدة مشروعها الاصلاحي للبدء من الاحساس بعمق المأساة الذي يهيئنا للثورة. فلابد أذن من احساس ليحدث الوعي وهذا هو ما يحصل تماما في المسيرة الاربعينية حيث تخرج من الممارسة الطائفية إلى وعي عالمي يدعو الانسان لمساءلة التاريخ لكي يكتب تاريخ المهمش فيسنتصر.

مصادر البحث

- ألحسيني، ادريس، **لقد شيعني الحسين، الانتقال الصعب في المذهب و ألمعتقد** ، منشورات دار الاعتصام للطباعة والنشر، 1415 هجرية .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، **تاريخ الخلفاء**، خرج احاديثه أحمد بن شعبان بن ابي احمد، القاهرة، مكتبة الصفا، ط.1، 2005.

- الشبلنجي ، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن ، **نور الابصار في مناقب بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم** ، بيروت ، دار الجيل ، 2000.

- شايغان، داريوش، **ما الثورة الدينية الحضارات التقليدية في مواجهة ألحداثة**ترجمة وتقديم د.محمد الرحموني، النجف ، دار الفكر الجديد ، دون تاريخ.

- العاملي ، السيد محسن الامين ، **الشيعة في مسارهم التاريخي** ، تقديم د. ابراهيم بيضون ، قم ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، ط. الثانية، 2005.

- ليلة، د. علي ، " الدين والحاجة الى التماسك الاجتماعي. دور الرمز في الاديان عموما" ، **مجلة عالم الفكر** ، ع. 3، المجلد 40، يناير /مارس 2012.

- المدرسي، محمد تقي ، **ألتاريخ الاسلامي دروس وعبر** ، طهران ،دار المدرسي للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة 1997 .

.

.

الاشارات السيميائية في الشعر الحسيني

وأثرها في توجيه مسيرة الأربعين

- شعر مصطفى جمال الدين أنموذجاً -

المدرس الدكتور شيماء عبد الحسين الحجامي

جامعة الكوفة / كلية التخطيط العمراني

المقدمة

ثمة تأملات وأنت تلجُ قصائد الشعر الحسيني، ولا سيما عند الاشتغال مع رائعة من روائع هذا الشعر تلك القصائد المتعشقة بحب الإمام الحسين (عليه السلام) جسداً، وروحاً، فهي مبعث للتأمل والتفكير، والبقاء والخلود، ورمزاً للإيحاءات والاشارات التي نجح الشاعر في جعلها لوحةً اعادت الواقعة من جديد وسارت بها إلى آفاق معرفية أخذت أبعاداً فلسفية، ودينية، ونفسية، إذ تنساب احداث واقعة الطف في أبيات القصيدة بلوحة فنية رسمتها فرشاة الشاعر، لتنسج خيوط الاحداث وتبثها على مسرح الازمنة فتنساب لتُنبأ عن معالم نفسية، وأخرى رمزية، مُتكئة على مفردات سكنت الأبيات بصورة (جمل وتراكيب) حاملة معها اشارات دلالية وهذا ما لمسناه في شعر الشاعر مصطفى جمال الدين، إذ رسمت قصائده الحسينية الواناً إشارية امتزجت بعضها مع البعض الآخر في لوحة سيميائية لتمنحها بعداً دلالياً للأحداث القادمة، وهذه العلامات التي ارتبطت بعضها مع البعض الآخر في فضاءات النص شغلت ارتباطاً بين مستوى العمق الدلالي مقابلة بالمستوى السطحي تربعت هذه العلامات على عرش النص لتأتي بأشكال مختلفة جاءت على شكل اشارات مكانية، وأخرى زمانية، وثالثة لونية، والأخيرة كان لها الحظ الأوفر في أبيات القصائد، ولعل سبب ذلك يرجع إلى تفاصيل الاحداث التي لعب بها اللون دوراً حياً ولا سيما اللون الأحمر الذي كان رمزاً للاستشهاد، والتضحية، فضلاً عن اللون الأبيض الذي كان رمزاً للحق، والعدل، والنصر مثلاً. ومن هذا المنطلق تأسست فكرة الدراسة إزاء نقطة اشعاع دلالية جعلت النص الأدبي حياة مُفعمة بالإشارات المُستحقة للدراسة الدقيقة إذ تكمن روح التمرد في داخل النص تلك الروح التي أصبحت مناراً ثائراً تعاقبتهُ الأجيال لغرس بذور التحرر من القيد المتمثل بالاستعباد، والذل إلى المطلق المتمثل بالعدل، والمساواة. وقد أخذ البحث على عاتقه: مناقشة وعرض الرؤى والأفكار لكل العلامات السيميائية التي وردت في النص الشعري، والتي شكلت عبرها شرحاً للأحداث المرافقة للواقعة، فضلاً عن انعكاس تأثيرها على واقع الأمة الإسلامية عبر تأريخها إلى يومنا هذا.

الاشارات السيميائية في الشعر الحسيني

مصطفى جمال الدين انموذجاً

شهد القرن والعشرون حِراكاً معرفياً واسعاً اشتمل حول النقـد والنظريـة النقديـة اسفر عن البحث عن جانبين:

الجانب الأول: يتمثل في المناهج الخارجية للنصوص المتمثلة، بالمناهج الاجتماعيـة، والنفسية، والتاريخية.

أما الجانب الثاني: تمثل في المناهج الداخلية للنص معتمدةً بالدرجـة الأسـاس علـى الجانب اللغوي، والمضمون الفني. وبما أن اللسانيات تختص بدراسة النص بوصـفه بنيـة لغوية من دون التعامل مع العناصر والعوامل الواقعة خارجـه، لـذا فقـد اطمـأن النقـد لُمسلماتها الساعية للكشف عن وظيفة النص الجمالية والأدبية التي تمثل مركـز التواصـل الكلامي، كما جاء في مخطط ياكبسون [1]:

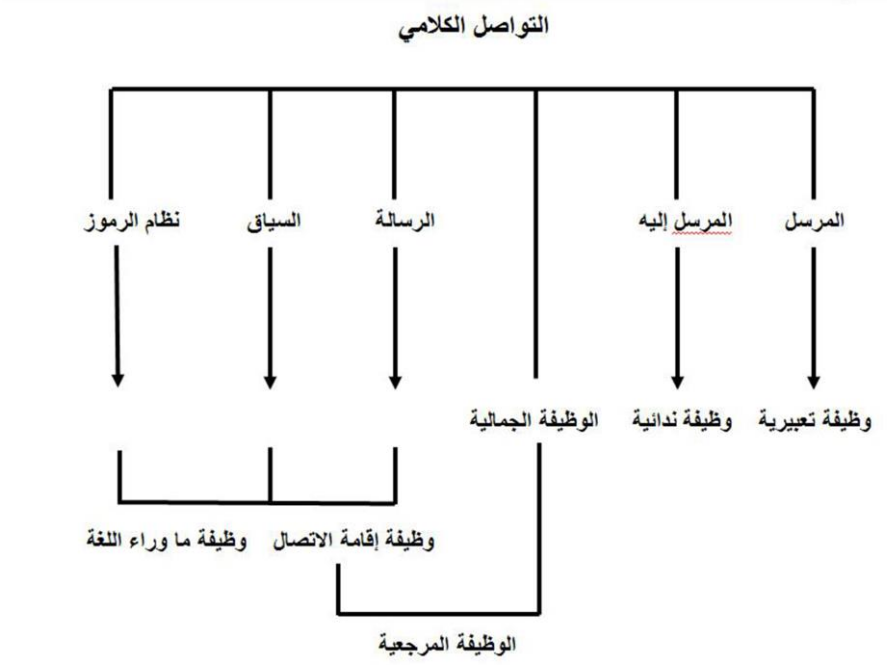

١) ظ: السيمياء: بيا غيرو، ترجمة انطوان أبو ريد، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٤م: ٩ـ١٣.

فإذا تجاوزنا ما يشي به القول في اللساني من جهة ما هو تقنين الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، وجدنا أن اللساني نفسه قد اخذ يمتد ما وراء ذلك، فاشرأب نحو الجملة إلى تأسيس نظام نحو النص، وطمح إلى أن يقدم بديلاً لسانياً لنقد الأدب، بل اتخذ الخطاب بتجلياته المتنوعة كلمة مفردة أو نصاً أو عنواناً مادةً للوصف والتفسير يفتش عن أسرار بنيته، وتماسكه ووسائل اتساقه وانسجامه، يتجاوز في ذلك الروابط المتعارفة من دون أن يغفلها إلى الروابط المستكنة المدلول عليها، ودوال السياق التخاطبي بأبعاده جميعاً، وأصبحت مقاربة اللغة بتمثلاتها موضوعاً شائقاً للتحليل والتفسير، وإذا كانت النظرة إلى اللغة ابتداءً بما هي نظام من العلاقات الجزئية، فإن النظرة إليها أصبحت لوحة سيميائية.

من الجدير بالذكر إن علم السيمياء لم يكن وليد العصر الحديث، بل هو علم قديم النشأة اهتدى القدماء من العرب، وغير العرب إليه، فهو يُعد فرعاً من علم اللسانيات بالرغم من أن السيمياء لم تظهر كعلم أو منهج علمي له أسسه وقواعده إلا مؤخراً فافلاطون في كتابه (cartyle) افرد اهتماماً خاصاً في ذلك، إذ أكد إن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة تلاؤم طبيعي[1] ثم يأتي بعده القديس أوغسطين الذي أرسى القواعد الأولى لنظرية التأويل وهكذا بقي التأمل في العلاقات أهم ما يميز بحوث ودراسات القرون الوسطى[2].

١) ظ: ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين: عامر بن شتوح، جامعة قاصدي مرباح، ٢٠٠٩م:٧.

٢) ظ: السيميائية والسيمولوجيا: خيرة عون، مقال ضمن مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسطنطينية، ٢٠٠٢م: ٢٠٤.

ولعل اعتماد السيميائيات على بُعد الدلالة أو العَلامة التداولي جعلها تقترب من التأويل[1]، إذ أن الدلالة هي إحدى العناصر السيميائية التي يتحقق عبرها المعنى الذي يشتمل على القصد والتركيب.

إن الذي يميز التأويل الدلالي اعتداد بشكل خاص بالفاعلية الإنسانية القادرة على انتاج الفهم والدلالة[2] بيد أن السيميائية تتعدى ذلك بالوصول إلى الأحكام النقدية بمعنى أن ما يقدمه التأويل الدلالي يُعد مادةً أولية خام لمستوى تأويل آخر هو التأويل السيميائي أو النقدي.

أما عند العرب فان علم السيمياء لم يكن علماً واضحاً له وجوده إلا أن هنالك إشارات واضحة لهذا المصطلح منها سيمياء، وسيماء، لدى ابن خلدون وابن سينا، وهذه الإشارات تكاد تصب عندهما في قالب واحد هو علم التأويل والدلالة [3].

يعتبر فرديناند دي سوسير أول من أشار إلى هذا العلم أثناء دراسته اللغوية في معرض إشارته إلى علم يدرس حياة العلاقات الذي هو جزء من علم النفس الاجتماعي والذي أطلق عليه السيمولوجيا ذلك العلم الذي يدلنا على كنه وماهية العلاقات، إذ جعل الألسنية جزءاً من هذا العلم[4]. إن ما يقبله دي سوسير العلامَة = الدال / المدلول إذ تحيل إلى اشارة مكتوبة أو منطوقة، ومفهوم التصور الذهني، ومن ثم فان العلامة عند سوسير: (وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً يتطلب احدهما الآخر)[5].

أما بيرس فهو أول من أرسى قواعد السيميائيات كعلم إلى جانب العالم اللغوي دي سوسير، فقد أطلق بيرس على السيميائيات مصطلح السميوطيقا، وقد استعار هذا المصطلح من التسمية التي أطلقها جون لوك على العلم الخاص بالعلاقات والدلالات

---

١) ظ: التأويل والعلاماتية: آرت زويست، ترجمة: منذر عياشي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٤م: ٤٥.

٢) ظ: السيميائية اصولها وقواعدها: جان كلود جيرو: ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: عز الدين المناصرة، ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م: ١٠٥ـ١١٠.

٣) السيمياء أصولها وقواعدها: ميشال أريفيه، ترجمة: رشيد بن مالك، د.ط، منشورات الاختلاف، الجزائر: ٢٣.

٤) ظ: مباحث في اللسانيات: احمد حساني، الجزائر، ١٩٩٤: ٣٠ـ٣٢.

٥) الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر: خلف عصام كامل، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣: ٢٤.

المنبثقة من المنطق. فالعلامة عند بيرس قد تكون لغوية او غير لغوية وترتكز على ثلاث ركائز: القرينة (index) وقد عرفها بأنها العلاقة التي تحيل إلى الشيء الـذي يشـير إليـه لوقوع هذا الشيء عليها في الواقع، فضلاً عن ذلك فالعلاقة سببية وليسـت اعتباطيـة، فالدخان يعني النار، والأيقونة (icone): ويحكمها مبدأ التشابه بين الدال والمدلول ومثال ذلك عنده الصور الفوتغرافية، والرمز (symbole): والعلاقة هنا تكون عرضية محضة غير معللة فهي عنده (علاقة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليـه بفضـل قـانون غالبـاً مـا يعتمد على التداعي بين أفكار عامة وهذا النوع هو العلاقة الحق عند بيرس)[1]، يقابـل هذه الأصناف للعلاقة عند بيرس أصناف الدلالات عند المفكرين من العرب إذ يقسمون الدلالة إلى: طبيعية (أيقونة)، وعقلية (قرينة)، وتواضعية (رمز)، إن موضوع السيميائيات هو العلامة سواء أكانت لغوية أم غير لغوية من حيث طبيعتها، والكشف عن القـوانين المادية والنفسية التي تحكمها، وقد اتفقت مختلف التعاريف حول السيميائية على ذلك.

ومن الجدير بالذكر إننا لا نسـتطيع أن ننكـر أن السـيميائيات ظلـت تقتفـي اثـر سوسير في أنها تؤكد على الجانب القصدي والتواصـلي للعلامـة، وهـذا التواصـل هـو نتيجة انعكاس لطبيعة اللسان من حيث هو نظام تواصلي[2]، إذ أكد أن السـيمياء هـي الأصل واللسانيات هي الفرع بقوله: (أن اللسانيات ليست سوى فرع مـن هـذا العلـم العام، والقوانين التي ستكشفها السيميائيات ستكون قابلة لان تطبـق علـى اللسـانيات وبذلك جعل سوسير السيميائيات أُماً واللسانيات فرعاً منها)[3]، أمـا العلاقـة الرابطـة بينهما فهي علاقة تفسير، زد على ذلك فقد جعل سوسير السيمولوجيا أُماً واللسانيات فرعاً منها وقد اعتمد في جزمه علـى أن السـيمولوجيا أكثـر شموليـة في مجـال دراسـتها لمختلف العلامات في الحقل الاجتماعي، بعكس اللسانيات التي يحدد مجـال دراسـتها في اللغة.

إن اللغة بطبيعة تكوينها تعد نظاماً قائماً على مجموعة من الآليات التي تعمـل بهـا، وهذا النظام ليس مجرد إصدار أصوات معينة، بل أنَّ هذه الأصـوات تعمـل وفـق نظـام

---

١) سوسير رائد علم اللغة الحديث: محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م: ٢٨.

٢) ظ: مباحث في اللسانيات: ٤٩.

٣) اللسانيات وأسسها المعرفية: عبد السلام المسدي، الدار التونسية، ١٩٨٦: ٦٧.

دقيق تحكمه قوانين وأعراف، وهذا ما وجدناه عند الشاعر مصطفى جمال الدين الذي اهتم بدلالات ألفاظه واستغرق في مضامينها، إذ تركز معجمه الشعري ولا سيما قصائده الحسينية على ثلاث محاور: منها ما هو زماني، ومنها ما هو مكاني، والثالث لوني، يقول في مطلع قصديته:

ذكراك تنطفئ السنين وتغربُ ولها على كفِ الخلودِ تلهَّبُ[1]

لا الظلم يلوي من طماحِ ضرامها أبداً، ولا حقدُ الضمائر يحجُبُ

ذكرى البطولة ليلُها كنهارِها ضاحٍ تؤجّ بهِ الدماءُ وتلهَبُ

لو تمعنا النظر فيما تقدم نجد ثلاث مستويات من الاشارات السيميائية الدلالية وهي:

المستوى الأول ⟸ الهيمنة الزمانية

المستوى الثاني ⟸ الهيمنة المكانية

المستوى الثالث ⟸ الهيمنة اللونية

والنص وصف دقيق لهدف الإمام الحسين (عليه السلام) وثبوتية الحق، وكل هذه السمات الاشارية تُفضي إلى دلالة نفسية لها علاقة بما جاء به الحسين من حق، وعدل، ومساواة، واصلاح (السنين تنطفئ وتغرب – الظلم يلوي ضرامها – حقد الضمائر يحجب) كلها اشارات سلبية وتشويش لرؤية الحق يقابلها اتجاه معاكس لما جاء به الإمام الحسين (عليه السلام) من أهداف ايجابية تمثلت بالعدل، والاصلاح، وقد عزز هذه الرؤية ما جاء في معجم الشاعر من اشارات لونية تمثلت من اختلاط الليل بالنهار، فالليل باعث إلى السواد، والنهار باعث إلى البياض والوضوح، وأحقية العدل هو اللون الأبيض فجعل الليل مساوٍ للنهار، بل أن النهار تغلب على الليل، فضلاً عن تأطير لوحته باللون الأحمر الذي جعله مصدر اشعاع وتنوير لطريق الحق من خلال اشاراته (تؤج،

١) الديوان: مصطفى جمال الدين: ط٢، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م: ١/٤١١.

اللهب، الدماء) وهذه كلها اشارات إلى بطولة وتضحية. أما سيميائية المكان فقد تمثلت من خلال السياق، وذلك من الاشارات التي أسسها البقاء والخلود في كل مكان مهما تعددت الأمكنة، وقد عضد هذه الفكرة المكانية والزمانية، وجود الاستعارة بقولة (كف الخلود). ويقول:

مــولاي دربُ الخالــدينَ منــورٌ بالذكريات الغُرَّ، سَمْحٌ مُخضبُ[1]

لا يزال الشاعر يدفع بالدلالة إلى العمق الزماني في بطن المكان موحياً بأصالته بقوله (درب الخلود) فضلاً عن دلالة (منور) إذ أن النور هو منبع الضياء وهو دائماً يحيل إلى اللون الأبيض، والأخير اشارة دلالية واضحة للحق، والعدل، والسمو، بعد ذلك ينتقل الشاعر من المكان إلى الزمان المفتوح الذي يُرسخ الهدف السامي للحسين (عليه السلام) بقوله:

حتى إذا التأريخ أرهفَ سَمعهُ ليُعيدَ من صنعوهُ فيما يكتبُ[2]

دوى بآذان الزمانِ هديرُكَ الـــ ــصافي، وضاءَتْ من سناهُ الاحقبُ

في النص وصف دقيق للعدل، والحق من خلال الاشارات الدلالية التي لها علاقة بما صنعه الامام الحسين (عليه السلام)، والتي ظل التأريخ يعيده مهما بقيَّ ومهما تجدد ومهما مضى وقد عضد الشاعر هذه الدلالة بقوله (هديرك الصافي) فالصفاء يعني النقاء، والتجريد من كل شائبة، فالشائبة علامة سلبية تحمل في طياتها معان كثيرة تتجسد بالظلم، والحقد، لذا جعل الشاعر لون الصفاء المضاد للون الشائب الغير نقي علامة سيميائية دالة على قصد الإمام (عليه السلام). ويقول:

---

١) م.ن: ١ / ٤١٢.

٢) م. ن: ١ / ٤١٢.

وتركـت للاجيـال حـين يَلزُّهـا عَنَتُ السُرى ويضيقُ فيها المهـربُ[1]

مولاي أنتَ لكل جيـلٍ صـاعدٍ قـبس يُـنيرُ لـه السُـرى ويُحبُـبُ

يتواصل الاشتغال بعنصر الزمان ووصفه الدقيق لسيمولوجيا الاحداث من خـلال الاشارات المهمة التي تفضي إلى كل متغير فيما يخص الأجيال باختلاف الأزمنة واختلاف الجنس البشري، فضلا عن اشتغال عنصر اللون إذ نجد الشاعر دائماً يشير إلى ما يتعلق بأهداف الإمام الحسين (عليه السلام) إلى اللون الأبيض سواء أكانـت اشـارة صـريحة أم موحية بقوله (يُنير) فالنور ⟸ مركز الضوء ⟸ اللون الأبيض المُطعم بالصفار الخفيف ⟸ واللون الأبيض علامة الحق، النصر، السلام، العـدل. وإذا تأملنـا إلى سمات الإنسان الذي يتصف بالحذق والفطنة نجده يرغب إلى حسن التصرف، والتثبـت، والاقتداء بما هو أحسن واسلم.

يقول وقد أخذت سيميائية اللون ترسم لوحةً ليوم الواقعة:

مولاي يومُـكَ لا يـزالَ كأمسِـهِ في الـدهرِ ريَّـانَ الضـحى يتلَهَّـبُ[2]

يزهـو بغرتـهِ الأصـيلُ وينـثني بجـلالِ مـا وهـبَ الشُـروقُ المغـربُ

فَـدَمٌ أَرقْـتَ كأنـهُ مـن جِـدَّةٍ الآنَ يَعطُـرُ في الثـرى ويُخضـبُ

الضحى ⟸ اللون الأبيض ⟸ باعث للحق

اللهب ⟸ لون احمر متوهج ⟸ باعث للحرب والقتال

---

١) م. ن: ١/ ٤١٣.

٢) م. ن: ١ / ٤١٤ – ٤١٥.

الشروق ⟸ لون ابيض واضح مُشِع ⟸ باعث لولادة النصر

المغرب ⟸ لون مائل إلى السواد ⟸ باعث إلى الحرب

دم ⟸ لون احمر قاتم ⟸ باعث إلى التضحية والاستشهاد

الثرى ⟸ لون مائل إلى الصفرة ⟸ باعث إلى الاستقرار

إذا في الأبيات اشارات نفسية مهمة تُفضي إلى ثبوت فعلي لكل متغير زماني ممكن أن يحصل بمرور الزمن فاشتغلت الاشارات في الدلالة إلى التوجس بسمو الهدف اشتغالاً فاعلاً بحسب عناصر الدلالة المتوافرة في الأبيات المذكورة فما توارد الاشارات اللونية بمثابة لوحة رسمت كل تفاصيل الهدف السامي الذي جاء به الحسين (عليه السلام)، ويقول:

والبازغين ضحىً، وقد ذهبوا يتساقطون تساقط الشُّهُبِ [1]

والمالئي وجه الثرى جثثاً والصابغية بالدَّمِ السَّرِبِ

في البيتين أخذت سيميائية اللون تلعب دوراً فاعلاً ومهماً رسمت ملامح الاشخاص وصفاتهم وقد تظافر مع هذه السيميائية التشبيه ليرسم لوحةً مشرقةً لأبطال الواقعة فتشبههم

بالضحى ⟸ اللون الأبيض، الصفاء، النقاء، الصدق، الايمان

الشهب ⟸ اللون الأبيض

الدم ⟸ اللون الأحمر ⟸ باعث إلى التضحية، الفداء، الموت

---

١) م.ن: ٢ / ١٦٦.

فأخذت فرشاة الشاعر ترسم خيوط الاحداث على مسرح المعركة إذ تتجلى بدقة وتنساب بين عوالم نفسية، وأخرى فلسفية، وثالثة رمزية، متكئة على مفردات راوحت بظلال المعركة تمثلت هذه المفردات بالألوان فجاءت على شكل (جمل، وتراكيب) نسجت تفاصيل المعركة بكل تجلياتها، وما يزال الشاعر ينتقل بنا في وصفه مسرح المعركة، وتبادل الصور الموحية والمليئة بالاشارات إذ أخذت سيميائية المكان مأخذها في رسم الهدف المقصود، فيقول:

والنار يلقاها (الخليل) كما يلقى الخميل ببردهِ العَذِبِ [1]

إن لحظة التصوير السيميائي، وبناء الصورة بدأت على أساس الاستنتاج والتأسيس من خلال طرفي المواجهة (الموت، والحياة) و (العدل، والظلم) تلك الثنائية القائمة في اعماق كل نفس إنسانية، فاخذ عنصر المكان يأخذ مأخذه في تجسيد الفكرة، فضلاً عن سيميائية اللون فلون النار لون مائل إلى الأحمر وهو مدعاة للحرب، والتوهج لكن سرعان ما يعادل الشاعر الفكرة باشارة لونية أخرى تمثلت بالخميل وهو الأرض السهلة اللينة، لون مائل إلى الأصفر الباهت، الداعي إلى الاسترخاء، والركود، والاستقرار، والراحة، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على تفضيل الموت والاستشهاد على الذل والخضوع والاستسلام. وما زالت الاشارة اللونية تنسج خيوطها لتوضيح كل تفاصيل الواقعة فيقول:

ورأوا بنودَ عداكَ قد رسمت في الأفق أشكالاً من السُحبِ [2]

يُمطِرنَ ألواناً من العَطبِ ويُسِلنَ أرواحاً على التُرُبِ

---

١) م. ن: ٢ / ١٦٥.

٢) م. ن: ٢ / ١٦٣.

يصور الشاعر عبر لوحة سيميائية اشارية تصويراً دقيقاً لقصد أعداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وحيلهم، ومكرهم، جاعلاً من اللون مادةً لوصف ما يتصفون به من كذب ورياء.

فالسحاب ⟸⟹ لون ابيض فيه خيوط من السواد ⟸⟹امتزاج الألوان، عدم الوضوح، التظاهر بشيء واخفاء الحقيقة، كذب، رياء

العَطَب ⟸⟹ السواد الفاحم ⟸⟹ حقيقة الأعداء

التُرب ⟸⟹لون اصفر باهت ⟸⟹ يوحي إلى البراءة

فلحظة المواجهة تكونت من (زمن، لون، حركة) كل هذه العناصر خلقت معادلة واضحة بين الحق والباطل، الحق المتمثل بهدف الحسين (عليه السلام)، والباطل المتمثل بحيل الأعداء ومكرهم ومدى قسوتهم. يقول:

ومجرَّحٌ تَـرِبُ الجـبين هـوى متعثـــراً بمجـــرَّحٍ تَـــرِبِ [1]

مــولاي إن الــدمع يهــزأ بي لمــا ابتســمتُ ليومــك الــذهبي

التأكيد اللوني هنا بدا من تكاتف ثلاثة ألوان (الأحمر، والأصفر الباهت، والأصفر الفاقع اللامع)، ليكون الناتج لوحة رسمت الواقعة بأدق تفاصيلها

المُجرح ⟸⟹ لون احمر، رمز للتضحية

تُرب ⟸⟹اصفر باهت، موطن الاستقرار

ذهبي ⟸⟹اصفر لامع، رمز الحق، والظهور

---

١) م. ن: ٢ / ١٦٥.

عملت هذه الثلاثية اللونية على استكمال عناصر الصورة السلوكية، والنفسية معاً، لتأسيس مرتكزات المواجهة السلبية بين طرفين متضادين (الحق، والباطل)، و (الكفر، والإيمان) يقول وقد أخذت سيميائية الدم مأخذها في ثنايا القصيدة:

ودمٍ يُريقُ لأنّه يغدو به جُوعَ الضمائِرِ إذ تَجِفُّ فتُجدِبُ [1]

ويقول في موضع آخر:

فَدَمٌ أرَقتَ كأنّهُ من جِدَّةٍ الآن يَعطَرُ في الثرى ويُخضُبُ [2]

في البيتين حياة مفعمة بالإشارات التي تكمن بها روح التمرد، والرغبة في زرع بذور التحرر من القيد إلى المطلق، فوجود الدم يُفضي إلى اللون الأحمر، وهو الموت، والاستشهاد، والتضحية، والإصرار.

والثرى، يُفضي إلى اللون الأصفر الباهت، باعث إلى الاستقرار، والرغبة، والاسترخاء، وهذه الاشارات دلالة واضحة على ثبات موقفهم على الحق واصرارهم عليه، فضلاً عن الشجاعة، والجود بالنفس الذي هو أقصى غايات الجود، يعاكس ذلك في الاتجاه بشاعة موقف الأعداء المُفعم بالحقد، والظلم، والاستهتار بحقوق الناس، والدين الإسلامي، فجاءت سيميائية الدم اشارة واضحة شرحت سيمولوجيا الأحداث بكل دقة، فضلاً عن ذلك فقد اشتغلت سيميائية أخرى تمثلت بالحركة والسعي في:

جوع الضمائر ⟸ حركة مضطربة، دوران، بحث.

جِدة ⟸ حركة مستمرة، تجدد، عدم ثبوت.

كل هذه العناصر خلقت روح الشرح والتفصيل، لموقف الطرفين المتضادين موقف (الحق، والباطل)، وهما موقفان متباعدان في الاشارة الدلالية، والبعد السيميائي. يقول:

---

١) م. ن: ١/ ٤١٤.

٢) م. ن: ١/ ٤١٥.

وهم الذين جَرَيْتَ فيهم ثـورةً بيضاءَ تَثبُـتُ للريـاحِ وتَصـلُبُ [1]

وعقيـدةً تزهـو بـأنَّ معينَهـا هيهـات يَفْتُـرُ نَبعُـهُ، أو يَنضُـبُ

في النص اشارات موحية لتعبير سلوكي وهذا التعـبير تـأرجح بـين الفـرح تـارة، وثبوت الموقف والاصرار تارة أخرى، ولتوضيح تلك الاشارات السيميائية:

ثورة ⟸ حركة سريعة غير منتظمة

بيضاء ⟸ لون صافي ابيض، صدق، نقاء.

تثبت ⟸ حركة واحدة منتظمة.

المعين ⟸ اللون الشفاف، الواضح، الحق، الصدق.

فثمة هيمنة حركية ولونية كاملة في النص عملت على توضيح مجرى الأحداث من خلال الدلالات السيميائية التي أفضت إلى نتيجة واضحة للعيان تجلت فيها أحقية الحق وبطلان الباطل، ويقول:

وفَـدَتْ إليـك جنودُهـا زمـراً بيضَ الوجوه تلوحُ كالشـهبِ [2]

(هَزَجَتْ) بلحن النصر حين رأت أنَّ الخلـودَ لجيشـها اللَّجـبِ

يـا باعـثَ الـدنيا وموقظَهـا مـن رقـدة التضـليل واللعـبِ

---

١) م. ن: ١ / ٤١٦.

٢) م. ن: ٢ / ١٦٤.

اشتغلت بنية التشبيه في النص موحية بإشارات سيميائية جمالية واضحة ذات معالم مشرقة في فضاء زمني عَمَقَهُ الليل، فضلاً عن هيمنة حركية تربعت على عرش النص إذ تخللت الآتي:

وفدت إليك جنودها زمراً ⟵ هيمنة حركية منتظمة

تلوح كالشهب ⟵ حركة سريعة خاطفة

هزجت ⟵ هتاف، حركة عشوائية متفاوتة تصاحب الأصوات

باعث + موقظ ⟵ حركة متفاوتة

تظافرت مع هذه الإشارات الحركية إشارات لونية موحية تضمنت اللون الأبيض الداعي إلى النقاء، والحق يقابله في الاتجاه المعاكس التضليل الباعث إلى العتمة وعدم الوضوح، وهو الكفر، والبلاء. وقد تأسست من خلال تظافر هذه العلامات اللونية والحركية الإشراق والانبعاث من الظلمات إلى النور المتمثل بالهدى وباتجاه عكسي من الأسفل إلى الأعلى، وكل هذا يُفضي إلى علاقة بين الشهب (السماء) ؛ لكونها مبعث الحياة، وبين سر الارتباط بالأرض ؛ لكونها مكان الحياة، وهذه الدلالات تُفضي إلى دلالة جامعة وهي الخلود والبقاء، مهما تبدلت الحياة بحياة ثانية وبأجيال متعاقبة تتجدد بتجدد الأزمنة، والأمكنة فهي دائمة ودوامها باعث لدوام الحق. يقول وقد أخذت سيميائية اللون تتعبد في ثنايا الدلالات:

من كل نهارٍ هوايتُهُ التُقى ورقيقُ ظاهرِهِ الصَلاحُ المُعجِبِ [1]

تحققت سيميائية اللون من خلال الألفاظ الآتية:

نهار ⟵ لون ابيض مُشع واضح ⟵ حق، تقى، صدق، عدل.

---

١) م. ن: ١ / ٤١٥.

رقيق ⟸ لون خفيف مائل إلى البياض ⟸ صفاء، وضوح، عدم المراوغة، حق إيمان، نقاء.

العلامات الاشارية في البيت تُفضي إلى بطل تمتع بقوة، وحيوية، وصدق. ويبدو أنَّ عملية الدخول هذه أصبحت بمثابة حكم القدر الذي لا مناص للتراجع عنه إلا عبرَ المواجهة، وهذه المواجهة هي الإذعان إلى كشف الحق، والعدل، والايمان، ومحاربة الكفر والظلم والطغيان وكأنَّ هذه الدلالة تتحرك خطوة بخطوة باتجاه الأزمنة لتكشف وتُرَسخ الحقيقة حتى يومنا هذا.

إن اخطر صفة للشعر هو ارتباطه بالانفعال الذي يغمر النفس المبدعة وهي تعاني تجاربها الفنية قبل أن تخرج في صورتها المادية مُجسدة في شكل فني محدد، فتكون الحاجة ماسة إلى أدوات قد تكون اشارية أو صريحة لكي تدخل في تحديد قوة الانفعال، وتنظيمه، ليتحول من مجرد انفعال بتجربة ما إلى انفعال خلاق منتج يُعيد هذه التجربة ويبعثها من جديد، فالانفعال (هو تلك الحركة الشعورية التي تطغى على النفس، وتسيطر على قواها، فترهنها لحتميتها وتولد فيها يقيناً خاصاً بها) [1].

١) في الأدب والنقد: إيليا الحاوي، ط١، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٠: ٢/١٠.

خاتمة البحث

يبقى السعي إلى اثبات السمات الخاصة بالشعر سعياً مشروعاً ما دام هـذا الجـنس يمتلك السمات الأساس والخصائص التي تجعله فعلاً متميزاً عن سـواه لاحتوائـه علـى عناصر ومكونات تفتقر لها الاجناس الأخرى وان حصل اشتراك من مادة بنائية واحـدة هي اللغة، لكن الأخيرة تختلف في امكانية توظيفها، تلك الامكانية التي وشحَت الـنص الشعري بوشاح الخصوصية، فاستغلال اللغة بالنسبة للشعر هو استغلال خلاق جعـل الدلالات تحمل ابعاداً اشارية ورمزية تبعث بالمتأمل إلى خلق نص آخر من خلال التأمل والتفكر، ولا سيما التأمل السيميائي إذ أن كل مفـردة تخـزن في داخلـها اشـارة دلاليـة تُفضي إلى مفهوم مُبطن، ولا نُغالي إذا قلنا إن هذه الخصيصة هي من خصائص الشـعر من دون سائر الاجناس الأدبية الأخرى.

وقد كان الشاعر مصطفى جمال الـدين احـد الشـعراء الـذين انمـاز شـعرهم بهـذه الخصيصة، ولا سيما قصائده الحسينية، فتنوعت علاماته السيميائية بين اللونية إذ اخـذ اللون (الأبيض، والأحمر، والأسود) يهفو في ثنايا النصوص ليدلو كل منهما دلوه في رسم سيمولوجيا الاحداث فضلاً عن علاماته الزمانية، والمكانية لشرح كل تفاصـيل الواقعـة وأهدافها فلم يكن اختيار هذه العلامات اعتباطياً، لكن جاء عن وعي وادراك وتدبر من قبل الشاعر.

المسير إلى الحسين(عليه السلام)

مسيرٌ إلى الكمال

المدرس المساعد علية مسير رسن

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ))[1]

صدق الله العلي العظيم

١) الحج: الآية ٣٢.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين، ينبغي لنا القول ان لزيارة الأربعين دور مهم في تحريك الفرد نحو الأهداف السامية التي جسدها سيد الشهداء الإمام الحسين(عليه السلام) ونهض من اجلها ابو الأحرار وهي مجموعة القيم التي تتمثل بالإيمان والحرية ورفض الظلم والعدالة والانسانية واغاثة المستضعفين. ولكي يتسنى للمجتمع ان ينعم بهذه القيم ينبغي ان توجه هذه الشعيرة وهي مسيرة او زيارة الاربعين نحو استثمار العواطف لتعريف الناس بتلك القيم، ذلك ان زيارة الاربعينية تمثل اكبر تظاهرة سلمية حضارية وعالمية تنطلق من باب الحرية الدينية والحق في ممارسة الشعائر دون التأثير او الاساءة لأي دين من الاديان او طائفة او مذهب.

كما ينبغي القول ان هذه المسيرة بالإمكان توظيفها لتعزيز التعايش السلمي بين المؤمنين.

لذا كان لهذه الشعيرة الدور الاكبر في إيصال الانسان الى هدفه المنشود وهو الوصول الى الكمالات، ذلك ان التكامل فطرة جبل عليها الانسان منذ وجوده على هذه الأرض وهو دائب يسعى من اجل تحقيق الهدف والغاية القصوى وهي الوصول الى الله تعالى والقرب منه عز وجل.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وآله الاطهار.

المهاد النظري:

ينبغي ومن اجل ان نصل الى المعنى الدقيق لمفردة الكمال ان نقف على الدلالة المعجمية لتلك المفردة فقد قال ابن منظور كمل((الكمال: التمام، وقيل التمام الذي تجزأ منه اجزاؤه، وفيه ثلاث لغات، كمل الشيء يكمل، وكَمِل و كَمُل كمالاً وكمُولاً))[1]

وبما ان الانسان يمتاز عن سائر المخلوقات بالتكامل ولا يعني هنا النمو الجسدي الذي يشترك به مع سائر المخلوقات ولكنه يعني بالتكامل الانساني هو قابلية النفس الإنسانية للتغير الصعودي الذي يسمح للإنسان بالسمو والاحاطة بالعالم المادي وبما هو اعلى من ذلك ويرتقي حتى على الملائكة التي وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة التامة، ولكنه اذا ضاق حظه وضعف يصبح في اسفل سافلين فقد اشار الله سبحانه الى ذلك بقوله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)[2].

وبما ان الشريعة المحمدية لها غايات واهداف جليلة واهم تلك الاهداف ان تأخذ بالإنسان الى الكمال الانساني لتحقيق امر الله سبحانه الذي اشارت له الثقافة القرآنية بالقول: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)[3].

وعندما خلق الله تعالى الانسان جعل خلقه مؤلفاً من عناصر ثلاثة هي العقل والبدن والروح، وحينما رتب تلك العناصر فكان الاسلام من اجل البدن، والايمان لمصلحة العقل، والاحسان لمصلحة الروح، فكان التكامل بين هذه لعناصر والتوازن بينهما امراً مطلوباً. لذلك يمكن القول ان الانسان محب للكمال، فينبغي له حينها أن يعمل على اكمال نفسه وتزكيتها. ذلك ان النفس الانسانية بإمكانها ان تصل الى التكامل المطلوب اذا اتبعت الحق وسلكت طريق الفضيلة والتقوى.

---

١) لسان العرب / ابن منظور ج / ١٣ مادة كمل.

٢) سورة التين / الآية ٤.

٣) سورة البقرة / ١٥٦.

ولا يعني ذلك ان الانسان يترك متطلبات الحياة الطبيعية، وانما عليه ان يأخذ منها بمقدار الحاجة الضرورية للبعد الناسوتي وإن أية زيادة تسبب له تلك الالام والمتاعب التي تصيب الروح.

وان ادراك التوازن بين البعدين الملكوتي والناسوتي هو قمة معرفة النفس، كما اشارت ثقافة الحديث النبوي الشريف الى ذلك المعنى بالقول: ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)).

وهنا ينبغي القول ان الله سبحانه تكفل الموجودات لأنه كتب على نفسه الرحمة وان هذه الموجودات تعيش من فيض رحمته وما زالت، وهنا جاءت الحاجة الى الاحتفاء بالرموز الانسانية والدينية والمبدعة على مر العصور إذ لها الأثر البارز في مسيرة الحياة الانسانية.

إحدى الوسائل التي تساعد على إيصال المجتمع الى حياة الصفاء الروحي هي الشعائر ولا سيما الشعائر الحسينية لهذا نرى المؤمن اذا دخل في معسكر هذه الاجواء الحسينية يعيش حالة النور وبقدر ما يقبل المؤمنون على مدرسة اهل البيت تتجسد معالم قيادة الإمام الحسين(عليه السلام) وتأثير سيد الشهداء على البشرية وبين كل الحضارات والانظمة والمدارس وكل المصلحين البشريين.

واننا اذا نظرنا الى مفهوم التكامل ومفهوم التضامن وكل المفاهيم الاخلاقية وليس على الصعيد الفردي فحسب، بل على الصعيد المجتمعي نجد ان لزيارة الاربعين الأثر البارز في ايصال تلك الملايين الى حالة من الصفاء الروحي لذا فإن النظر الى زيارة الأربعين كطقوس عبادية محضة ليس بالأمر السليم، بل ينبغي النظر لها على انها عبادة بناء مجتمع وبناء رؤية ثاقبة.

وقد اشار الإمام الصادق(عليه السلام) عندما سئل عن زيارة الحسين (عليه السلام) فقيل له: هل في ذلك وقت افضل من وقت؟

فقال: زوروه(عليه السلام) في كل وقت وفي كل حين، فإن زيارته(عليه السلام) خير موضوع فمن اكثر منها استكثر من الخير، ومن قلل قلل له))[1]

ذلك ان الانسان يحتاج الى دوام الذكر، وان مشروع اهل البيت من اضخم المشاريع الإلهية.

فالإنسان دائما يحتاج الى توازن وترويض ومسك لزمام الغرائز النازلة لذا فهو بحاجة دائمة لدوام المثير للصعود عن التلوث وهذا المثيرات إن صح التعبير هو سيد الشهداء الإمام الحسين(عليه السلام)، فهو ثورة على النفس في انحطاطها في براثن الشهوات.

الفرق بين المعسكرين:

ان المشهد النفسي والروحي في واقعة كربلاء وشدة الامتحان النفسي في الجانبين، تعطى للإنسان العبرة من وجود العقل والروح واصل الفطرة التي جبل عليها الانسان وهو الطاعة والحاجة الى الدين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)[2].

لذا فإن الشريعة المقدمة تبعث المسلمين الى التكامل المعنوي عبر الماديات وتحمل الصعوبات والمشاق كما في الحج والزيارات كزيارة سيد الشهداء، إذ فيها إشارة الى التكامل الانساني، وقد قرن الله سبحانه بزيارة الحسين(عليه السلام) ظرفين ظرف مكاني وهي ارض كربلاء الطاهرة المطهرة فقد اشار ابو عبد الله الصادق(عليه السلام) الى المعنى بقوله:((ان ارض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله اليها: كفي وقري ما فضل ما فضلت

---

١) بحار الانوار/ العلامة المجلسي/ ج٩٧، ص٢٨٧.

٢) النساء: ٥٩.

به فيما اعطيت ارض كربلاء الا بمنزلة الابرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر ولولا تربة كربلاء ما فضلت ولولا من ضمته كربلاء لما خلقتك.....))[1]

اما الظرف الزماني فهو يوم العشرين من شهر صفر الخير، ويلحظ ان عدد الاربعين ذاته يمثل جانب التكامل في الإنسان قال ابو عبد الله الصادق(عليه السلام)((اذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده واذا بلغ الاربعين سنة فقد بلغ منتهاه))[2].

زيارة الاربعين والمدينة الفاضلة:

إن المعنى الذي ترمي له تلك المدينة هي قوانين تحكمها فكرة ممزوجة بمصلحة الفرد وتارة الجماعة في مختلف أبعادها حين رسخ افلاطون لمبدأ الجسد الواحد للمدينة الفاضلة يرسخ لمبدأ الفكرة والهدف الواحد مما نجده في مسيرة الاربعين.

وعندها حدد علاقة افراد المجتمع بعضهم مع البعض، وان احتياج كل فرد منهم للآخر هو الرابط الاقوى لتحقيق المساواة.

ينبغي عند ذلك ان نقول ان المسيرة الاربعينية ترسخ عنواناً ومبدأً أوسع من ذلك في الفضل والهدف وهي ان الفضل الاكثر خدمة وعطاءاً لغيره وما يقدمه من جهد خالص لوجه الله.

لذا كان معسكر الاربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة امام مرأى البشر، وان الاربعين هي احدى تفسيرات المدينة الفاضلة لأنها لا تحتاج الى موجه ورئيس.

المشي الى العبادة عبادة:

وهذه احدى القواعد الفقهية التي تشير الى اهمية المشي كعبادة وان النصوص التي دلت على ذلك ليست بالقليلة وهذه بعض النصوص:

---

١) وسائل الشيعة ج٦٨استحباب التبرك بكربلاء ص٥١٤.

٢) الخصال / الشيخ الصدوق: ج٢ /ص٥٤٥.

((عن بشير الدهان عن ابي عبد الله(عليه السلام) في حديث لـه قـال: يـا بشـير أن الرجل منكم ليغتسل على شاطئ الفرات ثم يأتي قبر الحسين(عليه السلام) عارفـاً بحقـه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها او يضعها مائة حجة مقبولة، ومعهـا مائـة عمـرة مـبرورة، ومائة غزوة مع نبي مرسل الى اعداء الله واعداء الرسول))[1].

أما النص الآخر عن الإمام ابي عبد الله(عليه السلام) قال: ما عبد الله بشـيء أشـد من المشي ولا افضل منه))[2].

الفلسفة الروحية لزيارة الحسين:

إن مفردة الشعيرة وردت في القرآن الكريم بمعاني اشارت لها الآيات الكريمات، فقـد جاءت في موضع (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)[3] اما في موضـع آخـر فقـد وردت: (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) [4].

يبين لنا أن هناك أموراً ينبغي الالتفات إليها

الأمر الاول: معنى الشعيرة

العمل الذي يتوفر على عنصرين: العنصر الاول: انه عمـل جمعـي ولـيس عمـلاً فردياً: إذ ان العمل الفردي لا يكون شعيرة.

أما العنصر الثاني: ان الشعيرة هي عمل يراد به الارتقاء الى السماء اي اتصال العالم المادي بالعالم الغيبي، بعد ذلك يبين لنا ان الهـدف مـن الشـعيرة هـو تحصـيل التقـوى،

---

١) الكافي / الكليني / ج٤/ ٥٨١.

٢) وسائل الشيعة / الحر العاملي / ج١١/ ٨٧٨.

٣) البقرة: ١٥٨.

٤) الحج: ٣٢.

تحصيل الاقتراب من عالم الغيب. يتبين لنا ان من اعظم الشعائر واروعها وابرزها هي زيارة الحسين، فهذه المسيرة المليونية الزاحفة نحو قبر الحسين(عليه السلام) هي عمل جمعي وليس فردياً يراد به العروج الى السماء، لذلك فإن فلسفة زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) لها ابعادها الروحية الهدف منها أن يعيش المؤمن الحسين في الحالة الفكرية الى الحالة الحسية لذلك فإن الكثير من النصوص تحث على زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) كما وردت عن الإمام الرضا(عليه السلام): ((من زار قبر ابي عبد الله الحسين بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه))[1].

الاثر الكربلائي على النفوس البشرية:

ينبغي القول انه لا يوجد من يعارض ان للحسين الحق الكامل في ان يخرج من اجل المطالبة بإحياء التراث الروحي لرسالة المصطفى(صلى الله عليه وآله).

لذا يمكن ان نصف عاشوراء وزيارة الاربعين هي رسالة عظيمة وتعد امتداداً حقيقياً لرسالة جده الصادق الامين(صلى الله عليه وآله).

لأن ما جاء من عند الله تعالى وهو الدين الاسلامي على الرسول(صلى الله عليه وآله) هو الدين الكامل الشامل وعلى هذا فإن المعركة التي دارت بين تيارين او قطبي الخير والشر انما هي من اجل ان يضمن الانسان الارتقاء بإنسانيته الى مستوى تحمل المسؤولية الفردية أمام ما تتطلبه المسؤوليات الجماعية في ظل تعاليم الرسالات الموجهة إلى بني آدم أجمعين.

لذا يمكن القول ان الحركة الحسينية هي حركة التآخي بين المؤمنين في الله والاعتصام في كل حدث وفي كل موقف من مواقف الحياة.

---

١) تهذيب الاحكام ج٦ / ص٤ ط النجف / الآمالي للشيخ الصدوق / بحار الانوار / ١٠١ / ٧٠ ط المكتبة الاسلامية / الوافي للفيض الكاشاني ج ٨ / ١٩٥ ط حجرية / الوسائل / الحر العاملي.

لذلك فإننا إذ نعمل على تجذير الشعائر في النفوس نؤكد على تكريس المثل والقيم والاخلاق الاسلامية التي يتحلى بها الفرد المؤمن السائر على نهج الإمام الحسين(عليه السلام). ذلك ان العمل على تكريسها يزيد في تركيز الايمان والفضيلة والتقوى التي تمنح الفرد الحصانة ضد الامراض النفسية المنتشرة في عالم اليوم وهو العالم المادي كما وتسهم تلك المسيرة المليونية والشعائر الحسينية الاخرى بالعمل على ارجاع الحقوق الانسانية التي نستلهمها من واقعة الطف من مثل الوقوف بوجه الظلم والاستبداد ومواجهة الطواغيت في كل عصر وزمان. كما أشار الإمام الحسين(عليه السلام) الى تلك الامور بقوله((إنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي وشيعة أبي علي بن أبي طالب أريد إن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))[1].

إن الإمام الحسين(عليه السلام) في قيامه أراد أن يبني دولة انسانية قائمة على احترام الانسان وحرية التعبير.

المسيرة الاربعينية مسيرة التكامل والتعايش:

من أعظم دروس عاشوراء ذلك التكامل والتعايش والتكافل بين المؤمنين السائرين إلى قبر الحسين(عليه السلام) إنه ردم للطبقية والتمييز والطائفية والعنصرية، إنها فرصة للإنسان للإنابة الى الله تعالى ان التكافل واعظمه التكافل الاجتماعي، يكرس ظاهرة التكافل من جانب، ويسهم في احياء قيم التعاون من جانب اخر، وهذا ما نحتاجه اليوم لنتجاوز كل المحن والتحديات بسبب الارهاب والفساد.

إن الإمام الملهم للمؤمنين هو رحمة الله الواسعة وباب نجاة لنا، اعتمد مبدأ التمكين ولم يعتمد مبدأ التربص، الأول يعني الاعانة وتهيئة الظروف للنجاح، بينما يعني الثاني المراقبة للدفع باتجاه الفشل في اول فرصة للشماتة.

---

١) بحار الانوار / العلامة المجلسي/ ج٤٤ /ص٣٢٩.

ولهذا ينبغي القول ان مسيرة الاربعين مبدأ التكافل لنقضي به على كل مصادر التمزق والضعف الذي تنتجه العنصرية والاستعلاء والتكبر والاستبداد والانانية والاعتداد بالنفس، ومن هنا نتعلم الاندماج مع المجتمع لنقدم انموذجاً وقدوة كما ارادها الله سبحانه من خلال السير في طريق الحسين(عليه السلام).

زيارة الاربعين منهج الاصلاح:

إن كربلاء حركة اصلاحية شاملة بدأت من ذات الانسان وتتحرك في المجتمع والدولة، وان زيارة الاربعين احدى الشعائر الحسينية هي دعوة متجددة للإصلاح والانتصار هي انتصاف للمظلوم ونبذ للظلم وان هذه المسيرة هي مواساة للدين الحق المهمش وتأييد للعدل المبسوط كما ان زيارة الاربعين تظهر الحاجة للتكامل مع الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، كما انها دعوة لبقاء دعوات الرسل(عليهم السلام) قائمة حية نافذة حاكمة فضلاً عن إنها اعلان لمشاعر المودة والرحمة لأهل البيت(عليهم السلام).

هذه الصورة الانسانية المتميزة والفريدة التي تصنعها زيارة الحسين(عليه السلام) في الاربعين وما في هذه الصورة من البذل والعطاء في طريق الاستثمار لطاعة الله تعالى.

الصورة التكاملية للمنتظر في زيارة الاربعين:

ينبغي القول ان الانسان موجود مفتقر، وهذا الافتقار الذاتي يوجد فلسفة التكامل ولعل افتقار الانسان اكبر من افتقار الموجودات الاخرى، ولعل السر في ذلك ناشئ في العبودية. وقد انفرد الانسان بطريق التكامل، وذلك بسبب القدرة الكبيرة للذات الانسانية للوصول الى ارقى واعلى المقامات لذلك فأن واحدة مما تفرزه الاربعينية في سيرها وخصوصاً ان هناك ارهاب يتربص بالمؤمنين هذه الحالة تجعل من هذا المنتظر يستهين بالموت بل وذاهب لمواجهته بكل قوة وبكل ارادة.

الأربعين في واقعة كربلاء:

إن اهمية الاربعين تعود في الاصل الى ان النهضة الحسينية، وبفضل التدبير الالهي لآل بيت الرسول(صلى الله عليه وآله)، تخلدت في هذا اليوم والى الابد ذلك ان خصوصية الاربعين هو احياء ذكرى شهادة الحسين(عليه السلام) وهو اليوم الذي جاء فيه الزوار العارفون بالإمام الحسين(عليه السلام) الى كربلاء للمرة الاولى فيوم الاربعين يُعد:

- حركة امتداد عاشوراء.
- بداية تفجر ينابيع المحبة الحسينية.
- يوم الصمود في مواجهة الاستكبار.

زيارة الاربعين نبذ العنف وتوحيد الصفوف:

إن أولى مهام محبي اهل البيت(عليهم السلام) هي إعلاء شأن عاشوراء وثقافتها وكل ما تخلد ذكراها. ولا بد لنا ان نستلهم الوصايا والدروس من نهضة سيد الشهداء(عليه السلام) والتي كانت من ابرزها:

١ـ ترسيخ اصول العقيدة الاسلامية التي هي من اهداف نهضة الحسين(عليه السلام) وهو ضحى من اجلها بنفسه الشريفة واهل بيته الاطهار.

٢ـ تركيز الاخلاق الاسلامية.

٣ـ الدعوة للنهوض وتحمل المسؤولية إذ اشار الإمام(عليه السلام) الى ذلك بقوله((من رأى منكم سلطاناً جائراً فلم يغير عليه بقول او فعل ادخله الله مدخله))[1].

---

١) لسان الميزان / ابن حجر العسقلاني / ج٦ /ص٤٣٠.

وهكذا فإن النهضة الحسينية وبشعائرها المختلفة التي تخلد ذكراها وتعمل على تحقيق اهداف الإمام الحسين(عليه السلام) هي قيام لله واداء للتكليف الالهي فضلاً عن انها حدث يتخطى حدود الزمان والمكان إذ تفعل فعلها في كل زمن وبأي أرض مهما اختلفت الالسن والألوان والاعراف وحتى الأديان.

عاشوراء والمهمة الاصلاحية:

يعتمد الانبياء(عليهم السلام) في رسالات الاصلاح والتكامل الانساني المنوط على عاتقهم على طريقين لتحقيق تلك الاهداف وهذان الطريقان هما:

١ـ العلم

٢ـ الشدة

إذ يقول لله تعالى في محكم كتابه: (قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[١]، فالغاية قيام الناس بالقسط وتحقيق العدالة الاجتماعية وزوال الظلم وان يحل الاهتمام بالضعفاء محل التجبر والطغيان))[٢].

ينبغي لنا ان نقول ان السياسة الرسالية سياسة انسانية تلتزم بالقيم والثوابت والمصالح الحيوية للناس وتقدم العام على الخاص وتقدم مرضاة الله جل وعلا على كل شيء، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام): ((أيها الناس!! إن الوفاء توأم الصدق، فلا اعلم جنة أوقى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع، لقد اصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر اهله الغدر كيساً، ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة))[٣].

---

١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

٢) منهجية الثورة الاسلامية / ص ٥١ ـ٢٥.

٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٤١ /ج٢ /ص٣٤٦.

وما حياة الانسان ونهضته الا البقاء في الحياة وفق الرؤية الاسلامية والعقلانيـة، وان الغاية عند الانسان العاقل الطبيعي هي الحياة في عز والعيش في كرامة فإذا خير الانسان العاقل بين العيش في ذل وبين الموت في عز، فإنه يختار لا محالة الموت في عز علـى الحيـاة في ذل ومهانة.

وقد اشارت الروايات الى قـول الإمـام الحسـين(عليه السـلام) في هـذا الموضـع إذ يقول(عليه السلام): ((موت في عز خير من حياة في ذل))[1] وقال ايضاً: ((هيهـات منـا الذلة ! يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون..... ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام علـى مصارع الكرام))[2].

١) بحار الانوار / العلامة المجلسي / ج٤٤ / ص١٩٢.

٢) اعيان الشيعة / الحر العاملي / ج١/ ص٦٠٣.

الخاتمة:

إن الشعائر الحسينية لا سيما الزيارة الاربعينية انما هي حدث متجدد في تاريخ البشرية لأن اهدافها ضمان مبدأ حرية الانسان وكرامته ومنحه حق الكلمة للمطالبة بحقوقه، والعيش بحياة كريمة بعيدة عن الذل والهوان تجسيداً لمبادئ المصطفى جده(صلى الله عليه وآله).

وهنا لزاماً علينا القول ان الإمام الحسين(عليه السلام) هو مشروع السلام ومنهج يضيء الدرب في كل ارض وزمان، وعلينا الاستفادة منه من اجل عملية التغيير للنهج الانساني للحضارة البشرية وتطورها، ووصولها الى الغاية التي من اجلها خلق الانسان((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)).

ذلك ان السير الى الكمال يتوقف على معرفة الكمال نفسه، وهذه المعرفة لا تحصل الا بعد التفاعل الايجابي بين العقل والوحي.

جاءت الرسالات السماوية لتقوم بهذه المهمة، لذا يمكننا القول ان الإمام الحسين(عليه السلام) وهو سليل البيت المحمدي قد ارسى اهداف رسالة جده المصطفى(صلى الله عليه وآله) فكان الجواد الشامخ والشهيد الحي الذي ترك وما زال الاثر الاكثر اهمية في وضع الحد الفاصل بين ما هو اسلامي وبين المبادئ الدخيلة على هذا الدين وعمل على استمرار الوعي الثوري الاسلامي الذي يرفض التطبيق الخاطئ للمبادئ الاسلامية الاصيلة.

المصادر والمراجـع:

١- القرآن الكريم.

٢- اعيان الشيعة / محسن الامين الحر العـاملي / ت: حسـن امـين / دار التعـارف ـ بيروت / ١٩٨٣.

٣- بحار الانوار / العلامة المجلسـي / مؤسسـة الوفـاء / بـيروت ـــ لبنـان / ١٤٣٠ـ ١٩٨٣.

٤- الأمالي / الشـيخ الصـدوق، محمـد بـن علـي بـن الحسـن / ت: وطباعـة قسـم الدراسات الاسلامية/ قسم ـ ايران/ ط١.

٥- تهذيب الاحكام / الشيخ الطوسي، ابو جعفر محمـد بـن احسـن بـن علـي / در الكتب الاسلامية /ط١/ ١٣٩٠ه.

٦- الخصال / الشيخ الصدوق / ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي/ صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري / مؤسسة النشر الاسلامي / قم ـ ايران/.

٧- الكافي / الكليني، محمد بن يعقوب / ط٣ / ١٣٨٨.

٨- لسان العرب / ابن منظور / دار الفكر / بيروت ـــ لبنان.

٩- لسان الميزان / ابن حجر العقلاني، احمد بن علي / ت: عبد الفتاح ابو غدة/ نشـر المطبوعات الاسلامية / ط١/ ٢٠٠٢ م.

١٠- منهجية الثورة الاسلامية / الإمام الخميني(س) مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(س) / طهران ـــ ايران / ط/ ١٩٩٦م.

١١- نهج البلاغة / الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) / جمعـة الشـريف الرضـي/ شرح محمد عبدة / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت لبنان.

١٢- وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة / محمد بن الحسن الحر العـاملي/ ت: مؤسسة اهل البيت(عليه السلام) / ١٤١٤هـ.

١٣- الوافي / الفيض الكاشاني / نشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) اصفهان ايران /ط١/ ١٣١٢ هـ.

قناع الحسين

معرفية التعايش وروح التكامل الإنساني

في نصوص

أمل دنقل - أدونيس - البياتي

الدكتور الحسن عزوز

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي الجزائر

قسم اللغة العربية و آدابها

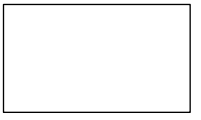

مفردات استدلالية:

القناع، MASQUE، Persona، Shadow

تعددية ثقافية multiculturalisme،

المواطنة Citoyenneté،

حضارة civilisation،

حوارية dialogisme،

مفتتح...

إن الحفر في مفهوم التكامل الإنساني و المواطنة Citoyenneté في المعاجم العربية و القواميس الأجنبية يقترن دوما بحركة نضال التاريخ الإنساني من أجل العدل والمساواة والإنصاف والتعايش الإنساني في تعددية ثقافية ساحرة multiculturalisme، وكان ذلك قبل أن يستقر مصطلح التكامل و التعايش وما يقاربه من مصطلحات في الأدبيات السياسية والفكرية والتربوية، وتصاعد النضال وأخذ شكل الحركات الاجتماعية منذ قيام الحكومات الزراعية في وادي الرافدين مروراً بحضارة civilisation سومر وآشور وبابل وحضارات الصين والهند وفارس وحضارات الفينيقيين والكنعانيين واليونانيين القدامى.

الإنسانية: هي تقاطعات نظر فلسفية وأخلاقية تتكئ على قيمة وكفاءة الإنسان في حوارية مستمرة dialogisme، سواء كان فرداً أو جماعة، وتتداخل عموماً بالتفكير والاستدلال، لم يدر بخلد أحد من البشر أن ثورة تقوم في غابر السنين ثورة مدهشة، في مكان مجهول من العالم وفي يوم من أيام التاريخ..أن تتحول إلى أنشودة تلهج بها ألسنة الشعراء على مرِّ العصور والدهور.

فلم

تستطع ثورة في التاريخ البشري الطويل كثورة الإمام الحسين أن تفجر ثورة أدبية وشعرية عملاقة وأن تخلق مناهج ودراسات شعرية في الأدب العربي، وأن تخلد شعراء إلى يومنا هذا ما زلنا نتغنى بقصائدهم وأشعارهم.

فلم تكن قصائد الشعراء منذ بداية القرن الهجري الأول إلى يومنا هذا بمختلف انتماءاتهم المذهبية والفكرية والعرقية، مجرد إعجاب فقط بالإمام الحسين وبثورته، إنما كانت القصائد والأشعار إيماناً كاملاً بقضيته العادلة وبإنسانيته المظلومة.

و سنحاول في هاته الورقة البحثية الولوج الى روح معرفية التكامل الإنساني للإمام الشهيد الحسين في نصوص شعرية معاصرة (امل دنقل، أدونيس، و البياتي) نموذجا و هي روح تكاملية تتجه نحو إيمان الإنسان بذاته، العبور إلى خارج الذات .صياغة الفكر وتكوين الصورة عن الحاضر والمستقبل انطلاقاً نحو التغيير إلى الأفضل، و نقل الفكرة إلى الآخرين واستلام أفكارهم، التقسيم والتمحيص والتداول. الاستنتاج والاقتناع و التخطيط للتغيير و تنفيذ التغيير وتحقيقه.

القناع مفتاح الرؤيا:

اشتغل الشعراء المعاصرون بالكتابة الإبداعية ولوجا إلى مستويات جمالية و بصرية بعد ما خاضوا تجار ومحاولات نصية كتابية متنوعة تماهت في تقنيات بصرية أسلوبية و تقاطعت مع لغة المغايرة "فانتقلت لغة الشعر من لغة الوقائع و الظواهر و الإيضاح الى لغة الإشارة[١] "و الشعر هنا " جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله "[٢]، و "هذا يعني ان كل ما كان غاية يبدو الأن مجرد وسيلة "[٣]، حيث التفاعل بين الشعر والحياة "أصبح مستبدا بالقضايا النظرية و الممارسة النصية"[٤]، فقد دخلت " قوى الإنسان في علاقة بقوى الخارج الجديدة التي التي هي قوة التناهي هده القوى هبي الحياة "[٥]، و جاءت الإرهاصات الأولى للكتابة الجديدة منذ العقد الثاني من القرن الفائت، حيث امتزجت روافدُ متعددةٌ ومتباينة، بعضها عربي إسلامي، وبعضها الآخر غربي، مجسدةً وعي الشاعر العربي الحديث بتراثه دون انكفاء عليه أو ذوبان فيه، وانفتاحَهُ على الآخر انفتاحَ الواثق من هويته الحضارية، دون انبهار يُفْضي إلى حالة استلاب فالقناعُ تقنية عني بتوظيفها شعراءُ هامّون في العالم مثل "ييتس" و"إزرا باوند" و"إليوت"..... إنّ القناع[٦] (masque)،رمزٌ يأخذُ شكلَ الشّخصيّة التّاريخيّة غالباً الّتي تُنجِز حديثَها بضمير المتكلّم.

---

١) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث (الشعر المعاصر)،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط ٢، ١٩٩٦،ج ٣، ص ٨٥.

٢) أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت،ط٣، ١٩٧٩، ص ١٢٥.

٣) أدونيس، الشعرية العربية (محاضرات ألقيت في كوليج دو فرانس باريس أيار ١٩٨٤)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٩، ص ٨٨.

٤) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث (الشعر المعاصر)، ص ٣٦.

٥) جيل دولور، المعرفة و السلطة، مدخل لقراءة فوكو، ترجمة: سالم يفوت،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧، ص ١٤٠.

٦) القناع : mascha في الاتينية (في الإيطالية) و maschera و masque (أوpersona mask prosopon) اليونانية.

ومن هنا كان عالم توظيف القناع فاتنا مدهشا، وهو الطريق الذي تشرب منه عوالم الثقافة، والتراث و الذاكرة المتشعبة، و يمثل القناع كتقنية أسلوبية دلالية معاصرة في النصوص الكتابية المعاصرة " شخصية تاريخية ـ في الغالب ـ يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده او ليحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها "[1]، فهو وسيلة جمالية لجأ إليها الشعراء، للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، فالقناع في تجربة جديدة تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر، "شاع استخدامه منذ ستينيّات القرن العشرين، بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدّة الغنائية والمباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصية تراثية، عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم. وهكذا يندمج في القصيدة صوتان: صوت الشاعر من خلال صوت الشخصية التي يعبّر الشاعر من خلاله"[2].

و لهذا كان الشعراء مدركين تمام الادراك، أن عالم الكتابة الجديدة أو "الحداثة ليست مذهبا كغيره من المذاهب بل هي حركة إبداع تماشي الحياة في تغيرها الدائم، ولاتكون وقفا على زمن دون آخر فحيثما يطرأ تغيير على الحياة التي نحياها فتتبدل نظرتنا للأشياء "[3]، و في بنية قصيدة القناع تتبدل الرؤيا، و تتغاير الدلالات وتندمج وتنصهر، "فلا يُسمع صوت الشاعر وصوت الشخصية التراثية مستقلَّين، بل تبرز في النص إشكال المجاذبة الناتجة عن هذا التركيب الصوتي؛ لأن الشاعر لا يستدعي شخصية صامتة، بل يستدعي شخصية تحمل صوتاً يميّزها، ويكشف عن هويتها، ويستعير شكلها، ولا يتحدث بصوته فحسب، بل بصوت الشخصية المستدعاة؛ لذلك تخرج قصيدة القناع بصوت واحد مركب، لانستطيع معه معرفة إن كان صوتاً للشخصية

---

١) احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، عدد ٢ فبراير، ١٩٧٨، ص ١٥٤.

٢) عزّام محمد، قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا،٢٠٠٥، عدد ٤١٢ ،عن الموقع الالكتروني:www.awu-dam.org.

٣) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث (الشعر المعاصر)، ص٣٥.

التراثية أم للشاعر؛ لأن كلا الصوتين يتزاحم في أضيق مساحات النص التي تتضمنها في الصعود والهبوط، ويدخلان في سياق جديد يعيد إنتاجهما صوتاً واحداً، يخرج من صُلبَيهما"[1]، ويبدو أن مصطلح القناع مصطلح مسرحي، استعير من الفن الدرامي، ولقد استخدمت هذه التقنية في المسرح الإغريقي، لتتيح للممثل تقمص بعض الشخصيات التي ينبغي له القيام بأدوار مسندة إليه، فالقناع":أداة التلبس، ولابس القناع ممثل يتلبس الشخصية التي يلعب دوها على المسرح "[2].

ليصبح النص وتصبح الكتابة التجريبية، متجهة نحو صراع درامي دلالي متصاعد أو الصراع بأي شكل من الأشكال وذلك بالانتقال من" الغنائية الذاتية إلى الغنائية الكونية"[3]، فيندغم صوت المبدع بصوت العالم و الآخر " فيتحقق التماهي الناتج عن علاقة الـ"أنا" بالقناع، في ضوء علاقة الـ "أنا" بالآخر الجمعي، حينما يتشكل القناع وفقًا للمعايير الجمعية، أو وفقًا لرغبات الجماعة، الـ "هم"، فتتنازل الـ "أنا" عن حقيقة واقعها، للعالم الخارجي، وتضحي بذاتها المستقلة، لتتماهى مع القناع، بحيث يجد أفراد في هذا القناع حقيقة ما يمثلونه "[4]، فالبحث عن المغايرة، مدخل درامي لحقيقة المبدع أو الشاعر تبرز خطوط تصاعدية للآخر، ولأنها تنطوي على تأثير في سلوك الإنسان، وأنماط تفكيره، نَوَّع كارل يونغ مسمياتها، فأطلق عليها "القناع" Persona، و"الظل" Shadow، و"الأنيمة" Anima، و"الأنيم" Anim، و"الشيخ الحكيم"OldWiseman، و"الأم الأرضية" Earth Mother و"النفس" أو

---

١) أحمد السليماني ياسين، تقنية القناع الشعري، مجلة غيمان، اليمن، خريف٢٠٠٧، العدد الثالث، ص ٣٣ في الموقع الإلكتروني:www.ghaiman.net .

٢) محمدعلي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب ونازك والبياتي)، دار الكتب الوطنية، بنغازي،ليبيا،ط١، ٢٠٠٣، ص ٦٧.

٣) عبد الرحمن بسيسو، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١،١٩٩٩ ، ص ٢٢٦.

٤) كارل جوستاف يونغ، جدلية الأنا اللاوعي، ترجمة: نبيل محسن، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١،، ١٩٩٧ص١١٨.

"الذات"(The Self)" [١]، ولئن كانت هذه النماذج، البدئية كذلك، فإن بعضها يكـون ذا "صفة أهم، وبعضها الآخر ذا طبيعة أخص كالقناع والظل"[٢]. فهـذا التعـدد يمـنح الشاعر مجالاً للتعبير، ليفصح عن أفكاره على نحو فني "يبعد القصيدة عن السـطحية و المباشرة ") [٣]، فبعد أن كان القناع في الطقوس الدينية هذه" يجسد الإله المعبود تجسيداً يصبح معه القناع الإله /القناع "[٤]،كما كان عند ديونيسوس[٥]، ثم لا نمضي حتى نرى أنّ القناع "يستخدم في المسرحيات اليونانية والرومانية والهندية، حيث يضعه الممثّل على وجهه أثناء تمثيله للمسرحية لغرض الإدهاش أو الإخافة، أو تغـيير الجلـود أو سـيماء الوجه، أو اللعب لتغيير الشخصـية مـن أجـل إخفـاء التعـابير والمشـاعر، أو وسـيلة للإيهـام."[٦]، هكـذا اختـار الناقـد - عـزرا باونـد (Ezra Weston Loomis Pound١٨٨٥_ ١٩٧٢)، أوائل القرن العشرين هـذا المصـطلح بغـرض الدلالة على الشخصية التي يجري على لسانها الشـعر في القصـيدة والـتي تمـنح صـوت الشاعر بعداً تاريخياً .أي أن الكلام صار على الشخصية التي اعتبرهـا إليـوت (١٨٨٨_

---

١) كارل يونغ، علم النفس التحليلي، ترجمة: نهاد خياطة،، هيئة الكتاب (مكتبة الأسرة)، القـاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٠.

٢) المرجع نفسه، ص ٣٠.

٣) علي حداد ؛ أثر التراث في الشعر العربي الحديث، دار الشـئون الثقافيـة العامـه، بغـداد، ط ١،١٩٨٢، ص ٦٢.

٤) مجدي وهبة – كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغـة و الأدب، بـيروت، مكتبـة لبنـان، ط٢، ١٩٨٤ ص ٣٠٤.

٥) ديونيسـوس أو بـاكوس أو بـاخوس في الميثيولوجيـا الإغريقيـة) وباللغـة اليونانيـة Διόνυσος or Διώνυσος): هو إله الخمـر عنـد الإغريـق القـدماء وملـهم طقـوس الابتـهاج والنشـوة، ومـن أشـهر رموز الميثيولوجيا الإغريقية .وتم إلحاقه بالأوليمبيين الإثني عشر، أصوله غير محددة لليونـانيين القـدماء، إلا أنه يعتقد أنه من أصول "غير إغريقية" كما هو حـال الآلهـة آنـذاك. كـان يعـرف أيضـا باسـم بـاكوس أو باخوس.

٦) عبدالله أبوهيف، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث :المؤسسة العربية للدراسـات والنشـر، بـروت، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٦.

١٩٦٥/"") مستقلة في الدراما عن الشاعر، واعتبرها في القصيدة معادلاً موضوعياً) أنا الشاعر"[١].

تقنية القناع أكسبت التجارب الأدبية " رؤيا سياقية دلالية context خاصة بها و هي سياقات لغوية ثقافية و سوسيولوجية فكما أن كل نص ادبي يمتلك شفرته cod الخاصة التي يمكن فك رموزها على ضوء سياق الجنس الأدبي" [٢]، و القناع شفرة ترميزية إبداعية فريدة، قابلة لتجدد و التحول و المغايرة و التصاعد و التنامي و التحول، حتى و إن ظلت داخل سياقها و يستطيع كل جيل ادبي أن يبدع شفرته المتميزة.

القناع.. استدعاء للرموز التاريخية و أوجاع الإنسان:

بدت عملية توظيف وبناء قصيدة القناع في هيكلها النصي، ودلالاتها العمودية عند الشعراء العرب،بسلسلة متصلة من المحاولات والتجارب الشعرية والإبداعية، كان أولها تلك المحاولة التي اعتمدت خلق صيغة التداخل والإنصهار مع الرمز، فكان الأدباء

١) يمني العيد، في القول الشعري، بيروت، دار الفارابي،ط١، ٢٠٠٠، ص ٤٠٠ _أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، مصر، ط ١، ص ١٨٧.

٢) فاضل ثامر، اللغة الثانية في اشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضا، المغرب، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤، ص ٧٠.

يتخـذون مـن التقنيـات الكتابيـة المعاصـرة، كالسـرد القصصـي الشـعري و توظيـف الأسطورة، والشخصيات التراثية في النصف الثاني من القرن الماضي، مجالا حقيقيا لروح الإبداع وخلق معرفة نصية مفتوحة، " الأثر المفتوح "[١]، واتسع هذا الاتجاه منذ بدايات القرن، في بعض قصائد خليل مطران، وجبران خليل جبران، وإيليا أبي ماضي وإليأبي شبكة، وعمر أبي ريشه ومحمود طه ومحمود حسن إسماعيل، وغيرهم من الشعراء"[٢].

وكان بدر شاكر السياب، أول من أخذ شكل التقاطع مع رمزه، "فهو سجل أولى الخطوات المهمة التي سعت نحو تشكيل القناع الشعري"[٣]، وكان العامل النفعي لهؤلاء الشعراء دافعا حقيقيا لانتصار الكتابة الجديدة بكل تجاربها و تلوناتها و مغايراتها، فهـو" انتصار للحياة في الشعر"[٤]، فخليل مطران و جبران خليل جـبران والشـابي، كنمـاذج مضيئة كانت الحياة في الشعر وبالشعر همهم الأساسي، حـتى أن الشـابي اختـار، أغـاني الحياة عنوانا لديوانه،و هنا تشتغل الزوابع في تكوين الرؤيا الشعرية " فـإذا أضـفنا بعـدا فكريا إنسانيا للرؤيا بالإضافة الى بعدها الروحي لتصبح بطبيعتها قفزة خـارج المفـاهيم القائمة، هي تغيير نظام الأشياء وفي نظام النظر اليها هي تمرد علـى الأشـكال و المنـاهج اللشعرية القديمة و رفضا لمواقفه و أساليبه التي استنفذت أغراصها "[٥]، و انبعاث الرؤيا بتوظيف عناصر ترميزية جديدة كالقناع" يجعل النص يتخلى عن الحادثـة"[٦]، و لـذلك يبطل أن يكون" شعر وقائع"[٧]، فالقناع يلتقي بالتنظير الرمـزي و بلغـة خاصـة مجـردة تتشكل على حركة الأنا و الأخر الفعل و الحوار إضـافة الى عـاملي الزمـان و المكـان و

١) حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥، ص ٧٣.
٢) خليل موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة،، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص ٢٧١.
٣) أحمد ياسين السليماني، تقنية القناع الشعري، الموقع الإلكتروني:.www.ghaiman.net
٤) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث (الشعر المعاصر)، ص٣٦.
٥) المرجع نفسه، ص٣٧.
٦) المرجع نفسه، ص٣٧.
٧) المرجع نفسه، ص٣٧.

الشخصيات التراثية الدرامية، و هي جميعا تقوم على استكمال الصورة الاستشرافية الآتية.

ولعل الشاعر أمل دنقل و علي احمد سعيد أدونيس وعبد الوهاب البياتي، حاولوا تقديم نماذج انسانية تراثية في رؤيا استشرافية،عن وعي شديد، فنجد البياتي يقول: "حاولت أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا وفي كل العصور في موقفه النهائي، و ان أستبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في أعمق حالات وجودها و أن أعبر عن النهائي و اللا نهائي و عن المحنة الإجتماعية لما هو كائن الى ما سيكون"[1]، و بهذا فالشاعر يحاول خلق واقع جديد تاريخي، في محور استبدالي تعاقبي،خلقا لمآزق انسانية و أوجاع ذاتية و جمعية حضارية كافية لتحقيق صورة نقية و صادمة جميلة، في بنية درامية نصية رامزة،تدفع الشخصيات التراثية و الواقعية إلى تخوم تحولاتها و تفاصيلها الوجودية الحياتية و الفلسفية.

قناع الحسين في شعر أمل دنقل..تخوم الوجع الأقصى:

الشاعر" أمل دنقل (١٩٤١/ ١٩٨٣)"[2] شاعر مصري، يأتي إلينا في دواوينه الشعرية (مقتل القمر، البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، تعليق على ما حدث،العهد الآتي، اقوال جديدة عن حرب البسوس، أوراق الغرفة ٨)، حاملا الهم ذاته و المناداة ذاتها،حيث يقف متداخلا مع روح الإنسان في لحظات ضعفه و قوته،فشكل لديه القناع محورا هاما في تجاربه النصية و الفكرية، حيث استدعى رموزا تاريخية و دينية و أدبية و شعبية لتتقاطع مع همه و أرضه، ضعفه و قوته أحزانه و أفراحه أوجاعه، و مآسيه،و حيث تشكيل اللغة و الإيقاع يظهر جليا بتنوع الأقنعة،في نماذج تراثية لا منتهية حاضرة و

١) احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص ١٥٤.

٢) هاني الخير، امل دنقل (موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث)، دار رسلان، دمشق، سوريا، ط١ ٢٠٠٨ ص ٧.

ماضية ذاتية، و جمعية بكل تفاصيلها و حكاياتها و ملامحها بساطتها و أصالتها، ليعيد أمل دنقل خلق شخصيلات جديدة حية بحضورها الإنساني الخاص و الأخاذ ماثلة و مكتملة و مقنعة متنوعة، (سبارتا كوس،، سيزيف،المتنبي، الحسين، نوح، أبو نواس، عنترة، زرقاء اليمامة، كليب، عبد الناصر، المسيح، ابو موسى الأشعري، يوسف، اليمامة، محمود حسن اسماعيل، فيروز، كافور، خمارويه، قطر الندى، صلاح الدين، عبد الرحمن الداخل...).

قناع الحسين مسبحة الحزن:

يأخذ قناع الحسين موقعاً عميقاً، عند أمل في نصه الشعري (من أوراق أبي نواس)، حيث ترمز الورقة السابعة للأسى والجراح والحزن والندم فهي الورقة الأخيرة في النص الشعري، و هي الورقة الأخيرة المثيرة للقلق و الإرتباك و السكون و الثبات، حيث الفعل الماضي و الجملة الفعلية (كنت) و التي ترتبط بروح المكان (في كربلاء) يقول الشاعر:

(الورقة السابعة)

كنتُ في كَرْبلاءْ

قال لي الشيخُ إن الحُسينْ

ماتَ من أجلِ جرعةِ ماءْ!

وتساءلتُ

كيف السيوفُ استباحتْ بني الأكرمينْ

فأجابَ الذي بصَّرتْه السَّماءْ:

إنه الذَّهبُ المتلألِئُ: في كلِّ عينْ.

إن تكُن كلماتُ الحسينْ..

وسُيوفُ الحُسينْ..

وجَلالُ الحُسينْ..

سَقَطَتْ دون أن تُنقذ الحقَّ من ذهبِ الأمراءْ?

أفتقدرُ أن تنقذ الحقَّ ثرثرةُ الشُّعراء?

والفراتُ لسانٌ من الدمِ لا يجدُ الشَّفتينْ!?

...

ماتَ من أجل جرعة ماءْ!

فاسقني يا غُلام.. صباحَ مساء

اسقِني يا غُلام..

علِّني بالمُدام..

أتناسى الدّماءْ"..!![1]

...

عند أمل دنقل، عطش الحسين وكربلاء يتكرر ويتواصل، بتكرار الجملة اللازمة في النص (الورقة) ليشيع بذلك جوا من الأسى الشفيف، على كل مشهد بل عن مشاهد الموت و الحيرة و السؤال، تتكرر في مشاهد تاريخية حاضرة، أيضا فالتكرار هنا، "جاء

١) أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، عربية للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٣٣٤.

تأكيدا على التنوع، وتوقيعا لفظيا للثراء الدلالي لكونه مثيرا حسيا لمجموعة من المنبهات الترابطية داخل الذهن الشعري، لمنتج القصيدة معادلا رمزيا يوازي قيمة الداخلي الخارجي و الخارجي الداخلي "[1]، والشاعر يتفاعل دائما مع الصوات مدفوعا في ذلك بالإيقاع الذي يسيطر عليه سابقا لعملية التشكيل " ليكسبها في أنظمة لغوية تحقق بنية القصيدة و دلالتها الرمزية "[2]، و توجد هنا " في العلاقات بين الكلمات كأصوات"[3]، هذا التكرار البنيوي الصوتي يصبح، حالة لاهجة بالسؤال في الورقة السابعة من قصيدته (من أوراق أبي نؤاس) حيث يقف الشاعران (أبو نؤاس ـ أمل دنقل) أمام ظمأ الحسين، أمام جرعة الماء التي مات ولم تمنح له.. إنه الموقف الحق الذي يُستباح لان ضعاف النفوس يعميهم الذهب حيث يقف الشاعران اما حالة دهشة و ذهول في نهاية المكان و الروي كربلاء بسكون الروي (ء)، هي رغبة الشاعر المعاصر في خلق لغة ايحائية تحاكي الحياة الواقعية و سرعتها و تسكينها الطاغي، تتخلل هنا مشاهد أخرى للموت و الحيرة المستمرة:

(كتابه –الهواء– البعيد –ذبابه– السعيد – مهابه –النجابه –صلابه – النهر – الغرابه –الصبابه– القصر – وحيد – الرشيد –الحجابه –الوجهتين – بين بين – الحرس– نبس – الخرس – المختلس – الورقيه– العسس – فارسيه – الحطب – اللهب – احتبس – القرآن – السلطان – كربلاء – الحسين – ماء – الأكرمين – السماء – عين – الأمراء – الشعراء – الشفتين – مساء – غلام – المدام – الدماء).

---

١) مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الأسكندرية، مصر، ص ١٦٢.

٢) عبد المنعم تليمة، مداخل الى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١١٢.

٣) ارشيالد ماكليش، الشعر و التجربة، تر: سلمى الخضار ء الجيوشي، دار اليقظة العربية و مؤسسة فرنكلين، بيروت، ١٩٦٣، ص ٢٣.

وتيرة السرد الشعرية تمتد من الحضور (كتابـه) الى التلاشـي و المـوت (الـدماء)،في رحلة نفسية تاريخيـة تمتـد الى حاضـرنا الملطـخ بالـدماء و التمـزق و الوجـع، في رؤيـا استشرافية مثيرة للدهشة عند الشاعر أمل دنقل.

غيبة الزمن و تسكين اللغة في قناع الحسين عند البياتي:

عبد الوهاب البياتي (١٩٩٩ - ١٩٢٦) شاعر عراقي متميز في لغته و مبدع في تجربته المختلفة الخلاقة، فقد اشتغل البياتي بالكتابة الجديدة، ولوجا الى مستويات شعرية نافذة و تقنيات إبداعية مغايرة محاولا دوما أن يحقّق روح العدالة و الحق و الجمال و النضال و الثورة من خلال استدعاء أقنعة تراثية متنوعة وقد استثمر البياتي في ذلك لتخطي ذاتيته، فالشاعر ـ كما يقول البياتي ـ ''يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته، وبذلك يبتعد عن حدود الغنائية والرومانسية التي تروي أكثر الشعر العربي فيها''. ويقول البياتي أيضا ''إن القصيدة في مثل هذه الحالة عالم مستقل عن الشاعر، وإن كان هو خالقها''، و منها " الحلاج، المعري، الخيام، طرفة، أبو فراس، هملت، ناظم حكمت، السهروردي، ابن عربي، عائشة،..) و قناع الحسين عند البياتي يشترك في روح مقاومته وتضحيته واستشهاده و فكره إنه صراع الأنا و الآخر من أجل قيم الخير و الحب و التعايش و التكامل.

يقول البياتي في قصيدته (مذكرات رجل مجهول) من ديوانه أباريق مهشمة:

"٨ نيسان

أنا عامل ، ادعى سعيد

من الجنوب

أبواي ماتا في طريقهما إلى قبر الحسين

و كان عمري آنذاك

سنتين ـ ما أقسى الحياة

و أبشع الليل الطويل

و الموت في الريف العراقي الحزين-

و كان جدي لا يزال

كالكوكب الخاوي ، على قيد الحياة

١٣مارس

أعرفت معنى أن تكون ؟

متسولا ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبير!

و ذقت طعم اليتم مثلى والضياع ؟

أعرف معنى أن تكون ؟

لصاً يطارده الظلام

و الخوف عبر مقابر الريف الحزين"![١].

الشاعر في نصه في ضمير المتكلم (أنا)، حيث" يطغى الحضور كقيمة خلافية على الغياب"[٢]، و ربما يرجع الى ان الحضور متعدد الدلالات و الأبعاد فهو طفولة تأخذ زينتها من كل شيء (عامل ادعى سعيد)، لكنها – الطفولة – مستسلمة للعالم الجديد المنهار (أبواي ماتا) يتداعى الواقع الذاتي و العربي سريعا في النص ويشتعل الإيقاع غضباً، يستعين بالغاضبين الثائرين من رموز الرفض والثورة في تراثنا العربي الإسلامي، بأولئك الذين يشكلون النماذج العليا تاريخياً، وشعبياً، وسلوكيا ـ ولا يفوتنا أن نذكر

١) عبد الوهاب البياتي، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، دار الفارس للنشر، ١٩٩٥ ،بيروت، لبنان، ١٩٩٥ ،المجلد الأول، ص ١١٦.

٢) مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، ص ١٢٧.

استحضار مأساة الحسين في المسرح العربي المعاصر من خلال ما كتبه عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته (الحسين ثائراً) و(الحسين شهيداً) ومسرحية (ثانية يجيء الحسين) لمحمد الخفاجي ومسرحية (هكذا تكلم الحسين) لمحمد العفيفي ومسرحية (كربلاء) لوليد فاضل وتبقى مأساوية استشهاد أصحاب الدعوات النبيلة هي الأكثر استحواذاً على خيال شعرائنا ووجدانهم.

و تأخذ شخصية الحسين بن علي"موقعا متميزا في مسيرة الشهادة من وجهتي النظر التاريخية والفنية"[1] لذلك تشكل شخصيته ,وموقعة" كربلاء , "تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي لكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتنكيل أدى إلى فشلها، وإلى موت مأساوي لبطلها ومشعل وقودها" ; الحسين بن علي ,"ولم يكن سبب هذا الفشل نقصا أو قصور ا في دعوة صاحبها أو مبادئه ,وإنما سببها أنها كانت أكثر .(مثالية ونبلا من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله "[2].

و في قصيدة (رسائل الى الإمام الشافعي) من ديوان (قصائد على بوابات العالم السبع) يقول:

"قبلت شباك" الحسين "وغسلت الحجر الأسود بالدموع
نضوت في مواكب العزاء
الأشياء _ طفولتي مستنجدا بقوة
بفقراء الأرض
و معجزات الفجر
تهدل النور على الرياض في شيراز

---

١) خالد الكركي، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل ,بيروت,ط١، ص ٨٦.
٢) علي عشري زايد :استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٧، ص١٢١.

و فتحت أبوابها و رفرفت فراشة زرقاء. "[1].

أخذ الشاعر البياتي في هاته الأسطر، مادة حاشدة عن الحسين و تاريخه و لعب لعبته اللفظية و الفكرية و البصرية فيها فأعاد قراءة التاريخ بصريا و جماليا، وحول صورها إلى مشهديات و مقاطع و صور متراكمة متراكبة، (قبلت، غسلت نضوت، فتحت، رفرفت..) ،بعضها فوق بعض، كي لا تستثنى ولا تضيع ميزة أو قيمة من ميزات و قيم الحسين، آمن الشاعر بالحسين إيمانا، ينبع من القلب وبالعقائد وعدم الاستسلام أمام الظلم و القهر و الاستبداد إنّه قبل شباك الحسين، و ذرف الدمع هناك فجري الدمع للحسين يمحو آثار الذنب السوداء من القلب.

صوت القناع و كثافة المرئيات في شعر أدونيس:

مرآة الرأس..مشهديات الفجيعة:

ويستدعي أدونيس شخصية الحسين في قصيدة (مرآة الرأس) من ديوانه المسرح و المرايا، التي تعكس تجربته مع الحسين بصورة عميقة في توظيف المأساة من خلال ثلاثة مقاطع / مرايا , (مرآة الرأس ــ مرآة الشاهد ــ مرآة لمسجد الحسين) ففي مرآة الرأس، يبدأ النص بحوار بين رجل وزوجته يبشرها بمال الدهر والرأس. ,..لكنها ترفضه عندما تعرف أنه عاد برأس الحسين , وتلومه وتهجره ,يقول أدونيس:

"سايرته، رصدته،

غلغلت في جفونه،

أيقظت كل شهوتي هجمت و احترزته

و جئت...

كانت زوجتي نوار

---

١) عبد الوهاب البياتي، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، ص ٢٤٢ـ٢٤٣.

تفتح باب الدار

ـأوحشتني اطلت، كيف ؟

ـأبشري,

ـجئتك بالدهر ,بمال الدهر

ـمن أين ,وكيف ,أين?

ـبرأسه...

ـالحسين ؟

ـويلك يوم الحشر

ـويلك لن يجمعني ..طريق أو حلم أو نوم

إليك بعد اليوم

وهاجرت نوار.."[1]

النص مسكون بروح بصرية وثابة و حقيقية و مؤلمة، حيث جعل الشاعر أدونيس حواره الغني السريع القصير (سايرته – رصدته – غلغلت – أيقظت – هجمت – احترزت – جئت – أطلت – أبشري جئتك – هاجرت)،متفردا متكثرا غزيرا، و راح يوحي من خلاله بالذات و فرحتها و زهوها و عبر مشهدياتها بكل أبعادها و تنوعاتها، مع الآخر تصطدم برأس الحسين مقطوعا، في معطى تاريخي أليم و حاضر تعرض للنقض و التشويه مرارا و تكرارا، فيعمد أدونيس إلى إسقاط الخبر التاريخي المفجع، في حكاية تراثية دينية و التي تتحدث عن رأس الحسين , والاكتفاء بهذه الإشارة يحقق عمقا

١) ادونيس، المسرح و المرايا (١٩٦٥ – ١٩٦٧) صياغة نهائية، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨ ص٨٣.

للنص الشعري ,ويضفي إليه سردية شعرية بصرية متنامية متحركـة في لقطـات تتبعيـة ""حيث تتبع الكاميرا شيئا ما فتتحرك على حامل او عربة متتبعة شخصا سائرا"،[1]

مرآة الشاهد..صدمة الذاكرة:

لتتوالى المشاهد تباعا في قصيدته مرآة الشاهد:

وحينما استقرت الرماح في حشاشة الحسين

و ازينت بجسد الحسين

و داست الخيول كل نقطة

في جسد الحسين

و استلبت و قسمت ملابس الحسين

رأيت كل حجر يحنو على الحسين

رأيت كل زهرة تنام عند كتف الحسين

رأيت كل نهر

(يسير في جنازة الحسين "[2].

يغوص الشاعر في أفعال نصه الشعري، (استقرت – ازينت – داست – اسـتلبت – رأيت – رأيت – رأيت – يسير)، طارحا مرايا عاكسة، لحالة الألم الحدث المأسـاوي الذي حل بالحسين , وقدم الشاعر ذلك من خلال رؤيا نصية في صياغة بصـرية أسـئلة النضال والكفاح والتعايش والذات والهوية للحسين وكيف طحنته الموت غدرا،من هنـا بدا النص مثقلا بالرؤيا رؤيا الموت في كل مكان (رأيت – رأيت – رأيت) في تكرار مثير

---

١) محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحـديث (١٩٥٠ـ ٢٠٠٤)، النـادي الأدبي الريـاض، السعودية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٢٠٠٨،١، ص٢٤١.

٢) أدونيس، المسرح والمرايا، ص٨٤.

و رؤيا الحسين في كل زمان و مكـان (حشاشـة الحسـين – جسـد الحسـين – ملابـس الحسين – كتف الحسين – جنازة الحسين).

مرآة لمسجد الحسين..شذرات الموت:

و بعيدا عن المباشرة والسطحية يواصل الشاعر في مرآة لمسجد الحسين:

"ألا ترى الأشجار وهي تمشي

حدبا ء ،

في سكر و في أناة

كي تشهد الصلاة؟

ألا ترى سيفا بغير غمد

يبكي,

و سيافا بلا يدين

يطوف حول مسجد الحسين"؟[1].

في نشيد جماعي، و مشاهد بصرية صادمة، تبكي الأشجار و يصلي السيف انها آلام الحسين بكل تفاصيلها الذاتية و انهياراتها الحاضرة، تندمج مع روح الشاعر لتختفي عبر كل الأزمنة و المكنة في مرايا عاكسة لحاضرنا المشتت الممزق؟.

قناع الحسين أسئلة الذات و ذاكرة الآتي:

نصوص الشعر العربي المعاصر، لا تكاد تشبه أية نصوص أخرى، فقد ظلت دائما تبحث في تاريخها و تراثها العـربي الإسـلامي، ملتقطـة الأقنعـة و الرمـوز في روحهـا و تعقيدها و بساطتها احلامها و ذكرياتها و نضالها وتعايشـها لتسـتحوذ علـى الآتي، ومـا سيكون معيدة تكوينها، ونافخة فيها روح الثورة و التجديد و التشـكيل و النـهوض و

١) المرجع نفسه، ص٨٥.

القوة و العدل و التكامل الإنساني، و كان قناع الحسين في روحيته و صوفيته عميقا مثيرا في انطلاقه و رفضه للظلم و الاستعباد على امتداد زمني لا نهائي بعيد.

الزيارة الأربعينية من منظور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ م

المدرس الدكتور حيدر عبد الحسين مير زوين
المدرس الدكتور مصعب مكي عبد
كلية الآداب- جامعة الكوفة

المقدمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن والاهم الى يوم الدين.

وبعد تعد الزيارة الأربعينية من الزيارات المليونية التي يشهدها العراق حالياً وشهدها سابقاً وقد حفلت هذه الزيارة فضلاً عن زيارات أخر بعدة مآثر ومزايا جعلتها هي السائدة فهي الحافلة بمجموعة من الكرامات التي رزقها الله لزوار ضريح الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، فضلاً عن كم كثير من القيم السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها ومعظم هذه الكرامات واضحة وظاهرة للعيان لكل من بعد الخطى لزيارة المولى أبي عبد الله (عليه السلام).

وتذكر المصادر أن أول من زار الحسين (عليه السلام) هو جابر بن عبد الله الأنصاري الذي يعد أحد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المقربين الثقاة وهو ممن سمع كلام رسول الله وسمع حديثه ونقل جمعاً كبيرا من تلك الأحاديث وقد وافق وصوله الى كربلاء في ليلة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) أي قبيل وصول الإمام السجاد (عليه السلام) الى أرض الغاضرية.

وقد قسّمنا البحث الموسوم بـ((الزيارة الأربعينية من منظور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ـ ١٩٤٨م)) على خمسة محاور، سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فضلاً عن قائمتين إحداهما لهوامش البحث والأخرى لمظان البحث الرئيسة ووسم المحور الأول بـ(الزيارة الأربعينية نبذة مختصرة) فيما أطلقت على المحور الثاني: الإعلان العالمي لحقوق الانسان (نبذة مختصرة) وتضمن المحور الثالث دراسة لـ(مواطن التقارب بين الزيارة الأربعينية والاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ١٩٤٨م) وضم المحور الرابع: دراسة لـ(مواطن الاختلاف بين الزيارة الأربعينية والاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ١٩٤٨ م)، فيما حمل المبحث الخامس عنوان: أهم التوصيات التي خلص إليها البحث.

وقد استعان الباحثان بمجموعة من المصادر الاجتماعية والثقافية واللغوية والدينية، ومصادر العقيدة كي ينجزا هذا البحث المتواضع فهما لا يدعيان الكمال في كل ما قاما به وما بذلاه من جهد ؛ لأن الكمال لله عز وجل والعصمة له وحده لا شريك له والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الباحثان

المحور الأول

زيارة الأربعين (نبذة مختصرة)

ذكرت مجموعة من المصادر هذه الزيارة وركزت على أهميتها واستحبابها في الامام الحسين(عليه السلام) من دون غيره من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وعلى هذا يكون موعد هذه الزيارة يوم العشرين من شهر صفر من كل سنة وهو موعد رجوع موكب سبايا الطف من الشام الى المدينة وتزامن يوم دخولهم الى كربلاء ومن تلك

المصادر:

١. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تأليف: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، نشر وتحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الاولى ١٩٩٥.

٢. أمالي الشيخ الصدوق، تأليف / الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٣. أصول الكافي: تأليف / ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الشيخ الكليني، منشورات: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، والرواية التي ذكرتها المصادر أعلاه تتضمن دخول الموكب الحسيني الى كربلاء في يوم الأربعين لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) أما الرواية الثانية فنقلها الينا السيد ابن طاووس في كتابه (اللهوف في قتلى الطفوف) وابن نما الحلي في كتابه (مثير الأحزان) وهي دخولهم الى المدينة المنورة في يوم العشرين من شهر صفر، فضلاً عن ذلك اختلف الدارسون في لقاء الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري فمنهم من يؤكد على هذا اللقاء ومنهم من ينكره ومن الذين ينكرونه هو عماد الدين الطبري المتوفى سنة (٥٢٥هـ).

وقد حثّ جمع من أئمة أهل البيت (عليه السلام) على زيارة الأربعين(عليه السلام) ومن الأحاديث التي دلت على ذلك: قال الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام): ((علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم

باليمين وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[1] وعلى هذا الأساس أتخذ هذا التاريخ ألا وهو العشرين من شهر صفر منذ سنة ٦١هـ ولحد الآن موعداً مهماً لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) فتكاثرت أعداد الزائرين الى قبر سيد الشهداء (عليه السلام) على الرغم من المحاولات اليائسة التي قام بها الحكام الطغاة من أجل منع الناس من زيارة المولى أبي عبد الله(عليه السلام) ولاسيما من قبل المتوكل العباسي الذي قام بعدة محاولات من أجل منع زوار الحسين من الزيارة وتمثلت هذه المحاولات بالنقاط الآتية:

١. هدم المرقد المقدس لسيد الشهداء (عليه السلام) في حكم المتوكل العباسي[2]
٢. فرض الضرائب العالية على زوار ضريح الإمام الحسين[3]ـ ضريبة قطع إحدى اليدين لكل من ألقي عليه القبض في أثناء زيارة الأربعين[4].
٣. ضريبة قتل الأنفس وتنص على قتل نسبة من زائري الأربعينية وهم في أثناء الطريق لزيارة المولى ابي عبد الله الحسين عليه السلام[5].
٤. ضريبة الحجز لمدة طويلة من الزمن وقد ارتكبت هذه الأحكام إذ بان انتفاضة صفر ١٩٧٧م إذ قام النظام السابق باحتجاز الآلاف وزجهم في طوامير الزنزانات وأعدم وجبة أخرى من الزوار الذين وفدوا مشيا على الأقدام الى هذه الزيارة[6].
٥. منع المواكب الحسينية من تقديم وجبات الطعام والماء وأقداح الشاي الى زوار الحسين (عليه السلام) واتلاف مالديهم من مؤونة وقام بعض أزلام النظام برمي قدور الطهي وهي مملوءة بالطعام على الأرض والعبث بسرادق الراحة المنصبة لخدمة الزوار وهذا ما قام به النظام المقبور في سنة ١٩٧٧م أيضاً [7].

---

١) بحار الأنوار: ٣٢٩/٩٨.
٢) ينظر: مقاتل الطالبيين: ٣٩٥.
٣) ينظر: مقاتل الطالبيين: ٣٩٥.
٤) ينظر: المصدر نفسه، ٢٠٣.
٥) ينظر: المصدر نفسه، ٢٠٤.
٦) ينظر: النجف،.. نظرة الى وقائع انتفاضة شعبان ١٤١١هـ، دـ وليد شهيب الحلي، مقالة منشورة على الموقع w.w.w.haydarya.com.
٧) المصدر نفسه.

٦. قطع الماء الصالح للشرب عن الزوار بغية منعهم من الزيارة[١].

٧. تهديد أصحاب السيارات من السير باتجاه كربلاء في زيارة الأربعين وفي حالة عدم امتثالهم فإنهم سيواجهون أحكام وخيمة لا تحمد عقباها[٢].

٨. نصب السيطرات التابعة الى أجهزة الشرطة والمخابرات والاستخبارات لإرجاع الزوار القاصدين الى طريق كربلاء على الطرق الرئيسة والفرعية التي تؤدي مخارجها الى كربلاء[٣].

١) المصدر نفسه.

٢) المصدر نفسه.

٣) المصدر نفسه.

المحور الثاني

الإعلان العالمي لحقوق الانسان- ١٩٤٨م (نبذة مختصرة)

أولاً: تعريف الإعلان

وهو عبارة عن وثيقة حقوق دولية تمثل الاعلان الذي تبنته الامم المتحدة في العاشر من ديسمبر ١٩٤٨م وكان مقره في قصر شابو في العاصمة الفرنسية (باريس) ويمثل الإعلان رأي الأمم المتحدة بحقوق الإنسان المحمية لدى جميع البشر[١].

ثانياً: حيثيات الإعلان

ويعد هذا الإعلان وثيقة دولية إذ تتكون من ٣٠ مادة وقد حصلت على موقعاً مرموقاً في القانون الدولي ويرى الدارسون أن الإعلان العالمي لحقوق الانسان ـ١٩٤٨م يعد قطباً ثالثاً ورئيسا مكملاً لوثيقتي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية من سنة ١٩٦٦م والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العام نفسه والدافع الرئيس الى هذا الإعلان هو ما شهده العالم في أثناء الحرب العالمية الثانية من انتهاكات وفضائع بحق الانسانية لذا قرر زعماء العالم إكمال ميثاق الأمم المتحدة بخريطة طريق تضمن حقوق كل فرد من أفراد المجتمع بصرف النظر عن المكان والزمان، وكانت اللبنات الأولى لهذا الإعلان قد وضعت منذ الدورة الأولى في عام ١٩٤٦م وتم استعراض المشروع من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة تمت إحالته الى المجلس الاقتصادي والاجتماعي بغية عرضه على لجنة حقوق الانسان للنظر فيه وقامت اللجنة في دورتها الأولى عام ١٩٤٧م بتفويض أعضاء مكتبها لصياغة ما أطلق عليه بـ(مشروع مبدئي للشرعة الدولية لحقوق الانسان)[٢].

ثم تم استئناف العمل من قبل لجنة صياغة رسمية تتألف من أعضاء اللجنة الذين تم اختيارهم من ثمانية أقطار، وقد تألفت لجنة حقوق الانسان من ثمانية عشر عضواً مثلوا شتى الخلفيات السياسية والثقافية والدينية وقد قامت السيدة اليانور روزفلت أرملة الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت برئاسة لجنة صياغة الإعلان العالمي لحقوق الانسان

---

١) ينظر: القانون الدولي لحقوق الانسان brselem. Org،m.

٢) ينظر: المصدر نفسه.

بالاشتراك مع السيد رينيه كاسين من فرنسا الـذي قـام بوضـع الأسـس الأولى للإعـلان ومقرر الجلسة السيد تشارلز مالك من لبنان ونائب رئيسة اللجنـة السـيد بونـغ شـونغ شانغ من الصين والسيد جون همفري من كندا فضلاً عـن مـدير شـعبة الأمـم المتحـدة لحقوق الانسان الذي أعد مخطط الإعلان [1].

وتم اقتراح المشروع الأولي للإعلان في شهر أيلول- ١٩٤٨م بمشاركة أكثر مـن ٥٠ دولةً وبموجب القـرار المـرقم ٢١٧/أ- ثالثـاً في العاشـر مـن كـانون الأول – ديسـمبر / ١٩٤٨م تم اعتماد الجمعية العامة للأمـم المتحـدة الإعـلان العـالمي لحقـوق الانسـان في باريس ومن الجدير بالذكر ان ثمـاني دول امتنعـت عـن التصـويت علـى هـذا الإعـلان واستغرق اعداد النص الكامل للإعلان مدة لا تقل عن السنتين[2].

١) ينظر www.un.org.

٢) ينظر: المصدر نفسه.

المحور الثالث

مواضع التشابه بين زيارة الأربعين والإعلان العالمي لحقوق الإنسان

المادة١ـ وتنص على أن: ((يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء))[١] وتنسجم هذه المادة مع زيارة الاربعين فكل الزوار لهم الحقوق نفسها وعليهم واجبات ويعامل أحدهم الآخر بروح الإخوة.

المادة٢ – وتنص على: ((لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود))[٢].

وتتطابق هذه المادة مع زيارة الاربعين فليس للرجل الحق في منع المرأة للخروج الى الزيارة الأربعينية فضلاً عن تساوي الجنسين في أثناء الزيارة ولا توجد أفضلية لأي عنصر على آخر والدليل على ذلك وفود الملايين من عناصر غير عربية لزيارة مرقد الحسين.

المادة٧: وتنص على أن: ((كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا))[٣]. ومن الأمثلة التي يمكن ان تنطبق

---

١) دور لبنان في صنع الإعلان العالمي لحقوق الانسان ١٩٤٨م: المؤلف/ شارل مالك، تحرير وتحقيق: رفيق معلوف وحبيب مالك وجورج صبرا،ط١، منشورات: مؤسسة شارل مالك، بيروت- ١٩٩٨ م، ٩٢.

٢) دور لبنان: ١٠٢.

٣) المصدر نفسه: ١٠٥.

على هذه المادة هي تكاتف الزوار في هذه الزيارة لإبلاغ أجهزة الأمن عن الحالات المشبوهة التي تثير الشك والريبة حماية للجميع فضلاً عن عدم تصديق الأخبار المضللة التي تبث من قبل زمر الإرهاب بين الفينة والفينة.

المادة١٣:

(١) ((لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة))[١].

(٢) ((يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه))[٢].

فالفقرة الأولى من هذه المادة تتمثل في انتقال زوار المحافظات العراقية من والى كربلاء يوم الزيارة وقبلها وبعدها.

أما الفقرة الثانية فتشمل الزوار الأجانب الذين يفدون الى كربلاء ثم العودة الى بلدانهم من دون أي خرق يذكر من جميع الأطراف سوى الأمور التي تمس الإرهاب وهذه تحصل نادراً.

المادة١٦ – الفقرة ٣: وهي تنص على إن ((الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة))[٣]، وخير دليل على ذلك هو قيام الأسر العراقية برمتها باستضافة زائري كربلاء في أيام زيارة الأربعين (عليه السلام) إذ يتسابق النساء والرجال في هذه الأسر من أجل تقديم الخدمات للزوار جميعاً وبحسب الأعمال التي يقومون بها.

---

١) المصدر نفسه: ١١٢.

٢) المصدر نفسه: ١١٢.

٣) دور لبنان في صنع الإعلان العالمي لحقوق الانسان،١٣١.

المادة ١٨: وهي تنص على أن ((لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة))[١].

فالزيارة هي نوع من الشعائر التي يمارسها أبناء الشعب الواحد فلهم الحق في الإعراب عنها وممارستها وقد وردت في القران الكريم في قوله تعالى: ((ومن يعظِم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب))[٢] لذا تكفل هذا الإعلان في هذا الجانب ويمكن ان تمارس هذه الشعيرة انفرادياً أو جماعياً.

المادة التاسعة عشر: وهي تنص على أن: ((لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية))[٣].

فالزيارة هي حرية التعبير عن الشعائر وهي تدخل من باب حرية اعتناق الآراء فلكل فرد رأيه وهو رأي يعتز به ولكلٍ فكره من دون أن يمسه أحد فضلاً عن ذلك المواكب الحسينية التي تنطلق لتقديم الخدمات للزائرين فبعض منها يمتلك الإمكانية لنقل هذه الشعائر الى الدول الأخرى عبر الأقمار الصناعية، وفي ذلك تطابق كبير بين هذه المادة والزيارة الأربعينية.

المحور الرابع

مواطن الاختلاف بين الزيارة الأربعينية والاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ١٩٤٨ م.

بعد أن ذكرنا في المحور السابق مواطن التطابق بين الزيارة الأربعينية والإعلان العالمي لحقوق الانسان ١٩٤٨ م لابد لنا أن نعرج على ذكر مواطن الاختلاف بين المقصودين بالدراسة من خلال النقاط الآتية:

---

١) المصدر نفسه: ١٣٥،

٢) (سورة الحج: الآية ٣٢)،

٣) دور لبنان: ١٥٩

١- تختلف الزيارة الأربعينية مع الإعلان العالمي لحقوق الانسان في المواد الآتية: المادة الثالثة، المادة الرابعة، المادة الخامسة، المادة السادسة، المادة الثامنة، المادة التاسعة، المادة العاشرة، المادة الحادية عشرة، المادة الثانية عشرة، المادة الرابعة عشرة، المادة الخامسة عشرة، المادة السابعة عشرة، المادة الثامنة عشرة، المادة العشرون وحتى المادة الثلاثين.

٢- مضمون هذه المواد التي ذكرت في الاعلان يخص أو يتعلق بمفاصل مجتمعية أخرى مثل الأسرة والجمعيات والنقابات، والأحزاب السياسية والحياة الحرة الكريمة والضمان الاجتماعي وغيرها.

٣- هذه المفاصل التي ذكرت في الفقرات السابقة من الإعلان العالمي لحقوق الانسان لا تمت الى الزيارة الاربعينية بصفة تذكر.

المحور الخامس

التوصيات التي خرج منها البحث

١- ضرورة تكاتف أبناء الشعب الواحد في خضم هذه الزيارة المليونية.
٢- ضرورة تشكيل وزارة جديدة تختص بالزيارات المليونية التي يشهدها العراق.
٣- ضرورة استيفاء مبالغ الفيزا من جميع الزائرين بمعدل ٥٠ دولار أميركي كما هو الحال في ايران واستقطاع نسبة ١٠% منها لدعم الزيارة الأربعينية فهي موارد جديدة تنفع البلاد والعباد.
٤- تعبيد طرق جديدة تصل إلى كربلاء ولاسيما من المحافظات القريبة مثل بابل والنجف وبغداد حتى تستوعب الأعداد المتزايدة من الزوار.
٥- ضرورة مد سكك حديدية تنطلق من كربلاء وتتصل بها ولابد من جعل ممراتها بعيدة عن طرق السيارات.
٦- حث المحافظات الأخرى على اتباع تجربة محافظة النجف وهي استعمال التكسي النهري لتخفيف العبء المتوقع على الطرق البرية في المناسبات المليونية وقد تم ربط محافظات المثنى والقادسية والنجف وكربلاء بهذه المنظومة المائية ومن الممكن إعمام التجربة على المحافظات الأخرى.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث المتواضع سيعرض الباحثان لأهم النتائج التي توصلا إليها:

١- اختلف الدارسون في زيارة الركب الحسيني الى قير الحسين الشهيد يوم الأربعين فذهب بعض منهم الى أن الركب وصل يوم الأربعين الى المدينة المنورة ولكن الأعم الأغلب رأى أن يوم الأربعين شهد زيارة الركب الى مرقد الإمام الحسين(عليه السلام).

٢- ورود مجموعة من الروايات صادرة عن ائمة آل البيت (علي) تذكر الثواب الجزيل من جراء زيارة الأربعين والمشهور منها حديث الامام الحسن بن علي العسكري(عليهما السلام).

٣- اتفقت مجموعة من المواد الصادرة عن الاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ١٩٤٨ مع الزيارة الأربعينية ولاسيما في مسائل الحريات العامة للأشخاص وللمجموعة وحق التعبير فضلا عن حرية ممارسة الشعائر الدينية ومن تلك المواد المادة الأولى والمادة الثانية والمادة السابعة والمادة السادسة عشر والمادة الثامنة عشر فضلاً عن المادة التاسعة عشر.

٤- اختلفت المواد الأخرى التي صدرت عن الاعلان العالمي للأمم المتحدة في باريس- ١٩٤٨ م مع زيارة الاربعين، والسبب في ذلك كما يراه الباحثان مرجعه الى طبيعة الإعلان الذي ناقش مسائل عدة تتعلق بالنقابات والجمعيات والضمان الاجتماعي والتعليم والصحة وغيرها.

مظان البحث الرئيسة

أولاً: (المصادر والمراجع)

كتاب الله العزيز القرآن الكريم

- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تأليف: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، شرح وتحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم – إيران، الطبعة الأولى – ١٩٩٥م.

- أصول الكافي: تأليف / ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الشيخ الكليني، منشورات: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م- ١٤٢٥هـ.
- أمالي الشيخ الصدوق،تأليف / الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م .
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف: العلامة محمد باقر المجلسي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٣، مصححة،١٩٨٣م.
- دور لبنان في صنع الإعلان العالمي لحقوق الانسان ١٩٤٨م: المؤلف/ شارل مالك، تحرير وتحقيق: رفيق معلوف وحبيب مالك وجورج صبرا،ط١، منشورات: مؤسسة شارل مالك، بيروت- ١٩٩٨ م.
- اللهوف في قتلى الطفوف: تأليف على بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني، (ت: ٦١٤ هـ)، ط١: مكتبة الاندلس(د.ت) - بيروت.
- مثير الأحزان لابن نما نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء (ت: ٦٤٥ ه)، ط، المطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٦٩ هـ.
- مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصبهاني(٢٨٤-٣٥٦ هـ)، قدم له واشرف على طبعه: كاظم المظفر، الطبعة الثانية، نشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم- إيران، منشورات: المكتبة الحيدرية ومطابعها – النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

ثانياً: المواقع الالكترونية

- القانون الدولي لحقوق الانسان brselem. org،m
- www.un.org
- النجف،.. نظرة الى وقائع انتفاضة شعبان ١٤١١هـ، د- وليد شهيب الحلي، مقالة منشورة على الموقع w.w.w.haydarya.com

دور الزيارة الأربعينية
بتعزيز القيم الاجتماعية

م. م. ميس محمد كاظم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مركـز البحـوث النفسية

المقدمة

الحسين عنوان ورسالة وقيم واسم كريم يتردد على مر العصور والأزمنة، إن لزيارة الإمام الحسين دور مهم وفعال في تحريك الجماهير للأهداف السامية التي مثلها الإمام الحسين (عليه السلام) وثار من اجلها وهي قيم الايمان والحرية والعدالة والإنسانية وغيرها كثير لذلك نحتاج ان تكون الزيارة عملا ثقافيا توجيهيا وتوعويا لإرشاد الناس إلى أهم القيم التي أكدت عليها الثورة لاسيما استثمار العواطف الجياشة لتعريفهم ببعض تلك القيم فضلا عن المبدأ الأساس وهو نصرة الدين الإسلامي، إن الثورة الحسينية تحمل دروساً وعبراً تخاطب الإنسانية على مر العصور والأزمنة ينبغي تسليط الضوء عليها والاستفادة منها من الناحية الاجتماعية والتربوية والنواحي الأخرى.

ملخص البحث

استطاع الامام الحسين (عليه السلام) ان يضرب أروع الأمثلة في مقارعة الطغيان والظلم والظالمين وكانت بحق ثورة انتصار الحق على الباطل ثورة للإصلاح ولضمان مبدأ حرية الإنسان وكرامته ومنحه حقوقه وان يعيش حياة حرة كريمة بعيدة عن الذل والهوان فهي ثورة للإنسانية جمعاء ولهذا بقي صداها المؤثر منذ استشهاده (عليه السلام) في سنة ٦١هـ حتى يومنا هذا كشعلة متوهجة لا تنطفئ، لابد لنا ان نتعلم من ثورة الحسين هذه المدرسة الخالدة الدروس، فواقعة الطف كنز لا نفاد له ولا انتهاء له بل امتداد روحي وأخلاقي وثقافي واجتماعي رسم معالم الحياة اللاحقة وأكدت على قيم نبيلة فكانت ثورة قيمية تحمل مبادئ سامية، لقد أدت الزيارة الأربعينية منذ انبثاقها وحتى الان وظيفتها الأساسية وهي المحافظة على التواصل وتجديد العهد بين المسلمين والإمام الحسين (عليه السلام) فان للزيارة الأربعينية دلالات كثيرة، عقائدية واجتماعية وثقافية ينبغي الأخذ بها والاستفادة منها كدروس في حياتنا اليومية وان نجعل اثرها كامناً في النفس طيلة ايام السنة وليس فقط في شهري محرم وصفر فهي تحمل برنامجاً توعوياً متكاملاً يلخص الحياة البشرية، إضافة الى ذلك نجد ان الزيارة الأربعينية تعزز مبدأ التكافل الاجتماعي بين ابناء المجتمع من خلال التعاون المشترك وتقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين من طعام وملبس وعناية صحية وغير ذلك كثير فهي قيمة أساسية من مجموع القيم التي اكد عليها الإمام الحسين (عليه السلام) في ثورته،لذا تعتبر الزيارة الأربعينية حركة نامية متطورة تخفي بين طياتها رموزا كبيرة واسراراً عظيمة.

حاول البحث تسليط الضوء على دور الزيارة الأربعينية بتعزيز القيم الاجتماعية من خلال الاتي:.

أولا:. الاطار العام للدراسة.

ثانيا:. تحديد المفاهيم العلمية.

ثالثا:. دور الزيارة الأربعينية بتعزيز القيم الاجتماعية في المجتمع العراقي.

رابعا:. الزيارة الأربعينية برنامج توعـوي.

خامسا:. الزيارة الأربعينية والتكافل الاجتماعي.

سادسا:. الخاتمة.

سابعا:. ملخص البحث باللغة الانكليزية.

أولا: الإطار العام للدراسة

لاشك ان الإطار العام للدراسة في البحوث والدراسات العلمية له أهمية كبيرة، فهو يضع الحجر الأساس للموضوعات التي يتناولها البحث العلمي، وفي بحثنا هذا فإن الإطار العام الذي سنتناوله يوضح للقارئ الموضوعات ذات العلاقة المباشرة بدور الزيارة الأربعينية بتعزيز القيم الاجتماعية إذ تعد بمثابة معلومات يستفيد منها المختص وغير المختص في هذا المجال. ويتضمن الاطار العام للدراسة الاتي:

١- مشكلة الدراسة

إن الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) ظاهرة دينية تكرارية تتجدد في كل عام تحمل معها مجموعة من المبادئ والقيم الاجتماعية والدينية ان ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) هي ثورة إنسانية كبرى بكل أبعادها حدثت في عصر معين لكن إشعاعاتها وقيمها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير يشع على كل أمم الأرض ما دام الظلم والاضطهاد قائمين في هذا العالم. ولا بد لنا أن نستحضر قيم تلك الثورة الخالدة في كل لحظة من لحظات هذا الزمن، فما أحوجنا اليوم إلى مبادئ الحسين ع لترجمة فصول تلك الثورة الزاخرة بالقيم الإنسانية الكبرى وتحويلها إلى عمل ملموس وواقعي يغير من هذا الواقع المزري والبائس الذي نعيشه كمسلمين بالدرجة الأولى بعد أن أعيانا التخلف والنكوص والتقوقع وراء الشعارات الخاوية، وبهذا يمكن القول ان القيم السامية للثورة الحسينية لا بد من ترسيخها والأخذ بها من اجل النهوض بالواقع الحالي وهنا يكمن دور المجالس الحسينية والبرامج الدينية في نشر هذه القيم لا سيما بالمناسبات الدينية والزيارة الأربعينية خير دليل على ذلك.

٢- أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال تسليط الضوء على الآتي:.

١ـ إن للزيارة الأربعينية دور بتعزيز القيم الاجتماعية لا سيما إن ثورة الإمام الحسين جاءت من اجل قيم ومبادئ سامية تخدم الأمة الإسلامية.

٢ـ هناك أبعاد ايجابية للزيارة الأربعينيـة مـن شـانها إن تشـكل دافعـا قويـا للنـهوض بمجتمعنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة معتمدة في ذلك على اسـتثمار العواطـف الجياشة للحشود المليونية.

٣- أهداف الدراسة

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتيـة:

١ـ التعرف على دور الزيارة الأربعينية بتعزيز القيم الاجتماعية.

٢ـ التأكيد على أهمية الزيارة الأربعينية بتوعية أبناء المجتمع بالقيم التي ثـار مـن اجلـها الإمام الحسين علية السلام والعمل بها من خلال المجالس الحسينية والبرامج الدينيـة التوعوية.

٣ـ إبراز أهمية الزيارة الأربعينية بتعزيز مبدأ التكافل الاجتماعي.

ثانيا: المفاهيم العلمية

ان تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية خطوة مهمة من خطوات البحث العلمي فهي تساعد الباحث على فهم المعاني والأفكار لتلك المفاهيم ويعرف المقصود بها في الدراسة، كما إن المفاهيم العلمية بمثابة المرتكزات الأساسية للدراسة التي من خلالها يستطيع الباحث رسم صورة واضحة عن موضوع الدراسة ومضامينها.

١. الدور - (The Role)

أ- الدور لغويا: "انه العمل أو المهنة التي يؤديها الفرد "[١].

ب- الدور الاجتماعي اصطلاحاً: " عرفه عالم الاجتماع لنتون بأنه الجانب الدينامكي لمركز الفرد او وضعه او مكانته في الجماعة "[٢].

ت- التعريف الإجرائي: هو سلوك الزائر الذي يتحدد وفق منظومة القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، فهو السلوك المعتمد على ادوار الأفراد الاخرين الذين ينتمي اليهم داخل الجماعة فهو دور متغير وليس ثابتاً.

١. القيم Values

أ- القيم لغويا "القيم مفردها قيمة، وهي اسم من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل واستوى، وقد وردت في لسان العرب على أنها الاستقامة، تعني اعتدال الشيء واستوائه "[٣].

ب- القيم اصطلاحا "هي ظواهر اجتماعية ثقافية تساهم في ربط تماسك أجزاء البناء الاجتماعي معا، وفي تحقيق الوظائف الاجتماعية بما تقوم به من ضبط للسلوك وتحقيق الامتثال للمجتمع وقواعد النظام العام"[١].

---

١) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة بيروت، ١٩٧٧، ص ٧.

٢) حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٣.

٣) ابن منظور جمال الدين محمد، معجم لسان العرب، مجلد٢، دار صادر، بيروت،١٩٥٦، ص٧٢.

ت- التعريف الإجرائي: هي مجموعة من المبادئ التي يتمسك بها الزائرون داخل مجتمع ما وهي غالبا ما تمثل ثقافة ذلك المجتمع.

١) محمد حسن الشناوي وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، الطبعة الأولى، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١، ص١٨٩.

١- القيم الاجتماعية Social Values

أ- "أنها مجموعة العادات والأعراف ومعايير السلوك والمبادئ المرغوبة التي تمثل ثقافة مجموعة من الناس أو جماعة أو فرد، وتعتبر عناصر بنائية مشتقة من التفاعل الاجتماعي وتعبر عن مكونات أساسية للمجتمع الإنساني، كما أن دراستها تعتبر مهمة للبحث الاجتماعي"[١].

ب- "أنها هدف أو معيار حكم يكون بالنسبة لثقافة معينة شيئا مرغوبا أو غير مرغوب لذاته "[٢].

ت- "أنها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في المواقف لذا يرى أن القيم التزام عميق من شأنه أن يؤثر في الاختيارات بين بدائل الفعل السلوك"[٣].

التعريف الاجرائي: هي مجموعة من المعايير والأحكام التي تحكم تصرفات الزائرين وفق ما يمليه عليهم مجتمعهم من قيم واعتبارات تضبط سلوك الإفراد.

ثالثا: دور الزيارة الأربعينية بتعزيز القيم الاجتماعية في المجتمع العراقي

للقيم الاجتماعية أهمية في حياة المجتمع كما لها أهمية في حياة الأفراد فهي تمس العلاقات الإنسانية بصورها كافة وهي معايير وأهداف تسعى المجتمعات والأفراد

---

١) رضوان وكيفن، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، ٢٠١٠، ص٦٢.

٢) خلف نصار محسن، القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، سنة ١٩٧٨، ص ١٤.

٣) ضياء زاهر-أحمد حسين اللقاني، القيم في العملية التربوية، موسوعة الخليج العربي، القاهره،١٩٨٦ص١٨-١٩.

الوصول اليها لهذا نجدها في كل مجتمع من المجتمعات، حيث تعدها المجتمعات غاية في ذاتها وصورة من الصور التي تساعدها على وصول المجتمع لحالات أحسن وأرقى[١].

حيث يعتمد المجتمع في تكامل بنيته الاجتماعية على القيم المشتركة بين أعضائه وكلما اتسع مداها بينهم اتسعت وحدة مجتمعهم، في حين تضعف تلك الوحدة كلما انحسر مدى تلك القيم بينهم وربما قد يؤدي التنافر والاختلاف في القيم الى صراع بين أعضاء ذلك المجتمع وغالباً ما يقود الى تفككه والى صعوبة الوصول الى اتفاق بين أفراده في الأمور المهمة[٢].

للقيم أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع لأنها تمثل ركنا أساسا في تكوين العلاقات بين الأفراد وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم إضافة الى أنها تشكل معايير وأهداف تنظم سلوك الجماعة وتوجهها كما أنها للفرد بمثابة دوافع محركة لسلوكه ومحدده لهذا السلوك وأنها من الأبعاد المكنونة لشخصيته فهي تؤدي دورا فعالا لتكامل شخصية الفرد وتصل بها الى كل تقدم ورقي[٣].

يمكن القول أن للقيم أهمية بالغة في حياة الفرد وكذلك بالنسبة للمجتمع بصورة عامة فهي تعتبر محدداً أساساً لسلوك الفرد وفي كيفية تعامله مع الآخرين وبهذا يمكن أن نعتبرها ضابط من الضوابط التي تحكم الأفراد.

تبدو أهمية القيم في قدرتها على السماح للأفراد بتطوير توقعاتهم المستقرة على سلوك الآخرين وتمكنهم من اداء التزاماتهم المختلفة لأدوارهم حيث نجد المرء بحاجة ماسة الى التعامل مع الأشخاص والمواقف والأشياء على أساس القيم فهي تعمل بمثابة موجهات لسلوكه وطاقات ودوافع لنشاطه وهكذا يصبح من الممكن التنبوء بالسلوك الفردي والجماعي والتأثير المباشر في أنماطهما.

---

١) فوزية ذياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب للطباعة، بيروت، سنة١٩٦٦، ص ١٦.

٢) عبد الباسط محمد، عرض تحليلي لمفهوم القيمة في علم الاجتماع، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الأول، سنة ١٩٧٠، المجلد ٧، ص١٦.

٣) خلف نصار محسن، القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية، مصدر سابق، ص ٧.

وتتضح أهمية القيم للفرد في القضايا الرئيسية الآتية[1]:

١ـ القيم جوهر الكينونة الإنسانية: تضرب القيم جذورها في النفس البشرية لتمتد الى جوهرها وخفاياها وأسرارها وهي نشكل ركنا أساسا في بناء الإنسان وتكوينه، فبالقيم يصير الإنسان انسأنا وبدونها يفقد الإنسان إنسانيته.

٢ـ القيم تحدد مسارات الفرد وسلوكه في الحياة: ينبع السلوك الإنساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور والمعتقد والفكر، فتفكير الإنسان في الأشياء والمواقف التي تدور حوله وبناء تصوراته عنها هو الذي يحدد منظومته القيمية ومن ثم تصدر أنماط السلوك وفق هذه المنظومة، وبناءا على ذلك تأتي أهمية القيم كمنظمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحلي به وفيما ينبغي تركه والابتعاد عنه.

٣ـ القيم حماية للفرد من الانحراف والانجرار وراء شهوات النفس وغرائزها: تعتبر القيم كالسياج الذي يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي وبدون هذا السياج يكون الإنسان عبدا لغرائزه وأهوائه وشهواته.

تتضح أهمية القيم للمجتمع في النقاط الرئيسية الآتية[2]:

أـ القيم تحفظ للمجتمع بقاءه و استمراريته: تشهد الحقيقة التاريخية أن قوة المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحدها بل بقاؤها ووجودها واستمراريتها مرهون بما تمثله من معايير قيمية وخلقية فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيها والتي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية والإنسانية ورسم معالم التطور والتمدن البشري وفي حالة اختلال الموازين وفقدان البناء القيمي السليم فأن عواقب ذلك لا محال وخيمة تؤول بالمجتمع الى الضعف والتفكك والانهيار، فأن اي تنظيم اجتماعي بحاجة الى نسق للقيم، ومن تشابه وتناسق تلك الأنساق القيمية الموجودة فيه يتمكن المجتمع من الاستقرار والتطور.

---

١) ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، مصر، سنة ١٩٨٦،ص٣٢.

٢) صليحة رحالي، القيم الدينية والسلوك المنضبط(الكشافة الاسلامية الجزائرية أنموذجا)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم علم الاجتماع،٢٠٠٨،ص٥٠،٤٩.

ب- القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه: لأن القيم تشكل محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع وهي الشكل الظاهر البين من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه، ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة الكافة فأن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفراده الاجتماعية، فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها لما تتبناه من اصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة وتظهر القيم كعلامات فارقة وشواهد واضحة لتمييز المجتمعات عن بعضها.

ت- القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة: تؤمن القيم للمجتمع حصنا راسخا من السلوكيات والقيم والاختلاق التي تحفظ له سلامته من المظاهر السلوكية الفاسدة مما يجعله مجتمعا قويا بقيمه ومثله تسود قيم الحق والفضيلة والإحسان وتحارب فيه قيم الشر والفساد.

تعتبر المؤسسات الدينية المتمثلة بالمسجد والمجالس الدينية أطاراً شاملاً وعاماً يضم البشرية اجمع ويقدم منهجاً متكاملاً لكل إنسان في أي مكان و أي زمان ولكل الأقوام والشعوب فالمسجد في التربية الإسلامية له دور مهم وفعال في تكوين الروابط بين الأفراد داخل وخارج الأسرة وهو يدعو الى بناء الأسرة المتفاعلة مع نفسها ومع الآخرين في جو من المحبة والتعاطف كل ذلك على أساس منظومة القيم والفضائل السائدة في المجتمع والأعراف والتقاليد الصحيحة التي يدعو اليها الدين الإسلامي اذ التفاعل الاجتماعي هو سلوك يتعلمه الإنسان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فكما يتم تعلمه من الأسرة والمدرسة فيتم تعلمه أيضا من خلال انتسابه للمؤسسة الدينية [1].

كما تسهم المجالس الدينية في إكساب الأفراد أنماطاً من السلوك وفقا لعادات وتقاليد المجتمع وتعاليم الدين ويحدد المعايير التي على أساسها يمارس الأفراد هذه الأنماط السلوكية داخل وخارج المؤسسة الاجتماعية والتربوية كما بين لهم أوجه العبادات وإشكال الأحوال الشخصية وفقه المعاملات الخاصة والعامة ويوفر جوا من التعاطف والود والتراحم بين الأفراد وينظم العلاقات والروابط داخل الجهاز الأسري ويخفف من

١) سعد الامارة، الدين والأسرة والتنشئة الاجتماعية، مجلة النبأ، ع(٥٧)،٢٠٠٣،ص١٢.

حدة الاضطرابات والمشكلات النفسية والاجتماعية ووضع الحلول المناسبة لها عندما تحدث وقبل أن تحدث ويحدد دور كل فرد داخل وخارج المؤسسات الاجتماعية وفقا للنظام القيمي السائد في المجتمع [١].

يعد الدين من الموجهات الأساس للسلوك الإنساني الذي يستطيع من خلاله القضاء على الشرور والآثام ولقد اعترف كثير من العلماء والمتخصصين في الأمراض النفسية والاجتماعية بتأثير الدين في مجال ضبط السلوك الإنساني، حيث يقوم الدين بوظيفة مزدوجة، وهي وظيفة تحديد السلوك الصادر من إفراد المجتمع والذي يجب أن يتلاءم مع اتجاه القيم والمعايير المتعارف عليها في المجتمع، ووظيفة الإرشاد باتجاه التقويم الصحيح للسلوك ضد الانحرافات التي تظهر في المجتمع[٢].

حيث يؤدي الدين دوراً مهماً في ترسيخ بعض القيم وتغير بعضها فعندما انتشر الإسلام احدث تغيرات اجتماعية هائلة في حياة الناس في المجتمع الجاهلي فانهارت قيم الغزو ووأد البنات والثأر والاستهتار بالمرأة والضعفاء وقيم الحسب والنسب وحلت محلها قيم احترام المرأة وصون كرامتها وحقوقها وقيم العدل والآمن وحقوق الضعفاء وكبار السن والمعاقين وقيم المساواة وترشيد الإنفاق وأرسى الإسلام قيم التعاون والتآخي بين البشر وقيم الشورى واحترام قيمة العمل مهما كأن نوعه[٣].

اذ أن الطاقة البشرية توجه في الإسلام لتغير حياة الأمة وبنائها بناءاً قوياً متيناً لكي يستطيع أن ينتصر على مشاكلها وتخلفها في مضامير الحضارة المنشودة. اذ يقوم (الدين) بضبط سلوك الناس ومراقبة تصرفاتهم ويفرض جزاء يمكن وصفه بأنه فوق الطبيعي، ويعاقب على الفعل والنية ويحرم أشياء وأفعال ويحلل أخرى ويقوم التحليل والتحريم

---

١) جليل شكور، تشكيل نظام القيم، مجلة الثقافة النفسية، ع(٨)،١٩٩١،ص٥١ـ٤٦.

٢) محسن عبد الحميد، منهج التغير الاجتماعي في الاسلام، مجلة الدراسات الاجتماعية، بغداد، بيت الحكمة، العدد٣ـ٤، سنة ٢٠٠٠، ص١٧.

٣) سعد الامارة، العوامل المؤثرة في حياة الفرد والمجتمع من الناحية السلوكية، مجلة النبأ، الأنترنيت، العدد ٥٢، سنة ٢٠٠٠،ص٤.

على أساس التفريق بين الشيء المقدس والشيء المدنس لذا يعد الدين من أهم العوامل المؤثرة في اكتساب القيم وضبط السلوك ضد الانحرافات التي تظهر في المجتمع[١].

تكمن عظمة الثورات الشعبية عبر التاريخ في قيمة منطلقاتها وأهدافها وقد امتازت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) بأنها في اعلى درجات الالتزام القيمي فقد كانت ثورة قيمية مبدئية في المقام الأول، فالإمام الحسين (عليه السلام) لم يتحرك من اجل مكسب شخصي او منصب قيادي او مصلحة لمنطقة او طائفة انما تحرك من اجل القيم هذا ما كان يصرح به في كل مفصل من مفاصل ثورته وعند كل منعطف من منعطفات مسيرته فقد قال علية السلام منذ بداية تحركه عند خروجه من المدينة: (إني لم اخرج أشرا ولا بطرا، ولا مفسدا ولا ظالما، انما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي أريد أن آمر بالمعروف وانهي عن المنكر)[٢]: وقال في كلمة أخرى في يوم عاشوراء (الا ترون إلى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا، فاني لا ارى الموت الا سعادة، والحياة مع الظالمين، الا برما)[٣]: لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) يستحضر حتى اللحظات الأخيرة من حياته حينما وقع من على ظهر جواده، المنطلقات التي نهض من اجلها فقد قال وهو يهوي إلى الأرض بعد إن إصابة السهم المثلث (بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله) إذاً فهي ثورة قيمية في منطلقاتها وأهدافها والاهم من ذلك أنها قيمية في حراكها وفي ممارسة قادتها وأبطالها[٤].

من خلال العرض السابق يمكن القول ان ثورة الإمام الحسين هي ثورة قيمية ذات مبادئ سامية وواضحة جاءت من اجل الإسلام وإعلاء كلمة الحق فهي ثورة انتصار الحق على الباطل وبهذا رسم لنا امامنا ابا الاحرار طريقاً واضحاً وصريحاً يحمل ما يحمله من قيم إنسانية وفكرية وعقائدية.

---

١) حسين عبد الحميد احمد، تطور النظم الاجتماعية واثرها في الفرد والمجتمع، شركة الاسكندرية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٧٢، ص٩٩.

٢) بحار الانوار ،٤٦/٣٢٩.

٣) تحف العقول ، ٢٤٥.

٤) الشيخ حسن الصفار، ثورة الحسين والتزام القيم، ٢٠١١ ،www.saffarorg.

رابعا: الزيارة الأربعينية برنامج توعـوي.

تنطوي رحلة أهل البيت عليهم السلام على عبر ودروس إنسانية لا ينبغي نسيانها او عدم الافادة منها من أجل تحصين الإنسان المؤمن من الوقوع في الزلل وترصين قاعدته الإيمانية من خلال هضمه لهذه التجارب والعبر والدروس التي ضمت بين طياتها أعظم التنظيرات الفكرية و الأخلاقية المدعومة بالفعل والتطبيق، فإقامة المجالس والشعائر الحسينية ليست أمرا شكليا خاليا من الفعل والقول المؤثر والقويم، بل هي أداة لإحياء علامات الخير ومناشئه المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام وأفكارهم المتوهجة بسبل الحق والسلام وخير البشرية جمعاء، ولعل مختلف طبقات المجتمع في حاجة الى التنوير وإضاءة السبل القويمة أما بصائرهم وأبصارهم من خلال إقامة المجالس الحسينية لا سيما في المناسبات الدينية الهامة كمناسبة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث يظهر جليا دور المجلس الحسيني في تأشير مكامن الضعف والخلل لدى الانسان الفرد والجماعة وتقديم النصائح (قولا وعملا) لمعالجتها وتجاوز العثرات التي قد تعتري مسيرة الإنسان في حياته الشائكة، ولذلك تم التأكيد على أهمية دور المجالس الحسينية كونه السبيل الأسرع والأدق لتنوير العقول والبصائر والعيون معا للسير في الطرق التي تريح الانسان نفسه وترضي الله تعالى عنه، ولعلنا نتفق على أن المجالس الحسينية وطبيعة ما يُطرح فيها من افكار ومواعظ وتوجيهات تأتي ملائمة لجميع المستويات، فهي تلائم البسيط في وعيه وفكره و تلائم المطلع والمتعمق في الأفكار، ولهذا يُصبح عامل التوصيل الفكري من أهم مميزات هذه المجالس التي تهدف بالدرجة الاولى الى إحياء الشعائر المقدسة، كما أن التركيز على حرية تعامل الانسان مع هذه الافكار والطروحات تتيح له الايمان التام بها وتيسّر له التعامل معها بحرية، لذلك نرى ان هذه المجالس لا تحصر مهامها بفئة عمرية محددة او جنس بعينه أي انها ليست حكرا على الرجال او النساء فقط بل هي متاحة لجميع الفئات العمرية، وهذا دليل على هامش الحرية في الإفادة القصوى من هذه المجالس[1].

١) دور المجالس الحسينية في التنوير والتوعية قبسات من فكر الامام الشيرازي، شبكة النبأ المعلوماتية، ٢٠٠٩.

في كربلاء المقدسة اليوم تحتشد ملايين الزوار القادمين من داخل وخارج العراق، قاصدين سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام)، مستذكرين واقعة الطف وإحداثها الغنية، من خلال احيائها عبر الطقوس التي يؤديها الجميع بقلوب ملؤها الايمان والصدق، لذلك تضم الشعائر الحسينية مجموعة من الطقوس المقدسة التي آمن بها أتباع آل البيت، والتزموا بإحيائها على مر السنين، لأسباب معروفة ومهمة، منها ما يهدف إلى استذكار واقعة الطف وما قدمه الإمام الحسين (عليه السلام) وذويه وأصحابه من تضحيات تنتمي الى أسمى صور وحالات الإيثار ومن أعلى درجات نكران الذات، فمن يقدم نفسه وروحه قربانا على مذبح الحرية من اجل الآخرين، يستحق الخلود، وهذا هو الذي دفع أتباع أهل البيت عليهم السلام الى تقديم الصور العظيمة من نكران الذات وتخليدها، فالهدف الأول منها هو ترصين الجانب النفسي للإنسان، ومن ثم حصد النتائج الخلاقة في المجالين النفسي والمعنوي[1].

يمكن اختصار الأهداف التوعوية للمجالس الحسينية وإحياء المناسبات الدينية بالاتي[2]:

١ـ إرجاع الناس إلى الله تعالى ؛ وذلك لأن الحسين (علية السلام) ما ثار وتَحَمَّل ما تَحَمَّل من التضحية والفداء ؛ إلا لأجل تعبيد الناس لله تعالى؛ ولهذا يروي لنا الإمام الصادق (علية السلام) عن جده الحسين (علية السلام) أنه قال: (أيها الناس إن الله ما خلق الخلق، إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا عن عبادة ما سواه)[3].

٢ـ إن احياء المناسبات الدينية والمجالس الحسينية تبين لنا أهمية الإسلام، وإنه فوق كل الاعتبارات والقيم، وقيمته لا تحد بحدود فهي أثمن من الأرواح، والأموال، والأولاد، وكل شيء ولهذا بذل (عليه السلام) ماله ودمه وأولاده ورضي أن تسبى بناته ونساؤه فداء للإسلام.

---

١) كاظم منظور امير، شبكة النبأ المعلوماتية، www.Alnabaa.Org، ٢٠١٥.

٢) الشيخ جميل مال الله الربيعي، الشعائر الحسينية مدارس تغيير وإصلاح وبناء، موقع الصراط نهج السعادة والتقدم، ٢٠١٥.

٣) علل الشرائع،١/٩.

وبهذه المجالس يتضح أن الدين ليس مجرد عبادات شكلية، وإنما هو نظام ومنهج حياة. وهذه من أعظم الخدمات التي تقدمها هذه المجالس وهكذا (أثمرت شهادة سيد المظلومين (عليه السلام) وأتباع القرآن في عاشوراء خلود الإسلام، وكتبت الحياة الأبدية للقرآن الكريم).

٣ـ إن المجالس الحسينية الواعية تبعث روح التغير وروح الإصلاح في نفوس مستمعيه وكما خرج الحسين (عليه السلام) لأجل الإصلاح لابد، وأن تكون المجالس المعقودة باسمه مجالس إصلاح، لتغيير الواقع الفاسد إلى واقع سليم. وهذا الهدف هدف أساسي ومركزي

٤ـ إن أحياء المناسبات الدينية والمجالس الحسينية لا بد أن تعمق روح الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى في نفوس الحاضرين ولهذه المجالس عمق في تاريخ البشرية فما ذُكِرَ الحسين (عليه السلام) في محفل نبي، ولا ولي، ولا وصى، ولا عبد صالح، ولا إنسان ذو فطرة سليمة إلا وأبكاه وآثار أشجانه كما ثارت أشجان جده وأبيه وأمه وأخيه، وهو بعد حيا بينهم، ولا غرابة في ذلك فهو (عليه السلام) عِبْرَة وعَبرة لكل مؤمن، بل لكل إنسان.

إن إحياء المناسبات الدينية و الشعائر الحسينية هي تعبير عن الولاء العميق لله ولرسوله وأهل بيته، ونقصد بالولاء: الانتماء الفكري، والسياسي، والأخلاقي لهم، فليس الولاء في الإسلام مجرد رفع شعار دون أن يستبطن الشعار تحمل مسؤولية ما يدعو إليه.

ويمكن أن نؤكد أنَّ التعبير عن هذا الولاء يتناسب تناسباً طردياً مع مستوى الوعي الذي يحمله الموالي؛ ولذا كل شخص يعبر عن ولائه بمستوى وعيه، فمنهم من يعبر تعبيراً فكرياً، وعقائدياً ببيان مبادئ ، وعقائد، وأفكار أهل البيت (عليهم السلام) بكتابة البحوث، والدراسات الفكرية التي توضح جميع أبعاد رسالة أهل البيت (عليهم السلام) على مختلف الصعد، وتنشر أحاديثهم، وتعاليمهم ، وتوضح سيرهم، ومسيرهم، وتحاول أن تجسدها واقعاً ملموساً في الحياة الإنسانية ومن الموالين من يعبر عن ولائه

ببذل المال، والإنفاق في خدمة هذه المجالس، ومنهم من يعبر بالحزن والبكاء ، بل والجزع الشديد، وهكذا تتعدد أساليب التعبير.

ولا مانع من تنوع الأساليب إلا أنَّه يجب أن تنسجم هذه الأساليب مع الشرع المقدس، والعقل، والذوق السليم، ولا تخرج عن ذلك قيد أنملة.

إذن التعبير عن الولاء بإقامة هذه الشعائر ونوعية أساليب الإقامة خاضع لمستوى وعي الموالي للإسلام، وفهمه لأهل البيت (عليهم السلام)، لا بد أن نعلم أنَّه لا يمكن لأحد أن يفهم حقيقة ثورة الحسين ما لم يع الإسلام وعياً سليماً في بعديه العقائدي والنظامي؛ ولذلك كلما ارتفع وعي الجمهور الحسيني فإنَّه يعبر تعبيراً ينسجم مع الإسلام قلباً وقالباً، والعكس صحيح، ولذلك من أهم واجبات العلماء والمبلغين، والكتاب الرساليين التأكيد على رفع مستوى الوعي الإسلامي للجماهير؛ لتكون إقامة الشعائر تعبيراً عن روح الإسلام، وجوهره، ومقوماً لسلوك الفرد، وبانياً لكيان الجماعة[1].

من خلال العرض السابق نستطيع القول ان ثورة الأمام الحسين (عليه السلام) جاءت من اجل الإصلاح ويشمل هذا الإصلاح جميع مجالات الحياة ولابد لنا نحن المسلمين ان نقتدي بإمامنا وبما جاء به وضحى من اجله من خلال نشر الوعي بقضية الطف وجوهر هذه القضية بما تحمله من إبعاد اجتماعية وثقافية وتربوية وروحية وغيرها، هنا تأتي دور المجالس الحسينية التي تقام في المناسبات الدينية لاسيما في زيارة الأربعين وما تحمله هذه الزيارة من أهمية كبيرة في نفوس الموالين لنبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين فلابد من استثمار هذه الحشود المليونية القادمة من جميع بقاع العالم بنشر الوعي الحسيني من اجل العمل به لا سيما ان اهم ما يميز الزيارة الأربعينية للأمام الحسين (عليه السلام) انها تعد اكبر تجمع عالمي يجتمع فيه ملايين الزوار في رقعة مكانية صغيرة هي مدينة كربلاء المقدسة هذا التجمع المليوني الذي يجمع المسلمين من كافة انحاء العالم ومن داخل مدن العراق كلها يشكل ميزة فريدة على المستوى العالمي حال

---

١) التكافل الاجتماعي في الاسلام، www. al maaref. org.

استثماره ثقافيا وتوعويا من قبل الجهات الحكومية والمنظمات الاهلية بصورة صحيحة، فان النتائج الايجابية سوف تكون كبيرة جدا.

خامسا: الزيارة الأربعينية والتكافل الاجتماعي.

أهتم الإسلام ببناء المجتمع المتكامل ليكون مجتمعاً قوياً منيعاً قادراً على مواجهة التحديات كافة، وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج المجتمع بنياناً مرصوصاً وسدّاً منيعاً في وجه شتى أنواع المؤامرات، والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مقصورا على النفع المادي بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع أفرادا وجماعات، مادية كانت تلك الحاجة أو معنوية أو فكرية على أوسع مدى لهذه المفاهيم، فهي بذلك تتضمن جميع الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات داخل المجتمع[1].

صحيح أننا نستعد في كل عام لإقامة الشعائر الحسينية، من نشر السواد وتهيئة المساجد والجوامع والحسينيات للمجالس الحسينية، وتنظيم المواكب الراجلة، وإعداد وجبات الطعام للمعزين والزائرين، وغيرها، والصحيح أيضا، أن من شأن هذه الشعائر اختراق الأزمات مهما كانت كبيرة ومعقدة، ومهما كان مصدرها ومنشأها، فعلى أصحاب المجالس الحسينية "لاستثمار هذه المجالس في قضاء حوائج الناس ونشر ثقافة التراحم والتوادد، بما تثيره من الكوامن العاطفية في النفس، وبما تحمل من التوجيه العقلي المؤثر في تغيير السلوك الإنساني، بإمكانه ان يقدم الكثير في مجال التكافل الاجتماعي والمشاركة في مكافحة ظاهرة الفقر والبطالة وحل الكثير من المشاكل الاقتصادية داخل المجتمع، ويشير الى حقيقة إنسانية في هذا المضمار، وهي الرغبة الجامحة والكامنة في نفس كل إنسان للتراحم بأن يكون صاحب اليد البيضاء أمام الآخرين، ويكون أول من يساعد ويخدم ويقدم[2].

---

١) محمد جواد تقي، شبكة النبأ المعلوماتية، www.Alnabaa.Org، ٢٠١٥.

٢) محمد السند، الشعائر الحسينية بين الاصالة والتجديد، شبكة منتديات الحق الثقافية، ٢٠١٢.

إن أجواء الشعائر الحسينية بمختلف إشكالها، تمهد الأرضية اللازمة لاجتماع مختلف شرائح المجتمع على قضية واحدة ومشتركة، وهي إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام)، حتى أننا نلاحظ التسابق في الخدمة الحسينية، كما لو أن كل إنسان يشعر انه يعيش واقعة الطف، ويستجيب لنداء الإمام الحسين، (عليه السلام)، بـ"هل من ناصر ينصرني"، وعندما يلبس الجميع أو الغالبية العظمى السواد، فمن الطبيعي ان تزول الفوارق الطبقية والاجتماعية بشكل كبير، فالجميع يكون في حركة دؤوبة هنا وهناك، في هذا المجلس وتلك التكية والحسينية وفي ذلك الموكب وهكذا... وعندما يكون الهمّ مشتركاً في هذه الأيام لإحياء قضية الإمام الحسين، (عليه السلام)، فان من السهل تفهّم كل فرد في المجتمع ظروف وأحوال الآخر، كذلك أنها فرصة للقاء وتبادل الهموم، وهذا تحديداً ما يريده الإمام الحسين (عليه السلام)، وما تحثّ عليه ثقافة أهل البيت، عليهم السلام، قبل ان يصل الإمام الحسين(عليه السلام) إلى كربلاء ويواجه الانحراف في الدين والضلال في الأمة، كان قد مدّ يد العون للشريحة المستضعفة والفقيرة التي اكتوت بنار النظام الأموي الفاسد. ونقل عن الإمام السجاد (عليه السلام)، أنه خلال دفن الإمام شوهد آثار جراح غائرة في ظهر الأمام، فظنّ بنو أسد، أنها من أثر الحرب، فنفى ذلك الأمام وقال: حاشا والدي ان يناله أحد من الخلف، إنما هي أثر الجراب التي كان يحملها طيلة سنوات مديدة من عمره في المدينة المنورة ويدور على بيوت الأيتام والفقراء ليوزع الطعام وما يحتاجونه لمعيشتهم[1].

بهذا ان التكافل الاجتماعي قيمة إنسانية قبل ان تكون مبدءا دينيا فالشارع المقدس قننها وارشد اليها ولكن لم يكن مؤسسا في تشريعها، كما ويعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تضمن للإنسان حد الكفاف على اقل التقادير بما يمنحه حياة كريمة بعيدة عن الذل، وزيارة الأربعين عندما تجمع بين العمل التطوعي من جهة والعطاء المادي والروحي اللامحدود ودون مقابل من جهة اخرى بذلك تبلغ ذروة التكافل، اذ من أهم السمات التي يكتسبها الإنسان في زيارة الأربعين هي سمة العطاء الذي يورث بدوره

١) الآثار الاجتماعية للزيارة الاربعينية، منتدى الكفيل، alkafeel.Net.

خصالا أخلاقية وإنسانية كثيرة من قبيل الكرم والجود والإيثار وتغييب البخل والأنانية والحب المفرط للذات[1].

يمكن القول من خلال العرض السابق انه لا بد من استغلال الزيارة الأربعينية بحث إفراد المجتمع إلى أهمية قيمة التكافل والتعاون والمشاركة في إعمال البر لا سيما جمع التبرعات في صندوق خاص من شانه ان يكون مصدر إغاثة للمحتاجين من أرامل وأيتام ومعاقين وعاطلين عن العمل ويأتي ذلك من خلال إرشاد الناس وتوجيههم عبر المنبر الحسيني معتمدين في ذلك على الآيات القرآنية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام لكي يتركوا آثاراً طيبة في المجتمع، ان هنالك فرصة كبيرة لتحقيق التكافل الاجتماعي بما يجعله ثقافة دارجة في المجتمع، وليس فقط كلمات تكتب وشعارات ترفع هنا وهناك واقع ملموس يزيل كل هذا الضنك والبؤس على صدور شريحة واسعة في المجتمع، هكذا كان إمامنا (عليه السلام) في تلك الفترة فكيف نكون نحن اليوم؟ ربما يكون مستحسناً حتى هذه الأيام زيارة بيوت الأيتام و الفقراء لتزويدهم بما يحتاجونه وما يعينهم على ضنك العيش من غذاء وملبس ومأوى .

١) الشيخ ليث الكربلائي، البعد الاجتماعي في زيارة الاربعين،www.Kitabat.info.

سادسا: الخاتمة

إن مسيرة الأربعين السلمية السنوية كانت ولا تزال وستبقى تعبيراً عن صوت الإنسانية وضميرها الرافض للعنف والجريمة، وطريق محبة لنداءات السلم والسلام والحرية والعدالة فهي مسيرة مبدؤها الأساس هو الإنسانية وكرامة الفرد، إن إحياء هذه المناسبة هو إحياء لمظاهر الحق التي تجلت في وقوف الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه في وجه الظلم والفساد الذي طال الحالة الإسلامية في ذلك الحين ـ جاءت ثورة الحسين (علية السلام) من اجل الإصلاح في امة غلب على أمرها الظلم وانتشر الفساد في جميع مفاصلها جاءت تحمل قيم ومبادئ تعيد للإنسان كرامته وتحميه من الظلم والاستبداد، تبقى الزيارة الأربعينية للإمام الحسين طريق حق يقف في وجه الطغاة فهي تحمل بين طياتها رسالة حب وسلام الى جميع أنحاء العالم (الإمام الحسين رسالة شاملة ورمز للوحدة)، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

Abstract

Could Imam Hussein, peace be upon him hitting the finest examples in fighting tyranny, injustice and the oppressors were against the victory of right over wrong revolution of reform revolution and to ensure the principle of human freedom and dignity, and to give him his rights and to live free and dignified lives far from the humiliation and shame are a revolution for all of humanity and this remained resonate Almair since his martyrdom attic peace in the year ٦١ AH to this day flame glowing not extinguished, we must learn from Hussein this timeless school revolution lessons, Voqah tuff treasure not force him or end him, but along the spiritual, moral, cultural and social sketching life Olahakh stressed the noble values were ad valorem revolution carrying sublime principles, forties visit has led a since its inception and until now its primary function which is to maintain communication and renewal of the covenant between Muslims and Imam Hussein, peace be upon him, the visit forties many connotations, ideological, social and cultural should be taken out and use them as lessons in our daily lives and make their impact inherent in every day of the year and not just self in the months of Muharram and the small they carry an integrated Awareness program summarizes human life, in addition to that, we find that the visit Arbain promote the principle of social solidarity among the members of society through mutual cooperation and assistance to the poor and those in need of food, clothing, health and so on and

care many are basic value of the sum of the values emphasized by Imam Hussein, peace be upon him in his revolution, so the visit is considered Arbain advanced developing movement hide fraught with great symbols of great secrets.

Try searching highlight the role of the forty-day visit to strengthen social values through the following.:

First :. General framework for study

Second:. Determine the scientific concepts

Third :. The role of the forty-day visit to strengthen social values in the Iraqi society.

Fourthly:. Forties Awareness program of the visit.

Fifth :. Forty-day visit, and social solidarity.

Sixth :. Conclusion

الاستلزام الحواريّ في خطب سبايا أهل البيت (عليهم السلام)

Conversational implicature in the speeches of slaves Ahl al-Bayt (peace be upon them)

الأستاذ المساعد الدكتور ميعاد يوسف نصر الله

الجامعة المستنصرية - كليّة التربية

ملخص البحث

البحث دراسة لغويَّة تطبيقيّة لمفهوم مهمّ من مفاهيم لسانيات تداولية الخطاب، ألا وهو مفهوم (الاستلزام الحواريّ)، الذي أهتمّ به (بول غرايس)، إذ جعل للملفوظ معنى حرفيًّا، ومعنى مستلزمًا بحسب المقام وأغراض الكلام.

وكان مجال التَّطبيق خطب نساء أهل البيت من السَّبايا، تلك الخطب التي كشفت زيف الادعاءات الأموية الكاذبة، وفضحت جرائمهم، ممّا أدّى إلى اشتداد نقمة الناس عليهم، وتوجيه المشاعر نحو مظلومية أهل البيت.

جاء البحث في تمهيد ومحورين. كان التمهيد مختصًّا بمفهوم الاستلزام الحواريّ.

١. الاستلزام الحواريّ في علم المعاني.
٢. الاستلزام الحواري في علم البيان.

Abstract

Find the study of language applied to the important concept of the concepts of linguistics deliberative discourse, namely the concept of (Conversational implicature), who I care about (Paul Grace), making it the vocalized literally meaning, and the meaning Mstelzma according to place and purpose of speech.

The application area of speeches the women of the house of the captives, those speeches that exposed the falsity of allegations Umayyad false, and exposed their crimes, which led to the intensification of the people curse them, and directing feelings towards the sufferings of the people of the house.

Search came in paving and axes. The boot specialist concept Alastelzam Apostle. The first axis: Conversational implicature in semantics.

The second axis: Conversational implicature in the science of the statement.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خيرِ الأنامِ محمَّدٍ المُختار، وآلِهِ الأطهارِ، وأصحابِهِ المنتجَبينَ الأخيارِ.

أمَّا بعدُ ...

فجسدت خطب سبايا أهل البيت ـ عليهم السَّلام ـ ملحمة الصّبر والثّبات والشّجاعة، تلك الخطب التي كشفت زيف الادعاءات الأمويّة الكاذبة، وفضحت جرائمهم، بأساليب بلاغيَّة، وتعابير لغويَّة رصينة، وثراء دلاليّ، بين ما يحمله القول من معنى صريح، ومعنى متضمن (مستلزم).

جاء البحث في تمهيد ومحورين. كان التمهيد مختصًّا بمفهوم الاستلزام الحواريّ.

١. الاستلزام الحواريّ في علم المعاني. وقفنا عند الأغراض التي يخرج إليها كلّ من الاستفهام والأمر في خطب السبايا.
٢. الاستلزام الحواري في علم البيان تناولنا فيه الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني (المستلزم) في بابي المجاز المرسل والاستعارة.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين

التمهيد

مفهوم الاستلزام الحواري

إن اللّسانيات التداولية اتجاه لغوي يهتم بعناصر العملية التواصلية: المتكلّم ومقاصده، وحال السامع في أثناء الخطاب، والظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالخطاب، فيمكن القول: إنّ التداوليّة ((مذهب لسانيّ يدرس علاقة النشاط اللغويّ بمستعمليهَ، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات، والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصليّة واضحة، وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعيّة))[1].

فالاتجاه التداوليّ يرى ((أن المعنى ليس شيئًا متأصلاً في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم، والمخاطب في سياق محدد، ماديّ واجتماعيّ، ولغويّ، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما))[2].

ويقوم الاتجاه التداوليّ على مجموعة من المفاهيم، هي: الأفعال الكلاميّة، ومتضمنات القول، ونظرية الملائمة، والاستلزام الحواريّ، الذي هو محور بحثنا.

ويراد بالاستلزام الحواريّ ((أن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصوريّة. ويعني هذا أن التأويل الدلاليّ الكافي للكثير من الجمل يصبح متعذرًا إذا تمّ الاقتصار فيه فقط على المعطيات الظاهرة. الأمر الذي يتطلب تأويلاً دلاليًّا آخر، ومن ثمّة يتمّ الانتقال من المعنى الصريح إلى معنى غير مصرح به (معنى مستلزم حواريًّا)))[3].

---

١) التداولية عند العلماء العرب ٥.

٢) آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ١٤.

٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١٨.

وبذلك يكون الاستلزام الحواري آلية من آليات إنتاج الخطاب ((يقدم تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلّم على أن يعني أكثر ممّا يقول بالفعل، أي أكثر ممّا تؤديه العبارات المستعملة فاستعمال جملة (ناولني الكتاب من فضلك) المنجزة في مقام محدّد يخرج بمعناها من الطلب الأمر إلى معنى الالتماس، وهو ما تفيده القرينة: من فضلك))[1].

ويوضح غرايس مفهوم الاستلزام الحواريّ عن طريق ((الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) والأستاذ (ب):

- الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟
- الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف غرايس أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنّها تدلّ على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفيّ والآخر مستلزم. معناها الحرفيّ أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزاميّ أن الطالب المذكور ليس مستعدًّا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، هذه الظاهرة اللّغويّة سماها غرايس بـــ (الاستلزام الحواريّ)))[2].

---

١) المصدر نفسه ١٩.

٢) التداولية عند العلماء العرب٣٣.

المحور الأول

الاستلزام الحواريّ في علم المعاني

إن علم المعاني لا يقتصر على المعاني المباشرة، بل يتجاوز ذلك إلى النظر في المعاني الثواني عن طريق ((خروج دلالات الصّيغ اللغويّة فيه عن أصل الاستعمال، (المعنى الحرفيّ) إلى المعاني المستلزمة من سياقها التَّداوليّ، وهي مهمة البليغ))[1].

وفي خطب سبايا أهل البيت نجد خروج صيغ الأساليب الإنشائية عن معناها الحقيقيّ إلى معانٍ مستلزمة بحسب السياق، ومن أمثلة ذلك:

١- في باب الاستفهام:

الاستفهام هو ((طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل))[2]. إلا أنه يتغير بتغير السياقات التي يرد فيها، لذا يدخل في مفهوم الاستلزام الحواريّ. فحين يسأل زوج زوجته: أين مفاتيح السيارة؟ فتجيب: على المائدة. ففي هذا الحوار تتمثل مبادئ التعاون التي قررها جرايس، فقد أجابت الزوجة إجابة واضحة(الطريقة)، وكانت صادقة(الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون تزّيد(الكم)، وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها(المناسبة)، لذلك لم يتولد عن قولها أي استلزام، لأنها قالت ما تقصد[3].

ومن المعاني المستلزمة في أسلوب الاستفهام:

أ- التوبيخ:

في قول السيدة زينب ـعليها السلامـ في خطابها يزيد: ((أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد الى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل،

---

١) مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦ه) ١٨٧.

٢) معجم المصطلحات البلاغيّة ١/١٨١.

٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٣٥.

ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف، ليس معهنّ من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف لا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثمّ تقول غير متأثم ولا مستعظم))[1].

إنّ السيّدة زينب تقصد من كلمة يا بن الطلقاء أن تذكر يزيد بأنه ابن الطلقاء، ابن الطليقين اللذين أطلقهما رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– تقصد تذكير يزيد بالإحسان الذي بذله رسول الله لأسلاف يزيد حيث أطلقهم فقالت: "أمن العدل"؟ أي هل هذا جزاء إحسان رسول الله مع أسلافك؟ من الواضح أنها لا تقصد من كلامها هذا الاستفهام والسؤال بل تقصد المعنى المستلزم، وهو توبيخ يزيد على معاملته وسلوكه القبيح وتنكر عليه تعامله السيّيء، وتعلن له أنه بعيد عن أوليات الفطرة البشرية، وهي جزاء الإحسان بالإحسان.

ب- التهويل:

ومنه ما جاء في خطبة السيدة أم كلثوم (عليها السلام): ((فتبّاً لكم وسحقًا، ويلكم! أتدرون أيّ دواة دهتكم؟ وأيّ وزرٍ على ظهوركم حملتم؟ وأيّ دماء سفكتموها؟ وأيّ كريمة أصبتموها؟ وأيّ صبية سلبتموها؟ وأيّ أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي–صلى الله عليه وآله– ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إنّ حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون))[2].

الاستفهام في أتدرون مستعمل للتهويل، أي تعظيم حادثة مجازر التنكيل، وشناعة سفك دماء أهل البيت، وسوق حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سبايا يطاف بهن في البلدان، ثم نجد أكثر من استفهام بالأداة (أيّ) أي: ما أدراك عظم هذا الاستفهام .

ونظير هذا الاستفهام في خطبة السيدة فاطمة الصغرى في أهل الكوفة:

---

١) اللهوف في قتلى الطفوف ١٠٦.

٢) اللهوف في قتلى الطفوف ٩١.

((وَيْلَكُمْ! أَتَدْرُونَ أَيَّةَ يَدٍ طَاعَنَتْنَا مِنْكُمْ؟! وأَيَّةَ نَفْسٍ نَزَعَتْ إِلَى قِتَالِنَا؟! أَمْ بِأَيَّةِ رِجْلٍ مَشَيْتُمْ إِلَيْنَا تَبْغُونَ مُحَارَبَتَنَا؟! قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، وغَلُظَتْ أَكْبَادُكُمْ، وطُبِعَ عَلَى أَفْئِدَتِكُمْ، وخُتِمَ عَلَى سَمْعِكُمْ وبَصَرِكُمْ، وسَوَّلَ لَكُمُ الشَّيْطَانُ، وأَمْلَى لَكُمْ، وجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غِشَاوَةً، فَأَنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ))[1].

أ- التهكم والسخرية والتحقير:

في قول السيدة زينب (عليها السلام) في خطابها يزيد: ((أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانًا وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورًا، حيث رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا.

فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله (عزّ وجلّ): ((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ))[2].

الاستفهام في (أ ظننت) للتحقير والسخرية بهيبة مُلك يزيد، وأبّهة سلطانه، تستهزأ بطلة كربلاء الحوراء بجبروت الملك وانتصاره الوهمي، وترمي جذور ما بنيت عليه أفكاره، لتؤكد أن الكرامة والعزّة غير ما يراه، والذلة والهوان غير ما يتصوّر. فلاستفهام في هذا المقام ((ينتظم وفق بنية فكرية واجتماعية ونفسية أسهم في تحويل بنية النص اللغوي العادي إلى نظام لغوي فعال))[3]، بحسب المقام وقرائن الأحوال لإنجاز معانٍ مستلزمة.

أ- الإنكار:

---

١) الاحتجاج ٢/٢٨.

٢) الاحتجاج ٢/٣٥..

٣) الاستفهام البلاغي في شرح ديوان الحماسة (بحث) ٥٠٧.

في نص السَّيّدة أم كلثوم: ((يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسينًا وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه))[1].

(ما لكم) استفهام إنكاريّ، إنكار منها لفعل أهل الكوفة، والاستفهام الإنكاريّ، يقوم على إنكار وقوع شيء ماضيًا أو مستقبلاً على سبيل التوبيخ، فليس الغرض منه تقرير المخاطَب بشيء، وإنما يُنكر عليه، ويستهجن ما حدث، سواء أكان قولاً أو فعلاً، وعندما يلقى الكلام بصيغة الاستفهام الإنكاري، فكأن السائل ينتظر من المسؤول جوابًا، وهذا الأخير سيفكر ويراجع أقواله وأفعاله، وسيجد نفسه في ضيق وحرج[2].

٢- في باب الأمر:

الأمر هو ((طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام))[3]. وقد يخرج الخبر إلى أغراض تواصلية تتجاوز أصل الاستعمال الذي هو الطلب على جهة الاستعلاء، ومن تلك الأغراض:

أ- التنديم:

كما في قول السيدة زينب تخاطب أهل الكوفة: ((أَجَلْ واللهِ فَابْكُوا فَإِنَّكُمْ واللهِ أحْرِيَاءُ بالبُكاء . فَابْكُوا كَثِيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلاً، فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا، وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا وَلَنْ تَرْحَضُوها أَبَدَاً وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَلاذِ حَرِيْمِكُمْ، وَمَعَاذِ حِزْبِكُم، وَمَقَرِّ سِلْمِكُمْ، وَآسِيْ كَلْمِكُمْ، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُم، والْمَرْجِع إِلَيْهِ عِنْدَ مُقَاتَلَتِكُمْ، وَمَدَرَةِ حُجَجِكُمْ وَمَنَارِ مَحَجَّتِكُمْ، أَلا سَاءَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَومِ بَعْثِكُمْ))[4].

---

١) اللهوف في قتلى الطفوف ٩١.

٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ١٩٤.

٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها ٣١٣/١.

٤) الاحتجاج ٣٠/٢.

فعل الأمر (ابكوا) تضمّن غير معناه الظاهر، وهو التندم فأهل الكوفة: أحرياء أن يبكوا ندمًا على أعظم ذنب في الدنيا ارتكبوه، إذ تركوا طاعة أهل بيت النبوة، وهجروهم بل قتلوهم ، وتبعوا من ظلم أهل البيت وأئمة الكفر والطغاة الضالين.

ب- التهديد:

ونجده في قول السيدة زينب المذكور آنفًا :((فَابْكُوا كَثيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلاً))، إذ إن فعل الأمر (اضحكوا) ظاهره يدلّ على الأمر بالضحك، لكن في الحقيقة أرادت السيدة زينب من هذا الأمر التهديد لأهل الكوفة من عاقبة هذا الفرح والضحك اللذين يتبعهما بكاء وعذاب، لا أمرهم بالضحك.

ومنه قول السيدة زينب في خطاب يزيد: ((فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا تدرك امدنا، ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند وأيامك الّا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين))[1].

أفعال الأمر: (كد) و(اسع) و(ناصب) ظاهرها الأمر بالكيد والسعي ونصب الجهد، لكن في حقيقتها تحذير يزيد –لعنه الله– من أفعاله الإجرامية، وتتوعّده السيدة زينب (عليها السلام) بلعنة الله: (ألا لعنة الله على الظالمين).

ومنه قول السيدة فاطمة الصغرى في أهل الكوفة: ((تَبّاً لَكُمْ، فَانْتَظِرُوا اللّعْنَةَ والْعَذَابَ، وكَأَنْ قَدْ حَلّ بِكُمْ، وتَوَاتَرَتْ مِنَ السِّمَاءِ نَقِمَاتٌ، فَيُسْحِتَكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ، ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ثُمّ تُخَلّدُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا ظَلَمْتُمُونَا، أَلا

---

١) لواعج الأشجان ٢٣١.

لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ))[1]. فعل الأمر (انتظروا) معناه المستلزم التهديد باللعنة والعذاب.

١) الاحتجاج ٢/ ٢٨.

المحور الثاني

الاستلزام الحواريّ في علم البيان

يعنى علم البيان بالمعاني الثواني، ومن ثم فإن مرجعه الملازمات بين المعاني، تلك الملازمات التي يكون ((الانتقال فيها من التعبير اللغوي المباشر والصريح، إلى معان ثانية مستلزمة من المعاني الأُول، من خلال تجاوز هذا التركيب اللغويّ المباشر إلى الملازمات التي تصاحبه، وتنقل المخاطب من المحتوى القضويّ للجملة، وقوته الانجازية الحرفية، إلى مستوى ثان ذي معانٍ تجعله أقرب إلى غرض المخاطب ومقصده))[1].

المجاز المرسل:

يعدّ المجاز مبحثا مهمًّا من مباحث البلاغة العربية، فسر تطوّر اللغة العربية عن طريق تطور دلالة ألفاظها على المعاني الجديدة، إذ أضفى قرائن وعلاقات لغوية مبتكرة وازنت بين الألفاظ والمعاني في الشكل والمضمون[2].

ويضم المجاز أصنافًا عدة منها المجاز المرسل. أما عن علاقته بالاستلزام الحواري، ((فالمجاز المرسل يقوم على الانتقال من الدلالة الحرفية للجملة أو معناها الإنجازي الحرفي إلى دلالة ثانية مستلزمة من السياق الكلامي، وهذا الأخير هو الذي يجوز الانتقال إلى المعنى المستلزم، حيث تكون الدلالة المباشرة للكلمة غير ملائمة له، فينتقل بها المتلقي للخطاب إلى معنى ثان يستجيب لمعطيات السياق))[3].

ومن شواهد الانتقال إلى المعنى المستلزم في ضوء المجاز في خطب السبايا: قول السيدة زينب (عليها السلام): ((ألا ساء ما تزرون، وبُعدًا لكم وسحقًا! فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة))[4].

---

١) مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦ه) ١٩٦ـ١٩٧.

٢) مجاز القرآن ٥٩.

٣) مظاهر التداولية ٢٠٧.

٤) الاحتجاج ٣٠/٢.

ففي (تبت الأيدي) نجد أن كلمة (الأيدي) استعملت في غير ما وضعت له، ولذلك خرجت دلالتها لمعنى آخر مجازي، إذ إن التب –وهو الخسران والهلاك[1] ـ يكون عامًّا في كل الجسد. فيكون مجازًا مرسلاً علاقته الجزئية؛ حيث أطلقت اليد، وأرادت كل الجسد؛ لأنه إذا هلكت اليد التي هي سبب الفعل، فقد هلك صاحبها.

بنية سطحية	←	وتبت الأيدي (قوة إنجازية حرفية)	←	ملزوم	←	مجاز
بنية عميقة	←	تبت أجسادكم (قوة إنجازية مستلزمة)	←	لازم	←	حقيقة

الاستعارة:

وفي الاستعارة الانتقال ((من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي المستلزم مقاميّاً لا يكفي وحده في تحديد الاستعارة، وإنما وجب قبل الانتقال من الملزوم إلى اللازم حصول تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له أي تشبيه شيء في المشبه بلازم للمشبه به مع حذف أحد الطرفين ليتحقق المعنى الاستعاري المستلزم))[2].

ومن ذلك قول السيدة فاطمة: ((تَبّاً لَكُمْ، فَانْتَظِرُوا اللّعْنَةَ والْعَذَابَ، وكَأَنْ قَدْ حَلّ بِكُمْ، وتَوَاتَرَتْ مِنَ السّمَاءِ نَقِمَاتٌ، فَيُسْحِتَكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ، ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ثُمّ تُخَلّدُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا ظَلَمْتُمُونَا، أَلا لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ))[3].

---

١) لسان العرب (تبب) ١/٢٢٦.

٢) مظاهر التداولية ٢٠٨.

٣) الاحتجاج ٢/٢٨.

ففي قولها: (ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) لا يدلّ الفعل (يـذيق)على أصـله معنـاه، وهو: (ذوق الطعام) وهو يطعمه، بل هو استعارة للمكـروه والأذى. إذ إن القصـد مـن التلفظ بهذه العبارة، وهو المعنى المستلزم: أذى بعضكم على يد بعض.

ومنه في خطبة السيّدة أُم كلثوم-عليها السلام- فقالت: ((يا أهل الكوفـة، سـوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه....ثم قالت:

قتلتم أخي صبرًا فويل لأُمّكـم ستجزون نـارًا حرّهـا يتوقّـد

سفكتم دماءً حرّم الله سـفكها وحرّمهـا القـرآن ثمّ محمّـد

ألا فأبشروا بالنـار أنّكـم غـدًا لفي سقر حقًّا يقينًا تخلـدوا[1]

ففي قولها: (فأبشروا بالنار) لا يدلّ الفعل (فابشروا) على حقيقـة معنـاه، وهـو: ((الإخبار بما يظهر سرور المخبر ـ بفتح الباء ـ. وهو هنا مسـتعمل في ضـدّ حقيقتـه، إذ أريد به الإخبار بحصول العذاب ، وهو موجب لحـزن المخـبرين ، فهـذا الاسـتعمال في الضد معدود عند علماء البيان من الاستعارة ، ويسمونها تهكمية لأن تشبيه الضد بضده لا يروج في عقل أحد إلا على معنى التهكم ، أو التمليح))[2].

فابشروا بالنار ← معنى أصلي: ابشـروا بالنـار(حزن المخبَـر)

قرينة ← معنى مستلزم: ابشروا بما يسرّكم (سرور المخبَـر)

ومنه ما جاء في خطاب السيّدة زينب ليزيد: (كيف يرتجى مراقبة ابن من لفـظ فـوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء)؟

---

١) اللهوف في قتلى الطفوف ٩١.

٢) التحرير والتنوير٣/٢٠٧.

فقولها: (ونبت لحمه من دماء الشهداء)، الفعل (نبت) استعير للإنشاء. إذ لايدل على النماء في المزروع.

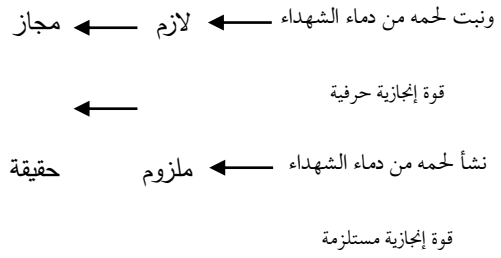

الخاتمة

١ـ الاستلزام الحواري آلية من آليات إنتاج الخطاب يقدم تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلّم على أن يعني أكثر ممّا يقول بالفعل، أي أكثر ممّا تؤديه العبارات المستعملة.

٢ـ إن علم المعاني لا يقتصر على المعاني المباشرة، بل يتجاوز ذلك إلى النظر في المعاني الثواني عن طريق خروج دلالات الصّيغ اللغويّة فيه عن أصل الاستعمال، (المعنى الحرفيّ) إلى المعاني المستلزمة من سياقها التَّداوليّ. وفي خطب سبايا أهل البيت وجدنا خروج صيغ الأساليب الإنشائية عن معناها الحقيقيّ إلى معانٍ مستلزمة بحسب السياق.

٣ـ يقوم كلّ من المجاز المرسل والاستعارة على الانتقال من الدلالة الحرفية للجملة أو معناها الإنجازي الحرفي إلى دلالة ثانية مستلزمة من السياق الكلامي، وقد وظف سبايا أهل البيت (عليهم السلام) هذا الانتقال الدلالي لأداء أغراض معنويّة بحسب السياق.

المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
٢. الاحتجاج، الشيخ الطوسي (ت ٥٤٨)، دار النعمان النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
٣. الاستفهام البلاغي في شرح ديوان الحماسة (بحث)، هيثم الثوابية، دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية) مج ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤م.
٤. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي إدوارد، منشورات الاختلاف- الرباط، ٢٠١١م.
٥. البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان – الأردن، ١٩٩٧م.
٦. التَّحرير والتَّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنَّشر والتَّوزيع- تونس، ١٩٩٧م.
٧. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة-بيروت،٢٠٠٥م.
٨. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمَّد بن مكرم بن منظور(ت ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، (د. ت).
٩. اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس (ت ٦٦٤) ، أنوار الهدى- قم، ١٤١٧.
١٠. مجاز القرآن: خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت، ١٩٩٩م. .
١١. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦)، باديس لهويميل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤م.
١٢. معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد،١٩٨٧.
١٣. لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١)، مطبعة العرفان صيدا.

أربعينية الإمام الحسين(عليه السلام)

وتحديات العصر

(منهجاً ورسالة)

أ. م. د. هدى محمد سلمان

جامعة بغداد - مركز البحوث التربوية والنفسية

المقدمة

يُعد يوم أربعينية عاشوراء ملحمة التضحية والفداء من أجل إعلاء راية الحق خفاقة في كل مكان وفي كل زمان، الأنموذج الأمثل لكل الحركات التحررية على مدى التاريخ، رحمة تنزلت على الخلق من عند الله تبارك وتعالى . مدرسة الأجيال وصانعة الأمجاد أم الثورات وسيدة المواقف امتداد لخط الرسالة المحمدية الأصيلة التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور . ثورة مباركة جاءت نتيجة ابتعاد الأمة عن قيادتها الحقة، جاءت لتحيي الإسلام من جديد هذا الإحياء الذي كان ثمنه غاليا جدا انه دم سيد الشهداء الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين وأنصاره المنتجبين، عاشوراء العطاء الأكمل الذي قدمه الحسين لحفظ الإسلام وبقاءه حتى قيام يوم الدين، لذلك نرى ان هناك بعض المناهج في هذا الاتجاه.

الأول: هو منهج السرد التاريخي الذي ركز على عنصر المأساة ويعتمد إبراز جانب الإثارة العاطفية فيها. وهو منهج قديم فضلا عن انه استمرار لمنهج كتاب "المقتل".

الثاني: المنهج الجمالي التاريخي ويتم تسليط الأضواء فيه على الفضائل والرذائل الشخصية للأطراف الصراع بكل ما ينطوي عليه ملف الثورة من نبل ورفعة وإيثار وشهامة وإباء وكرامة وأريحية ومبدئية . قبال ما يتسم به الطرف الآخر من خسة وإسفاف واستبداد ورعونة وبربرية، يندى لها جبين الإنسانية.

أربعينية الحسين تكليف وواجب:

ويمكننا أن نلخّص القضية بهذه الصورة: إنّ اربعينية ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم وهو إعادة الإسلام والمجتمع الإسلاميّ إلى الخطّ الصحيح أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلاميّ. وهذا ما يتمّ عن طريق الثورة وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بالطبع، فقد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون الشهادة، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام مستعدّاً لكلتا النتيجتين. والدليل على ذلك هو ما يستنتج من أقوال الإمام الحسين عليه السلام . وهذه بعض أقوال أبي عبد الله عليه السلام وكلّها تشير إلى هذا المعنى:

أ ـ عندما طلب الوليد، والي المدينة، الإمام الحسين عليه السلام ليلاً وقال له: إنّ معاوية قد مات وعليك بمبايعة يزيد، ردّ عليه الإمام عليه السلام: "نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالبيعة والخلافة". وعند الصباح عندما لقي مروان أبا عبد الله عليه السلام طلب منه مبايعة يزيد وعدم تعريض نفسه للقتل، فأجابه الإمام عليه السلام: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد"[1].

فالقضية ليست شخص يزيد، بل أي شخص مثل يزيد، ويريد الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: لقد تحمّلنا كلّ ما مضى، أمّا الآن فإنّ أصل الدين والإسلام والنظام الإسلاميّ في خطر، إشارة إلى أنّ الانحراف خطر جدّي، فالقضية هي الخطر على أصل الإسلام.

ب ـ إنّ أبا عبد الله عليه السلام قد أوصى أخاه محمّد ابن الحنفية، مرّتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكّة. ولعلّ هذه الوصية كانت عند

---

١) مثير الأحزان، ١٤.

خروجه من مكّة في شهر ذي الحجّة ـ فبعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول الإمام عليه السلام: "وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً. والإصلاح ليس بالأمر الهيّن، فقد تكون الظروف بحيث يصل الإنسان إلى سدّة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك، ويستشهد، وفي كلتي الحالتين تكون الثورة لأجل الإصلاح. ثمّ يقول عليه السلام: "أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[1]... والإصلاح يتّم عن هذا الطريق، وهو ما قلنا إنّه مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج ـ عندما كان الإمام (عليه السلام) في مكّة، بعث بكتابين، الأوّل إلى رؤساء البصرة، والثاني إلى رؤساء الكوفة، جاء في كتابه إلى رؤساء البصرة: "وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي وتجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد[2]. أي يريد الإمام الحسين عليه السلام تأدية ذلك التكليف العظيم وهو إحياء الإسلام وسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والنظام الإسلاميّ. وجاء في كتابه إلى أهل الكوفة: "فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائر بالحقّ والحابس نفسه عن ذات الله، والسلام"[3]. الإمام ورئيس المجتمع الإسلاميّ لا يمكن أن يكون فاسقاً فاجراً خائناً مفسداً بعيداً عن الله، بل يجب أن يكون عاملاً بكتاب الله، وذلك بالطبع على مستوى المجتمع، لا أن يحبس نفسه في غرفة الخلوة للصلاة، بل أن يحيي العمل بالكتاب

---

١) بحار الأنوار، ٤٤/٣٢٩.

٢) مثير الأحزان، ١٧.

٣) مثير الأحزان، ١٦.

على مستوى المجتمع، ويأخذ بالقسط والعدل ويجعل الحقّ قانون المجتمع. ولعلّ معنى الجملة الأخيرة هو أنّه يثبّت نفسه على الصراط الإلهيّ المستقيم بأيّ نحوٍ حتّى لا يقع أسير الإغراءات الشيطانية والمادية. أي أنّ الإمام عليه السلام قد بيّن هدفه من الخروج.

د ـ كان الإمام عليه السلام يخاطب الناس في كلّ منزل ينزل فيه بعد خروجه من مكّة؛ عندما(واجه الحسين عليه السلام جيش الحرّ) وسار بأصحابه في ناحية والحرّ ومن معه في ناحية حتّى بلغ "البيضة" خاطب الإمام عليه السلام أصحاب الحرّ، فقال: "أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا بقول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله[1]. فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيّن ما يجب عمله إذا انحرف النظام الإسلاميّ، وقد استند الإمام الحسين عليه السلام إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا. فالتكليف هو أن "يُغيِّر بفعل أو قول"، فإذا واجه الإنسان مثل هذه الظروف ـ وكان الظرف مؤاتياً كما تقدّم ـ وجب عليه أن يثور ضدّ هذا الأمر ولو بلغ ما بلغ، يُقتل، يبقى حيّاً، ينجح في الظاهر أو لا ينجح. يجب على كلّ مسلم أن يثور أمام هذا الوضع، وهذا تكليف قال به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . ثمّ قال عليه السلام: "وإنّي أحقّ بهذا"[2]، لأنّي سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد أوجب على المسلمين فرداً فرداً هذا الأمر، كان سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووارث علمه وحكمته الحسين بن علي عليه السلام أحقّ أن يثور، فإنّي خرجت لهذا الأمر. فيعلن عن سبب وهدف ثورته وهو لأجل "التغيير" أي الثورة ضدّ هذا الوضع السائد.

---

١) بحار الأنوار، ٣٨٢/٤٤.

٢) بحار الأنوار، ٣٨٢/٤٤.

هـ ـ كان للإمام الحسين في منزل عُذيب، ـحيث التحق به أربعة نفر: بيانٌ آخـر، قال لهم الإمام عليه السلام: "أمّا والله إني لأرجو أن يكون خيراً مـا أراد الله بنـا قُتلنـا أم ظفرنا"[1]. وهذا دليل على ما تقدّم أنّه لا فرق سواء انتصر أم قُتل، يجب أداء التكليف.

وفي أوّل خطبة له عليه السلام عند نزوله كربلاء، يقول عليه السلام: "وقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون" إلى أن يقول: "ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً..."[2] إلى آخر الخطبة.

إذاً إنّ ثورة اربعينية الإمام الحسين عليه السلام كانت تأديةً لواجب، وهذا الواجب يتوجّه إلى كلّ فرد من المسلمين عبر التاريخ، وهو أنّه على كلّ مسلم لزوم الثورة حـال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلاميّ بحيث يُخاف من تغـييرٍ كلّـي في أحكـام الإسلام، بالطبع إذا كانت الظروف مؤاتية، وعلم بأنّ لهـذه الثـورة نتيجـة. ولـيس مـن الشروط البقاء على قيد الحياة وعدم القتل وعدم التعـرّض للتعـذيب والأذى والمعانـاة. فالحسين عليه السلام قد ثار .

لقد قام الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وأيقظ وجدان الناس. لهذا ظهرت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، تلك النهضات الإسـلامية الّـتي بـدأت واحـدة تلـو الأخرى، والّتي حتماً جرى قمعها. ولكن ليس المهمّ أن يجري قمـع التحـرّك مـن قبـل العدوّ وإن كان بالطبع مرّاً، ولكن ما هو أمرّ هو أن يصل المجتمع إلى حيث لا يظهر أيّـة ردّة فعل مقابل العدوّ، هذا هو الخطر الأكبر.

---

١) تاريخ الطبري، ٤، ٣٠٦.

٢) تحف العقول، ٢٤٥.

واقعة أربعينية يوم عاشوراء:

هنالك ثلاث محاور أساسية فيما يتعلق بمباحث واقعة أربعينية يوم عاشوراء الا وهي:

الأول: دراسة علل ودوافع ثورة الامام الحسين(عليه السلام) والاسباب التي حدت به الى الثورة أي تحليل الدوافع الدينية والعلمية والسياسية لهذه الثورة.

الثاني: هو بحث الدروس المستقاة من يوم أربعينية عاشوراء . وهو بحث حي وخالد على مر الزمن ولا يختص بزمن معين دون سواه.

فدرس عاشوراء هو درس تضحية ومواساة وشجاعة ودرس القيام لله والايثار والمحبة.

الثالث: هو العبرة المستقاة من عاشوراء، والبحث في عبر عاشوراء يختص بالزمن الذي تكون فيه الحاكمية للإسلام .

كيف تتم صيانة الثقافة العاشورائية:

إن أكبر دولة تستقطب الأمة حول دوائرها هي مؤسسة الشعائر الحسينية فيما لو يع المسلمون أهدافها ومبادئها وأهميتها لتكتيل الأمة ووحدها.

من ذلك يقول الامام الخميني(قدس سره) في وصيته معبرا عن هذا الجانب علينا أن نعلم جميعا بان هذه المراسم السياسية(مراسم اربعينية العزاء الحسيني) هي التي أوجدت الوحدة بين المسلمين وحفظت هويتهم لاسيما شيعة الائمة الاثني عشر(عليهم السلام) ويرى الامام فضيلة أداء هذا الدور فهي الطاقة التي تبعث الروح في الامة وهي مدارس تنظيمية وتنويرية تحقق البعد الاجتماعي الاصلاحي لثورة الامام الحسين(عليه السلام)

وتنزله الى الواقع العملي والتطبيقي . من هنا أدرك الامام الراحل(قدس سره) أهمية التنظيم العاشورائي، فعبر عن القيمة الحركية الفاعلة له بقوله: تخشى القوى هذا التنظيم(الحسيني) الذي ينتظم بدون أن يكون لأحد فيه يد فالناس تتجمع والامة تتعبأ تلقائيا في مختلف أرجاء بلد واسع، ففي اريام اربعينية الامام الحسين تنهض مجالس العزاء هذه بمهمة جمع الناس بعضهم حول بعض، واذا مأريد خدمة الاسلام، واذا ما أراد أحد أن يشرح موضوعا يخدم الاسلام يكفي لكي ينتشر هذا الموضوع أن يصل الى الخطباء وأئمة الجمعة والجماعات كي يبث مرة واحدة في جميع أنحاء البلاد.

إن اجتماع الناس تحت ظلال هذا العلم الالهي هذه الراية الحسينية هو الذي يوفر أساس هذا التنظيم ان قضية ابي عبد الله الحسين(عليه السلام) في رؤية الامام سر خلود الاسلام وبقائه في حيوية دائمة، فيقول في ذلك أن قضية سيد الشهداء هي السر في حفظ الاسلام والعلة الاساسية لبقائه، ويجب تخليد تلك الثورة التي قام بها ذلك العظيم ثم أن كل ما لدينا هو من الحسين(عليه السلام).

وأن اظهار مراسم العزاء الحسيني بالمظهر اللائق الحسن الخالي من العادات الدخيلة والممارسات البهلوانية المثيرة المقززة أحيانا للشعور انما يعكس الوجه الناصع والمشرق للإمام الحسين(عليه السلام) من خلال إحياء مراسم نهضته وبالتالي فهي انعكاس لصفحة الاسلام وتعاليمه السامقة التي جاءت لتربي الاجيال وتحيي الشعوب، وتدفع بها الى مراتع الخصب والعطاء والتجدد ذلك ان الامام الحسين عليه السلام . ما أراد الشهادة الا باعتبارها وسيلة للوصول الى غايته الاساسية وان كان له علم بذلك، وكان يخطط لهذه النهاية المأساوية المفجعة حيث ان جده الرسول الاكرم(صلى الله علية وسلم) قال له: شاء أن يراك قتيلا[1] كما أن الامام عليه السلام ما كان يريد ان يوحي للمؤمنين أن يوطئوا أنفسهم لنيل الشهادة، لان فيها من الثواب العظيم والاجر الجزيل ما ليس

١) بحار الأنوار، ٤٤، ٣٦٤.

يحرزه أي عمل أخر، بل أراد أن يجعل من الشهادة وبهذا الحجم من المأساة وسيلة لإصلاح المجتمع لما فيها من كسب المظلومية واختزال عواطف الامة فشراء الضمائر والذمم والارادات وانتهاك الحرمات واستبعاد الناس إنما أراد الامام الحسين عليه السلام إرجاعها الى نصابها الطبيعي بهذه الهزة العنيفة والصدمة الصاعقة، ثم إنه لم يكن هدفه الاساس هو الاطاحة بذلك الطاغوت في عصره فحسب بل كل طاغوت موجود ويوجد على طول التاريخ من اليوم العاشر الى يوم القيامة . وذلك عن طريق إصلاح هذه الامة وإقامه حكم الله في الارض لكي يسير الانسان الى تكامله وهو الهدف من خلقه وعلى غرار الثورة الام جاءت هذه الثورة الوليدة وفق ما خطط له الامام الحسين عليه السلام لتدك العروش وتحيي النفوس، وهذا ما لا يروق لأعداء الحق وإنهم لما غلبوا على أن ينالوا من هذه الثورة الصامدة، فما استطاعوا لها نقبا وما استطاعوا الى ذلك سبيلا، شنوا حملات مسعورة على شتى الجوانب والاصعدة العسكرية والاعلامية والثقافية والنفسية فكانت هذه الاخيرة شديدة الوطء على هذه الشعب المظلوم وازداد ترصدهم بالمسلمين الى أثارة الشبهات وترويج المفاهيم الخاطئة. وتأصيل الممارسات الشاذة البعيدة عن روح الاسلام الاصيل خاصة في الشعائر الحسينية باعتبارها وقود هذه الثورة، ثم النعيق بأبوابقهم الدعائية والتباكي على الاسلام وما أدخل عليه من بدع وضلالات .

من ذلك فان أربعينية الحسين فيها التذكير بالمصائب والمظالم التي يرتكبها الظلمة في كل عصر وفي هذا العصر الذي هو عصر مظلومية العالم الاسلامي على يد أمريكا. واهتمام الخطباء بتذكير الناس وتوجههم الى القضايا الاسلامية السياسية منها والاجتماعية لتبقى في ذاكرتهم وليتابعوا الحكام ويحاسبوهم فيما لو تصرفوا بشكل يسيئ للإسلام والامة وأن هذا التوجه هو نابع من هذه المراثي التي يلقوها على مسامع الناس وقد أكد الامام قدس سره على ذلك من خلال أمنياته لخطباء المنابر بقوله(ليت

خطباء المنابر أيدهم الله أنه يسعوا الى دفع الناس الى القضايا الاسلامية واعطائهم التوجهات اللازمة في الشؤون السياسية والاجتماعية فنحن أحياء بهذه المراثي).

التأكيد على قراء العزاء بعدم الاختصار بقراءة المراثي الحسينية وبجعلها من الامور الثانوية والهامشية بل ليكثروا من ذكر هذه المصائب ويسهبوا بشرحها

العزاء الحسيني شعارا بوجه الظلم والظالمين:

لقد ثأر الإمام الحسين(عليه السلام) بوجه تلك الامبراطورية التي كانت أقوى الامبراطوريات القائمة أنذاك بعدد قليل من الانصار الذين كان عددهم(٧٢) نفراً . إلا انه انتصر وكان الغالب رغم استشهاده هو وجميع من معه. ونحن السائرون على نهجه والمقتفون لآثاره، والمقيمون لمجالس العزاء التي أمرنا بها الامام جعفر الصادق(عليه السلام)، الذي كان يقوم بإحياء المعارف الاسلامية الاصيلة وتشكيل الحوزات الدراسية وبذلك عرف مذهب الشيعة بالمذهب الجعفري تيمناً باسمه . وأئمة الهدى(عليه السلام) فإنهم يقولوا كما يقول الامام ويروم تحقيقه ألا وهو مكافحة الظلم والظالمين .

ومن الوصايا التي يجب أنه تكون لجموع المعزين للامام الحسين(عليه السلام) فهي:

١ـ إحياء عاشوراء فإحياءها يصان بلدكم من كل سوء.

٢ـ أن البكاء على الامام الحسين(عليه السلام) هو الذي حفظنا.

٣ـ علينا أن لا ننخدع بمزاعم وأحابيل الشياطين الذين يريدون أن يجردونا من هذا السلاح .... ليحذر شبابنا من الانخداع بذلك فهذه الشعائر الحسينية هي التي حفظتنا وصانت البلد .

٤ـ علينا أن نعرف رمز بقاءنا وتمسكنا طوال هذه السنين عبر عصر أمير المؤمنين(عليه السلام) حتى الان .

٥ـ لقد أقيمت هذه المجالس على مر التاريخ بأمر الائمة(عليه السلام) فلا يظن أن نكف عن البكاء فهذا خطأ فادح يقعون فيه.

٦ـ ليعلم شعبنا قيمة وأهمية هذه المجالس فهي التي أبقت الشعوب حية وينبغي أن تزداد هذه المجالس في أيام عاشوراء وتنمو وتنتشر بل انها ينبغي أن تكثف حتى في باقي أيام السنة .

٧ـ علينا أن ندرك بأنه لو لم تكن هذه المواكب موجودة ولو لم تكن هذه المجالس والمراثي لضاعت علينا ذكرى ايام عاشوراء.

٨ـ لا تدعو التظاهرات والمسيرات تحل محل مواكب العزاء والمأتم ولا تسمحوا لهم أن يسلبوكم العزاء الحسيني أقيموا المواكب الحسينية ثم سيروا في التظاهرات الحسينية

كما يجب التأكيد على إحياء عاشوراء والمشاركة الفعالة بهذه المجالس، والتأكيد على البكاء والاستماع والانصات جيدا لما يتحدث عنه في المجالس، لان هذه المجالس أقيمت بأمر الائمة(عليه السلام) فيجب أن تزداد وتنتشر حتى في غير أيام محرم والمشاركة بها.

المشاركة بمواكب العزاء، حضور مجالس العزاء لان بحضورها تبقى حرارة التواصل مع أهل البيت(عليه السلام).

فلنبق على هذه العلاقة حية بذكر مصائبهم وتضحياتهم(عليه السلام) لان بذكرهم بقي هذا الدين حيا حتى الان وكلما كانت العلاقة واضحة مع أهل البيت(عليه السلام) فسيبقى الإسلام المحمدي حيا فينا ننشد فيه العدالة ونسحق كل طاغ متجبر لايريد الخير لهذه الأمة .

المصادر:

١ـ البغدادي، علي عبيد، ٢٠١١، حقيقة عاشوراء وأهداف الثورة الحسينية في فكر الامام الخميني، اصدارات المركز الثقافي للدراسات الاسلامية، ط٢.

٢ـ البغدادي، علي عبيد، و الهيدان، نوره، واخرون، ٢٠١١، قراءات في فكر الامام الخميني، الجزء الثالث، ط ٢ .

٣ـ البغدادي، علي عبيد، ٢٠١١، حقيقة عاشوراء وأهداف الثورة الحسينية، ط١.

٤ـ البغدادي، علي عبيد، ٢٠١٠، فلسفة عاشوراء في فكر الامام الخميني قدس سره، ط٢.

٥ـ السعيد، حسن، ٢٠١١، فاجعة الطف شهادات من الضفة الاخرى، ط ٢ .

٦ـ مؤسسة الاسلام الاصيل النجف، دراسات تحليلية حول النهضة الحسينية مختارات من خطب الامام الخميني(قدس سره)،

أول زوار الأربعينـية

الصحابي جابر الأنصاري

(١٦ ق هـ - ٧٨هـ = ٦٠٧-٦٩٧م)

الدكتورة هيام عودة محمد

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا الامين وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

إن من النواميس المطردة الاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوما مضين من وفاته بإسداء البر اليه وتأبينه وعد مزاياه،ويؤكد هذه الطريقة المألوفة والعادة المستمرة بين الناس من الحداد على الميت اربعين يوما، فاذا كان الاربعين اقيم على قبرة الاحتفال بتأبينه يحضره اقاربه وخاصته وهذه العادة لم يخص بها المسلمون فقط بل ان النصارى يقيمون حفلة تأبينيه يوم الاربعين بعد وفاة فقيدهم.. وانما قصروا الحفلات الأربعينية بالأربعين الاول من سائر الناس من جهة كون مزايا اولئك الرجال محدودة منقطعة الآخر بخلاف سيد الشهداء فان مزاياه لا تحد وفضائله لا تعد ودرس احواله جديد كلما ذكر واقتصاص أثره يحتاجه كل جيل، فإقامة المأتم عند قبره في الاربعين من كل سنة احياء لنهضته وتعريف بالقساوة التي ارتكبها الامويون ولفيفهم، ومهما امعن الخطيب او الشاعر في قضيته تفتح له ابواب من الفضيلة كانت موصده عليه قبل ذلك.

لهذا أطردت الشيعة على تجديد العهد بتلكم الاحوال يوم الاربعين من كل سنة ولعل رواية الامام الباقر(عليه السلام)ان السماء بكت على الحسين اربعين صباحا تطلع حمراء وتغرب حمراء[1] تلميح الى هذه العادة المألوفه بين الناس، وحديث الامام الحسن العسكري(عليه السلام)علامات المؤمن خمس: صلاة احدى وخمسين وزيارة الاربعين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم والتختم باليمين وتعفير الجبين[2].

---

١) القمي، الشيخ ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه(ت ٣٦٧هـ)، كامل الزيارات،مط مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٩، باب ٢٨، ص ٩٦/ المقرم،السيد عبدالرزاق الموسوي، مقتل الحسين، مط مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٨٥

٢) للتفاصيل ينظر: المقرم، مقتل الحسين، ص ٣٨٥ـ ٣٩٠

تناول البحث في مبحثين دراسة مبسطة لحياة الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الانصاري، وكونه أول شخص تشرف بزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام في اول اربعينية لاستشهاده(عليه السلام)في ال٢٠ من صفر سنة ٦١هـ، بعد خروجه من المدينة المنورة عند سماعه لنبأ استشهاد الامام(عليه السلام).

تم تقسيم البحث الى مبحثين رئيسين: تناول الاول منهما نسب وسيرة الصحابي جابر الانصاري، والعلاقة التي ربطته بآل بيت الرسول(صلى الله عليه وآلة وسلم)، حتى وفاته سنة ٧٧هـ وقيل ٧٨هـ وقيل قبل هذه الفترة حسب الروايات المتناقلة.

اما المبحث الثاني: فتناول جانب ما بعد واقعة الطف(جابر وكربلاء)استعرضت فيه زيارة الأربعينية من قبل جابر الانصاري وقضية وصوله الى القبر الشريف في كربلاء، ومراسيم الزيارة التي قام بها. والروايات التي ذكرت وصول ال بيت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)الى كربلاء حاملين رؤوس الشهداء، ولقاءهم بجابر الانصاري في كربلاء.

المبحث الأول

اسمه ونسبه:-

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري[١] ،وقيل عمرو بن حرام بن ثعلبة[٢]وقيل بن عمرو بن حرام بن سواد بن سلمة[٣]الخزرجي السلمي، من بني سلمة، وقد اتفق اغلب الرواة والمؤرخين على الاختلافات في نسبه بقول ابن الاثير صراحة بعد ان ذكر نسبه(وقيل في نسبه غير هذا)، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي بن سنان بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم، تجتمع هي وابوة في جدهم حرام[٤]كني بأبي عبد الله وأبي عبدالرحمن وقيل أبي محمد، وأصح ما قيل فيه ابو عبدالله[٥].

لكن لابد من الاشارة الى بعض الروايات التي تذكر ان جابرا المقصود بالانتصاري السلمي هو جابر بن عبدالله بن رئاب وليس جابرا بن عبدالله بن عمرو بن حرام[٦]وربما هو لبس وقع فيه العديد من الرواة لان كليهما متقاربان بالعمر والمشاركة في الاحداث

---

١) ابن الاثير،عز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري(ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابه في معرفة الصحابه، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبدالموجود، مط دار الكتب العلميه، بيروت، ج١، ص ٤٢٩ / الذهبي، الحافظ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت ٧٤٨هـ)، تجريد اسماء الصحابه، مط دار المعرفة، بيروت، ج١، ص ٧٣ / ابن حجر، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي(ت ٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، نسخة عن مكتبة الخديوية المصرية للسنه النبويه، ج١، ص ٢١٣.

٢) ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي(ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، ط/١، مط دار احياء الثراث العربي، ١٩٩٣،ج١، ص ٣٥٠.

٣) ابن عبدالبر القرطبي، ابو عمر يوسف بن عبدالله النمري(ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، صححه وخرج احاديثه عادل مرشد، ط١، مط دار الاعلام، عمان، ٢٠٠٢، ص ١١٤.

٤) ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص ٤٩٢ / ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ص ١١٤.

٥) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق علي مهنا، مط شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢، ج٩، ص ٤٩٣.

٦) ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص٤٩٣.

التاريخية فكلاهما شارك في بيعة العقبة وشاركا في غزوات الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)فضلا عن اللبس الذي سيرد من روايات مشاركة جابر الانصاري في معركتي بدر وأحد كما سنلاحظ لان ابن رئاب شارك بهما اما ابن عبدالله بن عمرو فقد تخلف عنهما بأمر من والده، وهناك اشارة ايضا الى انهما يجتمعان بالنسب في غنم بن كعب بن سلمة الانصاري السلمي فلقب الاثنان بجابر الانصاري عند ذكرهما بشكل مختصر[1]

صحبته للرسول محمد(صلى الله علية واله وسلم)

هو صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي(صلى الله عليه وآله)وروى عنه جماعة من الصحابة فله ولأبيه صحبه[2]، ونقل عنه العديد من الاحاديث وصل عددها الى ما يقارب ال ١٥٤٠ حيث حسبما روى عنه البخاري ومسلم، وله مسند مما رواه ابو عبد الرحمن، عبدالله بن الامام احمد بن حنبل[3].

فقد عاش جابر مع الرسول كل الاحداث الحافلة بالمواقف الايمانية والبطولية وكان ملازما له يسمع احاديثه ويتعلم منه الدروس العظيمة، وظل على هذا المنوال الى ان توفي الرسول الكريم(صلى الله عليه واله وسلم)نذكر من هذه الوقفات والغزوات:ـ

---

١) للتفاصيل يراجع ترجمة جابر بن عبدالله بن رئاب(ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص ٤٩٢).

٢) ابن حجر، الاصابة، ج١، ص.٢١٣

٣) ابن كثير،، الحافظ عماد الدين ابي الفدا اسماعيل ابن عمرو الدمشقي(ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهايه، تحقيق عبدالله بن بن عبد الحسين التركي، مط هجر، القاهرة، ١٩٩٧،ج١٢،ص ٢٨١/ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط١٥، مط دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢، ج٢، ص ١٠٤.

- انه كان ممن شهد العقبة الثانية[1]مع ابيه[2]وهو صبي وكان أصغرهم سنا[3]ولم يشهد الاولى[4]فكان كما سمي من رجال السبعين وهم السبعون الذين بايعوا رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)عند العقبة الثانية)[5].

- ذكر البخاري انه شهد معركة بدر وأحد وكان ينقل لأصحابه الماء[6]، ولكن حسبما ذكر بنفسه انه لم يشهدهما بقوله:(لم أشهد بدرا ولا أحدا، منعني أبي)[7]،وسبب منع والده هو انه خلفه على أخوته وأخواته وكن تسعا اثناء بدر وأحد[8]وفي رواية اخرى أنه قال: (لم اشهد بدرا ولا أحدا منعني ابي، فلما قتل يوم أحد، لم اتخلف عن رسول الله في غزوة قط)[9]فبعد ان قتل- استشهد- والده في احد[10]اصبح لابد من مشاركة جابر

---

١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١١٤ / ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص ٤٩٢ / الذهبي، تجريد اسماء الصحابة، ج١، ص ٧٣ / الطوسي، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن(ت ٤٦٠هـ)، رجال الكشي(اختيار معرفة الرجال)، تحقيق جواد الاصفهاني،مط مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٦هـ، ص ٤٨.

٢) عبدالله بن عمرو بن حرام ابو جابر في رهط من الانصار متجهين الى مكه للحج وعندما كانت الليلة التي واعدوا فيها رسول الله اخبروه وقالوا له:(يا اباجابر، انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا)ثم دعوة الى الاسلام واخبروة بميعاد الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)اياهم العقبه..فأسلم وشهد معهم العقبه الثانيه،وكان نقيبا – أي كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف اخبارهم وينقب عن احوالهم-..وكان عددهم سبعون رجلا ومعهم امرأتان من نسائهم(للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢٦٤/ ابن كثير، البداية والنهايه، ج٤، ص ٤١٧).

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٩، ص ٤٩٣ / الذهبي، تجريد اسماء الصحابة، ج١، ص ٧٣ / ابن حجر، الاصابة، ج١، ص ٢١٣ / ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤،ص ٤١٧.

٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ١١٤.

٥) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٨.

٦) هذه الرواية منقولة عن ابي سفيان عن جابر وقد انكرها الواقدي(ابن حجر، الاصابة، ج١، ص ٢١٣).

٧) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ١١٤/ ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص ٤٩٢ / ابن حجر، الاصابه، ج١، ص ٢١٣.

٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٩، ص ٤٩٣.

٩) ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص٤٩٣ / ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٠.

١٠) ابن هشام، ابي محمد عبدالملك المعافري(ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، قدم لها وعلق عليها طه عبد الرؤوف، مط دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥، ج٣، ص ٦١/ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤،ص ٤١٧.

لرسول الله جميع معاركه والجهاد في سبيل الله بنفسه بعد فقدانه لمن كان يحل محله في الجهاد بين يدي رسول الله، فشارك مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)معاركه وغزواته حيث نقل عن طريق حجاج بن الصواف عن ابي الزبير ان جابرا حدثهم قال: (غزا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم احدى وعشرين[1]غزوة بنفسه شهدت منها تسع عشرة غزوه) وروى مسلم من طريق زكريا بن اسحاق حدثنا الزبير انه سمع جابرا يقول:(غزوت مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تسع عشرة غزوة)[2]وقيل ثمانية عشرة غزوة[3]وقيل ستة عشرة غزوة أول غزوة غزوها هي غزوة حمراء الاسد الى آخر مغازيه[4]

- ولمكانته من النبي فقد استغفر له، برواية منقولة عن بشر بن السري عن حماد بن سلمة عن ابي الزبير عن جابر الانصاري انه قال:(أستغفر لي رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)ليلة البعير[5]خمسا وعشرين مرة)[6]

---

١) بلغ عدد غزوات الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)سبعا وعشرين غزوه، وكانت سراياه سبعا واربعين سريه، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات(للتفاصيل ينظر:ـ ابن سعد، محمد بن منيع الزهري(ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبير،تحقيق علي محمد عمر، مط مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١، ج٢، ص ٥ـ٦).

٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١١٥ / ابن حجر، الاصابه، ج١، ص ٢١٣.

٣) الطوسي، شيخ الطائفه ابو جعفر محمد بن الحسن(ت ٣٨٥هـ)،رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مط مؤسسة النسر الاسلامي، قم،ص ٣٢.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٩، ص ٤٩٣.

٥) ليلة البعير: انه باع من رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)بعيرا، واشترط ظهره الى المدينه وكان في غزوة لهم(ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص٤٩٣).

٦) ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص٤٩٣.

جابر الانصاري والامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)

كان جابر الانصاري من الموالين للنبي(صلى الله عليه واله وسلم)وآل بيته الطاهرين، وكان ممن روى عن امير المؤمنين(عليه السلام)[1]، وروي انه سئل عن علي بن ابي طالب اي رجل هو ؟ فرفع حاجبية عن عينيه، وكان قد سقط على عينيه فقال: (ذاك خير البشر، أما والله انا كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)ببغضهم إياه)[2]فوقف مع الامام علي(عليه السلام)عدة وقفات مشرفة، وعند تولي الامام علي للخلافة كان جابر أحد المقربين منه[3].

وعند عودة الامام الى الكوفة حتى تمادى معاوية في عناده وأعماله العدوانية، حيث أخذ يستعد لإعلان الحرب على الامام وأصحابه، وبعد أن رأى الامام أصرار معاوية على الحرب استعد لها وأعد جيشا كبيرا توجه نحو الشام فكان جابر الانصاري أحد أبرز القادة الكبار الذين أوكل اليهم الامام(عليه السلام)مهمة الاشراف وتنظيم صفوف الجيش، في حرب صفين[4]وما ان وصل الجيش الى منطقة صفين حتى دارت المعركة هناك بين الطرفين، وقد لعب جابر فيها دورا كبيرا، فبعد ان أخذ معاوية يمني جنوده بالأموال والمناصب، كما أخذ عمرو بن العاص باختلاق الاحاديث المزورة عن النبي(صلى الله عليه واله وسلم)التي اراد من خلالها دعم موقفه المخزي في محاربة الامام علي(عليه السلام)محاولا التأثير من خلالها على عقول بعض جنده، وهنا لابد من تدخل لجابر الانصاري الذي كان من المكثرين من رواية الحديث النبوي الشريف ومن المقربين من الرسول الكريم، فعمل ضد مفهوم تلك الاحاديث المزورة فكان يعظ جند معاوية

---

١) الطوسي، رجال الطوسي، ص ٥٩.

٢) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٧ / الشيخ المفيد،ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت٤١٣هـ)، الآمالي، مط دار التيار الجديد، ص ٦١ـ٦٢.

٣) زميزم، سعيد رشيد، رجال حول علي بن ابي طالب(عليه السلام)،قدم لة العلامة الشيخ باقر شريف القريشي، مط مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٧، ص ٩٠ ـ٩١.

٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص ١١٤/ ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٤٩٣/ الذهبي، تجريد اسماء الصحابه، ج١، ص ٧٣.

كلما سنحت له الفرصة بذلك ويقوم بألقاء الحجة عليهم ويحدثهم عن فضائل ومناقب أهل البيت(عليهم السلام)ومنزلة الامام علي(عليه السلام)من النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، وكاد النصر يتم لجيش الامام لولا حادثة رفع المصاحف، ورغم المحاولات الكثيرة لجابر والقادة الآخرين لحسم الموقف خاصة بعد وصول جيش مالك الاشتر، الا ان ارادة الله كانت فوق كل شيء حيث تم اختيار الحكمين وآلت النتيجة الى ما هو معروف، وانتهت المعركة وعاد جيش الامام الى الكوفة[1].

وبعد عودة الامام للكوفة كان جابر الانصاري من الملازمين له وكان يؤدي الصلاة معه ويحضر مجلسه الذي كان يعقد يوميا في مسجد الكوفة، بعدها حدثت واقعة النهروان التي قاتل فيها الامام(علية السلام)الخوارج، فكان فيها جابر احد رجال الامام(عليه السلام)، ورجع الامام علي(عليه السلام)وجيشة مكللين بالزهو والعز، لكن القدر لم يمهل الامام(عليه السلام)بعد هذه المعركة طويلا اذ سرعان ما دبر له الخوارج مكيدة على يد احد رجالهم وهو عبدالرحمن بن ملجم المرادي وتمكن من قتل الامام(عليه السلام)وهو في محراب الصلاة، فذهب الامام الى جوار ربه شهيدا مضرجا بدمائه الزكية[2]ليلة السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ[3]

---

١) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص ٩٢.

٢) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص ٩٢ـ ٩٣.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص ٣٩٢ / الهيثمي، شهاب الدين احمد بن حجر، الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقه،بلا مط، بلا مكان للطبع، ص ٨٣.

جابر الانصاري والامام الحسن بن علي(عليه السلام)

بعد استشهاد الامام علي(عليه السلام)لازم جابر الانصاري الامام الحسن(عليه السلام)والذي تولى الأمر بعد أبيه سنة ٤١هـ، وبعد ان عقد الصلح بين الامام الحسن(عليه السلام)ومعاوية[١]عاد جابر الانصاري الى المدينة المنورة وأستقر هناك وكان موضع احترام وتقدير كل المسلمين هناك بما فيهم ولاة بني أميه الذين حاولوا الاساءة اليه الا انه كان يتعامل معهم بهدوء وتحفظ، أضافه الى انه كان يلازم بيته ولا يخرج منه الا نادرا وذلك لتجنب الاحتكاك بأزلام السلطة الاموية[٢]بعدما بايع معاوية بالإكراه.

ففي سنة٤٠هـ بعد تحكيم الحكمين وجه معاوية بسر بن ارطاة في ثلاثة الآف من المقاتلة الى الحجاز حتى دخل بسر المدينة، وصعد منبرها ولم يقاتله فيها احد فنادى باسم الخليفة عثمان وقال يا اهل المدينة والله لولا ما عهد الي معاوية ما تركت بها محتلما الا قتلته، ثم بايع اهل المدينة وارسل الى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبدالله، فانطلق جابر الى أم سلمة زوج النبي(صلى الله عليه واله وسلم)فقال لها: ما ترين؟ اني خشيت ان اقتل، وهذه بيعة ضلالة، قالت: ارى ان تبايع، فأني قد أمرت ابني عمر ابن ابي سلمة ان يبايع وامرت ختني ـ صهري ـ عبدالله بن زمعه، فأتاه جابر فبايعه[٣]لكنه رغم هذا بقي هو وعدد من الصحابة من المعترضين على بعض الاعمال التي يقوم بها معاوية فكان هو وابو هريرة من المعترضين والمحذرين لمعاوية

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٠٧ / الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص ٨٥.

٢) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص ٩٣.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص ٣٨٩/ الاربلي،العلامة ابو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح(ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الائمة، حققه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي، الناشر مكتبة بني هاشم، مط المطبعة العلمية،قم،١٣٨١هـ ج١، ص ٢٤٨.

من محاولة نقل منبر رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)من المدينة الى الشام سنة ٥٠هـ[١]

جابر الانصاري والامام علي بن الحسين(علية السلام)

بعد أن وصل جابر الأنصاري الى المدينة النورة عائدا من كربلاء أستقر بها وكان متمما لما بدأ من موالاته لآل البيت عليهم السلام فكان قريبا من الامام زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام)[٢]

جابر الانصاري والامام الباقر(عليه السلام)

ذكرت بعض الروايات ان الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)أبلغ جابراً بأنه سيعيش حتى يلحق بالإمام الباقر(عليه السلام)وحمله الرسول عليه الصلاة والسلام رسالة السلام الى ولده الباقر(عليه السلام)، وكان جابر اثناء جلوسه في المسجد النبوي يردد يا باقر العلم يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر[٣]فكان يقول: لا والله ما أهجر، ولكني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يقول: انك ستدرك رجلا من أهل بيتي، أسمه اسمي، وشمائله شمائلي يبقر العلم بقرا. فذاك الذي دعاني الى قول ما أقول، فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة، اذ هو بطريق فيه كتاب فيه محمد بن علي بن الحسين(عليه السلام)، فلما نظر اليه قال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال أدبر، فأدبر، فقال: شمائل رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)والذي نفس جابر بيده،

---

١) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٦٦.

٢) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص٩٣.

٣) يهجر: يهذي أي اكثر من الكلام فيما لا ينبغي(ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، مط دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ، مادة هجر، ص ٤٦١٨).

يا غلام ما اسمك؟ فقال:ـ أسمي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)فأقبل عليه يقبل رأسه، وقال: بأبي أنت وأمي، رسول الله يقرئك السلام ويقول لك..، فرجع محمد الى أبيه علي بن الحسين(عليهما السلام)وهو ذعر، فأخبره الخبر فقال له: يا بني قد فعلها جابر قال: نعم، قال:ـ يا بني ألزم بيتك، فكان جابر يأتيه طرفي النهار، فكان أهل المدينة يقولون: واعجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله، وما لبث أن مضى علي بن الحسين(عليهما السلام)، فكان محمد بن علي يأتيه على وجه الكرامة لصحبته لرسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)وهذه الرواية منقولة عن حمدويه وابراهيم ابني نصير عن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن حريز عن ابان بن تغلب عن ابي عبدالله الباقر(عليه السلام)[1]وهناك رواية ثانية تدل على ان الصحابي الانصاري هو الذي قصد دار الامام علي بن الحسين(عليه السلام)وسأله عن ابنه محمد، وعرف انه في الكتاب فذهب اليه ودارت بينهما نفس المحاورة التي طلب بعدها جابر الانصاري من الامام الباقر ان يضمن له الشفاعة يوم القيامة ففعل[2].

ونقلت رواية اخرى عن ابي جعفر(عليه السلام)انه قال: جاءني جابر بن عبدالله وأنا في الكتاب، فقال أكشف عن بطنك، فكشفت له عن بطني فقبله ثم قال: ان رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)أمرني أن أقرئك السلام[3].

اما الرواية الرابعة فإنها تؤخر هذا اللقاء الى الفترة الاخيرة من حياة الانصاري وليس قبل هذا لأنه فقد بصره في اواخر أيامه.

حيث ورد عن الامام الباقر(عليه السلام) أنه قال: (دخلت على جابر بن عبدالله الانصاري فسلمت عليه فقال لي: من أنت؟ وذلك بعد أن كف بصره، فقلت له: محمد بن علي بن الحسين، فقال جابر: بابي انت وأمي أدن مني، فدنوت منه فقبل يدي ثم قال:

---

١) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٩ـ ٥٠.

٢) الطوسي، رجال الكشي، ص ٥٠.

٣) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٦٠٤.

ان رسول الله يقرؤك السلام، فقلت: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟! فقال: كنت معه ذات يوم فقال لي يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلا من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب له الله النور والحكمة فأقرئه مني السلام.[1] وذكر ان الامام محمد بن علي الحسين(عليه السلام)كان أحد الرواة عن جابر الانصاري[2] اذ كان يأتي جابرا على وجه الكرامة لأنه من اصحاب جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فجلس الامام يحدثهم عن ابيه فقال اهل المدينة: ما رأينا أحد قط أجرأ من هذا، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدا قط أكذب من هذا، يحدث عمن لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبدالله، فصدقوه، على الرغم من ان جابرا كان يأتيه ويتعلم منه[3] على الرغم من صغر سنه لأنه كان عارفا بحقه وعلمه بوصية من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)كما ذكرنا.

---

١) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص٩٦.

٢) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٩ / ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٤٩٣.

٣) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٩.

علمه

عرف جابر الانصاري بانه من المكثرين في الرواية عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)والحافظين للسنن، وروى عنه جماعة من الصحابة فقد كان له ولأبيه صحبة[1].

وروى عن ابي بكر وعمروالامام علي(عليه السلام)، وابي عبيدة، وطلحة، ومعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وابي بردة بن نيار، وابي هريرة، وابي سعيد، وعبدالله بن أنيس، وابي حميد الساعدي، وأم شريك، وأم مالك، وأم مبشر من الصحابة، وأم كلثوم بنت ابي بكر الصديق وهي من التابعين.

وروى عنه أولاده: عبدالرحمن، وعقيل، ومحمد، ومحمد بن علي بن الحسين(الباقر)، وسعيد بن المسيب، ومحمود بن لبيد، وابو الزبير، وعمرو بن دينار، وعطاء بن ابي رباح، ومجاهد، وابن عمه محمد بن عمرو بن الحسن، ومحمد بن المنكدر، وابو نظرة العبدي، ووهب بن كيسان، والحسن بن محمد بن الحنفية، وسعيد بن الحارث، وسالم بن ابي الجعد، والحسن البصري، وسعيد بن ابي هلال وعاصم بن عمرو بن قتاده، والشعبي، و ابو الزبير المكي... وغيرهم كثر[2]حيث كانت له في اواخر ايامه حلقة علم في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم[3]كان يجلس فيها معتما بعمامة سوداء[4]حبا وقربا من ال بيت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

---

١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١١٥ / ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٤٩٣ / الزركلي، الاعلام، ج٢، ص ١٠٤.

٢) ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٤٩٣ / ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٠

٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٠ / ابن حجر، الاصابة، ج١، ص ٢١٣ / الزركلي، الاعلام، ج٢، ص ١٠٤.

٤) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٨.

وفاته

كان جابر الانصاري آخر من بقي من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)وكان رجلا منقطعا لأهل البيت عليهم السلام[١]وقيل آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة[٢]في اخر ايامه أصيب بصره، وعاش فترته الاخيرة وهو فاقد للبصر، توفي سنة ٧٨هـ نقلا عن يحيى بن بكير وغيره وهو ابن اربع وتسعين سنه[٣]وعن الهيثم بن عدي انه مات سنة ٧٤هـ وهو موافق لقول المدائني من ان جابرا بعد ان عمر أوصى ان لا يصلي عليه الحجاج ويكمل ابن حجر قوله ان في الطبري وتاريخ البخاري ما يشهد له بأن الحجاج شهد جنازته[٤]ويقال انه مات سنة ٧٣ وقيل ٧٧، وانه عاش ٩٤ سنة[٥].

صلى عليه أبان بن عثمان الذي كان اميرا للمدينة(بين سنتي ٧٥ـ٨٢هـ)في خلافة عبدالملك بن مروان[٦]اما البخاري فقد انفرد بقوله ان الحجاج هو من صلى عليه بعد وفاته لان وفاته تأخرت عن السنوات المذكورة[٧]، لان هذا المجرم قد ختم على يدي جابر بالرصاص لأنه من موالي ال البيت(عليهم السلام)[٨]سنة ٧٤هـ عندما دخل الحجاج المدينة واستخف فيها بأصحاب رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)فذكر محمد بن عمر حدثه عمن رأى جابر بن عبد الله الانصاري مختوما في يده، وعن اسحاق بن زيد انه

---

١) الطوسي، رجال الكشي، ص ٤٩/ ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢١٣.

٢) ابن الاثير، اسد الغابه، ج١، ص ٤٩٣.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٩ ،ص ٤٩٣ / ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص ٤٩٣ / ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢١٣ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٠ / الطوسي، رجال الطوسي، ص ٣٢ / الزركلي، الاعلام، ج٢، ص ١٠٤.

٤) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢١٣.

٥) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢١٣.

٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٩، ص ٤٩٣ / ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص ٤٩٣ / ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٠.

٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٠(لان ولايتة للحجاز كانت بين سنتي ٧٤ـ٧٥هـ حين عزله عبدالملك بن مروان وولاه العراق سنة ٧٥هـ)فروخ،عمر، الحجاج بن يوسف الثقفي، مط الكتاب، بيروت، ١٩٤١م، ص ٨.

٨) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص٩٤.

رأى أنس بن مالك مختوما في عنقه لكي يذلهم[1] لكن اغلب الروايـات اتفقـت ان وفاتـه تأخرت حتى سنة ٧٧ـ ٧٨هـ في ولاية ابان بن عثمان للمدينة.

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص ٢٩٢/ فروخ،عمر، الحجاج بن يوسف الثقفي، ص ٨ـ٩.

المبحث الثاني

جابر الانصاري وكربلاء وزيارة الاربعين سنة ٦١هـ

روي عن الامام الحسين عليه السلام انه قال: (ان جابر بن عبد الله آخر من بقي من اصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وكان رجلا منقطعا الينا أهل البيت لما علم جابر باستشهاد الامام الحسين(عليه السلام)في أرض كربلاء طلب من أصحابه أن يأخذوا بيده ليذهب الى العراق لزيارة قبر الامام(عليه السلام)، لأنه كان فاقدا لبصره، وهو ما تم فعلا حيث جاء جابر الى كربلاء وبصحبته عدد من الاشخاص منهم عطيه بن جنادة العوفي، ووصلوا الى كربلاء بعد مرور اربعين يوما من مقتل الامام(عليه السلام)، فقد روى الشيخ عماد الدين ابو القاسم الطبري الآملي وهو من اجلاء فن الحديث ومن تلامذة ابي علي بن الشيخ الطوسي في كتاب(بشارة المصطفى)بسند عن عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي، وهو من رواة الامامية، وممن صرح أهل السنة في الرجال بصدقه في الحديث، أنه قال: "خرجنا مع جابر بن عبد الله الانصاري لزيارة قبر الحسين(عليه السلام)،في العشرين من صفر، فلما انتهينا الى كربلاء(الى الغاضرية)دنا من الفرات واغتسل في شريعته فنزع مئزره ولبس ثوبا غيره(قميصا طاهرا كان معه)، ثم فتح ربطة فيها سعد[1]فنثر منه على بدنه، ثم تقدم نحو القبر، ولم يخط خطوة الا بذكر الله، حتى دنا من القبر، فقال لي: ضع يدي على القبر، فوضعتها، فلما بلغت يده القبر ـ لمسه ـ حتى وقع مغشيا عليه، فرششت وجهه بالماء حتى استعاد وعيه، فقال:

يا حسين ثلاثا، ثم قال:ـ حبيب لا يجيب حبيبه، ثم خاطب الامام قائلا:ـ

أشهد أنك أبن سيد الوصيين وابن حليف التقى وسليل الهدى وخامس أصحاب العبا وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء وكيف لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد

---

١) سعد: السعد بالضم من الطيب وهو نبت اسود له اصل تحت الارض طيب الريح(ابن منظور، لسان العرب، مادة سعد، ص ٢٠١٣).

المرسلين وربيت في حجور المتقين ورضعت من ثدي الايمان وفطمت بالإسلام وطبت حيا وطبت ميتا غير ان قلوب المؤمنين جزعة لفراقك، ولا يخامرها الشك في طهارة نفسك، فسلام الله عليك وبركاته، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا[1].

وقيل انه قال عندما افاق: يا حسين ثلاثا، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك الجواب، وقد شخبت اوداجك على أثباجك، وفرق بين رأسك وبدنك؟ فأشهد أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وحليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وأبن سيد النقباء، وأبن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كف محمد وربيت في حجور المتقين وأرضعت من ثدي الايمان وفطمت حيا، وطبت عيشا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبه بفراقك، ولا شاكه في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على ما مضى يحيى بن زكريا.

---

١) ذكر في وجوة الشبه بين الامام الحسين(عليه السلام)ويحيى بن زكريا: كلام جابر هو اشارة الى التشابه بينهما عليهما السلام كما صرح بذلك الامام الصادق(عليه السلام)اذ قال: " زوروا الحسين(عليه السلام)ولا تجفوة، فانه سيد شباب الشهداء، أو سيد شباب أهل الجنة – وشبيه يحيى بن زكريا " واشار القمي الى بعض نقاط الشبه بين المظلومين:

١ـ ان أسمي المعصومين كليهما لم يعرفا قبل أن يتسميا بهما .
٢ـ ورود الاخبار ونزول الوحي الإلهي يبشر بولادة كل منهما قبل أن يولدا ويشرح مجريات أحوالهما
٣ـ بكاء السماء عليهما كما ورد في مرويات الفريقين.
٤ـ ان قاتليهما كانا ولدي زنى وفي هذا الباب وردت مرويات عده، فيروى عن الامام الباقر(عليه السلام)انه لم يقتل الانبياء الا أولاد زنى.
٥ـ ان كلا من رأسيهما وضع في طست ذهبي، وأهدي الى زناة أو أولاد زنا كما جاء في المرويات ولكن هناك تفاوت هو ان رأس يحيى قد جز في طست كي لا يقع دمة على الارض فيكون ذلك مدعاة للغضب الالهي على عكس كفار الكوفه اذ قيل:

اسفا فقد سفكوا دماك على الثرى لكن يحيى في الاناء جمعوا دمه

٦ـ تكلم رأس يحيى كما في تفسير القمي، وتكلم رأس الحسين.
٧ـ الانتقام الالهي لمقتل يحيى والامام الحسين(عليه السلام).

(القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي و الآل، مط دار الاندلس، بيروت، ٢٠١٢، ج١، ص ٦٢٤ـ ٦٢٥).

ثم أدار جابر عينيه على قبور الشهداء فسلم عليهم بقوله:ـ

السلام عليكم أيتها الارواح التي حلت بفناء قبر الحسين(عليه السلام)، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين. ثم قال: تالله لقد بعث محمد(صلى الله عليه واله وسلم)بالنبوة الحقه، ونحن شركاؤكم في ما دخلتم فيه. فقال عطية: فقلت له: وكيف نكون شركاؤهم ونحن لم ننزل واديا، ولم نصعد جبلا، ولم نضرب بسيف، بينما فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وانتهى الى اليتم أولادهم(فأوتمت الاولاد)، والى الثكل نساؤهم(وارملت النساء)؟

فقال جابر: يا عطية، سمعت رسول الله(صلى الله عليه واله)يقول: (من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم كان فيه شريكا)، فو الذي بعث محمدا بالحق نبيا لأنا وأصحابي على ما مضى عليه الحسين(عليه السلام)وأصحابه.

ثم قال: أمض بنا نحو بيوت الكوفة، فلما طوينا قسما من الطريق قال لي: أي عطيه، ألا أوصيك؟ فلا أعلم ان كنت سألقاك بعد سفري هذا، ووصيتي اليك: أن تحب محب آل محمد(صلى الله عليه واله)ما دام على محبتهم مقيما، وأن تبغض عدو آل محمد(صلى الله عليه واله)ولو زلت قدمه بكثرة الآثام، وثبتت قدمه الاخرى على محبتهم، فان محبهم الى الجنة، ومبغضهم الى النار[1].

وورد نص الزيارة ايضا بنفس رواية عطا ان جابرا قال بعد ان افاق: (السلام عليكم يا آل الله، السلام عليكم يا صفوة الله، السلام عليكم يا خيرة الله في خلقه، السلام عليكم يا سادة السادات، السلام عليكم يا ليوث الغابات، السلام عليكم يا سفينة النجاة، السلام عليك يا ابا عبد الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا وارث علم

---

١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص ١٩١ / القمي، منتهى الآمال، ج١، ص٦٢٢ـ ٦٢٣ / زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص٩٣.

الانبياء السلام عليك يا وارث آدم صفوة الانبياء، السلام عليك يا وارث نـوح نـبي الله، السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله، السلام عليـك يـا وارث اسماعيـل ذبـيح الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله.

السلام عليك يا ابن محمد المصطفى، السلام عليك يا ابن علي المرتضـى، السـلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء، السلام عليك يا شهيد يا ابن الشـهيد، السـلام عليـك يـا قتيل ابن القتيل، السلام عليك يا ولي الله وابن وليه، السلام عليـك يـا حجـة الله وابـن حجته على خلقه.

أشهد انك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيـت عـن المنكـر، وبررت بوالديك، وجاهدت عدوك.

أشهد أنك تسمع الكلام وترد الجواب، وانت حبيب الله و خليلـه ونجيبه،وصـفيه وابن صفيه،زرتك مشتاقا فكن لي شفيعا الى الله.

يا سيدي استشفع الى الله بجدك سيد النبيين، وبأبيك سيد الوصيين، وبأمك سـيدة نساء العالمين، لعن الله قاتليك وظالميك وشانئيك ومبغضيك من الاولين والآخـرين)[1]. وهي نفس نص الزيارة التي ما تزال معلقه على باب المدخل للضريح الشريف في الوقت الحاضر.

ثم انحنى على القبر ومرغ خديه عليه وصلى اربع ركعات، ثم جاء الى قبر علي بـن الحسين عليهما السلام فقال:ـ(السلام عليك يا مولاي وابن مـولاي، لعـن الله قاتلـك، ولعن الله ظالمك، أتقرب الى الله بمحبتكم، وأبرأ الى الله مـن عـدوكم)، ثم قبلـه وصـلى ركعتين.

---

١) ابن طاووس، جمال العارفين رضي الدين السيد علي بن موسى(ت ٦٦٤هـ)،مصباح الزائر، تحقيـق مؤسسـة ال البيت لأحياء الثراث، قم،١٤١٧هـ، ص ٢٨٧ـ ٢٨٨.

ثم التفت الى قبور الشهداء فقال:ـ(السلام على الارواح المنيخة بقبر ابي عبد الله السلام عليكم يا شيعة الله وسيعة رسوله وشيعة امير المؤمنين والحسن والحسين، السلام عليكم يا طاهرون، السلام عليكم يا مهديون، السلام عليكم يا ابرار، السلام عليكم وعلى ملائكة الله الحافين بقبوركم، جمعني الله واياكم في مستقر رحمته تحت عرشه).

ثم جاء الى قبر الامام العباس ابن امير المؤمنين(عليهما السلام)فوقف عليه وقال: (السلام عليك يا ابا القاسم، السلام عليك يا عباس بن علي، السلام عليك يا ابن امير المؤمنين، اشهد لقد بالغت في النصيحة، وأديت الامانة، وجاهدت عدوك وعدو أخيك، فصلوات الله على روحك الطيبة، وجزاك الله من أخ خيرا)ثم صلى ركعتين ودعا الله ومضى[1].

مما يلاحظ بعد عرض الروايات الخاصة بالزيارة الاربعينية يتضح انها قد أخذت فيما بعد من زيارة الصحابي جابر الانصاري، ولكن هذه الروايات قد اختلفت في نصها وأسلوب عرضها على الرغم من أن الراوي عن جابر الانصاري هو شخص واحد وهو عطية العوفي، فهذا من الامور التي يجب التوقف عندها ومراجعتها.

وبعد أن أكمل مراسيم الزيارة غادر جابر وأصحابه أرض كربلاء عائدين الى المدينة المنورة، حيث لقي هو وأصحابه العديد من العقبات والصعوبات التي فرضها أزلام السلطة الاموية، حيث منعوا الناس من التوجه الى قبر الامام الحسين(عليه السلام)[2]وخصوصا في اربعينية الامام الحسين(عليه السلام)لمكانة هذه المناسبة عند العرب المسلمين اولا، وكونها اول اربعينيه للإمام الحسين(عليه السلام)بعد استشهاده على يد الامويين.

---

١) ابن طاووس، مصباح الزائر، ص ٢٨٦ـ ٢٨٧.

٢) (استمرت محاولات طمس اثار القبر الشريف ومعاداة وسجن زوار قبر الامام الحسين على مدى العصور الاموية والعباسية(للتفاصيل ينظر: المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص ٣٩١ـ وما بعدها).

اذ أن العديد من المصادر أجمعت أن زيارة جابر الانصاري لقبر الامام الحسين قد صادفت في يوم الاربعين من استشهاد الامام وهو يوم ال٢٠ من صفر فكان جابر الانصاري اول زائر لقبر الحسين(عليه السلام)في اول ذكرى اربعينية لاستشهاده عليه السلام[1].

١) ابن طاووس، مصباح الزائر، ص ٢٨٦ / القمي، منتهى الامال، ج١، ص٦٢١ / المقرم، مقتل الحسين، ص ٣٩١ .

ورود أهل البيت الى كربلاء

بقي اهل البيت عليهم السلام في الشام عند يزيد لقوا خلالها صنوف العذاب والشماتة والإهانة التي ما لبث اهل البيت وعلى راسهم الامام علي بن الحسين والسيدة زينب ان ردوها بأضعاف مضاعفة الى يزيد مما دفعه الى سجنهم لفترة ومن ثم حملهم الى منزله حيث صلب الراس الشريف على بابه فلم يبق من ال معاوية وال ابي سفيان أحد الا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين(علية السلام)حتى اقيمت المآتم لثلاثة ايام في منزل يزيد..حتى وافق على ردهم الى المدينة لعدة اسباب[1]فروى صاحب الامالي رواية منقولة عن ماجيلويه عن عمه عن الكوفي عن نصر بن مزاحم عن لوط بن يحيى عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي(عليهما السلام)قالت:(ان يزيد امر بنساء الحسين فحبسن مع علي بن الحسين(عليهما السلام)في محبس لا يكنهم من حر ولا قر، حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع ببيت المقدس حجر على وجه الارض الا وجد تحته دم عبيط، وابصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة إلى ان خرج علي بن الحسين بالنسوة ورد راس الحسين(عليه السلام)الى كربلاء[2]

ذكرت بعض المصادر ان نساء الحسين(عليه السلام)وعياله لما خرجوا من الشام وبلغوا الى العراق قالوا للدليل النعمان بن بشير: مر بنا على طريق كربلاء، فوصلوا الى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الانصاري وجماعة من بني هاشم، ورجالا من ال الرسول(صلى الله عليه واله)قد وردوا لزيارة قبر الحسين، فوافوا في وقت واحد

---

١) ابو مخنف(ت ١٥٧هـ)، مقتل الحسين وواقعة كربلاء في تاريخ الطبري،١٩٩٧، ص ٦٨ / المجلسي، بحار الانوار،ج٤٥، ص ١٤٢_١٤٣.

٢) القرماني، ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي، اخبار الدول وآثار الاول، مط ذي الكمال، بغداد، ١٢٨٢هـ، ص ١٠٩ / المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١٤٠/ القمي، الشيخ عباس، نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، مط شريعت، قم، ١٤٢١هـ، ص٤٠٧.

وتلاقوا بالبكاء والحزن و اللطم، وأقاموا المأتم المقرح للأكباد، وأجتمع اليهم نساء السواد، وأقاموا على ذلك أياما[1].فما تظن بسيدة فارقت هذه الارض قبل اربعين يوما وتركت جثث ذويها معفرة على التراب واليوم رجعت الى محل الفاجعة..فما تراها تقول !!؟ اقبلت نحو قبر أخيها الحسين(عليه السلام)فلما قربت صرخت ونادت أكثر من مرة ومرتين واأخاه!! وا أخاه!! وا أخاه!! فكانت هذه الكلمات البسيطة المنبعثة من القلب الملتهب سببا لتهييج الاحزان وأسالة الدموع وارتفاع اصوات النحيب والبكاء[2]واضيف انهم اعادوا معهم رؤوس الشهداء ودفنت في كربلاء مع اجسادهم ومنها راس الامام الحسين(عليه السلام)وقيل غير ذلك[3].

ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة[4].

وهنا يقول القمي: غير خاف أن ثقاة المحدثين والمؤرخين متفقون، بل روى السيد الجليل علي بن ابي طاووس نفسه، انه بعد استشهاد الحسين(عليه السلام)برؤوس الشهداء الى ابن زياد، وبعث عمر بن سعد برؤوس الشهداء الى ابن زياد، وبعد ذلك

---

١) ابن نما الحلي،محمد بن جعفر بن ابي البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الربيعي(ت ٦٤٥هـ)، مثير الاحزان، منشورات مكتبة الامام المهدي، قم، ص ١٠٧ / ابن طاووس،علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني(ت ٦٦٤هـ)، اللهوف في قتلى الطفوف، مط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣، ص ١١٤/ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص ١٤٦/ القزويني، السيد محمد كاظم، زينب الكبرى من المهد الى اللحد،مط مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٤٣ / الجعفر، فاطمة علي، السيده زينب، ط٢، مط دولة الكويت، ٢٠٠٩، ص١٩٥ـ ١٩٦.

٢) القزويني، زينب الكبرى، ص ٣٤٤.

٣) الفتال النيشابوري، محمد(ت ٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق غلا محسن و مجتبى الفرجي، مط نكارش، ج١، ص ٤٣٤ الطبرسي، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن(من اعلام القرن السادس الهجري)، اعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق مؤسسه اهل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ،ج١، ص ٤٧٧ / العاملي،السيد تاج الدين بن علي الحسيني، التتمة في تواريخ الائمة، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، قم، ط١، ١٤١٢هـ، ص٨٠ / المجلسي، بحار الانوار،ج ٤٥،ص ١٤٤/القريشي، باقر شريف، حياة الامام الحسين دراسة وتحليل، ط٤، مط باقري،قم، ١٩٩٢،ج٣، ص ٤٣١ـ٤٣٢/ القمي،نفس المهموم، ص ٤٢٤ـ٤٢٦.

٤) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١١٥/ القمي، نفس المهموم،ص ٤٢٦.

بيوم بعث بأهل البيت الى الكوفة، فأمر ابن زياد بحبسهم بعد ان شفى حقده منهم بالشماتة بهم والتشنيع عليهم، فجهزهم ابن زياد وبعث بهم الى الشام بعد أن ارسل كتبا الى يزيد بذلك ورد الجواب اليه بأرسالهم الى الشام[١].

ويتضح مما نقل عن سيرهم الى الشام[٢]من الكتب المعتبرة أنهم سيروا عبر الطريق الرئيسي، فمروا بعدة مدن وقرى مأهولة، وقد نزلوا ما يقرب من أربعين منزلا، وبصرف النظر عن ذكر تلك المنازل نقول: ان مسيرهم كان من البرية وغربي الفرات يحتاج الى ما يقرب من عشرين يوما ذلك ان المسافة بين الكوفة والشام تبلغ بالخط المستقيم مئة وخمسة وسبعين فرسخا كما توقفوا في الشام ما يقرب من شهر ،(فقد روي ان اهل البيت أقاموا في الشام شهرا في محبس لا يقيهم من حر ولا قر)ومن ملاحظة هذه الامور يستبعد كثيرا ان يعود أهل البيت الى كربلاء فيصلوا اليها في ٢٠ صفر الذي يوافق اليوم الاربعين، كما يتفق مع يوم وصول جابر بن عبد الله الانصاري الى هناك[٣].

فذكر القمي ان احدا من اجلاء فن الحديث والمعتمدين من اهل السير والتواريخ والمقاتل وغيرها لم يشر الى هذا الامر، مع ان جهات اخرى أتت على ذكره، غير انه يلاحظ من سياق كلامهم انكارهم له، كما في كلام الشيخ المفيد في صدد مسير اهل البيت(عليهم السلام)الى المدينة[٤]، ويقرب كلامه مما ذكرة الطبري وابن الاثير والقرماني وآخرون، وليس في كلام اي منهم ذكر للسفر الى العراق[٥]، وهذا يتوافق مع ما

---

١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦٦ / القمي، منتهى الامال، ج١، ص ٦٢٠ـ ٦٢١.

٢) للتفاصيل في مسير السبايا ينظر:(المهاجر،جعفر، موكب الاحزان – سبايا كربلا- خريطة الطريق قراءة في الدلالات والمغازي، مط بهاء الدين العاملي، ٢٠١١/ المهاجر، جعفر، موكب الشهاده من المدينه الى كربلا، مط بهاء الدين العاملي.).

٣) القمي، منتهى الامال، ج١، ص٦٢١.

٤) الامام ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت ٤١٣هـ)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد،مط مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث، بيروت،١٩٩٥، ج٢، ص ١٢٤.

٥) ابن كثير، البداية والنهايه، ج١١، ص ٥٦٤/ القرماني، ص١٠٩.

استنتجه صاحب ناسخ التواريخ حيث عرض الرأيين وذكر انه لا مانع من ان نقول انهم وردوا كربلاء مرة اخرى في طريق رجوعهم من المدينة الى الشام، لكن دون تحديد يوم الاربعين[1].

وباختصار يعتبر تحديد او تعيين السنة التي وصلت فيها قافلة ال الرسول الى ارض كربلاء بعد رجوعهم من الشام من غوامض الامور التاريخية فهل كان ذلك سنة ٦١هـ التي وقعت فيها الواقعة الدامية ام في السنة التي تلتها[2]علما ان أربعينية الامام الحسين(عليه السلام)كانت وما تزال تقام كل سنة في العشرين من صفر بعد ان تقام مراسيم عاشوراء في شهر محرم، أحياء لنهضتة وتعريفا بثورتة وبالقساوة التي ارتكبها بني أمية ومن لف لفهم، واستلهاما للدروس والعبر من هذه الثورة.

ما بعد واقعة الطف

بعد ان وصل جابر الانصاري الى المدينة المنورة عائدا من كربلاء أستقر بها وكان متمما لما بدأ من موالاته لآل البيت عليهم السلام فكان قريبا من الامام زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام)[3].

لكن المدينة المنورة بعد وصول انباء استشهاد الحسين عليه السلام وعودة ال البيت عليهم السلام وما ظهر من اعمال يزيد ثار اهل المدينة بعمال الامويين واخرجوهم من المدينة سنة ٦٣هـ فعدوا بجيوش كبيرة اليها من اهل الشام وعليهم مسلم بن عقبة المري الذي اخاف المدينة ونهبها وقتل اهلها، وفعل بها وباهلها ما يعجز عن ذكره حتى

---

١) لسان الملك، ميرزا محمد تقي سبر، ناسخ التواريخ، ترجمة وتحقيق سيد علي جمال اشرف، مط قلم، قم، ج٣، ص ١٠٧ـ ١٠٨.

٢) القزويني، زينب الكبرى،ص٣٤٢ .

٣) زميزم، رجال حول علي بن ابي طالب، ص٩٣.

انه استباح المدينة لثلاثة ايام و قتل اعداداً كبيرة جدا وجوه الناس من المهاجرين والانصار من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)حتى قيل انه تعدى السبعمائة رجل من حر وعبد ما تجاوز الالف حسب قول الزهري[1]وقيل بلغ عدد قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الناس الفا وسبعمائة وسائرهم من الناس عشرة الاف سوى النساء والصبيان[2].

ومن لم يقتل تعرض للاهانة والتنكيل، وكان جابر الانصاري يومئذ قد ذهب بصره، فجعل يمشي في بعض أزقة المدينة وهو يقول:ـ(تعس من أخاف الله ورسوله)فقال له رجل: ومن أخاف الله ورسوله؟ فقال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)يقول: من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي، فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله، فترامى عليه مروان فأجاره، وأمر أن يدخله منزله، ويغلق عليه بابه[3].

---

١) العفاني، سيد بن حسين، زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين، مط دار العفاني، القاهرة، بلا تاريخ، ج١،ص ١١٧ـ١١٨.

٢) العاملي، صفحات من تاريخ كربلاء، ص ٣٦٢ـ ٣٦٣/ العقاد،عباس محمود،الحسين ابو الشهداء(العبقريات الاسلاميه)مط دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٧٠.

٣) للتفاصيل عن واقعة الحرة ينظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص ٥ـ ١٧ / العاملي، السيد علي احمد، صفحات من تاريخ كربلاء، مط دار الولاء، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٣٦٠.

قائمة المصادر

١- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري(ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود، مط دار الكتب العلمية، بيروت.

٢- الاربلي، العلامة ابو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح(ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمه في معرفة الائمة، حققه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي، الناشر مكتبة بني هاشم، مط المطبعة العلمية،قم،١٣٨١هـ.

٣- ابن حجر، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي(ت ٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، نسخة عن مكتبة الخديوية المصرية للسنة النبوية.

٤- ابن حجر شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي(ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، ط/١، مط دار احياء التراث العربي، ١٩٩٣.

٥- الخوارزمي، ابي المؤيد الموفق بن احمد المكي أخطب خوارزم(ت ٥٦٨هـ)، مقتل الحسين، تحقيق العلامة الشيخ محمد السماوي، تصحيح دار انوار الهدى، مط وفا، ٢٠١٠م.

٦- الذهبي، الحافظ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت ٧٤٨هـ)، تجريد اسماء الصحابة، مط دار المعرفة، بيروت.

٧- ابن سعد، محمد بن منيع الزهري(ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مط مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.

٨- الشيخ المفيد،ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت٤١٣هـ)، الآمالي،مط دار التيار الجديد.

٩- ابن طاووس، جمال العارفين رضي الدين السيد علي بن موسى(ت ٦٦٤هـ)،مصباح الزائر، تحقيق مؤسسة ال البيت لأحياء التراث، قم،١٤١٧هـ.
١٠- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني(ت ٦٦٤هـ)، اللهوف في قتلى الطفوف، مط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣.
١١- الطبرسي، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن(من اعلام القرن السادس الهجري)، اعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق مؤسسه اهل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ.
١٢- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق علي مهنا، مط شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢.
١٣- الطوسي، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن(ت ٣٨٥هـ)،رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مط مؤسسة النسر الاسلامي، قم.
١٤- الطوسي، رجال الكشي(اختيار معرفة الرجال)، تحقيق جواد الاصفهاني، مط مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٦هـ.
١٥- العاملي، السيد تاج الدين بن علي الحسيني(من اعلام القرن الحادي عشر الهجري)، التتمة في تواريخ الائمة، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
١٦- ابن عبد البر القرطبي، ابي عمر يوسف بن عبدالله النمري(ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، صححه وخرج احاديثه عادل مرشد، ط١، مط دار الاعلام، عمان، ٢٠٠٢.
١٧- الفتال النيشابوري، محمد(ت ٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق غلا محسن و مجتبى الفرجي، مط نكارش.
١٨- القرماني، ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي، اخبار الدول وآثار الاول، مط ذي الكمال، بغداد، ١٢٨٢هـ.

١٩- القمي، الامام ابي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت ٤١٣هـ)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، مط مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث، بيروت،١٩٩٥.
٢٠- القمي، الشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، كامل الزيارات، مط مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٩.
٢١- ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابي الفدا اسماعيل ابن عمرو الدمشقي(ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبد الحسين التركي، مط هجر، القاهرة، ١٩٩٧.
٢٢- ابو مخنف(ت ١٥٧هـ)، مقتل الحسين وواقعة كربلاء في تاريخ الطبري، بلا مط،١٩٩٧.
٢٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، مط دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.
٢٤- ابن نما الحلي، محمد بن جعفر بن ابي البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الربيعي(ت ٦٤٥هـ)، مثير الاحزان، منشورات مكتبة الامام المهدي، قم.
٢٥- ابن هشام، ابي محمد عبدالملك المعافري(ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، قدم لها وعلق عليها طه عبد الرؤوف، مط دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
٢٦- الهيثمي، شهاب الدين احمد بن حجر، الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة، بلا مط، بلا مكان للطبع.

قائمة المراجع

١- الجعفر، فاطمة علي، السيدة زينب، ط٢، مط دولة الكويت، ٢٠٠٩.
٢- الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط١٥، مط دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.
٣- زميزم، سعيد رشيد، رجال حول علي بن ابي طالب(عليه السلام)،قدم لة العلامة الشيخ باقر شريف القريشي، مط مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٧.
٤- العاملي، السيد علي احمد، صفحات من تاريخ كربلاء، مط دار الولاء، بيروت، ٢٠٠٦.
٥- العفاني، سيد بن حسين، زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين، مط دار العفاني، القاهرة، بلا تاريخ.
٦- العقاد، عباس محمود، الحسين ابو الشهداء(العبقريات الإسلامية)مط دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤.
٧- فروخ، عمر، الحجاج بن يوسف الثقفي، مط الكتاب، بيروت، ١٩٤١م.
٨- القريشي، باقر شريف، حياة الامام الحسين دراسة وتحليل، ط٤، مط باقري، قم، ١٩٩٢.
٩- القزويني، السيد محمد كاظم، زينب الكبرى من المهد الى اللحد، مط مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٧.
١٠- القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي و الآل، مط دار الاندلس، بيروت، ٢٠١٢.
١١- القمي، الشيخ عباس، نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، مط شريعت، قم، ١٤٢١هـ.
١٢- لسان الملك، ميرزا محمد تقي سبر، ناسخ التواريخ، ترجمة وتحقيق سيد علي جمال اشرف، مط قلم، قم، ٢٠٠٧.
١٣- المقرم، السيد عبدالرزاق الموسوي، مقتل الحسين، مط مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢.
١٤- المهاجر، جعفر، موكب الاحزان – سبايا كربلا- خريطة الطريق قراءة في الدلالات والمغازي، مط بهاء الدين العاملي، ٢٠١١.

١٥- المهاجر، جعفر، موكب الشهادة من المدينة الى كربلا، مط بهاء الدين العاملي، ٢٠١١م.

دموع الشهادة والتضحية

دراسة في مرثية كربلاء للشاعر الهندي مير ببر علي انيس

أ. د. هناء خليف غني

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

Tears of Martyrdom and Sacrifice
A Study of the Indian Poet Mir Babar Ali Anees's Hussaini Elegy (Marsiya) of Karbala

By: Prof.Hana' Khalief Ghani (Ph.D)
College of Arts/ Translation Department

المستخلص

يُعد مير ببر علي أنيس أحد أبرز الشعراء الهنود الذين كرسوا حياتهم لخدمة القضية الحسينية وتعريف الناس بقيمها ومبادئها الخالدة، فكتب الكثير من المرثيات عن تضحية الإمام الحسين (علية السلام) وأصحابه في سبيل إعلاء كلمة الحق والعدل. والبحث هو محاولة لتقديم هذا الشاعر إلى جمهور القراء الناطقين بالعربية. يتوزع البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة تسلط الضوء على مكانة أنيس في المشهد الشعري الهندي ودوره في تخليد قيم التضحية والشهادة. يقدم المبحث الأول أبرز خصائص المرثية بصفتها نوعاً شعرياً، وبينما يقدم المبحث الثاني لمحة عامة عن حياة الشاعر وجهوده في خدمة هذه القضية، يحلل المبحث الثالث نقدياً أحدى اهم المرثيات التي خطها قلم أنيس وأطولها، وهي مرثية كربلاء.

Abstract

Mir Babar Ali Anees is a prominent Indian poet who dedicates his life to writing elegies (Marsiya) to commemorate the martyrdom of Imam Hussain bin Ibi Talib (peace be upon them) and his companions. The paper is hitherto unprecedented attempt to introduce this preeminent poet to the Arabic-speaking people. It is divided into three sections and a conclusion. Section one explores the main characteristics of the Hussaini elegies/marsiyas. Section two is a general introduction to Anees's life and efforts in service of Imam Hussain's cause. Section three which critically analyses Anees's Marsiya of Karbala is followed by a conclusion that sheds light on Anees's place in the Indian poetry and his role in eternalizes the values of sacrifice and martyrdom.

Key Words: Imam Hussain, Anees, Elegy, sacrifice, martyrdom.

I- Marsiya: The Poem of Lamentation and Commemoration:

The death of the third Imam, al-Husayn b. Ali (pbuh) (٤–٦١/٦٢٦–٦٨٠) with his companions and members of his family, has traditionally been seen by Muslims of all sects and affiliations as perhaps the greatest single calamity that

befell the community in its early history(Crow qtd in Çellenk,٢٠١٠,p.٤). Because of this, the martyrdom of Husayn was of great religious significance and had a deep heart-searching after-effect upon the Shi'is, giving a new turn to the mode and nature of the Shi'i movement(Ja'fri in Ibid.). The martyrdom of Imam Husayn has also been regarded by the Shi'a community as a cosmic event around which the entire history of the world, prior as well as subsequent to it, revolves.(Ibid) Accordingly, the death of al-Husayn and his followers marked the "big bang" that created the rapidly expanding cosmos of Shi'ism and brought it into motion. For Shi'ites, Karbala represents the central point in their belief, the climax of a divine plane of salvation, the promises of which are offered to all who take the side of the martyred Imam. Since that time, the Shias keep on recounting and rehearsing the details of this tragedy.(Ibid)

The effects of al-Husayn's death were, consequently, deep and sorrowful and extended to several aspects of Muslim lives, among them, of course, is literary production. The tragedy of Karbala, Al-Azhari(٢٠٠٨, p.١٧) opines, is not merely a "story of the injustice perpetrated against an individual namely Imam Husayn, but it has a much wider social, religious, moral, and political significance." In fact, it was a clash between truth and falsehood, and a war between justice and oppression,

virtue and wickedness, good and evil(ibid). Al-Hussain, indeed, sacrifices everything for setting things right and establishing the truth: his life, family, relatives, wealth and friends. In this sense, Al-Hussain performs the highest form of 'Shahada' or martyrdom, which is to die for the cause of Islam, for the sake of Allah(qtd., p.١٨).

In his seminal study, The Karbala, Akramulla Syed(٢٠٠٥, p.٢) delineates Imam Husayn's character. He sheds lights on him as a revolutionary figure, a righteous man, and a religious authority par excellence. As the representative of his grandfather Prophet Muhammad (pbuh), his main concern was to safeguard and protect Islam and guide his fellow Muslims. His was a tremendous undertaking which still reverberates throughout the Muslim nation. He has been a propelling force and a seminal element in events throughout Islamic history, particularly in the sphere of Jihad.

As a result of the deep distress and shock felt by Muslims at what happened to Imam Husayn and his followers in the Battle of Karbala, a tradition of lamentation and weeping had become the center of Shi'ite religiosity and piety in the fourth/tenth century during the Buyids' reign(Çellenk, ٢٠١٠,p.٤). This process resulted in the emergence of new rituals and ceremonies purely peculiar to Shi'as like visiting shrines, public ceremonies,

passion play, processions, a sort of music, poetry and literature that are all related to Husayn and Karbala. These practices were most evident in the month of Muharram.(Ibid)

During this month, as a Shi'a woman in Dhaka, India, explains, the Shi'as "for example, do not eat fish, get married or wear colourful clothes ... as we believe that these, representing joy, would be inappropriately enjoyed in the month of mourning(Annu Jalais, ٢٠١٤, p.٢) Around the Muslim world, Shi'as mark the day of Ashura by walking in long processions down streets, floating banners in the air, parading a white horse (representing Husain's horse and the empty mount on his back) and a highly decorated, albeit covered in black and/or green bier. They flagellate themselves with chains whilst calling out 'Ya Hasan', 'Ya Husain', 'Ya Ali' in self-mortification(Ibid.).

No doubt, the tragedy of Karbala exerts a great influence on poetry. Essentially this influence takes two forms. The first is the Marsiya which is said to provide the germ for early gatherings of partisans of the House of the Prophet. Moreover, they may be seen as the origin or earliest form of the ta'ziya as it is known today among Shi'is. The literary forms known as ta'ziya and Marsiya in Arabic are related, the ta'ziya being a kind of extended lamentation which is also intended to comfort the hearer in

the face calamity, as the root meaning of the Arabic - 'comforting' - suggests. The 'ritual context' for lamentation on Husayn continues to be provided today not only by the developed ta'ziya, but also by various other gatherings within the ten days of Muharram in which Marsiyas are recited.(Elegy on Husayn: Arabic and Persian, Al-Islam.org)

'Ta'ziya' is originally a "simple passion play about the events which occurred at Karabala and the other tragedies that befell the House of the Prophet." In this sense, it was an "exercise in mourning, a religious custom severely limited in scope."(Çellenk,p.٢٠١٠,p.٥) Ta'ziya has many functions: redemption, suffering, personal religious revivalism, public showing of a faith and etc. Philosophically, Husayn's quest was seen as a symbol of personal transformation, so joining and being part of ta'ziya enable the Shi'ite community to achieve their personal transformation.(Ibid., p.٦)

Traditionally, marsiyas (Elegies) are characteristic of the so-called Muhammadan poetry, especially in Persia and India.(T. Graham Bailey) The word 'Marsiya' is derived from the Arabic root 'رثى /rtha', meaning a great tragedy or lamentation of a beloved one(Marsiya, Wikipedia). As such, they are essentially religious in nature, and in the days before Muzaffar Hussain Zamir and Mir Mustahsan Khaliq, they were short devotional poems and little attention was

paid to their literary qualities. Zamir changed that; then at the hand of Mir Babar Ali Anees(١٨٠٠-١٨٧٤) and Mirza Salamat Ali Dabeer(١٨٠٥-١٨٧٥), the Marsiya reached its peak and became practically a form of epic especially in Lucknow, India in the first half of the nineteenth century. Lucknow here is of special importance as it was one of the centers of Shia Muslim communities in South Asia, where it is regarded as an act of piety and religious duty to eulogize and bemoan the martyrs of Karbala. In this sense, Marsiya is a poem of mourning (Marsiya, Wikipedia). Marsiyas usually include historical narrative, moral and didactic teachings, description of natural scenery and delineation of human emotions. They suffer of course of their narrowness; each character is either friend or enemy, altogether good or entirely evil, and the only emotions are those which would be brought out by such a tragedy as that of Karbala(T. Graham Bailey).

In his seminal study, "the Art of Urdu Marsiya," C. M. Naim (١٩٨٣, ١٠١) states that "within the Urdu literary milieu, the word Marsiya, unless preceded by some qualifying phrase, refers only to one thing: a poem describing some event related to the martyrdom of the Prophet Muhammed's grandson, Imam Husain at Karbala." Further, it always implies a very specific context: it is to be declaimed in a somewhat dramatic fashion at a majlis-

a'aza, i.e., a gathering of devout people seeking to obtain religious virtue by listening to the story of Imam Husayn and his companions. Thus, it should be kept in mind that Marsiyas in Urdu has a particular public-religious context, and that it also has somewhat an edifying goal beside the usual literary purposes that any good poetry has(Ibid).

Since the time of Anees, marsiyas have usually been written in six line stanzas, the last two lines of each stanza making a particularly forceful or pathetic point. The last verse of each stanza is usually the cue for those listening to beat their breasts or slap their heads and call on the name of Husayn (ya Husayn, ya Husayn). In order to evoke the desired reaction in the audience, pathos is an essential ingredient of the Marsiya and its related genres: salams and nauhas. In general women do not appear in the main body of the congregation, but listen behind a curtain or a wall specially erected for the purpose. Since women can not openly participate in public (or even private) majlises where men are present, they often arrange majlises of their own, occasionally composing and singing nauhas in their own local dialect(Anis and the Marsiya, p.x)

Naim (١٩٨٣, pp.١٠١-٢) further explains that mariyas in Urdu were first written in the sixteenth century in South India, in the Kingdoms of Golkonda and Bijapur which were Shi'ite in orientation and closer to the Iranian tradition

than to Turk and Pathan kingdoms of North India. In the beginning, Marsiyas were written either in the two-line form, qasida, or in the four-line form, murabba'/rubai'i. These Marsiyas were usually sung, often set to some suitably mournful raga(indian classical music).In the murabba' form, the fourth line was often a refrain, repeated by the accompanists of the Marsiya-reciter and perhaps also by the audience. The recitation took place both outdoors in processions and indoors. For that reason, early Marsiyas were shorter in length and simpler in structure than is the case now, and emphasized more the grief-inducing (weeping/mubki) elements of the narrative, such as the death of some hero and the consequent lament over his corpse.

In the nineteenth century, marsiya developed its own tradition in Lucknow and succeeded to establish what came to be regarded as the fundamental characteristics of a good Marsiya. These characteristics are essentially four: First, a marsiya was invariably in the form of a musaddas, the first four lines of each stanza having one rhyme scheme (AAAA), and the remaining two having another rhyme scheme of(BB). Second, certain medium length meters were preferred, especially those that could enhance the dramatic effect sought by the declamatory style of presentation. Third, each marsiya was usually

devoted to just one hero or incident, and showed considerable narrative continuity. Secondary themes were allowed, but only when they complemented the main theme. Fourth, each Marsiya had all or some of the following constituent sub-sections in so far as they are allowed by the chosen theme. They are prologue which has for its subject the praise of Allah, the prophet, Imam Husyan or the poet himself; introduction of the main hero; description of the physical and spiritual qualities; the hero's arrival on the battlefield; the hero's declaration of his noble ancestry, personal virtues and superiority as a warrior; description of the actual battle and it often includes sub sections; the hero's death in the battle; the lamentation of the female relatives of the hero; the pious sentiment of the poet himself, often of a prayful nature expressed in just one or two stanzas(Naim, ١٩٨٣, pp.١٠٢-٣). "Marsiya Urdu Poetry" adds a fifth characteristic. It tells that although the language of marsiya draws heavily on Arabic and Persian vocabulary, the Urdu Marsiya is imbued with the color and flavor of the Indian subcontinent. The best of verses are exquisite cameos composed of images of local flora and fauna, drawing on local custom and tradition(lloveindia.com).

In Arabic, the marsiya was, like all pre-Islamic poetry highly conventionalized. The virtues of the deceased and

the loss of the mourner are described, which then provides an opportunity to dwell on the pathos of this transitory life in the face of fate, always unalterable. Often the mourner curses the enemy and calls for vengeance. While the pre-Islamic elegy was conventionalized, it was also highly specific, or occasional: reflections on mortality only serve to frame a threnodic tribute to a specified personality (Elegy on Husayn: Arabic and Persian, Al-Islam.org) Not only would the listener be invited to dwell in the virtues of the deceased, but the pathos of the situation was also revealed, and it may be assumed that those present were then moved to weep. Some of the earliest examples we have of marsiya on Husayn are in fact simple poems of this type: lamentations by his wives and daughters. (Ibid)

Muhammad-Riza Fakhr Rohani(٢٠٠٧,p.٣) defines marsiya as a literary technique which enables the poet to compose fine pieces of poetry. In elegy, the mind and soul of the poet get elevated, for he finds himself confronted with the mysterious phenomenon of death. Faced with the mysteries of life and the vicissitudes of times and fate, he tries to find a justification for that eternal silence through writing poetry.

In “Marsiya: A Form of Urdu Poetry”, Kashif Alhuda has further illuminated the marsiya as a poetic genre. He defines it as a fully developed form of Urdu-Persian poetry that is normally recited on the death of a dear one, and says that it is wrong to

think that it is just a lamentation for the dead in Karbala. Karbala, of course, has an important place in Islamic history and therefore in Muslim literature. Almost all Urdu poets use Karbala as a symbol of great tragedy or epic battle between good and evil(Al-Huda, “Marsiya.”). In the same vein, “Marsiya: The Poetry of Martyrdom”(٢٠١٥) points out that there are two types of marsiya: the ‘pure’ versus the ‘non-pure’ marsiya. He says that while the first type is solely written in remembrance of Imam Husayn and other martyrs of Karbala, the second type can be written to a family member or to any loved one as well(Lampsofdesert.com).

Although marsiyas poets were deeply interested in history and its interpretation(Syed Hasan Zia Rizvi, ٢٠١٣), historical accuracy, as Naim in "Anis and the Maesiya"(١٩٨٣, p.xiv) remarks was not given great priority by them. For example, the events that Anees chooses to describe or the fact that he throws into relief in his marsiyas are those calculated to arouse the emotion of his audience, who in turn would not expect or even desire an unbiased historical analysis of the battle of Karbala.

There are other characteristics of the marsiys; namely, the lack of realism and the apparently blatant contradictions in the narrated details. For example, Anees sees no difficulty in describing the desert (stanzas١٥-١٧)where his heroes are stated to be suffering from thirst and heat as a green and verdant garden planted with luxuriant trees and flowers where nightingales sing, perched on the dew-filled roses(Naim, ١٩٨٣, p.xiv).

However, this can be regarded as a testimony to Anees's great poetic art. The fact that they are lacking in reality would be irrelevant, and it can always be argued that it is Husayn's miraculous presence which transforms the sands of Karbala into such a wonderful paradise(Ibid.).

The main purpose of the Marsiya, Naim(١٩٨٣, p.xv) asserts, was to remind people (specifically Shi'a) of the sad events of Karbala and hence of their own desperate plight which can be directly ascribed to these events(For more information about the battle of Karbala, see Al-Azhari, ٢٠٠٨). Thus, an important aspect of Marsiya, according to him, is the unashamed pathos which is achieved in a number of ways. The final line of the stanza, to which the audience would react most strongly, often contains a direct and poignant summary of the rest of the verse. Every opportunity is taken to mention the pathetic state of the little children suffering from the heat or killed by the arrows of the heartless foe.(Ibid.) The women, like Zainab (stanzas ٢٠, ٣١, ٦٢, ٢tc.) are made to speak in a simple, almost colloquial, form of Urdu which everyone in Lucknw who has heard a dying mother or a grief-stricken sister would instantly recognize. Husayn's reasonable entreaties for peace are met with the guff insults of the unprincipled enemy, who are not merely content to kill the

hero but must decapitate him and stick his head on a pole for his captive relations to see (stanzas ١٨٨-١٩٣)(Ibid.).

These features will be further elaborated and consolidated in the next section.

II.Mir Babar Ali Anees: Mir Babr Ali Anees was born in Faizabad to a distinguished and fairly prosperous family. (Wiki)Mir Babar Ali Anis was born in ١٨٠٣ CE at Faizabad. A Musavi sayyed, descended from the ٧th Imam, Musa al-Kadhim, he belonged to a family of poets. In his book (Famous Poets from the family of Mir Anis), Dr. Syed Zameer Akhter Naqvi listed ٢٢ poets from Mir Anis' family and their poetry. Mir Anis was a fifth-generation poet, a fact he mentioned in the first stanza of his famous Marsiya "Namak-e-Khwaan-e-Takallum hai Fasaahat meri." He says:

My eloquence is the salt of the food of thought
The eloquents are mute when my style they hear
Fly colours when the colour of my ink I jot
The sound of the seas are my ideas clear
Hunting in this forest (for words) spent life I mine
Praising Hussain, fifth in progeny line

His great grandfather, Mir Ghulam Hussain Zahik was famous in Delhi for his satirical and humorous verse. Like many of the eighteenth century Urdu poets, who depended for their livelihood on the patronage of rich nobles, Mir Zahik migrated to Faizabad which was rapidly taking the place of Delhi as a great cultural center. Mir Zahik was accompanied by his son, Mir Ghulam Hassan, the author of the famous masnavi (poem written in rhyming couplets) Sihr ul Bayan (The Magic of Rhetoric). Mir Hasan also wrote a divan of Urdu poetry which is still admired. When Asaf ud Daula transferred his capital from Faizabad to Lucknow, where the enormous Imambara(a building in which Ta'zias , replicas of Imam Hussain's tomb, are kept, was erected, Mir Hasan changed his residence and lived in Lucknow for the rest of his life. He died in ١٧٩٥. His son Mir Mustahsan Khaliq (Anees's father) was highly regarded in his time as an Urdu poet and received instruction from Mushafi, the teacher/ustad of Na'ab Suleiman Shakoh. Although he wrote ghazals and other forms of lyric poetry, he was chiefly renowned for his Marsiyas which were rapidly becoming an integral part of the Muharram celebrations in Lucknow. Among his contemporaryies are other famous Marsiya writers like Zamir, Miyan Dilgir and Mirza Fasih, whose works are still available but tend to be known only by a select band of Shia devotees. Mir Khaliq, however is said to have surpassed them all.

Mir Mustahsin Khaliq was (١٧٧٤-١٨٠٤) was one of the earliest elegiac poets in north India. He begin writing poetry at an early age. His father, not having time to instruct him, committed him to the care of Mushafi. He made great progress and on the occasion of a gathering of poets in his native place in Faizabad, read one of his lyrics in such effect that Atish, who had come especially from Lucknow to grace the meeting, would not recite his own poem, saying there was no need for him when Khaliq was there. Anees, had two illustrious brothers, Mir Uns and Mir Munis, who had followed the family tradition of writing Marsiyas.

As is the case with famous Urdu writers, little is known about Anees's early life. He was no doubt given a traditional Shi'a education in Faizabad and Lucknow. However, research by Nayyar Masood reveals that, while in Faizabad, Anis studied with two religious scholars; one was a Shi'a mujtahid, Maulvi Mir Najaf Ali and the other was a Hanafi theologian, Maulvi Haider Ali Faizabadi. Masood also notes that Anis was well versed in Persian as well as in Arabic. Anis also had military training and gained a thorough knowledge of old and new weapons(Wikipedia.com).

It is clear from his poetry that he had a vast knowledge of Persian and Arabic as well as of the colloquial forms of his own mother tongue. One of his favorite devices is to use 'Hindi,' Arabic and Persian words which are near synonyms in the same line or verse. He was so clever in the employment of his knowledge of other languages to the extent that many believe he came to "symbolize the full spectrum of the cultural mosaic that Urdu has come to be"(Wikipedia.com)

In fact, such display of command over the language was greatly admired, and is a feature commonly found in the works of many Lucknow poets. In some cases, the correct interpretation of a verse depends upon knowing somewhat minor details of Arab history, especially those details to which mainly Shi'as give prominence(Ibid). Moreover, Anees's master of simple, natural utterance and his superb command on the language enabled him to adequately express a large variety of moods, scenes, characters and situations. He is especially notable for presenting the same scene or situation, over and over again, in different words or phrases, without letting it appear monotonous (PoemHunter.com, ٢٠١٢, p.٢).

Anees was a Shi'a by religion and it is known that both his parents were religiously inclined. He seems to have been particularly attached to his mother, an educated lady, whose company may have inspired certain passages in his

Marsiyas like the episode in which Zainab gently rebukes her two boys in language reminiscent of Lucknow women's speech. That Anees was an ardent believer is confirmed by the obvious sincerity of his verse and the great respect he shows to his religious heroes(Naim, ١٩٨٣, p.v).

The majority of Shi'as, of course, firmly believes that Imam Ali was the rightful successor to Prophet Muhammed, and is thus regarded not as the fourth Caliph, but the first Imam. The death or rather the martyrdom of Imam Ali's second son, Husayn, in the battle of Karbala at the hands of Umayyd Yazid was great blow to the supporters of the cause of Imam Ali. Now many Shi'as look upon the battle of Karbala not as a political reversal but as a deeply felt tragedy in which wickedness triumphed over good(Naim, ١٩٨٣, p.viii-ix)

The events leading up to AlTaf battle took place during the first ten days of Muharram or the first month of the Muslim year. The mourning for Husayn's death is thus carried out at this period of the year. During these days, each morning a meeting of mourning (majlis 'aza) is often attended by thousands of people who congregate to hear the events of Karbala related by a professional reciter (Zakir). Usually before the reciter's sermon, Marsiyas and other shorter compositions such as salams (poems resembling ghazals), nauhas (extremely pathetic poems)

and ruba'is are also recited by well-known poets of the city(Naim, ١٩٨٣, p.ix).

The celebration of the events of Karbala and the public mourning for the death of Husayn were well established in India long before the time of Anees. Muharram was given great prominence by the Shi'a kings of the Deccan (١٦th-١٧th centuries), who themselves composed short Marsiyas for recitation in the majlises organized in Bijapur and Golkunda (Hyderabad). Most Dakani Marsiyas like those of Muhammed Quli and 'Ali Shah (rulers of Golkunda and Bijapur respectively) in form and rhyme resemble the ghazal. Some later Dakani compositions however are longer and are written in stanza form, with a poignant refrain at the end of each stanza(Naim, ١٩٨٣, p.x)

The development of the Marsiya from a short lyrical poem expressing grief for the death of Husayn into a lengthy narrative poem written in musaddas form, in which the whole story of the battle, the events leading up to it, or one famous episode of it, are treated in great detail, seems to have taken place mainly in Faizabad and Lucknow during the last part of the ١٨th and the ١st part of the ١٩th century, when the opulent Shi'a rulers, whose ancestors had come from Iran, provided the stimulus and the money for Ta'aziya celebration on a grand scale. The famous celebrations which take place in Lucknow, Hyderabad (where the old standard and banners are still in existence)

and to some extent in other Indian and Pakistani cities are unparalleled in any other part of the Islamic world. Even the well-known 'passion play' which is staged at Kazimain in Iraq during Muharram has no real connection with the Ta'ziya in the subcontinent. More noteworthy is the fact that the Urdu Marsiya as we know it from the works of Anees and his equally illustrious contemporary Dabeer has no counterpart in Arabic and Persian literature and is one of the few forms of poetry to which Urdu has an exclusive claim(Naim, ١٩٨٣, p.x-xi).

As we have pointed out, marsiyas were mostly (though not exclusively) composed for recitation in the majlises organized for the mourning the death of Husayn. No less important than the art of marsiya composition was the art of the dramatic recitation of Marsiya before an audience. Often the great poets excelled in both. Many stories are told of Anees's power of recitation and during his performances he would frequently find himself in a state of ecstasy. It is said that on one occasion so many people came to hear him that the walls of the enclosure where the majlis was due had to be torn down to accommodate the large crowd. Anees is said to have had such a powerful

voice that even those sitting farthest away from him could hear every word(Naim, ١٩٨٣, p.xi).

There can be no doubt that Anees was one of the greatest Marsiya writers and until recently the Urdu Marsiya has been regarded as being almost synonymous with the poetry of Anees(Naim, ١٩٨٣, p.xii). This results in making Muharram and Mir Anis practically synonymous in some parts of India. Undoubtedly, Urdu derives much of its strength from the Marsias of Mir Anis(Wikipedia.com)

III.Anees's Marsiyas of Martyrdom and Sacrifice:

"Oh, Lord, give me eloquence that would soften rocks into wax
Give my verses the force that crying has."

In Marsiya of Karbala, Anees has succeeded in presenting a poem that manifests almost all the characteristic of the Marsiya mentioned above. The Marsiya is written in the form of musaddas and consists of ١٩٧ stanzas. Although its main theme is the martyrdom of Imam Husayn himself, several secondary themes are also introduced, making it more interesting(Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١٠٤-١٠٥).

At this point, before proceeding further, it would be useful to make note of two features that seem to be both common and crucial to all Marsiyas. First, what may be called the leitmotif of the Urdu Marsiya, a belief that life is followed by death followed by life again. In other words, Life (transitory)-Death (transitory)-Life (eternal). Second, the development of the themes, primary and secondary, is always in terms of binary oppositions. These binary distinctions arise out of a conviction that Islam itself is anchored in a dichotomy between Islam and non-Islam. They gain greater scope and effectiveness from another dichotomy that is crucial to the understanding of most Islamic literatures, that between the external or the obvious and the internal or the hidden, the two layers of meaning or significance that every word or act is believed to have (Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١٠٦-١٠٧). In the above-mentioned leitmotif, the cessation of life is only the external of death; its true meaning, the hidden, is the eternity of the hereafter. Thus, a true Muslim would look at the internal meaning of death and welcome it, whereas a non-Muslim would be afraid of death and cling to life here. In the Marsiya of Karbala, there is a group of people led by Imam who challenged the authority of Yazid, the temporal Caliph. Their action, however, is a rebellion on the exterior alone; its internal meaning is the submission to a greater authority, the Command of Allah.

The Imam and his companions are just, and thus must endure injustice at the hands of the soldiers of Yazid, the usurpers. As Muslims, they are aware of the end; as against their opponents who prefer the comforts of the hereafter. They are men of spirit and sacrifice. The Imam has submerged his will in the will of Allah, and his companions have done likewise through him. They have become part of the cosmos. When they pray, everything in nature prays; when they are wrathful, nature is wrathful too. They live in a cosmic time which is infinite; their enemies are fated to have only a transitory glory. Husayn is killed but his Islam is triumphant, Yazid wins the battle but has lost the war. In the eternity of the hereafter, the Imam is blessed, Yazid is cursed(Ibid. p.١٠٧).

Another noticeable feature is that the Marsiya consists of two types of material; the 'mubki/weeping' material, and the expressive of exaltatory ideas, celebrating the piety, bravery, resoluteness, and other virtues of the heroes of Karbala. Further, except for the natural, long outburst at the end, the 'mubki' stanzas have carefully been placed, usually in ones and twos, at various strategic points. They act as brief but sharp reminders of the main tragic theme as well as neat transition devices between major sections. There is no doubt that Mir Anees has put much careful thought in this organization of his verses and that it was primarily dictated by the demands of oral

presentation(Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١٠٨).

Another feature that deserves to be noted is the depiction in Urdu Marsiyas of indigenous socio-cultural values and practices: the heroes and heroines are Arabs but behave like the gentle-folks of Lucknow. Their social mores, marriage customs, uniqueness of feminine speech-habits, family relationships, these all are Indian, specifically of Muslim upper classes of Lucknow. To a pedant that seems detracting if not ridiculous, but if we keep in view the fundamental goal of the Marsiya writer-make the piety-filled audience respond in an intense emotional manner-we shall have too little to object to. The Indianness in descriptions and details brings these events closer to the Indian audience, and makes it easier for it to identify with the martyrs. A historically accurate Arab milieu would have created a wide gulf between the poem and its audience, thwarting the poets in their effort to present an ideal being who could yet be emulated(Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١٠٩).

Moreover, if one looks at a Marsiya in isolation, i.e., outside of its context of a majlis, one may get a feeling that it presents only a despairing vision. That it begins with life, but it ends with death. As already pointed out, that is not

truly the case. In a majlis, a Marsiya is preceded and followed by reading of a fatiha, a verse that essentially confirms the immortality of the human soul. The tears of the audience are in themselves a witness to the fact that the sacrifices of the Imam and his companions has not been in vain that in their death lay their victory. Thus the events of Karbala become the story of what should be the ideal role of mankind in this world. No wonder then that we come out of majlis filled with admiration and exultation, not dejected and despairing(Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١٠٩-١١٠).

The Marsiya poets are sometimes criticized for being repetitive. However, one should remember that Marsiyas are longish poems that are written about individual heroes and heroines and that they exist only for the purpose of being read in a majlis. Rituals, in order to maintain their efficacy allows little or no variation. The faithful come to a majlis with certain expectations, which have to be met. A radical departure from the traditional pattern may perhaps produce an interesting poem, but can not be expected to imbue it with that power of alleviation that a more traditional Marsiya would have for the piety-minded listeners(Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١١٠).

The Marsiya of Karbala is an account of the battle of Karbala from the early morning, when the heroes wake up and prepare to war, to the late afternoon when Husayn and

his companions are finally murdered. It culminates in Zainab's impassioned cry for the soul of her dead brother before she is taken captive by the enemy. The account proceeds episodically from start to finish, though the poem can not easily be divided according to the ideal scheme set out above (See section one). This is in fact the case with Marsiyas, whatever their subject, and it is often difficult to say exactly where the introduction (beginning of the morning and journey) ends and where the description of the hero begins(Naim, ١٩٨٣,"The Art of Urdu Marsiya, pp.١٠٤-١٠٥).

At the first signs of dawn after the sun completed its journey, the Imam who is called 'the King' awakens his companions and tells them "at last the time has come"(Stanza١). This line has two interpretations: either that the dawn has broken and the time for prayer has come or that the last day has dawned for the martyrs who will be all dead by the evening. Therefore, they gather for the Morning Prayer, each one is a paragon of spiritual virtues.

For the Imam and his companions, this day will be a day of "strife and slaughter." It is the day in which the blood of family of Muhammed will flow. In spite of this violent and bloody end, the face of al-Zahra, the Imam's mother, is radiant with joy for "the day of separation has passed and the day of reunion has come."(Stanza٢-٤) The members of

the Prophet's family are those for whom the angels will grieve. They have spent their nights in anguish waiting for this day.

Anees describes the evening of this day as blessed because those who will die in it, the Imam and his supporters, will find place in heaven. Although they are dying of thirst in this day, they will be compensated in Heaven by enabling them to reach Al-Kawther spring with honor. The names of all those killed in this day will be inscribed in the roll of the faithful. Here, as throughout the Marsiya, we have an emphasis on the martyrs and their role in setting an example of sacrifice and goodness for people.

Having heard the Imam's call, the faithful rose from their beds. Each one of them was bedecked with very elegant clothes. They all fearlessly combed their beards and moustaches, and put their turbans. Their clothes were perfumed with musk, civet and attar of roses.

In spite of thirst, nothing on the Imam and his followers' lips except the praise of Allah. Therefore, they feel neither fear, panic, grief, nor sadness. They are generous, pious, steadfast, accomplished, skillful, proud, brave, forbearing, and high-minded like "Solomon in battle, like lions in Sheba."(Stanza ٩)

Anees goes on in his description of the splendidness of the Imam's followers in the following two stanzas. He praises their eloquence, fragrance, devotion and honesty. He compares them to the rubies and pearls. Their magnificence and greatness make the houris (gazelle-eyed women) "declared that they were angels, not men."(stanza٨, L٨)

Stanza nine is devoted to the delineation of Imam's family or "some of the daring children of Fatima." References are made to the "beautiful Qasim and the handsome Ali Akbar", the Imam's eldest son, who says the call for the prayer. There is also Aqil and Muslim, and the young striplings of Ja'far.

Because of their beauty, radiance, and glory, not only rose gardens, but nature itself with its valleys, mountains, trees and flowers were "put to shame." All the elements of nature, fauna and flora alike were celebrating the peerless presence of the Imam and his companions(stanza١١).

On the Imam's side, there is a congregational prayer, on the enemy's side preparations for battle; as the Imam, the King of the celestial throne, ends the prayer some arrows fall near him, making him anxious about the children; he goes into the tents to bid farewell to the ladies. The King of the land and sea saw the state of his women.

Their faces were pale, the hair on their heads was hanging loose. Zainab uttered a prayer: "Oh Lord Most Glorious (God), may the darling of Fatima be saved from this strife. May the crop of the renowned Lady Bano remain fresh and green." The children were also suffering as Baqir is lying in one place and Sakina has fainted in another. The moon-like babies have cried themselves to sleep after a long day of feverish heat, hunger and thirst. In spite of these continual ordeals, the Imam was determined to combat Yazid and his devil-like supporters(Stanzas٢٤, ٤٣).

Coming near the distressed Zainab, the Lord of court of Heaven said to her: "Do not be troubled, for all your prayers are answered. The supporters of Yazid are unfaithful and arrogant. They are at fault. Therefore, the Imam shall go and show them the road of justice. As there is no time for lamentation and weeping, the Imam asks Zainab to bring him the relics of his ancestors-the robes of the Prophet, the sword of Ali, the turban, helmet, armor, shield and other necessary preparations, and gets ready (Stanza ٤٦). The banner of the Imam is brought forth and the young sons of Zainab beg her to recommend their names to the Imam; she scolds them. The Imam praises the children of Zainab for their courage and determination, then at her recommendation sends for Abbas to give him the banner. Abbas takes the banner; Husyan's youngest

daughter, Sukina, asks Abbas to bring her some water from the river; Husyan and Abbas leave the tents in order to bring water.

In contrast to the Imam, King of Faith, the leaders and soldiers of Yazid's army were wicked, ruthless, treacherous, deceitful and false. They were keen on using dirty means in their war against the carrier of truth. Besides outnumbering the Imam's army, the leader of Yazid's army tries to prevent Husayn and his men from reaching the water for the purpose of weakening them.

In stanzas ١٦١-١٦٣, Anees describes the killers of Imam Husayn. One of them was gigantic and ugly, corrupt and dark-headed; brazen-bodied and black-hearted, with a waist of iron, his arrows were heralds of death; his quiver the abode of destruction. In his heart was evil, in his evil spirit was corruption. Accompanying him was another warrior of the same height and form. His eyes were dark-bleu; he had wrinkles on his black brows. He was wicked, evil-minded, tyrannous and full of depravity. They took their spears and girded up their loins for conflict. One boasted about the strike of his club the other about his fast sword; the other about his fast sword. In stanza ١٦٥, the soldiers were in anguish; the armies were in panic. They feared at every moment that Husain might advance and use his sword. They cried out that 'On one side are Marhab

and 'Antar and on the other Ali. Who will hold his head high today, i.e., who will win? And whose head will be bowed?

After a heated exchange between the Imam and the commander of the enemy, Ibn Sa'd; the battle begins, and the Imam fights with the entire enemy; his sword is praised in detail. Unnerved by the ferocity of his attacks and the intensity of the heat, the Imam's enemies seek his refuge; the Imam, as befits him, sheaths his sword. Ibn Sa'd taunts his soldiers and two of the most fierce attack the Imam; at a command from Allah, Husayn unsheathes his sword again and kills them both.

The courageous men of Imam created havoc. They fought like hungry lions pouncing in anger on their preys. In the desert, in every direction, were piles of wounded and slaughtered men. The swords rained down from morning till midday. The earth shook and the skies continued to tremble. The angels shuddered as they folded their wings. No more were those shouts; no more was the flashing of those swords. The shields had their day; now it was the turn of the spears. At the time of early afternoon, the end of the army came about.

It is mid-afternoon and the Imam is all alone; he goes into the tents to take a final look at his infant son, Ali Asghar ; a deliberately shot arrow killed the infant in the

Imam's lap; the Imam buries his son's tiny body. After his little son, Ali Asghar, was killed, Husayn came upon the army brandishing his sharp sword. His eyes were bloodshot with weeping, his face was red. He clothed his body with great pomp and ceremony in the holy cloak of the prophet. He took the shield of Hamza and the sword of Ali(Zulfuqar). On his body was the armor of the exalted Prophet of Allah.

The corpses of all of them were lying around, and in the midst of them was the Imam. The cloak of the Prophet was entirely soaked in blood. Hussain was dejected, grief-stricken, anxious and thirsty. The beatings of the drums of victory were like a spear in his heart. Whenever the enemies mentioned the name of any martyr, trembling he clasped his heart with both his hands. Now there was no freedom from lamentation, no respite from mourning. The lamps which lit the house were extinguished. The sunlight beat down on the scattered limbs of all their bodies. There was not even a sheet on the corpse of Ali Akbar.

From the facing enemy, ten thousands arrows were aimed at his breast. Several hundred arrows struck is chest at one time. Spears transfixed his heart, arrows pierced his breast. Ten arrows hit him for every four that he pulled from his body. Arrow-shafts were in the body of the Shadow of God, as spines in the body of a porcupine.

Husayn can not withstand the brutal attack of his enemies. As he declares earlier, "the time has come." Anees describes in detail the aftermath of Husayn's fall in stanza ١٨٣. The stanza is worth quoted in full:

Husain now falls from his horse-oh calamity! His holy foot has slipped out of the stirrup-oh calamity! His side has been torn open by a dagger-Oh calamity! He has dropped in a swoon, his turban has fallen from his head-Oh calamity! The Quran has fallen headlong on the ground from the bookstand of the bridle. The wall of Ka'ba has collapsed. The empyrean had fallen.

Husayn's mother laments in Paradise; her voice comes from the wilderness: 'The community has robbed me. Ah Muhammed! At this time who will discharge the duties of friendship? Alas! Alas such cruelty and the leader of both worlds. Lifting the curtain of the tent, the daughter of Ali and Husayn's sister comes bare-headed. Her legs were trembling; her back was bent; she was bathed in the blood of the heart. Beating her head, she was crying in all directions 'Oh Karbala, tell! Where is your guest? Alas! Now this thirst one can not lift his feet. Hold up my arm, and bring me to his corpse."(Stanzas ١٨٥-١٩٠)

Anees ends the Marsiya by addressing himself. He says, 'Stop speaking Anees! Your limbs are shaking with

weakness"(stanza ١٩٤, p.٤٩). In spite of its length, ironically, he says "May these few verses remain a monument in the world." He wishes that he can recite his poetry in the assemblies of mourning for the rest of his life, thus, fulfilling the duty of the faithful and devout poet. A concluding stanza of pious sentiments and modest self-praise.

Conclusion:

Since the death of Imam al-Husain, or the Lord of the Martyrs, many poets try their hands at writing marsiyas in the dominant languages of the Muslim communities; namely; Arabic, Persian, Urdu, and Turkish The marsiyas are muli-purposed. They serve to commemorate the sacrificial death of Imam Hussain who fought oppression and injustice and died for the sake of saving the Muslim community. They also help to bring Karbala with its meanings and symbols nearer to the local communities who live far away from the real Karbala where the Imam is buried.

In writing marsiyas, Anees follows a typical pattern. His marsiyas, especially the epic-like, Marsiya of Karbala are usually characterized by lengthy and colorful description of the main characters, their clothes, behaviors, manners, felling, etc.; abundant references to the flora and fauna of the poet's locales; sharp dichotomy,

in terms of virtues and attributes, between the two warring parties; presenting the battle as well as life as a journey that extends from morning, symbols of life and beginning, to the evening, symbol of sunset and death of day; and finally, a great emphasis on the significance of the Imam's martyrdom as a means of enliven and invigorating the spiritual potentials of human communities.

Work Cited

١. Alhuda, K. “Marsiya : A Form of Urdu Poetry – Indian Muslims.” URL
٢. (indianmuslims.in/marsiya-a-form-of-urdu-poetry.) Accessed November ١٠, ٢٠١٦.
٣. Al-Azhari, M. H.(٢٠٠٨). The Tragedy of Karbala: The Prophet’s ρ Grandson’s Struggle against an Oppressive Tyrant. Nottingham Karimia Institute.
٤. Bailey, T. G. “Urdu Poetry in Lucknow in the Nineteenth Century.”URL www.columbia.edu/itc/mealac/.../٠٠urduhindilinks/bailey/٠٠٤lucknow١٩thc.pdf. Accessed at Ocober ١٥, ٢٠١٦.
٥. Çellenk, M. “The Karbala Tragedy and Suffering in Shia.” URl https://www.inter-disciplinary.net/wp-content/uploads/٢٠١٠/١٠/celenkpaper.pdf. Accesed at October ١٠, ٢٠١٦.
٦. Fakhr-Rohani, M. Ashura Poems in English; Explained and Annotated (Volume ١).(٢٠٠٧). Network for Islamic Heritage and Thought.
٧. “Elegy (Marthiya) on Husayn: Arabic and Persian.” URL https://www.al-islam.org/.../elegy-marthiya-

husayn-arabic-and- persian.../elegy-marthi. Accessed November ٧, ٢٠١٦.

٨. Jalais, A. (٢٠١٣).“Bengali ‘Bihari’ Muharram: The Identitarian Trajectories of a Community.” Journal of Ethnographic Theory ٣ (٣): ١٣٩–٦٥.
٩. “Marsiya.” - Wikipedia. URL https://en.wikipedia.org/wiki/Marsiya. Accessed October١٥, ٢٠١٦.
١٠. “Marsiya: The Poetry of Martyrdom. URL https://lampsofdesert.wordpress.com/٢٠١٥/٠٤/١٣/١٢٨. Accessed at October١٠, ٢٠١٦.
١١. Marsiya Urdu Poetry.”URL www.iloveindia.com › Indian Literature › Urdu › Poetry. Accessed at November ١٠, ٢٠١٦.
١٢. “Mir Babar Ali Anees.”(٢٠١٢). PoemHunter.com. The World’s Poetry Archive. Accessed at October ٢٠, ٢٠١٦.
١٣. Naim, C. M. "The Art of the Urdu Marsiya." (١٩٨٣). Teaching materials prepared at SOAS during the ١٩٧٠'s. URL www.columbia.edu/itc/mealac/pritchett/٠٠urdu/anis/soas_anis.pdf. Accessed October ١٠, ٢٠١٦.
١٤. Naim, C. M. “Mir Babar Ali "Anis”(١٨٠٢-١٨٧٤) Teaching materials prepared at SOAS during the ١٩٧٠s.
URL http://www.columbia.edu/itc/mealac/pritchett/٠٠urdu/anis/index.html. Accessed October ١٠, ٢٠١٦.
١٥. Syed, A. The Karbala. (٢٠٠٥).URL: Islamicoccasions.com. Accessed November ١٥, ٢٠١٦.
١٦. Rizvi, S. H. Z. “Mir Anees was not only a renowned elegy poet but a man of culture.”(٢٠١٣). URL TwoCircles.net. Accessed November ١٠, ٢٠١٦.

زيارة الأربعين

أعظم تجمع سنوي في التاريخ

المدرس الدكتور منال نعمت عبد الهادي

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

Al Arba'een Visit

the Greatest Annual Gathering in History

Instructor Manal Ni'met Abdul Hadi

Department: English;College: Arts University: Al Mustansryia

Abstract:

On the ٢٠ th of Safar, millions of Muslims gather in Karballa every year to visit Imam Hussain, the grandson of the prophet Mohammed (peace and blessings be upon him and all the members of his family) and his brother Imam Abbas (peace be upon him). In doing so, the visitors want to prove one thing that they love their prophet so much, through loving his family.

This sacred tradition has its unique characteristics that make it differ from all other religious, political or reforming gathering in history.

This paper sheds light on the qualities of Al Arba'een visit and why it is considered the largest gathering in history through comparing it with other large gatherings all over the world from the perspectives of: the number of participants, distance covered, and services.

الخلاصة:

في العشرين من صفر من كل عام، يجتمع ملايين المسلمين في كربلاء لزيارة الامام الحسين، حفيد النبي محمد (عليه و على اله الصلاة و السلام) و أخيه الامام العباس (عليه السلام). في هده الزيارة يريد الزائرون ان يبرهنوا عن شيء واحد و هو حبهم الشديد لنبيهم محمد(صلى الله عليه و اله وسلم) من خلال حبهم لعترته.

إن هذه الشعيرة المقدسة تتمتاز بصفات فريدة جعلتها تختلف عن غيرها من المسيرات الدينية و السياسية و الإصلاحية في التاريخ.

يسلط هدا البحث الضوء على خواص زيارة الأربعين وعلى الأسباب التي جعلت منها اضخم مسيرة في التاريخ من خلال مقارنتها مع اضخم المسيرات في انحاء العالم المختلفة من ناحية عدد المشاركين والمسافات المقطوعة والخدمات.

١- Introduction:

Al Arba'een visit has been observed for the first time since the year ٦١ AH of the Islamic calendar after the Battle of Karbala. According to tradition, the first gathering took place when Jabir ibn Abd Allah, a sahabah, made a visit to the burial site of Imam Hussein (a.s). He was accompanied by his servant Atiyya ibn Sa'd as he was blind. This visit coincided with that of the surviving female members of Muhammad's family and Hussein's son and heir, Imam Zain-ul-Abideen, who had all been held captive in Damascus by Yazid I, the Umayyad Caliph. Imam Zain-ul-Abideen spent the rest of his life in a deep sorrow remembering what has happened to his father and the members of his family. It is said that one day a servant said to him, 'O son of Allah's Messenger! Is it not time for your sorrow to come to an end?' He replied, 'Woe upon you! Jacob the prophet had twelve sons, and Allah made one of them disappear. His eyes turned white from constant weeping, his head turned grey out of sorrow, and his back became bent in gloom,[a] though his son was alive in this world. But I watched while my father, my brother, my uncle, and seventeen members of my family were

slaughtered all around me. How should my sorrow come to an end?' al-Qarashi(٢٠٠٠):

Al Arba'een visit has been banned in some periods, the last of which was when Al Baath party, the previous ruling party of Iraq had forbidden the visit for about thirty years. After the ٢٠٠٣ invasion of Iraq, the observance of this visit in April ٢٠٠٣ was broadcast worldwide (Nasir Vali, ٢٠٠٦:١٨-١٩).

٢- The Blessings of Visiting Imam Hussein:

It is related that visiting the grave of Imam Hussein (a.s) is among the necessities of the religion, and it is an essential duty upon every believer and is obligatory upon every man and woman. While abandoning his visit results in ungratefulness to the Prophet Mohammed. Blessings of visiting Imam Hussein's (a.s.) shrine are much more than can be outlined in this paper. Many narrations emphasize the necessity and importance of visiting him. Imam Sadiq (a.s) points out that: "If any of you performs Hajj his entire lifetime but does not

visit the shrine of Imam Hussain (a.s), he would have left a right of the rights of the Prophet (saww); because the right of Imam Hussain (a.s) is a duty from Allah Almighty upon every Muslim that it be fulfilled."[١] .

Imam Al Sadiq also reported that: "Allah has appointed some angels at Imam Hussein's grave. When a Shia makes the intention for visiting him, Allah forgives all his sins. When he takes a step to go for visiting, he erases his sins. His virtues multiply and they increase till the time he becomes worthy of Paradise"[٢].

Imam Sadiq (a.s) also emphasized the uniqueness and exclusivity of visiting the shrine of Imam Hussein (a.s) by saying: "Four thousand angels with tousled and dusty hair are crying on the grave of Imam Hussain (a.s) till the judgment day, and their leader is an angel called Mansour. All the pilgrims are greeted and welcomed by these angels and when the pilgrim is leaving, they bid farewell and convoy him and if he was to become ill, they would visit

---

١) Al-Tahthib. Volume ٦, Chapter ١٦ Fathl Ziyarat Al-Imam Al-Hussain (a.s), Page ٤٢, Hadith number ٢.

٢) cited in Wasailul Mohibbeen, p. ٢٨٠

him or if he dies they will pray on his body and ask for his remission after his death."[١].

In another tradition (cited in Behaarul Anwar, vol ١٠١, p. ٢٥, tradition ٢٦)

'If one of our Shias goes for Imam Husain's (a.s.) Ziarat, then he will not return but all his sins will be forgiven. For every step that he or his mount takes, ١،٠٠٠ virtues are written for him, ١،٠٠٠ sins are forgiven and his status is elevated by a ١،٠٠٠ degrees.

In Mustadrak al Wasaa'il, Volume ١٠, Chapter ٢٦, Page ٢٥١, Hadith: ٤١, Imam Retha (a.s) told his followers that any one wishes to visit Hussein Ibn Ali Ibn Abi Taleb, while being knowledgeable of his right, will be amongst those that speak and communicate with Allah Almighty above his throne; he then added: "Indeed, the righteous will be among gardens and rivers, In a seat of honor near a Sovereign, Perfect in Ability"[٢].

---

١) Furu' Kafi, Volume ٤, Page ٥٨١, Hadith: ٧.
٢) The Holy Quran, Chapter ٥٤, Surat Al-Qamar (The Moon), Verse: ٥٤-٥٥.

٣-The Largest Gatherings in History:

In what follows number of the largest gatherings in history. Only those that exceed the number of their participants (٥) million will be included. It should be noted estimation that t cn he number of participants is based on made by official sources.

Table (١): Largest Gatherings in History

The occasion	Number of participants	Date
people bathed at the Triveni Sangam in Allahabad for the Maha Kumbh Mela	An estimated ٢٥ million people	In ٢٠٠١ In ٢٠١٣
People of different religious doctrines are from Iraq and other countries gathering in Karbala, Iraq for performing Arba'een visit to the grave of Imam Hussain (a.s)	An estimated ٢٦ million people. An estimated ٢٠–٢٢ million. An estimated ١٥–١٨ million people. An estimated ١٥ million people. An estimated ١٥ million people. An estimated ١٠ million people. An estimated ١٠ to ١٤ million people.	On ٤ December ٢٠١٥ on ١٣ December ٢٠١٤ on January ٢٠١٣ in ٢٠١٢ in ٢٠١١ in ٢٠١٠ in ٢٠٠٩
people attended the funeral of C. N. Annadurai in Tamil Nadu, India.	An estimated ١٥ million people	in ١٩٦٩
People visited the shrine of Imam Musa al-Kadhim, seventh Imam of Shia, in Iraq.	An estimated ١٢ million people	In ٢٠١٥
People attended the Mass in Rizal Park, Manila, this occasion concluded the apostolic and state visit of Pope Francis in the Philippines.	An estimated ٦ to ٧ million people	on ١٨ January ٢٠١٥
People attended the Democracy and Martyrs' Rally in Istanbul, according to the Istanbul Police Department.	An estimated ٥ million people	on ٧ August ٢٠١٦
People attended the Chicago Cubs World Series parade and rally in Chicago.	An estimated ٥ million people	on ٤ November ٢٠١٦
People attended the funeral of the Egyptian President Gamel Abdel Nasser in Cairo, Egypt	An estimated ٥ million people	on ١ October ١٩٧٠
People gathered in Sabarimala, India to watch 'Makarajyothi', which is a bright	An estimated ٥ million people	on ١٤ January ٢٠٠٧

flame that flickers three times on a remote hillside of Ponnambalamedu.		
An estimated ٥ million devotees attended the Bishwa Ijtema in Bangladesh	An estimated ٥ million people	in ٢٠١٠

It is clearly shown from the above table the following notes:

١- **the number of participants of Al Arba'een visit is the highest among the other numbers;**

٢- **Although the Kumbh Mela, the mass Hindu pilgrimage, attracts high number of participants, it is held only every twelve years;**

٣- **Al Arba'een visit is an annual gathering; which happens every year;**

٤- **It is obvious that the number of Al Arba'een visit participants is in a continuous increase;**

٥- **While the Arba'een is a Shi'a spiritual exercise, Sunni Muslims, Christians, Sabians, and others are inspired by it so they participate in both the visiting as well as serving of visitors. Participants from Iran and European countries including Sweden, Russia,Vatican have taken part in the visit. This is in addition to many**

delegations from various African countries including Ghana, Nigeria, Tanzania and Senegal.

In addition to the number of participants, Al Arbaʹeen visit has other distinctive feature that distinguishes it from the other large gatherings. This is concerning the distance covered by the visitors and the way of passing it. It is obvious that the city of Karbala in Iraq is the center of the proceedings which millions of visitors travel miles on foot to reach. The distance between Basra and Karbala for instance is a long journey, but the visitors pass it annually on foot. It may take them two weeks, or approximately one month to come from other countries like Iran.

In what follows a table of the distance covered by the visitors on foot to Karbala:

Table (٢): distance between Karbala and the other Iraqi cities

City	Distance to Karbala
Karkuk	kilometre ٣٦٩
Samarh	= ٢٣١
Baquba	= ١٦١
Baghdad	= ١٠٣
Hilla	= ٤٥
Kut	= ١٣٣
Diwanyia	= ١٢٥
Najaf	= ٨٣
Umarah	= ٣٥٥
Nasryia	= ٣١٣
Sumawa	= ٢١٤
Basrah	= ٤٩٠

Furthermore, People participating in Al Arba'een visit are of all age groups. They walk across rough terrain, passing uneven roads, and most importantly, they pass through terrorist strongholds, and dangerous marshlands, without even the most basic amenities or travel gear. This is why they consider this journey a real challenge.

Al Arba'een visit differs from all the other historical gathering with respect to the preparations and services introduced by the official part together with the part of Al Muakib's owners who introduce endless services to the visitors. These tents (or what are called 'muakib') are places where visitors get whatever they need. From fresh meals to eat and a space to rest and sleep, to free international phone calls, and to every other services introduced freely and with great amenity.

In this respect, one of the American reporters working in "The Huffington Post" writes an article about the significance of this historical day, as follows: "For some perspective, consider this: In the aftermath of the Haiti earthquake, and with worldwide sympathy and support, the UN World Food Programme announce delivery of half a million meals at the height of its relief efforts. The United

States military, launched Operation Unified Response, bringing together the massive resources of various federal agencies and announced that within five months of the humanitarian catastrophe, ٤,٩ million meals had been delivered to Haitians. Now compare that with over ٥٠ million meals per day during Arbaeen, equating to about ٧٠٠ million meals for the duration of the pilgrimage, all financed not by the United Nations or international charities, but by poor laborers and farmers who starve to feed the pilgrims and save up all year round so that visitors are satisfied. Everything, including security is provided mostly by volunteer fighters who have one eye on Daesh, and another on protecting the pilgrim's path. "To know what Islam teaches," says one Mawkeb organizer, "don't look at the actions of a few hundred barbaric terrorists, but the selfless sacrifices exhibited by millions of Arbaeen pilgrims'[١].

---

١)Source:http://www.huffingtonpost.co.uk/sayed-mahdialmodarresi/arbaeen-pilgrimage_b_٦٢٠٣٧٥٦.htm

٤- Conclusion:

Al Arba'een visit is by all means the largest marsh in history. It is a unique festival which differs from all the other gatherings all over the world for the following reasons:

- **It is the biggest annual gathering;**
- **having longest continuous dining table;**
- **the largest number of people fed for free;**
- **the largest group of volunteers serving the visitors;**
- **under the dangerous threat of suicide bombings.**

The question arising here is that how could a man who was killed ١٣٩٦ years ago be so alive and present as he is now. And how he is loved to this extent. People go to him holding their love, faith, loyalty, respect, sacrifice, freedom, and challenge. They prove to be brave and the imminent threat of death doesn't seem to fair them whether they are young or old, Iraqis or foreigners from making the dangerous journey to their beloved.

It is worth mentioning here, that Performing Al Arba'een visit is another victory added to the series of victories achieved by the Iraqis represented by the Iraqi Army and Al Hashid Al Shabi in their struggle with terrorism and Daish, the first enemy to humanity and freedom.

٥- References:

١- الشيخ الطوسي. كتاب التهذيب. المجلد السابع- فصل ٦، فصل ١٦- فضل زيارة الحسين

٢- القران الكريم. سورة القمر

٣- الكليني. فروع الكافي . طبعه و صححه وعلق عليه محمد جعفر شمس الدين. بيروت: دار التعارف للمطبوعات. الطبعة الأولى (١٩٩٢)

٤- الطبرسي, حسين النوري.(بين ١٢٤٥- ١٣٢٠ هجري) مستدرك الوسائل. قم: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث

٥- المجلسي ،محمد باقر . (بين ١٠٣٧- ١١١١ هجري) بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة. طهران: دار الكتب الإسلامية

٦- شريعتمدارتبريزي ،محمد حسين.(١٣٧٢هجري) وسائل المحبين. طهران: دار الكتب الإسلامية.

٧- Sharif al-Qarashi, Bāqir (٢٠٠٠). The Life of Imām Zayn al-Abidin (as). Translated by Jāsim al-Rasheed. Iraq: Ansariyan Publications, n.d. Print.

٨- Imam Ali ibn al-Hussain (٢٠٠٩). Al-Saheefah Al-Sajjadiyyah Al-Kaamelah. Translated with an Introduction and annotation by Willian C. Chittick With a foreword by S. H. M. Jafri. Qum, The Islamic Republic of Iran: Ansariyan Publications.

٩- Vali Nasr, The Shia Revival. New York: Norton, ٢٠٠٦; pp ١٨–١٩.

On line References:

١. "Over ٣ crore take holy dip in Sangam on Mauni Amavasya". IBNLive. ١٠ February ٢٠١٣.

٢. Biswas, Soutik (١١ February ٢٠١٣). "India's Kumbh Mela festival holds most auspicious day". BBC News. Retrieved ٢ November ٢٠١٦.

٣. Philipson, Alice (١٩ January ٢٠١٥). "The ten largest gatherings in human history". Telegraph.co.uk. Retrieved ٥ November ٢٠١٦.

٤. "Iraq hosts over ٢٦ million pilgrims for Arba'een". Press TV. ٤ December ٢٠١٥.

٥. Arbaeen ٢٠١٤: ٢٠ Million Pilgrims Flock to Karbala [PHOTOS]ibtimes.co.in

٦. ٢٢ میلیون زائر برای اربعین به کربلا رفتند fa.alalam.ir

٧. "Shiites flocks to Iraqi city of Karbala for Arbaeen rituals". france٢٤.com. France ٢٤ international news. ٣ January ٢٠١٣. Retrieved ١٧ November ٢٠١٣.

٨. "زيـارة الاربعـين: ٢ مليـون زائـر ونجـاح امنـي كبيـر". Al-Alam. Retrieved ٤ January٢٠١٣.

٩. "Violence against pilgrims continues in Iraq as suicide bomber kills ٥٠ in Basra".

١٠. "Shiites throng Karbala for Arbaeen despite threats – Region – World – Ahram Online".

١١. "Over ١٥ Million Shia Pilgrims Throng to Holy Karbala in Arabaeen / Photos". ٢٦ January ٢٠١١.

١٢. " المسعودي: عدد زوار الإمام الكاظم وصل لنحو ١٢ مليون زائر – الشارع العراقي".

١٣. "Largest percentage of population to attend a funeral". Guinness World Records. Retrieved ١٢ June ٢٠١٦.

١٤. uberVU – social comments (٥ February ٢٠١٠). "Friday: ٤٦ Iraqis, ١ Syrian Killed; ١٦٩ Iraqis Wounded - Antiwar.com". Original.antiwar.com. Retrieved ٣٠ June ٢٠١٠.

١٥. "Powerful Explosions Kill More Than ٤٠ Shi'ite Pilgrims in Karbala | Middle East | English". .voanews.com. ٥ February ٢٠١٠. Retrieved ٣٠ June ٢٠١٠.

١٦. Hanun, Abdelamir (٥ February ٢٠١٠). "Blast in crowd kills ٤١ Shiite pilgrims in Iraq". News.smh.com.au. Retrieved ٣٠ June ٢٠١٠.

١٧. "١٠ mln pilgrims commemorate Arbaeen". Presstv.com. ١٦ February ٢٠٠٩. Retrieved ٣٠ June ٢٠١٠.

١٨. "Tasnim News Agency – Shiites Flock to Iraq's Karbala to Mark Ashura".

١٩. " مجلس كربلاء يعلن مشاركة سبعة ملايين زائر بمراسم عاشوراء".

٢٠. ABS-CBNnews.com, By Jon Carlos Rodriguez,. "'Luneta Mass is largest Papal event in history'".

٢١. France-Presse, by Jean-Louis De La Vaissiere and Cecil Corella, Agence. "Pope attracts world-record crowd in Luneta mass".

٢٢. "Pope Manila Mass drew record crowd of ٦–٧ million: Vatican". ١٨ January ٢٠١٧ – via Reuters.

٢٣. "Over ٥M turn up for Nazarene parade ahead of papal visit".

٢٤. Massive crowd reaches ٥ million at Black Nazarene processionArchived ١٠ January ٢٠١٥ at the Wayback Machine.

٢٥. "٥,٥ million in Philippines parade ahead of papal visit".

٢٦. PHILIPPINES – TRIPS IN ASIA – AN OVERVIEW The Philippines, ١٩٩٥: Pope dreams of "the Third Millennium of Asia" – Asia News[dead link]

٢٧. "Unprecedented ٥M people attend historic Istanbul rally".

٢٨. FOX. "Cubs World Series celebration ranks as ٧th largest gathering in human history". WFLD. Retrieved ٢٠١٦-١١-٠٥.

٢٩. Associated Press (٤ November ٢٠١٦). "Latest: City Says ٥ Million Attend Chicago Cubs Celebration". Chicago: ABC News. Retrieved ٤ November ٢٠١٦.

٣٠. Aburish, Said K. (٢٠٠٤), Nasser, the Last Arab, New York City: St. Martin's Press, ISBN ٩٧٨-٠-٣١٢-٢٨٦٨٣-٥

٣١. "Nasser's Legacy: Hope and Instability". Time. ١٢ October ١٩٧٠. Retrieved ٣ May ٢٠١٠.

٣٢. "What is the festival of Bishwa Ijtema and where is it held?".

٣٣. "Pielgrzymki Jana Pawła II do Polski". papiez.wiara.pl. ٢٤ April ٢٠٠٥. Retrieved ٣٠ June ٢٠١٠.

٣٤. "Sao Paulo holds Gay Pride parade". BBC News. ١١ June ٢٠٠٧. Retrieved ٨ May ٢٠١٠.

٣٥. "Record-breaking crowds celebrate Blackhawks at parade, rally". Chicago Tribune. Retrieved ٣ November ٢٠١٤.

٣٦. Lin, Jennifer; Steele, Allison; Ott, Dwight (٣١ October ٢٠٠٨). "Million-plus expected for Phillies parade". The Philadelphia Inquirer. Retrieved ٥ February ٢٠١٣.

٣٧. "Bangladesh Buries Leader". The Pittsburgh Press. ٢ June ١٩٨١.

٣٨. Source:http://www.huffingtonpost.co.uk/sayedmahdialmodarresi/arbaeen-pilgrimage_b_٦٢٠٣٧٥٦.htm.

الفهرست

مقدمة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ٧

بغية المجتهدين في السير إلى زيارة الأربعين ١١

أربعينية الإمام الحُسين(عليه السلام) نهجٌ تربوي ٣٧

المناعة النفسية لدى طلبة كلية التربية المواظبين على الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) وغير المواظبين (دراسة مقارنة) ٦١

مجالس العزاء الحسيني ومواكبها مسيرة للتكامل الإنساني ١٠٧

الأثر التربوي والأخلاقي للمجلس الحسيني في الزيارة الأربعينية ١٢٣

قصيدة الأربعينية الحسينية الحديثة قراءة في ضوء النقد الثقافيّ ١٦٣

القيم المعنوية للشعائر الحسينية المقدسة ١٧٥

الثنائيات الضدية في الشعر الحسيني (الزيارة الاربعينية أنموذجاً) ٢٠١

المسير نحو قبلة الأحرار وانعكاسه السلوكي والأخلاقي على طلبة الجامعة المستنصرية (دراسة مسحية) ٢٣٥

أصداء الثورة الحسينية وزيارة الأربعين في الشعر العراقي الحديث ٢٨١

أضواء على التكامل الإنساني في زيارة أربعينية الحسين (عليه السلام) ٣٠١

الزيارة الأربعينية مسيرة للتكامل الانساني في تحقيق التحول من الممارسة الشعائرية الدينية الطائفيه الى وعي عالمي ٣١٩

الاشارات السيميائية في الشعر الحسيني وأثرها في توجيه مسيرة الأربعين - شعر مصطفى جمال الدين أنموذجاً ٣٤٥

المسير إلى الحسين(عليه السلام) مسيرٌ إلى الكمال ٣٦٣

قناع الحسين معرفية التعايش وروح التكامل الإنساني ٣٨١

الزيارة الأربعينية من منظور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ م ٤٠٥

دور الزيارة الأربعينية بتعزيز القيم الاجتماعية ٤٢١

الاستلزام الحواريّ في خطب سبايا أهل البيت (عليهم السلام) ٤٤٧

أربعينية الإمام الحسين(عليه السلام) وتحديات العصر (منهجاً ورسالة) ٤٦٧

أول زوار الأربعينـية الصحابي جابر الأنصاري (١٦ ق هـ - ٧٨هـ = ٦٠٧-٦٩٧م) ٤٨١

دموع الشهادة والتضحية دراسة في مرثية كربلاء للشاعر الهندي مير ببر علي انيس ٥١٥

زيارة الأربعين أعظم تجمع سنوي في التاريخ..... ٥٥٣

الفهرست ٥٧٧